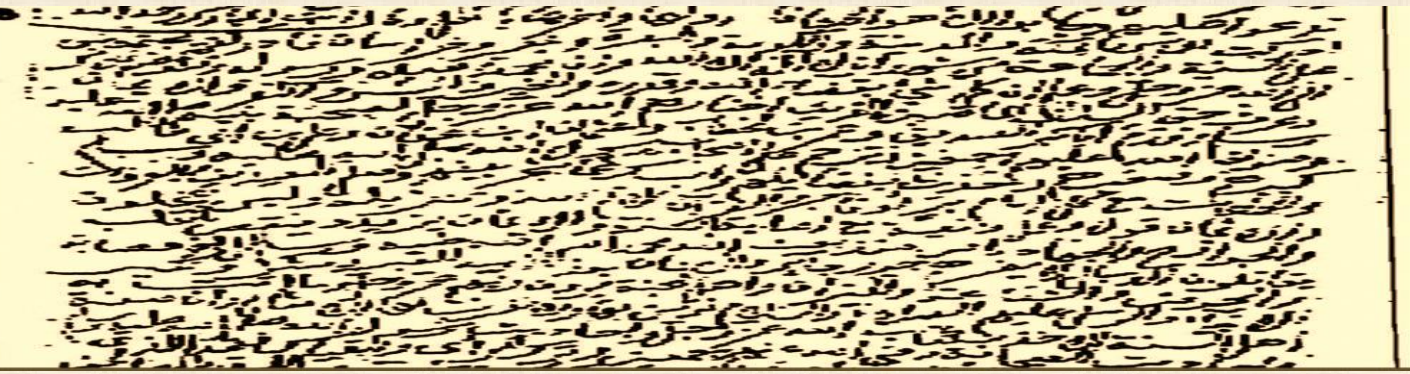
سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف

الشرح المبارك لاعتقاد عبد الله بن المبـــارك رحمه الله



أ د. محمد بن خليفة التميمي

سلسلة شرح متون الاعتقاد عند أئمة السلف

الشرح المبارك لاعتقاد عبد اللّه بن المبارك رحمه الله

أ د. محمد بن خليفة التميمي




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة الشارح

الحمد لله نحمده، ونَستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، مَن يَهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحْده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: الآية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآيتان: ٧٠ – ٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسنَ الهَدْي هدي محمدٍ–صلى الله عليه وسلم–، وشرَّ الأُمُور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

فهذا شرح لاعتقاد الإمام عبد الله بن المبارك–رحمه الله–وقع اختياري عليها ضمن مشروع شرعت فيه لشرح متون الاعتقاد، فقد سبق–بحمد الله–انتهيت من شرح المتون الآتية:

١–أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ).

٢–رسالة الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد.

٣– أصول أهل السنة لعبد الله بن الزبير لحميدي (ت: ٢١٩ هـ).

٤– شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت: ٣٢٩ هـ).

٥-اعتقاد أهل السـنة أهل الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصـابوني (ت: ٤٤٩ هـ).

٦-اعتقاد سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت: ١٦١ هـ).

٧- اعتقاد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي (ت: ١٩٨ هـ).

٨- وصية بمجمل اعتقاد السلف للإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ).

-رحمهم الله جميعًا-، والعمل جار على شـــرح متون أخرى للمتقدمين من ســـلف هذه الأمة.

ويهدف هذا المشـروع إلى التعريف بتلك المتون، وشـرح مضـامينها وما حوته من مسـائل تتعلق بأصـــول الاعتقاد، وربط طلاب العلم بها، وحثهم على التفقه فيها، والنهل من معينها الصـافي الذي لم تشـوبه أو تكدره الأهواء والبدع، فهذه الرسـائل تحمل الميراث المتوارث الذي حمله أولئك العلماء الأفذاذ لهذه الأمة، فهو جدير بالاهتمام والعناية.

ومعلوم أن دراسة العلم الشرعي في جانب علم العقيدة يمر عبر أربع مراحل هي:

أولًا: معرفة أصول مسائل الاعتقاد على وجه الإجمال.

ثانيًا: معرفة تفاصيل مسائل الاعتقاد بأدلتها.

ثالثًا: معرفة الأقوال المخالفة والفرق التي تقول بها.

رابعًا: معرفة الشبه والردود عليها.

ودراسة شروح متون الاعتقاد تجمع لطالب العلم تلك المراحل مجتمعة، فالمتون تحمل غالبًا مجمل أصـول الاعتقاد، وشـرحها لا يسـمى شـرحًا ما لم يحتوي على المراحل الثالثة الأخرى، فإذا خلا الشرح منها فهي تسمى تعليقات وليست شرحًا.

وبناء على هذا التصـور قمت بشـرح هذا المتن العقدي لإمام من أئمة تابعي التابعين هو الإمام عبد الله بن المبارك–رحمه الله–

وقد كان عملي في هذا الشرح وفق الأمور الآتية:

قسمت العمل إلى قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي.

وتضمن الأمور الآتية:

أولًا: ترجمة موجزة للإمام عبد الله بن المبارك.

ثالثًا: المصادر التي ورد فيها ذكر هذا الاعتقاد.

وأما القسم الثاني: شرح متن الوصية.

وقد سلكت في هذه الشروح مسلك البسط والتوسع في بيان المسائل، وليس مسلك التعليق المختصر لقناعتي بأن غالب من يطلع على هذه الشروح هم من المبتدئين من الطلبة، وهذا الصنف لديه الرغبة والهمة في معرفة ما يتعلق بهذه المسائل من تفاصيل وتفريعات، كما أن للتعليق بابه الذي يصلح له، فهو يصلح لمن يسلك مسلك قراءة بعض الكتب على بعض العلماء ومن ثم التعليق المختصر على مواطن من تلك الكتب، وأما شرح الكتب فله بابه الذي يتميز به، وللأسف الشديد أن البعض لا يفرق بين الأمرين.

وقد اجتهدت وبذلت ما في وسعي في شرح هذا المتن، يبقى مع ذلك أن عملي هذا جهد البشر يعتريه النقص والخلل، فأرجو أن أكون قد أصبت بما كتبت، وإن كان الأمر على خلاف ذلك فأرجو على المطلع على ذلك الخلل والنقص أن يرشدني لذلك لعلي أستدركه، قال ابن رجب الحنبلي–رحمه الله–: "يَأبى اللَّهُ العِصمةَ لكِتابٍ غَيرِ كِتابِه، والمنصِفُ مِنِ اغتَفَرَ

قَليلَ خَطَأِ المرءِ في كَثيرِ صَوابِه"[١]

والله أســأل أن ينفع بهذا العمل ويبارك فيه ويجعله خالصًــا لله تعالى، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) تقرير القواعد وتحرير الفوائد (١/ ٥٦).



القسم الدراسي

وتضمن الأمور الآتية:

أولًا: ترجمة موجزة للإمام عبد الله بن المبارك.

ثانيًا: المصادر التي ورد فيها ذكر هذا الاعتقاد،

ثالثًا: أقواله في العقيدة.

أولًا: ترجمة موجزة للإمام عبد الله بن المبارك.

نسبه:

هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضـــح، الْمَرْوزي، الحنظلي مولاهم، التركي الأب الخوارزمي الأَم، الإمام الحافظ المجتهد الزاهد الشعر، فخر المجاهدين شيخ الإسلام عالم زمانه.

مولده:

ولده بمرو [١] سـنة ثمان عشـرة ومائة. قال أحمد بن حنبل وأبو حفص الفلاّس: "ولد ابن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة"[٢]

وروى الحاكم عن عبدان بن عثمان يقول: سمعتُ عبد الله يقول: "ولدتُ سنة تسع عشرة ومائة"[٣]

طلبه للعلم

طلب العلم وهو ابن عشرين سنة في بلدة مرو حاضرة خرسان، ثم ارتحل وخرج إلى العراق أول ما خرج ســنة إحدى وأربعين ومائة[٤]، فلقي التابعين[٥] وأخذ عنهم، وأكثر من الترحال والتطواف، وأمضى حياته في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة، والإنفاق على الإخوان في سبيل الله، وتجهيزهم معه إلى الحج[٦]

وقال أحمد بن حنبل: "لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن

(١) مدينة مرو الشاهجان أشهر مدن خراسان والنسبة إليها مَرْوَزِيّ، وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخاً خرج منها علماء الدين ما لم تخرج مدينة مثلهم كالإمام أحمد وســفيان الثوري وإســحاق بن راهويه وعبدالله بن المبارك. انظر معجم البلدان (٥/ ١١٢-١١٦). الانساب (٤/ ٢٨٥).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨). سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

(٣) سير اعلام النبلاء (٨/ ٣٨٢).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨).

(٥) النجوم الزاهرة (٢/ ١٠٣).

(٦) سير اعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

ومصر والشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهل ذلك، كتب عن الصغار والكبار، وجمع أمرا عظيما، وكان صاحب حديث حافظا"(١)

شيوخه:

أخذ الحديث والفقه والقراءات عن شيوخ كثيرين فقال -رحمه الله- عن نفسه: حملتُ عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم(٢)

وممن سمع منهم الحديث وروى عنهم سليمان التيميّ، وعاصم الأحول، وحميد الطويل، وهشام بن عروة، والجريري، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وبريد بن عبد الله بن أبي بُردة، وخالد الحذاء، ويحي بن سعيد الأنصاريّ، وعبد الله بن عون، وموسى بن عقبة، وأجلح الكندي، وحسين المعلم، وحنظلة السدوسي، وحَيْوَة بن شُرَيح المصري، وكهمس، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وابن جريج، ومعمر، والثوري، وشعبة، وابن أبي ذئب، ويونس الأيلي، والحمادين، ومالك، والليث، وابن لهيعة، وهشيم، وإسماعيل بن عيَّاش، وابن عُيينة، وبقية بن الوليد وخلق كثير(٣)

تلاميذه:

حدّث عنه: معمر، والثوري، وأبو اسحاق الفزاري، وبقية، وابن وهب، وابن مهدي، وأبو داود، وعبد الرزاق بن همَّام، والقَطَّان، وعفّان، وابن معين، وحبَّان بن موسى، وأبو بكر بن أبي شيبة، ويحي بن آدم، وأبو أُسامة، وأبو سَلَمَة المِنْقَري، ومسلم بن ابراهيم، وعَبْدان، والحسن بن الربيع البوراني، وأحمد بن منيع، وعلي بن حجر، والحسن بن عيسى بن ماسرجس، والحسين بن الحسن الْمَرْوزي، والحسن بن عرفة، وإبراهم بن مُجَشَّر، ويعقوب الدورقي، وأمَمّ، يتعذر إحصاؤهم(٤)

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٨٦)، طبقات المفسرين (١/ ٢٤٤)، مرآة الجنان (١/ ٣٨١).

(٢) تهذيب الكمال (٧٣١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٦). سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

(٣) تهذيب الكمال (٧٣١)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٠).

رحلاته:

أكثر–رحمه الله–من الترحال والتطواف، ارتحلَ إلى الحرمين والشـام ومصـر والعراق والجزيرة وخراسان.

قال أبو أُسـامة: "ما رأيت أطلب للعلم من عبدالله بن المبارك رَحَل إلى الشـامات ومصـر واليمن والحجاز"(١)

وقال عبدان بن عثمان: "خرج عبد الله أول ما خرج سنة إحدى وأربعين ومائة"(٢)

وقال أحمد بن حنبل: "لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم وأهل ذاك، كتبَ عن الصغار والكبار وجمع أمرًا عظيمًا، ما كان أحد أقل سـقطًا منه كان يحدث من كتاب كان رجلًا صـاحب حديث حافظًا(٣)

منزلته العلمية وثناء العلماء عليه:

قـال العبّـاس بن مصـعـب: "جمع عبـد الله الحـديـث، والفقـه، والعربيـة، وأيام النـاس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة، والمحبة عند الفرق"(٤)

وقال محمد بن عبد الوهاب الفرّاء: "ما أخرجت خراسـان مثل هؤلاء الثلاثة ابن المبارك، والنضر بن شُميل، ويحيى بن يحيى"(٥)

وقال ابن عيينة: "نظرتُ في أمر الصـحابة فما رأيت لهم فضـلًا على ابن المبارك إلا لصحبتهم النبي–صلى الله عليه وسلم–وغزوهم معه"(٦)

وقال إسماعيل بن عيّاش: "ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ولا أعلم أنَّ الله خلق

---

(١) تهذيب الكمال (٧٣١).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨).

(٣) تهذيب الكمال (٧٣١)، مرآة الجنان (١/ ٣٨١).

(٤) تهذيب الكمال (٧٣١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٦).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٣).

(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٣).

خصلة من خصال الخير إلاّ وجعلها فيه"(١)

وعن الحسن بن عيسى قال اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل الفضل بن موسى ومخلد بن حسين ومحمد بن النضر فقالوا تعالوا حتى نعد خصال بن المبارك من أبواب الخير فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشعر والفصاحة والورع والإنصاف وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والسخاء والشجاعة والفروسية والشدة في بدنه وترك الكلام في ما لا يعنيه وقلة الخلاف على أصحابه وكان كثيرا ما يتمثل:

وإذا صحبت فأصحب ماجدا ... ذا حياء وعفاف وكرم

قوله للشيء لا أن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعم(٢)

وقال أبو أسامة: "ابن المبارك في المحدثين مثل أمير المؤمنين في الناس"(٣)

وقال شُعبة: "ما قدم علينا من ناحيتكم مثل ابن المبارك"(٤)

وقال ابن مهدي: "ما رأيت رجلًا أعلم بالحديث من سفيان الثوري، ولا أحسن عقلًا من مالك، ولا أقشف من شعبة، ولا أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك"(٥)

وقال: "ما رأت عيناي مثل أربعة فذكرهم، ولا أنصح للأمَّة من ابن المبارك"(٦)

وقال أبو اسحاق الفزاري: "ابن المبارك إمام المسلمين"(٧)

ونعته سفيان بعالم المشرق والمغرب وما بينهما.(٨)

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٧).

(٢) البيتان في تهذيب الكمال (١٠/ ٤٧٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٤٦)، تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٢٩–٤٣٠).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٤).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٤).

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٨).

(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٠)، الديباج المذهب (١/ ٤٠٧).

(٧) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٣).

(٨) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦١)، سير اعلام النبلاء (٨/ ٢٨٩).

وقال ابن معين: "كان عبد الله–رحمه الله–كَيِّساً مستثبتًا ثقة وكان عالمـًا صحيح الحديث"[١]

ونعته يحي بأمير المؤمنين في الحديث سيدًا من سادات المسلمين"[٢]

قال ابن خراش: "ابن المبارك مروزي ثقة"[٣]

وقال أحمد العجلي: "ابن المبارك ثقة ثبت في الحديث رجل صالح يقول الشعر وكان جامعًا للعلم"[٤]

وقال ابو حاتم: "عبد الله بن المبارك ثقة إمام"[٥]

ولما نعي ابن المبارك إلى سفيان بن عيينة قال: "رحمه الله، لقد كان فقيهًا عالمِا عابدًا زاهدًا سخيًا شجاعًا شاعرًا"[٦]

وقال أيضًا: "ما قدم علينا أحد يشبه ابن المبارك وابن أبي زائدة وهو ثقة إمام" [٧]

وقال مالك: "ابن المبارك فقيه خراسان"[٨]

وقال أبو زرعة: "عبد الله بن المبارك اجتمع فيه فقه وشجاعة وغزو وأشياء"[٩]

عن محمد بن المعتمر بن سليمان يقول: "قلتُ لأبي: يا أبت مَنْ فقيه العرب؟ قال: سفيان الثوري، فلما مات سفيان الثوري قلت لأبي: من فقيه العرب؟ قال: عبد الله بن المبارك"[١٠]

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٤).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٧).
(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٣).
(٥) الجرح والتعديل (١/ ٢٦٥).
(٦) الجرح والتعديل (١/ ٢٦٢).
(٧) الديباج المذهب (١/ ٤٠٨).
(٨) الديباج المذهب (١/ ٤٠٨).
(٩) الجرح والتعديل (١/ ٢٦٤).
(١٠) الجرح والتعديل (١/ ٢٦٢).

وقال الحاكم: "هو إمام عصره في الآفاق وأولاهم بذلك علمًا وزهدًا وشجاعة وسخاءً"(١)

وقال ابن حبان في الثقات: "كان فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه في الأرض كلها"(٢)

وقال النسـائي: "لا نعلم في عصـر ابن المبارك أجل من ابن المبارك ولا أعلى منه ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه"(٣)

وقال الخليلي في الإرشاد: "الإمام المتفق عليه له من الكرامات ما لا يحصى".(٤)

وقال ابن سعد: "كان ثقة مأمونًا إمامًا حُجّة كثير الحديث (٥) وصنف كتبًا كثيرة في أبواب العلم.

وقال ابن عبد البر: "أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله"(٦)

وقال السمعاني: "روى عنه أهل البلاد، وهو من أهل مرو، والأخبار في مناقب ابن المبارك وشمائله أشهر وأكثر من أنْ يحتاج إلى الإغراق في ذكرها، كانت فيه خصال لم تجتمع في أحدٍ من أهل العلم في زمانه في الدنيا كلها، كان فقيهًا ورعًا عالمًا بالاختلاف حافظًا يعرف السُّنَن رحالًا في جمع العلم شجاعًا ينازل الأقران ويكاشف الأبطال، أديبًا يقول الشعر فيجيد، سخيًا بما ملكَ من الدنيا والله يرحمه".(٧)

وقال الذهبي: "الإمام الحافظ العَلامة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي التركي الأب الخوارزمي الأم، التاجر السفّار صاحب التصانيف

(١) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٦).
(٢) الثقات (٧/ ٨).
(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٧).
(٤)الارشاد (ق: ١٧٩) .
(٥) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٢).
(٦) البداية والنهاية (١٠/ ١٧٨).
(٧) الأنساب (٤/ ٢٨٥).

النافعة والرحلات الشاسع، أفني عمره في الأسفار حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا"(١)

وقال أسود بن سالم: "كان ابن المبارك إمامًا يُقتدى به، كان من أثبت الناس في السُنة، إذا رأيت رجلًا يغمز ابن المبارك فاتهمه على الإسلام"(٢)

تمسكه بالسنّة ومعرفته في الجرح والتعديل وعلل الحديث:

كان رحمه الله متمسكًا بالسُنّة داعيًا إليها ومتثبتًا فيها ومتحريًا للأسانيد.

قال-رحمه الله-: "ليكن عمدتكم الأثر، وخذوا مِنَ الرأي ما يفسر لكم الحديث"(٣)

عن المسيّب بن واضح: "سمعت ابن المبارك وقيلَ له الرجل يطلب الحديث لله يشتدُّ في سنده؟ قال: "إذا كان لله فهو أولى أن يشتدُّ في سنده"(٤)

وعنه قال: "في صحيح الحديث شغلٌ عن سقيمه"(٥)

قال أبو إسحاق الطالقاني: سألتُ ابن المبارك عن الرجل يصلّي عن أبويه فقال: "من يرويه؟" قلتُ: شهاب بن خِراش؟ قال: "ثقَة عَمَّن؟" قلت: عن الحجّاج ابن دينار قال: "ثُقَة عَمَّن؟" قلت: عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "بينه وبين النبي-صلى الله عليه وسلم- مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل"(٦)

وقال عبد الله بن إدريس: "كلّ حديث لا يعرفه ابن المبارك فنحنُ منه براء"(٧)

وقال علي بن الحسن بن شقيق: "قمتُ لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح"(٨)

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٤).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٨).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٩).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٣).
(٦) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٦)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٠).
(٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٣).
(٨) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٤).

وقال فَضَالة النسائي: "كنتُ أجالسهم بالكوفة، فإذا تشاجروا في حديث قالوا: "مروا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله يعنون ابن المبارك"(١)

وروى المسيب بن واضح أنه سمع ابن المبارك وسأله رجل عَمّن يأخذ؟ فقال: قد يلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة، وقد يلقى الرجل غير ثقة يحدث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة".(٢)

وقال ابن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".(٣)

وقال: "طلب الاسناد المتصل من الدين".(٤)

وقال: بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد.(٥)

وقال: ان الله حفظ الأسانيد على أَمَّة محمد.(٦)

وقال: مثل الذي يطلب دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سُلَّم.(٧)

عن نعيم بن حمّاد يقول: "ما رأيتُ ابن المبارك يقول قَطُّ (حدثنا) كان يرى أخبرنا أوسع، وكان لا يرد على أحدٍ حرفًا إذا قرأ"(٨)

وقال أحمد بن حنبل: "كان ابن المبارك يحدث من الكتاب، فلم يكن له سقط كثير"(٩)

قال عبدان: "قال ابن المبارك وذكر التدليس فقال فيه قولًا شديدًا ثمَّ أنشد:

دَلَّسَ للناس أحاديثه .... والله لا يقبل تدليسا"(١٠)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٥).

(٣) علوم الحديث للحاكم (ص: ٦)، الإلماع (ص: ١٩٤)، شرح العلل (ص: ٠٨٨).

(٤) الكفاية (ص: ٢٩٢).

(٥) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٥).

(٦) شرح العلل (ص: ٨٨).

(٧) الكفاية (ص: ٢٩٢).

(٨) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٥).

(٩) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).

(١٠) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٨).

وقال أبو صالح الفرّاء: "سألتُ ابن المبارك عن كتابة العلم فقال: "لولا الكتاب ما حفظنا"[(١)]
وقال الذهبي: "وحديثه حُجّة بالإجماع وهو في المسانيد والأصول".[(٢)]

فقهه:

كان-رحمه الله-من فقهاء الأمة وتناقلت كتب الفقه والخلاف أقواله.

قال فيه الإمام مالك: "ابن المبارك فقيه خراسان".[(٣)]

جهاده:

غضى أكثر أوقاته في الجهاد مرابطاً أمام الروم. وكان يحج عامًا ويغزو عامًا.

وروى الذهبي انه كان مرابطًا بطرسوس سنة سبع وسبعين ومائة وكان شجاعًا فارسًا.

أبو حاتم الرازي حدثنا عبدة بن سليمان قال: كنَّا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفّان خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دَعَا إلى البراز فخرجَ إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبدالله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بِكُمهِ، فأخذتُ بطرف كُمّه فمددته، فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عَمرو مِمّن يشنع علينا؟".[(٤)]

وكان رحمه الله يحدث وهو في الغزو.

أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء بسنده إلى عبد الله بن المبارك عن خالد الحذّاء عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم-: (البَرَكة مع أكابركم).

فقلت للوليد بن مسلم الذي حدث به عن ابن المبارك: أين سمعت من ابن المبارك ؟ قال: في الغزو. [(٥)]

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٩)، وانظر الجرح والتعديل (١/ ٢٦٩-٢٧٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٠).
(٣) الديباج المذهب (١/ ٤٠٨).
(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٧).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٠).

وقال أحمد بن حنبل: ذهبت لأسمع من ابن المبارك، فلم أدركه وكان قد قدم بغداد فخرج إلى الثغر ولم أره. [١]

وكان له شعر جيّد في الجهاد يحث به المسلمين على الخروج والرباط أمام العدو.

قال الذهبي: "وقد كان ابن المبارك-رحمه الله-شاعرًا محسنًا قوالًا بالحق".وساق في سير أعلام النبلاء جملة من شعره. [٢]

وكان-رحمه الله-كريمًا سخيًا أنفق كثيرًا للعلماء وطلاب العلم زاهدًا.

تصانيفه:

قال ابن سعد: "وصنَّفَ كتباً كثيرة في أبواب العلم وكان ثقة مأموناً حُجَّة".[٣]

وقال الإمام الذهبي: وصَنَّفَ التصانيف النافعة الكثيرة. [٤] منها:

١ - الزهد والرقائق. وهو في أحاديث وآثار الزهد وهو من أجود ما صنف في فنه . وهو مرتب على الأبواب. طبع بتحقيق شيخنا العلاّمة المحدث حبيب الرحمن الاعظمي. مجلس إحياء المعارف ماليكاون ناسك الهند سنة ١٣٨٥ هـ.

٢-السنن في الفقه. ذكره ابن النديم في الفهرست، والداودي في طبقات المفسرين، والبغدادي في هدية العارفين

٣-البر والصلة. طبع بتحقيق مصطفى عثمان عمر. ط: دار الكتب العلمية.

٤- الجهاد. طبع بتحقيق الدكتور نزيه حمّاد . دار النور بيروت.

٥- تفسير القرآن. ذكره ابن النديم في الفهرست، والداودي في طبقات المفسرين، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٤٣٨).

٦- كتاب التاريخ. ذكره ابن النديم في الفهرست، والداودي في طبقات المفسرين،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١، ٤٢٠).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٢).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٠).

والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٤٣٨).

٧-كتاب الأربعين في الحديث. وهو أول من صنف في الأربعينات (مخطوط) - نسخة منه في مركز البحث العلمي جامعة ام القرى مكة المكرمة مصورة عن إندونوسيا في ورقتين، وذكره البغدادي، وحاجي خليفة باسم الأربعين.

٨-رقاع الفتاوى: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ٤٣٨).

٩- المسند: وطبع في مكتبة المعارف بالرياض، بتحقيق صبحى البدري السمرائي.

١٠- الرقائق. ذكره الإشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، وحاجي خليفة، ومخلوف في شجرة النورا الزكية، وذكره البغدادي (١/ ٤٣٨) باسم (الدقائق في الرقائق).

١١-كتاب الاستئذان، ذكر في الرسالة المستطرفة (ص: ٤٢).

قال الذهبي: مناقب هذا السيّد جُمَّة في تاريخ دمشق وفي تاريخ نيسابور وفي الحلية وفي تاريخ الخطيب.

وفاته:

عاش ابن مبارك ثلاثًا وستين سنة.

قال حسن بن الربيع: قال لي ابن المبارك قبل أن يموت: "أنا ابن ثلاث وستين سنة".(١)

وقال أيضًا: شهدتُ موت ابن المبارك، مات سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان لعشر مضين منه، مات سحرًا ودفناه بهيت. (٢)، وذكر ابن الجوزي في صفوة الصفوة أنها كانت لثلاث عشرة خلت من رمضان، وحكى البخاري في التاريخ الصغير أنه توفي في النصف من رمضان.

وقال ابن حبان: "مات في رمضان منصرفًا من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة وقبره

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨).

بهيت مدينة على الفرات مشهور".(١)

وقال ابن سعد: "مات بهيت منصرفاً من الغزو".(٢)

وكذا قال عبدان بن عثمان، (٣)، والسمعاني. (٤)

وقال الذهبي: "ويقال إن الرشيد لما بلغه موت عبد الله قال: "مات اليوم سَيِّد العلماء".(٥)

ولما نُعيّ ابن المبارك إلى سفيان بن عيينة قال: "رحمه الله كان فقيهًا عالمًا عابدًا زاهدًا سخيًا شجاعًا شاعرًا".(٦)

انظر ترجمته في:

١. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٦٢-٢٨٠).
٢. الإرشاد لأبي يعلى الخليلي مخطوط (ق: ١٧٩).
٣. حلية الاولياء (٧/ ١٦٢-١٩٠).
٤. طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٢).
٥. تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٢-١٦٩).
٦. الانساب للسمعاني (٤/ ٢٨٥).
٧. وفيات الأعيان (٣/ ٣٢-٣٤).
٨. ترتيب المدارك (١/ ٣٠٠).
٩. غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٤٤٦).
١٠. التبيان لابن ناصر الدين مخطوط (ق: ٣٢).

---

(١) الثقات (٧/ ٨).

(٢) طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٢). وهيت بلدة تقع على نهر الفرات وهي قضاء تابع لمحافظة الرمادي وموقعها بين الرمادي وعانة.

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٨).

(٤) الأنساب (٤/ ٢٨٥).

(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٨).

١١. الانتقاء (ص: ١٣٢).

١٢. الفهرست لابن النديم (ص: ٢٨٤).

١٣. الديباج المذهب (١/ ٤٠٧).

١٤. طبقات الشيرازي (ص: ٩٤).

١٥. طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٤٣).

١٦. تهذيب الكمال للمزي (ص: ٧٣٠).

١٧. تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٤).

١٨. سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨-٤٢١).

١٩. تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨٢).

٢٠. العبر (١/ ٢٨٠).

٢١. النجوم الزاهرة (٢/ ١٠٣).

٢٢. شذرات الذهب (١/ ٢٩٥).

٢٣. معجم المؤلفين (٢/ ٣٣٤).

٢٤. كشف الظنون (١/ ٥٧).

٢٥. الأعلام (٤/ ١١٥).

٢٦. تاريخ الأدب العربي (٣/ ١٥٣). [١]

---

(١) المصدر: الترجمة استفدتها من مقدمة تحقيق مسند الإمام عبد الله بن المبارك، بتحقيق صبحي البدري السامرائي (ص: ت -ظ)، ومن مقدمة تحقيق كتاب الجهاد لابن المبارك للدكتور نزيه حماد. (ص: ٥ -٣٨).

ثانيًا: المصادر التي ورد فيها ذكر هذا الاعتقاد، و أقواله في العقيدة.

١- المصادر التي ورد فيها ذكر هذا الاعتقاد.

ورد ذكر هذا النص في كتاب مختصـــر الحجة على تارك المحجة (ص: ٣٥٧-٣٥٨) برقم: (٣٧٥). [١]

وكتاب مختصـــر الحجة على تارك المحجة لنصـــر بن ابراهيم المقدســي (ت٤٩٠هـــــ) طبع بأضـــواء الســـلف تحقيق محمد ابرهيم هارون،، ونص محققه (١/ ٩) أنه حقق مختصـــر كتاب الحجة على تارك المحجة لنصر بن ابرهيم.

وقد خلا هذا النص من ذكر إسناده، ولفّهم السبب في ذلك يجب الاطلاع على ما يلي:

أولًا: أن الكتاب الأصل وهو الحجة على تارك المحجة، فمؤلفه هو الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي المتوفى سنة (٤٩٠ هـ)، وقد نسب الكتاب إليه كل من:

١-الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٧) فقال صنف كتاب الحجة على تارك المحجة".

٢-وكذا الحافظ ابن رجب في (جامع العلوم) (ص: ٨٢٤)، فقال: صاحب كتاب (الحجة) الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب (الحجة على تاركي سلوك طريق المحجة) يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة".

٣- وجاء في «كشف الظنون» (١/ ٦٣١)، قال: في (شرح الأربعين) لمولانا (اللاري):

---

(١) فائدة: هناك بعض الاشتباه بين ثلاثة كتب حملت اسم الحجة وهي على النحو الآتي:

الكتاب الأول: الحجة على تارك المحجة لنصر بن إبراهيم المقدسي (ت: ٤٩٠ هـ)، وأصل هذا الكتاب مفقود والموجود هو مختصره.

الكتاب الثاني: الحجة على تارك المحجة للحافظ محمد بن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧ هـ)، وهذا الكتاب مطبوع بعالم الكتب بتحقيق: الدكتور عبد العزيز السدحان.

الكتاب الثالث: الحجة في بيان المحجة لإسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني (ت: ٥٣٥ هـ)، وهو مطبوع بدار الراية بتحقيق: الدكتور محمد بن ربيع المدخلي.

(كتاب الحجة لتارك المحجة) يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة، قال: وهو للشيخ (أبي الفتح نصر بن إبراهيم الشافعي) الفقيه نزيل دمشق المتوفى سنة (٤٩٠ هـ)، وأفصح بعض الشارحين أنه للحافظ (أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، وهو خطأ انتهى كذا قال.

ثانيًا: أن أصل هذا الكتاب مفقود، والموجود هو مختصره، ولم يحذف مختصره إلا الأسانيد وأبقى الأبواب والأحاديث كما أوردها الإمام المقدسـي فقال في المقدمة: (فإني وقفت على كتاب (الحجة» لسيدي القطب الكبير نصر المقدسي-قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه، وجمعني وإياه في دار كرامته - فرأيته من أجلِّ الكتب وأسناها، لما تضمنه من النصيحة لعباد الله أقصاها، وأدناها، وقد حثَّ فيه على الامتثال لكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله وَلِيقِي أزكى الصلاة وأسناها.

وقد قصرت الهِمم عن حفظ أسانيده بشغلها وبشهواتها ودنياها، فاستخرت الله تعالىٰ في حذف أسانيده، مقتصرًا على مَنْ مِنَ الصحابة والتابعين رواها، وأحذف المكرر منها، إلا أن يكون فيه زيادة كما ستراها إن شاء الله تعالىٰ، وقصدي بذلك حفظه والعمل بما فيه ونشره، والتمسك بالكتاب والسُّنَّة وسير السلف الصالح، والاقتفاء لآثارهم، والاقتداء بأفعالهم وأخبارهم، وبالله أستعين، وهو حسبي ونعم الوكيل. (١)

ثالثًا: أقواله في العقيدة:

كان ابن المبارك-رحمه الله-من أئمة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في أمور العقيدة كما كان من أئمتهم في الفقه والحديث والتفسير والزهد، فكان على عقيدة السلف الصالح خير القرون في الإيمان، وفي صفات الله-تبارك وتعالى-، والقرآن الكريم، وكان موقفه وكلامه

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب مختصر الحجة على تارك المحجة (ص: ٢٦-٢٧).

في الفرق الضالة ورده عليها معروف كالقدرية والمرجئة والجهمية والرافضة وأهل الضلالة الآخرين، وكان مجاهدًا لأهل البدع بلسانه وبيانه.

قال إسماعيل التيمي الأصبهاني: "ولمحبة أهل السنة علامة، ولبغض أهل البدعة علامة، فإذا رأيت الرجل يذكر مالك بن أنس، وسفيان بن سعيد الثوري، وعبد الرحمن ابن عمرو الأوزاعي، عبد الله بن المبارك، ومحمد بن إدريس الشافعي، والأئمة المرضيين بخير فأعلم أنه من أهل السنة".(١)

عن أسود بن سالم قال: "كان ابن المبارك إماما يقتدى به كان من أثبت الناس في السنة، إذا رأيت رجلا يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام".(٢)

مجمل الاعتقاد

- قال **ابن المبارك**-رحمه لله-: "أدركت الناس بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وبمصر وخراسان، فأدركتهم مجتمعين على السنة والجماعة.

من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله

وفوض الأمر إلى الله عز وجل، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره: الخير والشر والكفر والإيمان، وعرف حق السلف الماضين الذين اختارهم الله-عز وجل-لصحبة نبيه الله، وقدم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب-رضوان الله عليهم أجمعين-، وترحم على أصحاب رسول الله ﷺ كبيرهم وصغيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم. وصلى العيدين وعرفات والجماعات مع كل إمام بر أو فاجر.

والقرآن كلام الله وتنزيله، ليس بمخلوق.

والإيمان قول وعمل ونية مع إصابة السنة، والإيمان يزيد وينقص بالقلب والجوارح.

والجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال لا يضرهم جور

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٣٩).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٧)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٢٧).

جائز. والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير والحوض والشفاعة والميزان.

وأهل الجنة يرون ربهم-عز وجل-.

وما أتت به الأنبياء والرسل عليهم السلام نؤمن بها. ولا نضرب لها الأمثال.

وأن صفة أهل السنة الأخذ بكتاب الله عز وجل، وأحاديث رسول الله ﷺ وأحاديث الصحابة-رضي الله عنهم أجمعين-وترك الرأي والقياس، فهذا الذي أدركت عليه علماءنا القدماء، يرزقنا الله وإياكم الاستقامة واللحوق بالصالحين".(١)

باب الأسماء والصفات

الإيمان بما وردت به النصوص من أسماء الله وصفاته.

- قال أفلح بن محمد: قلت **لعبد الله بن المبارك:** يا أبا عبد الرحمن إني أكره الصفة، عني صفة الرب-جل وعز-، فقال له عبد الله بن المبارك: "أنا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه".ونحو هذا"(٢)

- قال أفلح بن محمد: قلت **لعبد الله بن المبارك:** يا أبا عبد الرحمن، إني أكره الصفة عني صفة الرب تبارك وتعالى .. فقال له عبد الله: أنا أشد الناس كراهية لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء جسرنا عليه، وإذا جاءت الأحاديث المستفيضة الظاهرة تكلمنا به"(٣)

نفي معرفة كيفية صفات الله.

- سئل **عبد الله بن المبارك**-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)، عن أحاديث الصفات فقال: "تمر كما جاءت بلا كيف"(٤)

---

(١) كتاب مختصر الحجة على تارك المحجة (ص: ٣٥٧-٣٥٨) برقم: (٣٧٥)..

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٧٨) برقم: (٧٣٧).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٧٩)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٥٨) برقم: (٧٢٦)، الأربعين في صفات رب العالمين (ص: ٣٨).

(٤) إبطال التأويلات (١/ ٥٣).

- وقال الترمذي: "والمذهب في هذا عند أهل العلم، من الأئمة مثل: "سفيان الثوري، ومالك بن أنس، **وابن المبارك**، وابن عيينة، ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا: تروى هذه الأحاديث، ويؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث: أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر، ولا تتوهم ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه".(١)
- قال البغوي: "وكان مكحول، والزهري، والأوزاعي، ومالك، **وابن المبارك**، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وأحمد، وإسحاق؛ يقولون فيه وفي أمثاله: "أمروها كما جاءت بلا كيف".(٢)
- وقال البغوي: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾، قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، فأما أهل السنة يقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله–عز وجل–. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه: الآية: ٥] كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليا وعلاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج. وروي عن سفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، **وعبد الله بن المبارك**، وغيرهم من علماء السنة، في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمروها كما جاءت بلا كيف. والعرش في اللغة: هو السرير. وقيل: هو ما علا فأظل، ومنه عرش الكروم".(٣)

إثبات صفة الكلام لله

---

(١) قاله تعقيبا على حديث أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، في: أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة، وأهل النار (ح: ٢٦٩٦)، وكرره مختصرا في: أبواب فضائل القرآن، باب من صورة المائدة، عقب حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ح: ٣٢٤٩).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٢٦٩).

(٣) تفسير البغوي (٢/ ١٩٧).

القرآن كلام الله غير مخلوق.

- قال **ابن المبارك**: "الورق والمداد مخلوق، فأما القرآن فليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله عز وجل".(١)
- عن منصور بن خالد، قال: سمعت **ابن المبارك**، يقول: "لا أقول القرآن خالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله تعالى ليس منه بائن".(٢)
- وعن علي بن مضاء، مولى خالد القسري قال: سمعت **ابن المبارك**، بالمصيصة وسأله رجل عن القرآن، فقال: "هو كلام الله غير مخلوق".(٣)
- وعن علي بن الحسن بن شقيق أن **عبد الله بن المبارك** قال: "القرآن كلام الله، ليس بخالق ولا مخلوق".(٤)
- قال **عبد الله بن المبارك**: "والله ما مات أبو حنيفة وهو يقول بخلق القرآن ولا يدين الله به".(٥)

الحكم على القائلين بخلق القرآن

- فعن أحمد بن عبد الله بن يونس: سمعت **ابن المبارك** قرأ شيئًا مِنَ القُرآن ثُمَّ قال: "من زَعَمَ أن هذا مخلوق فقد كفر بالله العظيم".(٦)
- وأخرج اللالكائي بسنده عن الحسين بن شبيبٍ قال: سمعت **ابن المبارك**، وقرأ ثلاثين

(١) رواه عبد الله بن أحمد في" السنة" (ص: ١٥٦) واللالكائي في"شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٢/ ٢٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٧) برقم: (٥٧١).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي: (٢/ ١٧) برقم: (٥٨٦).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٦/ ١٢) برقم: (١٩٢)، (٦/ ١٦) برقم: (٢٠٢).

(٤) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد(١/ ١٥٥) برقم: (١٤٤)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٠٦) برقم: (٥٤٣).

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٩٨).

(٦) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٩٨)، الشريعة للآجري (ص: ٥٠٠) برقم: (١٦٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٧٩)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٣).



آيةً من طه فقال: "من زعم أنّ هذا مخلوقٌ فهو كافرٌ".(١)

- قال المرّوذيّ: وحدّثنا العبّاس بن أبي عمران المحاربيّ، قال: سألنا **ابن المبارك** عن "من قال: القرآن مخلوقٌ، فقال: كافرٌ".(٢)
- وروي عن **ابن المبارك** أنه قال: "من قال إن القرآن مخلوق فهو زنديق".(٣)
- عن زهير بن عباد، عن عباد قال: كان كل من أدركته من المشايخ: مالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، وعيسى بن يونس، **وعبد الله بن المبارك**، ووكيع بن الجراح وغيرهم ممن أدركت من فقهاء الأمصار: مكة والمدينة والعراق والشام ومصر وغيرها يقولون: القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق، ولا ينفعه علم حتى يعلم ويؤمن أن القرآن كلام الله ليس بخالق ولا مخلوق".(٤)
- وقال عمّار بن عبد الجبّار: سمعتُ سفيان الثوري يقول: "الجهميةُ كُفَّار، والقدرية كفار".فقلتُ **لابن المبارك**: ما رأيك؟ قال: "رَأْيِي رأي سفيان".(٥)
- قال أحمد بن سعيد الدارمي قال: سمعتُ محمد بن أعيُن، سمعت النضر بن محمد يقول: مَن قال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤] مخلوقٌ فهو كافرٌ، قال: فأتيتُ **ابن المبارك** فقلت له: ألا تعجَب من أبي محمد قال كذا وكذا؟! قال: "وهل الأمرُ إلا ذاك، وهل يجدُ بُدًّا من أنْ يقولَ هذا".(٦)
- وعن محمد بن أعين وصي ابن المبارك، قال: قلت **لابن المبارك**: إن النضر بن محمد

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي: (٢/ ٢٨١-٢٨٢).
(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٦/ ٥٩) برقم: (٢٦٣).
(٣) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١١١) برقم: (٢١).
(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٨٦) برقم: (٣٠).
(٥) حلية الأولياء (٧/ ٢٨).
(٦) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٧٨)،كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١/ ١١٠) برقم: (٢٠)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٦/ ٣٧) برقم: (٢٢٩) (٦/ ٣١٨)، برقم: (٤٩٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (٢/ ٢٨١-٢٨٢)، شرح مسائل الإمام أحمد لأبي داود (ص: ٣٥٩).

المروزي يقول: من قال إن هذا مخلوق: ﴿إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا۠ فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤] فهو كافر، قال ابن المبارك: صدق النضر عافاه الله، ما كان الله ليأمر موسى عليه السلام بعبادة مخلوق".[١]

- قال **عبد الله بن المبارك:** "من قال لا إله إلا الله مخلوق فهو كافر".[٢]
- وقال **عبد الله بن المبارك:** "من كفر بحرف من القرآن، فقد كفر، ومن قال: لا أؤمن بهذه اللام فقد كفر".[٣]
- قال الذهبي: "قال قاضي مصر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أبي العوام السعدي: حدثنا أحمد بن شعيب النسائي، أخبرنا إسحاق بن راهويه، حدثنا محمد بن أعين قال: قلت **لابن المبارك**: إن فلانا يقول: من زعم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا۠ فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: الآية: ١٤]

مخلوق، فهو كافر. فقال ابن المبارك: "صدق"، قال النسائي بهذا أقول"[٤]

- وعن سلام بن سالم الخزاعي، يقول: سمعت **عبد الله بن المبارك**، يقول: "من قال: القرآن مخلوق، فقد طلقت منه امرأته".قال: فقلنا: وكيف تطلق امرأته؟ قال: " لأنه إذا قال:

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (١٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٦٠٧) برقم: (٥٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٥٠٨).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ٣٥)، والاقتصاد في الاعتقاد لابن قدامة (ص: ١٤٧)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ١٨٢).

(٤) أورده الذهبي في ترجمة الإمام أبي عبد الرحمن، أحمد بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ) «السير» (١٤/ ١٢٧).

وأورده في التاريخ الإسلام" وحوادث ووفيات (٣١٠ - ٣٠١هـ) (ص: ١٠٨)، وفي «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٠٠)، وأورده في كتاب (العلو) انظر (مختصر العلو) ص (١٧٤) وصححه الشيخ الألباني.

وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١١٠-١١١)، (ح: ١٩-٢٠). وأخرجه أبو داود في (مسائل الإمام أحمد) (ص: ٢٦٧). وأخرجه الدارمي في (الرد على الجهمية) (ص: ١١١).

وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٢٥٥-٢٥٦)، (ح: ٤٢٨).

وأخرجه البيهقي في (الأسماء والصفات) (ص: (٢٤٨).

وأورده البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ٣١).

القرآن مخلوق، فقد كفر، والمسلمة لا تكون تحت كافر".[١]

- وقال **عبد الله بن المبارك**: "سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاما يقولون: من قال القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثا بتة"[٢]

- عن يحيى بن خلف المقري قال: كنت عند مالك بن أنس سنة ثمان وستين، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق قال: كافر زنديق اقتلوه. قال إنما أحكي كلاما سمعته قال لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك، قال أبو محمد فغلظ ذلك علي، فقدمت مصر فلقيت الليث بن سعد فقلت: يا أبا الحارث ما تقول فيمن قال القرآن مخلوق وحكيت له الكلام الذي كان عند مالك فقال كافر فلقيت ابن لهيعة فقلت له مثل ما قلت لليث بن سعد وحكيت له الكلام فقال كافر فلقيت **ابن المبارك** وأبا إسحاق الفزاري والوليد بن مسلم فحكيت لهم الكلام فقالوا كلهم كافر"[٣]

- عن أبي خيثمة قال سمعت **ابن المبارك** وموسى بن أعين يقولان: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر أكفر من هرمز[٤]"[٥]

- وعن الحسن علي بن مسلم يقول: "القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا قول أبي عبد الله، فبه نقتدي إذ كنا لم ندرك في عصره أحدًا تقدمه في العلم والمعرفة والديانة، وكان مقدما عند من أدركنا من علمائنا، فما علمت أن أحدا بلي بمثل ما بلي به فصبر، فهو قدوة وحجة لأهل هذا العصر، ولمن يجيء بعدهم، فنحن متبعون لمقالته، وموافقون له، فمن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فقد أبدع، وليس هو من كلام العلماء، وهذا مما أحدثه أصحاب الكلام المبتدعة، وقد صح عندنا أن أبا عبد الله أنكر على من قال ذلك، وغضب منه الغضب

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٦/ ٧٣) برقم: (٣٠٠)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢٧٠).

(٢) الحجة في بيان المحجة لإسماعيل الأصبهاني (١/ ٣٦٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢٧٦).

(٤) هرمز بن جارود نائب كسرى ملك الفرس، وهو من أخبث الناس طوية وأشدهم عداوة للمسلين، أنظر ترجمته: البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٥١٥).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢٨٢).

الشديد، وقال: ما سمعت عالما قال هذا، فمن خالف أبا عبد الله فيما نهى عنه، فنحن غير موافقين له، منكرون عليه، وقد أدركنا من علمائنا مثل **عبد الله بن المبارك**، وهشيم بن بشير، وإسماعيل ابن علية، وسفيان بن عيينة، وعباد بن عباد، وعباد بن العوام، وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ويحيى بن زائدة، ويوسف بن يعقوب بن الماجشون، ووكيع، ويزيد بن هارون، وأبي أسامة، وقد أدركوا هؤلاء كلهم التابعين، وسمعوا عنهم، ورووا عنهم، ما منهم أحد قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فنحن لهم متبعون، ولما أحدث بعدهم مخالفون".(١)

- وفي الإبانة: قال نعيم بن حماد: رآني ابن المبارك مع رجل من أهل الأهواء فما كلمني، فلما كان في غد، رآني فأخذ بيدي ثم أنشأ يقول:

يا طالب العلم صارم كل بطال	وكل غاو إلى الأهواء ميال
إن القرآن كلام الله تعرفه	ليس القرآن بمخلوق ولا بال
لو أنه كان مخلوقا لغيره	ريب الزمان إلى موت وإبطال
وكيف يبطل ما لا شيء يبطله	أم كيف يبلى كلام الخالق العالي".(٢)

صفتي العلو والاستواء

إثبات صفتي العلو والاستواء

- وعن علي بن الحسن بن شقيق–شيخ البخاري–قال: سألت **عبدالله بن المبارك**: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا؟ قال: على السماء السابعة على عرشه. ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ههنا في الأرض"(٣)

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٥/ ٣٤٧) برقم: (١٥٧).
(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٦/ ٢٩٠) برقم: (٤٥٩).
(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ٨). والدارمي في الرد على المريسي (ص١٠٣)، والرد على الجهمية (ص: ٥٠)، وعبد =

- قال الدارمي: "مما يحقق قول **ابن المبارك** قول رسول الله–صلى الله عليه وسلم– للجارية: (أين الله)، يمتحن إيمانها، قالت: في السماء، قال: (اعتقها فإنها مؤمنة). (١)
- وقيل **لابن المبارك** كيف نعرف ربنا. قال: "فوق سمواته على العرش، وقال لرجل من الجهمية أبينك خال منه، فبهت الآخر". (٢)
- وروى عبد الله بن أحمد عن **ابن المبارك** أنَّ رجلاً قالَ لَهُ: يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله تعالى من كثرة ما أدعو علىٰ الجهمية. قال: "لا تخف فإنهم يزعمون أنَّ إلهَك الذي في السماء ليسَ بشيء". (٣)
- وعن يحيى بن إبراهيم أبو سهل راهويه، قال: "كنت أدعو على الجهمية فأكثر فذكرت ذلك **لعبد الله بن المبارك** ودخل قلبي من ذلك شيء فقال: لا يدخل قلبك فإنهم يجعلون ربك الذي تعبد لا شيء" (٤)

إثبات المباينة والحد.

الله بن الإمام أحمد في السنة (١/١١١،ح٢٢)، و (١/١٧٤–١٧٥، ح٢١٦) . وابن بطة في الإبانة (٣/١٥٥–١٥٦، برقم: (١١٢) وابن منده في التوحيد (٣/٣٠٨، برقم٨٩٩) . والصابوني في عقيدة السلف (ص٢٠، برقم: ٢٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٣٦، رقم: (٩٠٣) . وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٢) . وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص: ١١٧–١١٨،ح١٠٠،٩٩)، وابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٤)، وعزاه للبخاري في خلق أفعال العباد. وأورده كذلك في الفتوى الحموية (ص٩١) وقال: "وروى عبد الله بن الإمام أحمد وغيره بأسانيد صحيحة عن ابن المبارك" وذكره، وأورده في نقض تأسيس الجهمية (٢/٥٢٥) . وأورده الذهبي في العلو (ص١١٠)، وفي كتاب العرش (٢/ ٢٣٨–٢٣٩) برقم: (١٦١)، وفي سير أعلام النبلاء (٨/٤٠٢)، وفي الأربعين في صفات رب العالمين (ص٤٠، برقم١٠) . وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٣٤–١٣٥) وقال: "روى الدارمي، والحاكم والبيهقي، وغيرهم، بأصح إسناد إلى علي بن الحسين بن شقيق" وذكره، وفي (ص٢١٣–٢١٤) وقال: "وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر"، وعزاه للبيهقي، والحاكم، والدارمي. وأورده أيضا في الصواعق كما في مختصر الصواعق (٢/٢١٢).

(١) انظر: الرد على الجهمية (ص: ٤٠)، وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ٦٣).

(٢)خلق أفعال العباد (ص: ١٥)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٠١).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (١/ ١١٢)، برقم: (٢٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى ط الراية (٦/ ٩٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٣)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٩٢).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (١/ ١١٠)، برقم: (١٨)، وابن بطة في الإبانة (٧/ ١٩٥المعرفة) برقم: (١٤٩).

- وقال ابن القيم(١): "ذكر قول **عبد الله بن المبارك** -رحمه الله-: روى الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد إلى علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت **عبد الله بن المبارك** يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات، على العرش استوى، **بائن** من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية".(٢)

- وفي لفظ آخر: "قلت: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية".(٣)

- عن عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، أَنَّهُ سُئِلَ: بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟
قَالَ: "بِأَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ".
قَالَ: قُلْتُ: بِحَدٍّ؟
قَالَ: "فَبِأَيِّ شَيْءٍ؟".(٤)

- وقال **ابن المبارك**: "بأنه فوق السماء السابعة على العرش **بائن** من خلقه".(٥)

- وقيل **لابن المبارك** بماذا نعرف ربنا؟ قال: "بأنه فوق سمواته على عرشه، **بائن** من خلقه".قلت: بحد. قال: "**بحد** لا يعلمه غيره".(٦)

- قيل لإسحاق بن راهوية العرش بحد؟ قال: "نعم وذكر **عن ابن المبارك** قال: " على عرشه **بائن** من خلقه **بحد**".(٧)

---

(١) انظر: كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٩١).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة رقم (٢٢)، (٥٩٨)، والبخاري في خلق أفعال العباد (ص/١٥) تعليقا، والدارمي في الرد على الجهمية رقم (١٦٢)، وفي النقض على بشر المريسي رقم (٣٣)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٣٦) برقم: (٩٠٣). وسنده صحيح. والأثر صححه: شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وابن القيم.

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٥) رقم (٩٠٢). وزاد: "قلت: بحد؟ قال: إي والله بحد". وسنده صحيح أيضًا.

(٤) الرد على الجهمية (ص: ٤٩).

(٥) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص/٣٩، ٤٠)، رقم (٦٧). وسنده صحيح.وانظر: كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٩٢).

(٦) الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٤٠)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ٦٣).

(٧) رد الإمام الدارمي (ص: ١٠٣)، الإبانة لابن بطة (٣/ ١٥٩).

- عن **ابن المبارك** قال: "هو على عرشه **بائن** من خلقه **بحد**".(١)
- وسئل أبو عبد الرحمن **عبد الله بن المبارك** المرْوزي كيف نعرف ربنا؟ قال: "هو على العرش فوق سبع سموات وعلمه وأمره في كل موضع" فقيل له بحد؟ قال: "**بحد**، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا، وهاهنا في الأرض".(٢)
- عن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله، وقيل، له روى علي بن الحسن بن شقيق، عن **ابن المبارك**، أنه قيل له: كيف نعرف الله؟ قال: على العرش **بحد**، فقال: بلغني ذلك عنه وأعجبه، ثم قال أبو عبد الله: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة**﴾ [البقرة: الآية: ٢١٠] ،ثم قال: ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾ [الفجر: الآية: ٢٢]".(٣)
- عن ابن شقيق عن **ابن المبارك** قال: فمن ادعى أنه ليس **بحد** فقد رد القرآن وادعى أن ليس بشيء".(٤)
- وقال أيضًا: وسئل **عبد الله بن المبارك** قال: كيف نعرف ربنا؟ قال: "في السماء السابعة على عرشه" قلت فإن الجهمية تقول هو هذا. قال: "إنا لا نقول كما قالت الجهمية، نقول: هو هو".قلت: بحد. قال: "إي والله **بحد**".(٥)
- ونقل الأثرم أنه قيل للإمام أحمد: يحكى عن **ابن المبارك** أنه قال: "ربنا على العرش

(١) نقض تأسيس الجهمية (٢/٣٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولما كان الجهمية يقولون ما مضمونه إن الخالق لا يتميز عن الخلق فيجحدون صفاته التي تميز بها، ويجحدون قدره؛ حتى يقول المعتزلة إذا عرفوا أنه حي، عالم، قدير: قد عرفنا حقيقته وماهيته، ويقولون إنه لا يباين غيره. بل إما أن يصفوه بصفة المعدوم؛ فيقولوا: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا كذا ولا كذا. أو يجعلوه حالا في المخلوقات أو وجوده وجود المخلوقات. فبين ابن المبارك أن الرب سبحانه وتعالى على عرشه مباين لخلقه منفصل عنه، وذكر الحد. لأن الجهمية كانوا يقولون ليس له حد، وما لا حد له لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك مستلزم للحد". نقض تأسيس الجهمية (١/ ٤٤٢-٤٤٣).

(٢) أخرجه حرب الكرماني في مسائله (٣/ ١١١٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٥٦).
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٧/ ١٥٨) برقم: (١١٤).
(٤) رد الإمام الدارمي على الجهمية (ص: ٢٤).
(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٥٣٨)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ٦٣).

بحد"، فقال أحمد: "هو كذلك عندنا".(١)

إثبات صفة المعية

- **وقال أبو نصر السجزي–رحمه الله–(ت: ٤٤٤ هـ)**: " فأئمتنا كسفيان الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، ومالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)، وسفيان ابن عيينة–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)، وحماد بن سلمة–رحمه الله–(ت: ١٦٧ هـ)، وحماد بن زيد–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)، **وعبد الله بن المبارك**–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)، وفضيل بن عياض–رحمه الله–(ت: ١٨٧ هـ)، وأحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي–رحمه الله–(ت: ٢٣٨ هـ): متفقون على أن الله–سبحانه–بذاته فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش".(٢)

إثبات صفة النزول

- عن محمد بن سلام قال: سألت **عبد الله بن المبارك**، عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله: يا ضعيف في كل ليلة ينزل، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، كيف ينزل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه ! فقال عبد الله: ينزل كيف شاء.(٣)
- وفي رواية أخرى هذه الحكاية: أن **عبد الله بن المبارك**، قال للرجل: إذا جاءك الحديث

(١) إبطال التأويلات (١/ ٢١٣).

(٢)) أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في :

أ – درء تعارض العقل والنقل": (٦/ ٢٥٠).

ب – مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٠).

ج– نقض تأسيس الجهمية (٢/ ٣٨، ٤١٦،٤١٧).

وفيه زيادة: "فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء".

وأورده ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ٢١٤) إلى قوله: «وأن علمه بكل مكان». وفي اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ٢٤٦).

أورده الذهبي في في العلو (ص: ١٧٢)، وفي كتاب العرش (٢/ ٣٤٢) و (٢/ ٣٥٣) و(٣/ ٢٦٣) وفي سـير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٦) عند ترجمة الإمام: أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجزي (ت: ٤٤٤ هـ).

(٣) ذكره والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٥٦٩)، وابن تيمية في شرح حديث النزول (٥٢)؛ وفى الأصفهانية (ص: ٢٩).

عن رسول الله ﷺ فاخضع له.[(١)]

- قال البيهقي: "قال أبو سليمان: وقد روينا عن **عبد الله بن المبارك** أن رجلًا قال له، كيف ينزل؟ فقال له بالفارسية:(كدخدائ كارخويش كن) ينزل كما يشاء".[(٢)]

- سئل الإمام **عبد الله بن المبارك** عن النزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله: تجد خداي وخوشيركن: ينزل كيف يشاء".[(٣)]

- عن زهير بن عبادة قال: "كل من أدركت من المشايخ: مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى **وابن المبارك** ووكيع كانوا يقولون: النزول حق".[(٤)]

- قال الترمذي: "قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا. قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ هكذا روي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، **وعبد الله بن المبارك**: أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة".[(٥)]

إثبات رؤية الله يوم القيامة

- قيل **لابن المبارك**: إن فلانا فسر الآيتين: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾[القيامة: ٢٢] على أنها مخالفة للأخرى فلذلك أرى الوقف في الرؤية، فقال **ابن المبارك**: جهل الشيخ معنى الآية التي قال الله: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ [الأنعام: ١٠٣] ليست

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص: ٤٨).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٧٨) برقم: (٩٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٣).

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١١٣) برقم: (٤٦).

(٥) قاله تعقيبا عقب روايته لحديث في فضل الصدقة، فيه ذكر صفة اليمين للرحمن جل ذكره سنن الترمذي (٢/ ٤٣).

بمخالفة ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة: ٢٢] لأن هذه في الدنيا وتلك في الآخرة حتى إنه قال: لا تفشوا هذا، عن الشيخ تدعيه الجهمية ورآه منه غلطا".[١]

- وعن نعيم بن حماد قال سمعت **ابن المبارك** قال: "ما حجب الله عز وجل أحدًا عنه إلا عذبه، ثم قرأ ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم إنهم لصالوا الجحيم، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون**﴾ [المطففين: الآيات: ١٥-١٧]. قال بالرؤية. [٢]

- وقال **ابن المبارك** في قوله عز وجل: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا**﴾. من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملًا صالحًا، ولا يخبر به أحدا. [٣] وفي لفظ: "لا يرائي به أحدًا".[٤]

- قال أبو بكر صالح المروزي-وكان صاحب قرآن-: "دس الجهمية إلى **ابن المبارك** رجلًا فقال: يا أبا عبد الرحمن خدا رابان جهان جون [٥] ببيند، قال: "يجشم".يعني كيف نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: بالعين".[٦]

- قال الترمذي: "روي عن النبي صلى الله عليه وسلم روايات كثيرة، مثل: هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية؛ أن الناس يرون ربهم، وذكر القدم، وما أشبه هذه الأشياء، والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة – مثل سفيان الثوري، ومالك بن أنس، **وابن المبارك**، وابن عيينة، ووكيع، وغيرهم – أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث، ونؤمن بها، ولا يقال: كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث؛ أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها، ولا

(١) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (٣/ ٦٧٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة لإسماعيل الأصبهاني (٢/ ٢٦٥)، بيان تلبيس الجهمية (ص: ٤١٥-٤١٨).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجامعة للالكائي (٣/ ٥٦٥)، الحجة في بيان المحجة لإسماعيل الأصبهاني (٢/ ٢٦٥)، وكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص: ٨٥)، حادي الأرواح (ص: ٥٥٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجامعة للالكائي (٣/ ٥٦٥) برقم: (٨٩٥)، مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٢).

(٥) جهان جون: الملك الكبير. انظر: المعجم الذهبي لمحمد التونجري (ص: ٢٣٤).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجامعة للالكائي (٣/ ٥٥٩) برقم: (٨٨١)، والحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤٧)، حادي الأرواح لابن القيم (ص: ٥٥٧).

تفسر، ولا تتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه" [(١)]

إثبات صفة المحبة والخلة

- عن **عبد الله بن المبارك**، في قوله تعالى: ﴿**ولكن ليطمئن قلبي**﴾ [البقرة: الآية: ٢٦٠] قال: بالخلة، يقول: إني أعلم أنك اتخذتني خليلًا".[(٢)]

- عن **ابن المبارك** في قوله: ﴿**ولكن ليطمئن قلبي**﴾ [البقرة: الآية: ٢٦٠] قال: أي ليرى من أدعوه إليك منزلتي ومكاني منك فيجيبوني إلى طاعتك" [(٣)]
- عن محمد بن عبد الملك الخراساني، عن **ابن المبارك**؛ قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى-صلى الله عليه وسلم-: تدري لم ألقيت عليك محبتي؟ قال: لا يا رب. قال: لأنك اتبعت مسرتي".[(٤)]

مسائل تتعلق بباب الأسماء والصفات

- عن صفوان بن محرز، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: بينما أنا أمشي معه إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عمر، كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر في النجوى؟ قال: سمعته يقول: "يدنو من ربه حتى يضع عليه كنفه".قال **ابن المبارك**: "كنفه: يعني ستره"[(٥)]
- وعن يحي الصامت، قال: سألت **ابن المبارك** عن الألواح، يكون فيها مكتوب القرآن،

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٦٩١).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٨٨).
(٣) المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٣٦٧) برقم: (١٥٥٠).
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٨٧).
(٥) خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٧٨).

أيكره للرجل أن يمحوه بالبزاق؟ قال: "نعم أكرهه، ليمسحها بالماء".[(١)]

- وقال: وسألت **ابن المبارك** عن الألواح يكون فيها مكتوب القرآن، أيكره أن يمحوه الرجل برجله؟ قال: نعم، قال: ليمحه بالماء، ثم يضربه برجله".[(٢)]

- وعن سليمان بن حرب، قال: "رأيت **ابن المبارك** يغسل ألواحه بالماء لا يمحوها بريقه".[(٣)]

- قال محمد بن حاتم المروزي أنشدنا سويد بن نصر المروزي **لعبد الله بن المبارك**:

أيا رب يا ذا العرش أنت رحيم وأنت بما تخفي الصدور عليم
فيا رب هب لي منك حلما فإنني أرى الحلم لم يندم عليه حليم
ويا رب هب لي منك عزما على التقى أقيم به في الناس حيث أقيم
إلا إن تقوى الله أكرم نسبة يسامى بها عند الفخار كريم
إذا أنت نافست الرجال على التقى خرجت من الدنيا وأنت سليم
أراك امرا ترجو من الله عفوه وأنت على ما لا يحب مقيم
فحتى متى تعصي الإله إلى متى تــبـــارز ربي إنـــه لـــرحـــيـــم
ولو قد توسدت الثرى وافترشته لقد صــــرت لا يلوى عليك حميم"[(٤)]

- روي أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: لعلم العربية هو الدين بعينه، فبلغ ذلك **عبد الله بن المبارك** فقال: "صدق لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك، قال الله تعالى: أنا ولدتك من مريم وأنت نبيي، فحسبوه يقول: أنا ولدتك وأنت بنيي. فبتخفيف اللام

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٣٢٨) برقم (١٢٥).
(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥/ ٣٢٨) برقم (١٢٦).
(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣/ ٣٢٧) برقم (١٢٤).
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٧٤).



وتقديم الباء وتعويض الضمة بالفتحة كفروا"[١]

الإيمان

دخول العمل في مسمى الإيمان

- وقال إبراهيم بن شماس: سمعت **ابن المبارك** يقول: "الإيمان قول وعمل".[٢]
- وقد قيل لابن المبارك: إن شيبان يزعم أنك مرجيء. فقال: "كذب شيبان. أنا خالفت المرجئة في ثلاثة أشياء: فإنهم يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل. وأنا أقول: هو قول وعمل.

ويزعمون أنَّ تارك الصلاة لا يكفر، وأنا أقول: إنه يكفر.

ويزعمون أنَّ الايمان لا يزيد ولا ينقص، وأنا أقول: إنه يزيد وينقص".[٣]

- وقال ابن رجب: "وأما إقام الصلاة فقد وردت أحاديث متعددة تدل على أن من تركها فقد خرج من الإسلام ... وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف، وهو **قول ابن المبارك** وأحمد وإسحاق، وحكى عليه إسحاق عليه إجماع أهل العلم".[٤]
- وقال ابن رجب: "وأكثر أهل الحديث على أن ترك الصلاة كفر دون غيرها من الأركان، كذلك حكاه محمد بن نصر المروزي وغيره عنهم. وممن قال بذلك: **ابن المبارك**، وأحمد -في المشهور عنه-، وإسحاق، وحكى عليه إجماع أهل العلم".[٥]
- قال الإمام أحمد: قيل **لابن المبارك**: ترى الإرجاء؟ قال: " أنا أقول: الإيمان قول وعمل، وكيف أكون مرجئًا".[٦]

---

(١) معجم الأدباء (١/ ١٠).

(٢) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد (ص: ٣٦٥)، كتاب الشريعة للآجري (٢/ ٦٤٢) برقم: (٢٦٣).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٦٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٥-١٤٨).

(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٠-٢٤).

(٦) كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٦٦) برقم: (٩٦٤).

تفاضل الإيمان وزيادته ونقصانه

- واحتج **ابن المبارك** في الرد على المرجئة وأن الإيمان يتفاوت بما روى ابن شوذب عن سلمَة بن كهيل عن هزيل بن شرحبيل قال: قال عمر: "لو وزن ايمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح".[(١)]

- وعن ابراهيم بن شماس قال: سمعت ابن المبارك يقول: "الايمان قولٌ وعمل، والايمان يتفاضل"[(٢)]
- قال أبو بكر الخلال: "وروي أن ابن جريج قال: "الإيمان قول وعمل". وسألت أبا إسحاق الفزاري عن الإيمان: فقلت: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم قال: وسمعت **ابن المبارك** يقول: "الإيمان قول وعمل، يتفاضل".[(٣)]
- وقال أبو بكر الخلال: "وأخبرنا أبو بكر المروذي، أن أبا عبد الله قيل له: كان **ابن المبارك** يقول: "يزيد ولا ينقص"، فقال: " كان يقول: "الإيمان يتفاضل، وكان سفيان يقول: ينقص حتى لا يبقى منه شيء".[(٤)]
- قيل للإمام أحمد: "إن **ابن المبارك** كان يقول: "الإيمان يتفاضل"، فذهب إليه".[(٥)]
- وقال إبراهيم بن شماس: سمعت **ابن المبارك** يقول: " الإيمان قول وعمل ويتفاضل".[(٦)]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٥ قال الذهبي: مراد عمر رضي الله عنه أهل أرض زمانه.

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (١/ ٣١٦) برقم: (٦٣١)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨١١) برقم: (١١٠٨)، (٢/ ٨١٢) برقم: (١١١٢)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٦١) (١٧٤٦).

قال ابن تيمية: "بعضهم أي: السلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل. فقال: أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته". مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٦).

(٣) كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٤/ ٥٧-٥٨) برقم: (١١٦٣).

(٤) كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٣/ ٥٨٣) برقم: (١٠١٨).

(٥) كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٤/ ٣٣) برقم: (١١٠٧)، فتح الباري لابن رجب (١/ ٨).

(٦) السنة لعبد الله (١/ ٣١٦)، السنة للخلال (٤/ ٥٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/ ١٠٣٤).

- **قال ابن المبارك**: "لم أجد بدا من الإقرار بزيادة الإيمان إزاء كتاب الله".[١]

- قال إسحاق بن راهوية: وقال غير ابن أعين قال له **ابن المبارك**: وما أحوجك إلى أن تأخذ سبورجة فتجالس العلماء. قال إسحاق وأخبرني عدة أحمد بن زهير وعدة ممن شهد **ابن المبارك** بالري فقال له المستملي: يا أبا عبد الرحمن، إن ها هنا قوما يقولون: الإيمان لا يزيد فسكت عبد الله حتى سأله ثلاثا فأجابه فقال: لا تعجبني هذه الكلمة منكم، إن ها هنا قوما ينبغي أن يكون أمركم جمعًا قال: وقال، نا عبد الله بن شوذب، عن محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل،عن هزيل بن شرحبيل قال: قال عمر بن الخطاب: "لو وزن إيمان أبي بكر الصديق بإيمان أهل الأرض لرجحهم، بلى إن الإيمان يزيد، بلى إن الإيمان يزيد ثلاثا قال ابن المبارك: لم أجد بدا من الإقرار بزيادة الإيمان إزاء كتاب الله".[٢]

- قال أحمد بن زهير: سئل ابن المبارك بالري آخر خرجة من عندنا عن الإيمان؟ فقال قول وعمل يزيد، لو لم أقل الزيادة بثمان آيات من كتاب الله".[٣]

مسألة الاستثناء في الإيمان

- قال إسحاق بن راهوية أخبرنا محمد بن أعين قال: قال **ابن المبارك** وذكر له الإيمان، فقال: "قوم يقولون إيماننا مثل جبريل وميكائيل إما فيه زيادة إما فيه نقصان، هو مثله سواء، وجبريل ربما صار مثل الوضع من خوف الله تعالى وذكر أشباه ذلك قال: فقيل له: إن قوما يقولون: إن سفيان الثوري حين كان يقول إن شاء الله كان ذاك منه شك، فقال ابن المبارك: أترى سفيان كان يستني في وحدانية الرب أو في محمد صلى الله عليه وسلم، إنما كان استثناءه في قبول إيمانه وما هو عند الله".[٤]

- قال إسحاق بن راهوية: قال ابن أعين: قال **ابن المبارك**: والاستثناء ليس بشك، ألا

(١) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (٣/ ٦٧٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ١٠٣٣).
(٢) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (٣/ ٦٧١-٦٧٢).
(٣) كتاب الثقات لابن حبان (٨/ ١١).
(٤) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (٣/ ٦٧٠).

ترى إلى قول الله: ﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**﴾ [الفتح: الآية: ٢٧]، وعلم أنهم داخلون، قال: لو أن رجلا قال: هذا نهار إن شاء الله ماكان شكًا".(١)

- قال جرير بن عبد الحميد، سمعت منصور بن المعتمر وسفيان الثوري، **وابن المبارك**، وممن أدركت يستثنون في الإيمان، ويعيبون على من لا يستثني".(٢)

- وعن محمد بن أعين، قال: سمعت **عبد الله**، يقول: " المرجئة تقول حسناتنا متقبلة، وأنا لا أدري تقبل مني حسنة أم لا، ويقولون إنهم في الجنة، وأنا أخاف أن أخلد في النار، وتلا عبد الله هذه الآية:﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ [البقرة: الآية: ٢٦٤] ،وتلا أيضا: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ [الحجرات: الآية: ٢] إلى قوله: ﴿**أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ [الحجرات: الآية: ٢] وما يؤمني" (٣).

- قال ابن بطة: "والرياء هو النفاق، لأن المنافق هو الذي يسر خلاف ما يظهر، ويسر ضد ما يبطن، ويصف المحاسن بلسانه , ويخالفها بفعله، ويقول ما يعرف ويأتي ما ينكر، ويترصد الغفلات لانتهاز الهفوات. وقال **عبد الله بن المبارك** رحمه الله: هم الزنادقة، لأن النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الزندقة من بعده".(٤)

الشهادة لمعين بجنة أو نار

- قال ابن وضاح قال: أخبرني زهير بن عباد قال: "كل من أدركت من المشايخ مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وفضيل بن عياض، **وعبد الله بن المبارك**، ووكيع بن الجراح، وغيرهم لا يكفرون أحدا بذنب، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة".(٥)

---

(١) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (٣/ ٦٧٠).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/ ١٠٥١).
(٣) "تعظيم قدر الصلاة" (٦٥١) برقم: (٧٠٤).
(٤) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٢/ ٧٠٣) برقم: (٩٤٤).
(٥) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٢٢).

- قال ابن بطة: كان سفيان الثوري وابن المبارك يقولان: "الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله عز وجل، ولا ندري على أي دين يموتون".(١)

حكم تارك الصلاة

- وعن **ابن المبارك**-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ) قال: "من أخر صلاة حتى يفوت وقتها متعمدا من غير عذر فقد كفر".(٢)
- قال علي بن الحسن أخبرني قال:قال **ابن المبارك**: "إذا قال أصلي الفريضة غدا فهو عندي أكفر من الحمار".(٣)
- وقال يحيى بن معين: قيل لعبد الله بن المبارك: إنَّ هؤلاء يقولون: من لم يصم ولم يصلّ بعد أنْ يُقرّبه فهو مؤمنٌ مستكمل الايمان، فقال ابن المبارك: "لا نقول نحن ما يقول هؤلاء. من ترك الصلاة متعمِّدًا من غير علة حتى أدخل وقتًا في وقت فهو كافر".(٤)
- وقيل **لعبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)**: إن هؤلاء يقولون: من لم يصم ولم يصل بعد أن يقر به فهو مؤمن مستكمل الإيمان؟ فقال عبد الله: "لا نقول نحن ما يقول هؤلاء من ترك الصلاة متعمدا من غير علة حتى أدخل وقتا في وقت فهو كافر".(٥)
- وقال علي بن الحسن بن شقيق-رحمه الله-(ت: ٢٢٥ هـ): سمعت **عبد الله بن المبارك**-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ)، يقول: "من قال إني لا أصلي المكتوبة اليوم فهو أكفر من

(١) الشرح والإبانة لابن بطة (ص: ١٨١).
(٢) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٧٩) حدثنا محمد بن عبدة، قال: سمعت يعمر بن بشر أبا عمرو، قال: سمعت عبد الله بن المبارك رضي الله عنه قال: فذكره. ورجاله ثقات.
(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة: (٢/ ٦٨٢) برقم: (٨٩٣).
(٤) تعظيم قدر الصلاة (٩٨٢)،كتاب الصلاة لابن القيم (ص: ٥٢٤).
(٥) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٨١).

حمار". [١]

مرتكب الكبيرة

- قال إسحاق بن راهوية: قال ابن أعين: وقال شيبان **لابن المبارك**: يا أبا عبد الرحمن، ما تقول فيمن يزني ويشرب الخمر ونحو هذا، أمؤمن هو؟ قال ابن المبارك: لا أخرجه من الإيمان، فقال: على كبر السن صرت مرجئا؟ فقال له ابن المبارك: يا أبا عبد الله، إن المرجئة لا تقبلني، أنا أقول: الإيمان يزيد، والمرجئة لا تقول ذلك، والمرجئة تقول: حسناتنا متقبلة وأنا لا أعلم تقبلت مني حسنة". [٢]

- **قال ابن رجب**: (قد اختلف العلماء في مرتكب الكبائر: هل يسمى مؤمنا ناقص الإيمان، أم لا يسمى مؤمنا؟ وإنما يقال: هو مسلم، وليس بمؤمن؟ على قولين، وهما روايتان عن الإمام أحمد؛ فأما من ارتكب الصغائر فلا يزول عنه اسم الإيمان بالكلية، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، ينقص من إيمانه بحسب ما ارتكب من ذلك. والقول بأن مرتكب الكبائر يقال له: مؤمن ناقص الإيمان، مروي عن جابر بن عبد الله، وهو قول ابن المبارك، وإسحاق، وأبي عبيد، وغيرهم". [٣]

التمسك بالسنة

- ذكر ابن المبارك–رحمه الله–حديث النبي–صلى الله عليه وسلم–(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من ناوءهم حتى تقوم الساعة).

قال ابن المبارك: هم عندي أهل الحديث". [٤]

---

[١] أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٩٨٠) حدثنا أحمد بن سيار، قال: سمعت علي بن الحسن بن شقيق، يقول: سمعت عبد الله، يقول: فذكره. وإسناده صحيح.

(٢) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (٣/ ٦٧٠)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (ص: ٨٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٢٦)، وانظر: مختصر الحجة على تارك المحجة (ص: ١١٦-١١٧) برقم: (١٠٣)، وأورده السيوطي في مفتاح الجنة (ص: ١١٩).

قال أبو الخصيب أحمد بن المستنير المصيصي، قال: سمعت عبدة، يقول: سمعت ابن المبارك، يقول: «لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم".[١]

قال ابن المبارك حين ذكر حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، وأنكره بعضهم فقال: "يمنعنا هؤلاء الأنتان أن نترك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحدث به، كلما جهلنا معنى حديث تركناه؟ لا، بل نرويه كما سمعناه، ونلزم الجهل أنفسنا".[٢]

- وعن عبدان قال سمعت ابن المبارك يقول: ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر؛ وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث".[٣]
- قال الذهبي: " وعن ابن المبارك قال: "ليكن عمدتكم الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث".[٤]
- عن محمد بن حميد قال سمعت ابن المبارك يقول: "من طلب الحديث بلا إسناد كان كمن يرتقي السطح بلا سلم".[٥]
- عن عبدان قال سمعت ابن المبارك يقول: "الإسناد عندي من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".[٦]
- أبو بكر الطالقاني سعيد بن يعقوب قال: قال: عبد الله بن المبارك: "الإسناد من

(١) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ١١٣).
(٢) كتاب مسند إسحاق بن راهوية (١/ ٣٨٧) برقم: (٣٨٨)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/ ٥٠٤).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٦٥).
(٤) أورده الذهبي في السير (٨/ ٣٩٨). وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٤)، وكرره (٢/ ١٤٤) بدون إسناد. وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٦٥). وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٦٤). وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (ح: ٢٤٠). وأخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ١٨٦)، برقم: (٣٣٥) كما في الجزء المحقق. وأورده أبو شامة المقدسي في مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول (ص: ٤٤. والقاضي عياض في الإلماع (ص: ٣٧). والسيوطي في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص: ٤٩) ط الجامعة الإسلامية. والفلاني في إيقاظ الهمم (ص: ١٤٠).
(٥) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢٠٩) برقم: (١٠٠٨)، شرف أصحاب الحديث (ص: ٤١).
(٦) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢٠٧) برقم: (١٠٠٧).

الدين". [١]

- كان ابن المبارك–رحمه الله–، إذا رأى صبيان أصحاب الحديث، وفي أيديهم المحابر، يقربهم، ويقول: "هؤلاء غرس الدين، أخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يشد الدين) بهم. هم اليوم أصاغركم، ويوشك أن يكونوا كبارا من بعدكم". [٢]

- قال محمد بن علي بن حرب المروزي سمعت أبا وهب يقول: "قلت لابن المبارك كم نضيع فراغنا في طلب العلم فمتى نعمل فقال يا أبا وهب طلب العلم عمل فقلت له فسد الناس يا أبا عبد الرحمن قال الأمر بعد صالح ما دام في الناس من يطلب الحديث". [٣]

- قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي حدثنا عبدة بن سليمان رفيق ابن المبارك قال قال ابن المبارك "من كان عنده كتاب الحيل فعمل بما فيه فهو كافر". [٤]

- قال الذهبي: "وقال يحيى بن أكثم: بلغني عن ابن المبارك: أنه سئل عن الاتباع ؟ فقال: "الاتباع ما كان عليه الحسين بن واقد وأبو حمزة". [٥]

- قال الذهبي: قال علي بن الحسن بن شقيق: سئل عبدالله المبارك عن الأئمة الذين يقتدى بهم، "فذكر أبا بكر وعمر، حتى انتهى إلى أبي حمزة، وأبو حمزة يومئذ حي". [٦]

- وعن علي بن الحسن بن شقيق قال: قال عبد الله بن المبارك لرجل: "إن ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر". [٧]

---

(١) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٤١).
(٢) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٦٥).
(٣) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢١٦) برقم: (١٠١٣).
(٤) ذم الكلام للهروي (٥/ ١٩١–١٩٣) برقم: (٩٨٧)، (٥/ ٢٠٩) برقم: (١٠٠٩).
(٥) أورده الذهبي في ترجمة الإمام أبي حمزة السكري محمد بن ميمون المروزي (ت: ١٦٧ هـ) السير (٧/ ٣٨٧) وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٢٦٨). وأورده المزي في (تهذيب الكمال (ق: ١٢٨٠).
(٦) سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٧).
(٧) حلية الأولياء (٨/ ١٦٦).

- وضل ابن المبارك في بعض أسفاره في طريق وكان قد بلغه أن من اضطر في مفازة فنادى عباد الله أعينوني أعين قال: "فجعلت أطلب الجزء أنظر إسناده".فلم يستجز أن يدعو بدعاء لا يرضى إسناده. (١)

- عن رسته الطالقاني قال قام رجل إلى ابن المبارك فقال:يا أبا عبد الرحمن في أى شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟ فقال: هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك قال: نعم! قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن".(٢)
- عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا أسامة يقول: مررت بعبد الله ابن المبارك بطرسوس وهو يحدث فقلت: يا أبا عبد الرحمن إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتموه، ما هكذا أدركنا المشيخة، قال: فأضرب عن الحديث نحوا من عشرين يوما، ثم مررت به وقد احتوشوه وهو يحدث فسلمت عليه فقال: يا أبا أسامة شهوة الحديث".(٣)
- قال محمد بن وضاح نا أسد قال: نا رجل عن عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط قال: قال عبد الله بن مسعود: "إن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها، وينطق بعلامتها، فاغتنموا حضور تلك المواطن، وتوكلوا على الله".قال ابن المبارك: ﴿**وكفى بالله وكيلا**﴾ [النساء: الآية: ٨١]".(٤)
- قال زكريا بن عدي: لما قدم ابن المبارك الكوفة كانت به علة، فأتاه وكيع وأصحابنا والكوفيون فتذاكروا عنده حتى بلغوا الشراب، فجعل ابن المبارك يحتج بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار من أهل المدينة، قالوا: لا، ولكن من حديثنا، فقال ابن المبارك: أنبأ الحسن بن عمرو الفقيمي، عن فضيل بن عمرو، عن إبراهيم قال: كانوا يقولون إذا سكر من شراب لم يحل له أن يعود فيه

(١) ذم الكلام للهروي (٤/ ١٥-١٦) برقم: (٥٩١).
(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٦٥).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٦٥).
(٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص: ٢٧) برقم: (٤).

أبدا فنكسوا رءوسهم، فقال ابن المبارك للذي يليه: رأيت أعجب من هؤلاء أحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين فلم يعبئوا به، وأذكر عن إبراهيم فنكسوا رءوسهم؟".(١)

- قال ابن المبارك: "لو علمت أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال لحملته على الرأس والعين والسمع والطاعة".(٢)
- قال ابن المبارك: "ما أعلم شيئا أفضل من طلب الحديث لمن أراد الله عز وجل".(٣)

دفاعه عن السنة

- قيل لابن المبارك: هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال: يعيش لها الجهابذة".(٤)
- وقيل إن الرشيد أخذ زنديقا ليقتله فقال أين أنت من ألف حديث

وضعتها؟ قال: فأين أنت يا عدو الله عن أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا".(٥)

- أتوا بكذاب إلى هارون الرشيد وضع أربعة آلاف حديث هي كذب على محمد عليه الصلاة والسلام، فقال هارون الرشيد: والله لأذبحنك الآن، قال: اذبحني أولا تذبحني والله لقد وضعت عليكم أربعة آلاف حديث، قال: ما علي! يعيش لها الجهابذة عبد الله بن المبارك وأبو إسحاق المروزي، ثم استدعى عبد الله بن المبارك وذاك فنقوها في ثلاثة أيام وأخرجوا أربعة آلاف حديث. قالوا: هذه كلها كذب.

الأمور المتعلقة بالملائكة:

(١) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٥١٩) برقم: (١٧٤١٤).
(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٤/ ٣٨) برقم: (١٩٤١٩).
(٣) المدخل إلى السنن الكبرى (ص: ٣٠٩) برقم: (٤٧٢).
(٤)تقدمة الجرح والتعديل (ص: ٦٤).
(٥)تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٢٠١).

- عن ابن المبارك، عن ابن جريج-رحمه الله تعالى-، قال: "ملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، وملك عن يساره يكتب السيئات فالذي عن يمينه يكتب بغير شهادة من صاحبه، والذي عن يساره لا يكتب إلا عن شهادة من صاحبه، إن قعد فأحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، إن مشى فأحدهما أمامه، والآخر خلفه، وإن رقد فأحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه"
- وقال ابن المبارك-رحمه الله تعالى-: "مسكين ابن آدم، قد وكل به خمسة أملاك ملكان بالليل، وملكان بالنهار يجيئان ويذهبان، وملك خامس لا يفارقه ليلا ولا نهارا".(١)
- وعن الحسن بن عيسى، قال: سمعت ابن المبارك يقول: "بلغني أن ما أحد من بني آدم إلا ومعه خمسة من الملائكة: واحد عن يمينه، وواحد عن شماله، وواحد خلفه، وواحد أمامه، وواحد فوقه يدفع عنه ما ينزل من فوقه أو من الهواء".(٢)
- عن أبي الوزير قال: جاء شيبان إلى عبد الله بن المبارك، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إن هؤلاء المرجئة أهلكوا الناس، يقولون كذا، ويقولون كذا، فقال عبد الله: "إن المرجئة لا تقبلني، إن المرجئة تقول: إن حسناتنا متقبلة، وأنا لا آمن أن أخلد في النار، ويقولون: إيماننا مثل إيمان جبريل، وميكائيل، وإسرافيل كيف أجترئ أن أقول مثل ذلك، وبلغني أن إسرافيل قدماه تحت الأرض السابعة على الصخرة التي عليها قرار الأرض وقد نفذ جميع السماوات والأرض والعرش على كاهله، وأنه ليضال الأحمان من عظمة الله حتى يصير مثل الوضع، والوضع العصفور الصغير حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته وبلغني أن لله ملائكة قيام، وملائكة ركوع، وملائكة سجود، لم يرفعوا رءوسهم، ولم تشق ظهورهم منذ خلقهم الله، ولا يرفعون رءوسهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة يقولون: يا ربنا ما عبدناك كنه عبادتك، وما ينبغي لك أن نعبد، قال: وبلغني أن لله ملائكة يطوفون حول العرش فإذا نظروا إلى إسرافيل خفضوا أبصارهم

---

(١) العظمة لابن أبي الشيخ (٣/ ٩٩٩) برقم: (٥١٩)، شرح الزرقاني (١/ ٤٩٠)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).
(٢) المجالسة وجواهر العلم (١/ ٣١٧) برقم: (٢٥)، والحبائل في أخبار الملائك للسيوطي (ص: ١٠٦).

هيبة له فكيف أجترئ أن أقول إيماني مثل إيمان جبريل".[(١)]

- عن ابن المبارك قال: "إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة".[(٢)]

- وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف تعلم الملائكة أن الإنسان قد هم بحسبه؟ فقال-رحمه الله-: "يجدون ريحها".[(٣)]

الأمور المتعلقة باليوم الآخر:

- عن عبد الله بن المبارك عن علي بن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى الأشعري قال: (يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطاير الصحف في الأيدي).

ثم قال عبد الله بن المبارك:

وطارت الصحف في الأيدي منشرة   فيها السرائر والجبار مطلع

(١) "تعظيم قدر الصلاة" (٦٤٨) برقم: (٧٠٣).

(٢) الشرح والإبانة لابن بطة (ص: ١٥٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٩، ٤١١).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١)، وأخرج بن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني، قال: ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا، فيقول يا رب: إنه لم يعمله، فيقول : إنه نواه. وقيل: بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة، وبالحسنة رائحة طيبة وأخرج، ذلك الطبري عن أبي معشر المدني، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة " وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ....) الحديث، فإذا كان الهم سرا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه ؟ فأجاب: "الحمد لله، قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال: "أنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة". والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء" انتهى . "مجموع الفتاوى " (٤/ ٢٥٣) وقال رحمه الله أيضًا: "وهم وإن شموا رائحة طيبة ورائحة خبيثة، فعلمهم لا يفتقر إلى ذلك، بل ما في قلب ابن آدم يعلمونه، بل ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه، بل الشيطان يلتقم قلبه؛ فاذا ذكر الله خنس، وإذا غفل قلبه عن ذكره وسوس، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغى فيزينها له !! وقد ثبت في الصحيح عن النبي في حديث ذكر صفية رضى الله عنها (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار، سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا" انتهى من "مجموع الفتاوى" (٥/ ٥٠٨).

فكيف سهوك والانباء واقعة عما قليل ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له أم الجحيم فما تبقي وما تدع
تهوي به كأنها طورا وترفعهم إذا رجوا مخرجا من غمها وقعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم هيهات لا رقة تجزي
ولا جزع لينفع العلم قبل الموت عالمه قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا".(١)

- عن سويد بن سعيد قال: رأيت ابن المبارك أتى زمزم فملأ إناء ثم استقبل الكعبة فقال: "اللهم إن ابن أبي الموال عن ابن المنكدر عن جابر أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: (ماء زمزم لما شرب له). وهذا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب".(٢)
- عن ابن المبارك: «أثبت الناس على الصراط أصحاب الحديث".(٣)
- عن عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت علي بن الفضيل بن عياض، يقول: قال لي ابن المبارك: "استعد للموت ولما بعد الموت"، قال الفضيل: فشهق علي شهقة فلم يزل مغشيا عليه عامة الليل(٤)
- عن علي بن الحسين، **قال**: قال عبد الله بن المبارك: "بلغني أن أكثر، تلاقع أهل النار: أف لسوف، أف لسوف".(٥)
- وعن الحسن بن عيسى قال لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل رأسي على التراب قال فبكى نصر فقال له ما يبكيك قال اذكر ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٥١).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/ ٣٤٣)، شعب الإيمان (٣/ ٤٨٢)، الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ١٦٨) زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٣٩٣)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٣).
(٣) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص: ٥٨).
(٤) حلية الأولياء (٨/ ١٦٨).
(٥) قصر الأمل لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٤) برقم: (٢١٧).

تموت فقيرًا غريبًا فقال له اسكت فإني سألت الله تبارك وتعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني ميتة الفقراء ثم قال لقني ولا تعد علي إلا أن أتكلم".(١)

- لما حضر ابن المبارك جعل رجل يلقنه قل لا اله إلا الله فاكثر عليه فقال انك ليس تحسن أخاف أن تؤذي به رجلًا مسلمًا بعدي إذا لقنتني فقلت لا اله إلا الله ثم لم أحدث كلاما بعدها فدعني فإذا احدثت كلاما بعدها فلقني حتى تكون آخر كلامي".(٢)

- عن زهير بن عباد أنه قال: "كل من أدركت من المشايخ مالك وسفيان وفضيل وعيسى بن يونس، **وابن المبارك**، ووكيع بن الجراح كانوا يقولون: الميزان حق".(٣)

- قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: الآيات: ١٩-٢٤].

قال البغوي: "قال عبد الله بن المبارك: هذه ثمان خلال مشيرة إلى ثمانية أبواب الجنة أولئك لهم عقبى الدار، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب".(٤)

- عن المسيب قال أنشدنا عبد الله بن المبارك:

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ النوم أو هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية ... لو كان للقوم اسماع لقد سمعوا
والنار ضاحية لابد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٧٥).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٧٥-٤٧٦ حلية).
(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١٦٥) برقم: (٩٣).
(٤) تفسير البغوي (٣/ ١٩).

قـد أمســــت الطير والأنعـام آمنـة   والـنـون في الـبـحـر لم يخبـأ لهـا فـزع
والادمـي بهـذا الـكـســـب مـرتهـن   لـه رقـيـب عـلـى الأسـرار يـطـلـع
حـتى يـوافـيـه يـوم الجـمـع مـنـفـردا   وخصــمه الجلد والابصـار والســمع
إذ الـنـبـيـون والأشــهـاد قـائـمـة   والانس والجن والأملاك قـد خشــعوا
وطارت الصـحف في الأيدي منشــرة   فـيـهـا الســرائر والأخـبـار تـطـلـع
فـود قـوم ذوو عـز لـو أنهـم   هم الخنـازير كي ينجو أو الضــبع
طـال البكـاء فلم يرحم تضــرعهم   هـيـهـات لا رقـة تجـزي ولا جـزع
هـل ينفع العلم قبـل الموت عـالمـه   قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا".(١)

- قال ابن سهم الانطاكي سمعت ابن المبارك ينشد:

والـنـار ضـــاحـيـة لابـد موردُهَـا   وليس يـدرون من ينجو ومَنْ يقع
قـد أمســـت الطيرُ والأنعـام آمنـةً   والـنـون في الـبـحـر لم يخبـأ لهـا فـزع
حـتى يـوافـيـه يـوم الجـمـع مـنـفـرداً   وخَصْــمُهُ الجلد والأبصـار والســمع
إذ الـنـبـيـون والأشــهـاد قـائـمـةٌ   والإنس والجن والأملاك قـد خشــعوا
وطارت الصُّــحْفُ في الأيدي مُنشــرةً   فـيـهـا السَّــرائِرُ وَالأخـبـار تُـطَّـلَعُ
طـال البكـاء فلم يرحم تضــرعَهُمْ   هيهات لا رقة تغني ولا جـــــزع".(٢)

- قال ابن المبارك:

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٥١).
(٢) ديوان عبد الله بن المبارك (ص ٥٥)، حلية الأولياء (٢ / ٩٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٣).

يا أرض ويحــــك مــــن دُنْــيَــاكَ بالــقُــوتِ الــيَسِــــير
إِنَّهَـــــا دَارُ بَـــــلاءٍ وَزَوَالٍ وَغُـــــــرُورِ
كُــمْ لَـعَـمْـرِي صــــرعـت قَـبْـلَـكَ أَصْـــحَـابِ الـقُصُــورِ
كــم بــبــطــن الأرض ثاو مــن شـــريــف ووزيــر
وَصَـــغِـيرِ الشَّـــأْنِ عَـبـدِ خــامــل الــذكــر حــقــير
قــدْ تَصــــفــحــتُ قُــبُــورَ الــقــوم في يــوم الــعَــثِــيرِ
لَمْ تمــــيــــزْهُـــم وَلَمْ تَـعْـرِف غَـنِـيَـا مِـنْ فَـقِـير
خَمِـدُوا فَـالـقَـوْمُ صَــــرْعَـى تحـت أســقــاف الصـــخــور
واســـتــووْا عِــنـدَ مَـلِـيـكِ بمساويهـــــم خـــــبير
احـــذر الصــــرعـــة يا مِسْـــكِـينُ مَـنْ دَهـرِ عَـثُـورِ
أيــنَ فــرعــون وهــــــامــانُ وثَمــرُودُ الــنُّسُـــور
أَوَ مَـــا تَحْــذَرَ مِـــنْ يَـومٍ عَـبُـوس قَـمْـطَـرِيـرِ
اقــمــطــر الشـــرُّ فِــيـهِ بــعَـذَابِ الــزَّمْـهَـرِيـرِ".[١]

• قال عبد الله بن المبارك:

ألا رب ذي طمرين في منزل غـدا زرابـيـه مـبـثـوثـة، ونمـارقـه
قـد اطـردت أنهـاره حـول قصـره وأشـرق والتفت عليه حـدائقه".[٢]

(١) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٤٩- ٥٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٥).
(٢) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٥٦)، التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (ص: ٢٤)، تفسير البن كثير (١١/ ٦٣).

الأمور المتعلقة بالقضاء والقدر.

- قال ابن المبارك: "إن البصراء لا يأمنون من أربع خصال: ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب، وعمر قد بقي لا يدرى ماذا فيه من الهلكات، وفضل قد أعطي لعله مكر واستدراج، وضلالة قد زينت له فيراها هدى، ومن زيغ القلب ساعة أسرع من طرفة عين قد يسلب دينه وهو لا يشعر[١]

- وعن عبد الله بن حجر قال: قال عبد الله بن المبارك يعني لرجل سمعه يقول: ما أجرأ فلانا على الله، فقال: "لا تقل ما أجرأ فلانا على الله، فإن الله تعالى أكرم من أن يجترأ عليه، ولكن قل: "ما أغر فلانا بالله" قال: فحدثت به أبا سليمان الداراني فقال: صدق ابن مبارك , الله تعالى أكرم من أن يجترأ عليه، ولكنهم هانوا عليه فتركهم ومعاصيهم، ولو كرموا عليه لمنعهم منها".[٢]

- قال ابن المبارك: "من أصيب بمصيبة، فليفعل في اليوم الأول ما يفعله في اليوم الخامس من مصيبته".[٣]

- قال حفص بن حميد: "كنت عند عبد الله بن المبارك بالكوفة حين ماتت أمه، فسألته ما الرضا؟ قال: الرضا لا يتمنى خلاف حاله فجاء أبو بكر بن عياش فعزى عبد الله، قال حفص: ولم أعرفه، فقال عبد الله: "سله عما كنا فيه، فسألته فقال: من لم يتكلم بغير الرضا، فهو راض، قال حفص: وسألت الفضيل بن عياض فقال: ذلك للخواص".[٤]

- قال ابن حجر: "وقد روى الطبري عن حفص بن حميد قال: قلت لابن المبارك: رأيت رجلا قتل رجلا ظلما، فقلت في نفسي: أنا أفضل من هذا، فقال: أمنك على نفسك أشد

---

(١)كتاب القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٣٢٧)، شعب الإيمان (١/ ٥٠٧)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٦).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٩٦٨) برقم (٥٦٦)، ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/ ٢٩٣) برقم: (١٩٤٤).

(٣) تنبيه المغترين للشعراني (ص: ١٦٦).

(٤) الرضا عن الله بقضائه والتسليم بأمره لابن أبي الدنيا (ص: ٣٣ - ٣٤) رقم (٢٢).

من ذنبه.قال الطبري: لأنه لا يدري ما يؤول إليه الأمر، لعل القاتل يتوب فتقبل توبته، ولعل الذي أنكر عليه يختم له بخاتمة السوء".(١)

- عن أبي رجاء العطاردي، قال: سمعت ابن عباس يقول: لا يزال أمر هذه الأمة مواتيا أو متقاربا، أو كلمة تشبه هاتين، حتى يتكلموا، أو ينظروا في الأطفال والقدر.

قال يحيى بن آدم: فذكرته لابن المبارك، فقال: أفيسكت الإنسان على الجهل؟ قلت: فتأمر بالكلام؟ فسكت".(٢)

- قال ابن حجر: "سئل عبد الله بن المبارك عن تفسير قوله–صلى الله عليه وسلم–: (كل مولود يولد على الفطرة).

قال ابن المبارك: "إن المراد أنه يولد على ما يصير إليه من شقاوة أو سعادة، فمن علم الله أنه يصير مسلمًا ولد على الإسلام، ومن علم الله أنه يصير كافرًا ولد على الكفر".(٣)

- قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "وأما "عبدالله بن المبارك" فإنه بلغنى أنه سئل عن تأويل هذا الحديث، فقال: تأويله: الحديث الآخر أن النبي–صلى الله عليه وسلم–سئل عن أطفال المشركين، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين".يذهب إلى أنهم إنما يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر. فمن كان فى علم الله–عز وجل–أن يصير مسلمًا، فإنه يولد على الفطرة. ومن كان علمه فيه أن يموت كافرا، ولد على ذلك". (٤)

- قال ابن القيم: "وكذلك اختلفوا في الأطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة، فسئل عنه ابن المبارك فقال: تفسيره آخر الحديث، وهو قوله:«والله أعلم بما كانوا عاملين»، هكذا ذكر أبو عبيد عن ابن المبارك لم يزد شيئا" (٥)

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٠) وتنبيه المغترين للشعراني (ص: ١٦٦).

(٢) التمهيد لابن عبد البر (١١/ ٣٩٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٣٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٩)، شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ٢٠٨)، جامع الأصول لابن الأثير (١١/ ١٧٥).

(٤) تأويل مختلف الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٥) شفاء العليل (٢/ ٤٠٤)، وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٢٦٥-٢٦٦)، الحجة في بيان المحجة لإسماعيل الأصبهاني (٢/ ٣٨).

- قال ابن المبارك: "ما أقرب الأشياء حين يسوقها ... قدر وأبعدها إذا لم تقدر".[١]

الصحابة-رضي الله عنهم-.

- قال عبد الله بن المبارك: "خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق، وحب أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-، أرجو أن ينجو ويسلم".[٢]
- عن علي بن الحسن بن شقيق قال: سألت عبد الله بن المبارك عن الجماعة فقال: "أبو بكر وعمر".[٣]
- وعن نعيمُ بن حمادٍ: سمعتُ ابن المباركِ يقول: "السيفُ الذي وقَع بين الصحابةِ فتنةٌ، ولا أقولُ لأحدٍ منهم: هو مفتون".[٤]
- وقال ابن المبارك: "معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزرًا اتهمناه على القوم".يعني الصحابة".[٥]
- وعن عبيد الله بن موسى قال: كنا عند أبي حمزة الثمالي فحضره ابن المبارك، فذكر أبو حمزة حديثًا في ذكر عثمان-رضي الله عنه-، فنال من عثمان، فقام ابن المبارك ومزّق ما كتب ومضى".[٦]
- وعن أبي بكر الخلال قال: حدثنا عثمان بن صالح الأنطاكي،. . بن جابر بن الهذيل إمام مسجد هناك، قال: سمعت ابن المبارك، وسأله رجل: أيما أفضل، علي أو عثمان؟ قال: "قد كفانا ذاك عبد الرحمن بن عوف".[٧]

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٣٦).
(٢) الشريعة للآجري (ص: ١٦٨٧) برقم: (١١٦٤)، الشفا للقاضي عياض (٢/ ٧٥)، تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٥٠).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧/ ١٣١٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٥).
(٥) البداية والنهاية (١١/ ٤٤٩).
(٦) الكامل في ميزان الضعفاء (٢/ ٩٣)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٦٣).
(٧) كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٢/ ٣٨٩) برقم: (٥٥٢).

- وعن الحسن بن عيسى، قال: سمعت رجلًا يسأل ابن المبارك عن رجل. . . لا يفضل أبا بكر وعمر هل يضربه؟ قال ابن المبارك: "من لم يفضل أبا بكر وعمر، فهو أهل أن يجفى ويقصى

قال: وسمعت ابن المبارك يفضل أبا بكر، ويسكت عن علي وعثمان".(١)

- عن علي بن شقيق قال: سألت عبد الله بن المبارك عن الجماعة، فقال: "أبو بكر وعمر".(٢)
- قال: وسمعت ابن المبارك يفضل أبا بكر، ويسكت عن علي وعثمان، وكان ابن المبارك يعظم الفضيل، وأبا بكر بن عياش، ولو كانا على غير تفضيل أبي بكر وعمر ولم يعظمهما.".(٣)
- عن عبد الله بن المبارك أنه قال: "نأخذ باجتماع أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم– وندع ما سواه، وقد اجتمعوا على أن عثمان خيرهم، فعثمان خير هذه الأمة بعد أبي بكر وعمر، وبعدهم علي، ثم خير هذه الأمة بعد هؤلاء الأربعة أصحاب الشورى، ثم أهل بدر، ثم الأول فالأول من سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (فاعرف) هم حق سابقهم".(٤)
- سمع ابن المبارك وكيعًا يقدم علي على عثمان، فقال له يا أبا سفيان وإنك لعلا هذا لا كلمتك حتى ألقى الله عز وجل".(٥)
- وجاء ابن المبارك إلى أبي حمزة الثمالي فدفع إليه صحيفة فيها حديث سوء في عثمان، فرد الصحيفة على الجارية، وقال: قولي له قبحك الله وقبح وجهك".(٦)
- وقد سئل ابن المبارك: أيهما أفضل معاوية بن أبي سفيان أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع وسول الله–صلى الله عليه وسلم–أفضل

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨/ ١٤١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٣١٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨/ ١٤١٥).

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٧٤).

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٨/ ٣١٣).

(٦) تهذيب التهذيب (٢/ ٧).

من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا؟".(١)

- قال عبد الله بن المبارك: "معاوية بن أبي سفيان عندنا محنة فمن رأيناه ينظر إلى معاوية شَزْراً اتهمناه على القوم أعني على أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-".(٢)
- وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا؟ قال: أذهب مع الصحابة والتابعين، قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، فإذا كان سنة ثمانين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من الأسد، وتمسك بدينك يسلم لك مجهودك.".(٣)
- وقال عبد الله بن المبارك:

حب النبي وحب الصحب مفترض | أضحوا لتابعهم نورًا وبرهانا
من كان يعلم أن الله خالقه | فلا يقولن في الصديق بهتانا
ولا يسب أبا حفص وشيعته | ولا الخليفة عثمان بن عفانا
ثم الولي فلا ينسى المقال له | هم الذين بنوا للدين أركانا
هم عماد الورى في الناس كلهن | جزاهم الله بالإحسان إحسانا".(٤)

- ومن شعر ابن المبارك في موضوع سب السلف قوله:

إني امـرؤ لـيـس في ديـني لـغـامـزة | لين" ولســـت على الاســـلام طعـانا
شـــغلي بقوم مضـــوا كانوا لنا ســـلفا | ولـلـرســـول مـع الـفـرقـان اعـوانا

(١) الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٦٦) برقم: (١٩٥٥)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٤٠٣)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/ ٢٠٧)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٤٤٩).
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٨-٢٠٩).
(٣) حلية الأولياء (٨/ ١٦٤-١٦٥).
(٤) ديوان ابن المبارك (ص: ٦٥).

فمـا الـدخول عليهم في الـذي عملوا ... بالطعن مني وقـد فرطـت عصـــيـانا
فـلا أســـــبُ أبا بـكـر ولا عـمـراً ... ولـن أســـــب، معـاذ الله عـثـمـانا
ولا ابن عم رســـول الله أشــتـمـه ... حـتى ألـبّس تحـت الـترب أكـفـانا
ولا الـزبـير حـواريّ الـرســـول ولا ... أهـدي لطلحـة شـــتمًـا عز أوهـانا
ولا أقول عـلي في الســــحـاب إذا ... قـد قلـت-والله ظلـمـاً ثم عـدوانا
ولا أقـول بـقـول الجـهـم إن لـه ... قولاً يضــــارع أهـل الشـــرك أحيـانا
ولا أقـول تخـلّـى مـن خـلـيـقـتـه ... رب العـبـاد وولى الأمـر شـــيـطـانا
مـا قـال فـرعـون هـذا في تجـبره ... فرعون موســى ولا هـامـان طغيـانا
لكن على ملـة الإســـلام ليس لنـا ... اســـم ســـواه فـداك الله سمـانا
إن الجمـاعـة حبـل الله فـاعتصـــموا ... بهـا هي العروة الوثقى لمن دانا".[1]

وقال أحمد بن عبد الله بن الفضل قال أنشدونا لعبد الله بن المبارك:

أني أحـب عليـا حـب مقتصــــد ... ولا أرى دونـه في الفضـــل عثمـانا
أمـا علـي فـقـد كـانـت لـه قـدم ... في الســـابقين بهـا في النـاس قـد بانا
وكـان عثمـان ذا صـــدق وذا ورع ... بـرا اخـيـنـا جـزاه الله غـفـرانا
مـا يعلم الله من قلبي مشــــايعـة ... لـلـمـبـغـضـين عـلـيـا ثم عـثـمـانا
أني لامـنـحـهـم بـغـضــا عـلانـيـة ... ولســت أكتمه في الصـــدر كتمانا

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٧٣)، وبعض الأبيات في سير الأعلام (٨/ ٤١٣)، وتاريخ الإسلام (١٨١-١٩٠) (ص: ٢٤١ - ٢٤٢).

ولا أرى حـرمـة يـومـا لـمـبـتـدع ... وهـنـا يـكـون لـه مـني وادهـانا".[١]

السمع والطاعة لولاة الأمور

- قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: "مَن قال: الصـــلاة خلفَ كُلِّ برٍّ وفاجرٍ، والجهاد مَعَ كُلِّ خليفةٍ، ولم يرَ الخروجَ على السـلطان بالسـيف، ودعا لهم بالصـلاح، فقد خَرَجَ من قول الخوارج أوله وآخره".[٢]

- قال الفضـيل بن عياض: "لو كانت لي دعوة مسـتجابة لم أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إذا صـــلح الإمـام أمن البلاد والعبـاد".قـال ابن المبـارك: "يا معلم الخير، ومن يجترئ على ذلـك غيرك".[٣]

- عن يزيد بن أبي حبيب، قال: "بلغني أن عامة النفر، الذين سـاروا إلى عثمان رضـي الله عنه جنوا".قال ابن المبارك: "الجنون لهم قليل".[٤]

- قال ابن المبارك:

كم يدفع الله بالسلطان معضلةً ... في ديننا رحمةً منه ودنيانا

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبلٌ ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا [٥]

فيقال: إن الرشيد أعجبه هذا، فلما أن بلغه موت ابن المبارك بهيت،قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. يا فضل: إيذن للناس يعزونا في ابن المبارك. وقال: أما هو القائل: الله يدفع بالسلطان معضلة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٧٤).

(٢) شرح السنة للبربهاري (ص: ١٣٢) رقم: (١٥٩).

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٩٣).

(٤) العقوبات لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٢) برقم: (٣٣٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩/ ٤٤٦)

(٥) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٧١).

فمن الذي يسمع هذا من ابن المبارك، ولا يعرف حقنا؟".[1]

- عن ابن وضاح عن زهير بن عباد قال: "كان من أدركت من المشايخ مالك وسفيان والفضيل بن عياض وابن المبارك ووكيع وغيرهم كانوا يحجون مع كل خليفة".[2]

التحذير من البدع

- قال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ [النحل: الآية: ٩]: "﴿**قصد السبيل**﴾: السنة. ﴿**ومنها جائر**﴾: الأهواء والبدع".[3]
- عن ابن المبارك قال: "إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة".[4]
- وقال عبد الله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى: أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء انشعبت [الاثنان] وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج".[5]
- قال عبد الله بن المبارك: "أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة".[6]
- عن حفص بن حميد: قلت لعبد الله بن المبارك: على كم افترقت هذه الأمة؟، فقال: "الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية والقدرية والمرجئة فافترقت الشيعة على

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٤).
(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٩٢).
(٣) تفسير البغوي (٣/ ٧٣).
(٤) الشرح والإبانة لابن بطة (ص: ١٥٢).
(٥) شرح السنة للبربهاري (ص: ١٢٨-١٢٩)، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٣/ ٧٣).
(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠).

ثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة " قال: قلت: يا عبد الرحمن: لم أسمعك تذكر الجهمية قال: «إنما سألتني عن فرق المسلمين".(١)

- قال ابن تيمية: "وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك، وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين؛ قالا: أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة. فقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب: بأن أولئك ليسوا من أمة محمد، وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية! وهذا الذي قاله اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا: إن الجهمية كفار، فلا يدخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وهم الزنادقة...".(٢)

- قال عبد الله بن المبارك: "الدِّينُ لأهل الحديث، والكذب للرافضة، والكلام للمعتزلة، والحيلُ لأهل الرأي أصحاب فلان".(٣)

- وعن علي بن الحسن بن شقيق، يقول:قال رجل **لعبد الله بن المبارك**: يا معشر المرجئة، قال: "رميتني بهوى من الأهواء".(٤)

- عن الحسن بن سفيان سمعت حبان سمعت ابن المبارك يقول (الكذب للروافض، وسوء التدبير لآل أبي طالب، والخصومة للمعتزلة، والزهد للخوارج، والاستحلال لأهل الرأي، والدين لأهل الحديث".(٥)

- قال ابن المبارك: "الكذب للروافض، والاستحلال لأهل الرأي، والدين لأهل

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٣٧٩).
(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٣٩).
(٣) منهاج السنة (٧/ ٤١٣)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٧٥).
(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (١/ ٣٣٦) برقم: (٧٠١).
(٥) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢١١-٢١٢) برقم: (١٠١٠).

الحديث".(١)

- عن محمد بن خاقان قال: شيعنا ابن المبارك في آخر خرجة خرج فقلنا له: أوصنا، فقال: لا تتخذوا الرأي إمامًا".(٢)
- روي عن عبد الله بن المبارك قوله: "اعلم أي أخي، أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة، وظهور البدع".(٣)
- عن عبد الله بن المبارك قال: "اعلم أخي أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء أهل السنة، وظهور البدع، وقد أصبحنا في زمان شديد وهرج عظيم، إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تخوف علينا ما قد أضلنا، وما قد أصبحنا فيه، فحذرنا وتقدم إلينا فيه بقول أبي هريرة: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع فيها أقوام دينهم بعرض من الدنيا".(٤)
- قال عبد الله بن المبارك: "احذَرْ أنْ تجلسَ مع صاحب بدعةٍ".(٥)
- وعنه قال: "ليكن مجلسكَ مع المساكين، وإيَّاك أن تجلس مع صاحب بدعة".(٦)

(١) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢١٢).
(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٤٦٣ – ٤٦٥)، إعلام الموقعين (١/ ٢٥٨).
(٣) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص: ٨٤) برقم: (٩٧)، والاعتصام للشاطبي (١/ ٨٦).
(٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح (ص: ١٥٩) برقم: (٢٣٤).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١١).
(٦) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٦٣) برقم: (٤٥٢)، حلية الأولياء (٨/ ١٦٨)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٩).

- قال ابن المبارك: "الأصاغر هم أهل البدع".[١]
- وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: في حديث عمر–رضي الله عنه–، "تفقهوا قبل أن تسودوا".

قوله: تفقهوا قبل أن تسودوا يقول: تعلموا العلم ما دمتم صغارا قبل أن تصيروا سادة رؤساء منظورا إليكم فإن لم تعلموا قبل ذلك استحييتم أن تعلموه بعد الكبر فبقيتم جهالا تأخذونه من الأصاغر فيزري ذلك بكم وهذا شبيه بحديث عبد الله: "لن يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم فقد هلكوا".

وفي الأصاغر تفسير آخر بلغني عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع ولا يذهب إلى أهل السن وهذا وجه قال أبو عبيد: والذي أرى أنا في الأصاغر".[٢]

عن أبي أمية الجمحي–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: (من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر)[٣]

قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: "الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير"[٤]

- قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: "مَنْ تَعَاطَى الْكَلَامَ تَزَنْدَق".[٥]
- قال الحسن بن شقيق: كنا عند ابن المبارك إذ جاءه رجل، فقال له: أنتَ ذاك

---

(١) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٩٥)، وذم الكلام (ص.٢٩٥) وجامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٢) والفقيه والمتفقه (٢/ ١٥٥)..

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد لقاسم بن سلام (٣/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم: (٦١)، الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦١) برقم: (٩٠٨)، والخطيب في الجامع برقم: (١٥٩) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٢٢٠٧)، ويشهد له قول ابن مسعود: "لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد–صلى الله عليه وسلم–، ومن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا". رواه عبد الرزاق (١/ ٢٤٦/٢٠٤٤٦) وابن المبارك في الزهد (٢/ ٦٢٣/٧٦٤) والطبراني في الكبير (٩/ ١١٤/٨٥٨٩ - ٨٥٩٢) وفي الأوسط (٨/ ٢٨٨/٧٥٨٦) وقال الهيثمي (١/ ١٣٥): "رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثقون".

(٤) الزهد لابن المبارك (١/ ٢١).

(٥) الإبانة الصغرى (ص: ١٠٨).

الجهمي؟

قال: نعم.

قال: إذا خرجتَ من عندي فلا تعدْ إليَّ.

قال الرجل: فأنا تائب.

قال: لا حتى يظهر من توبتك مثل الذي ظهر من بدعتك".(١)

- قال ابن المبارك: المعلى بن هلال هو، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب، قال فقال له بعض الصوفية يا أبا عبد الرحمن تغتاب؟ فقال اسكت، إذا لم نبين كيف يعرف الحق من الباطل؟ أو نحو هذا الكلام".(٢)
- قال ابن المبارك: "لم أر مالًا أمحق من مال صاحب بدعة".(٣)
- وقال ابن المبارك: "من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا ألفته".(٤)
- قال أبو زرعة الرازي: "وإذا رأيت الخراساني يطعن على عبد الله بن المبارك؛ فلا تشك أنه مرجئ".(٥)
- قال ابن المبارك: "لم أر مالا أمحق من مال صاحب بدعة، وقال: اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يدًا فيحبه قلبي".(٦)
- قال ابن المبارك: "صاحب البدعة على وجهه الظلمة، وإن ادهن في اليوم ثلاثين مرة".(٧)
- وبلغ ابن المبارك أن الحارث أكل عند صاحب بدعة أكلة، فقال له ابن المبارك: لا

(١) الإبانة الصغرى (ص: ١٥٤).

(٢) الكفاية (ص.٤٥).

(٣) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٨).

(٤) الإبانة الصغرى لابن بطة (ص: ١٥٦) .

(٥) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٥).

(٦) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٨).

(٧) شرح أصول أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٩)، ذم الكلام للهروي (ص: ٢٣٣).

كلمتك ثلاثين يومًا".[(١)]

- عن عبد الله بن عمر السرخسي -علم الحزن- قال: أكلت عند صاحب بدعة أكلة فبلغ ذلك ابن المبارك فقال: لا كلمته ثلاثين يومًا".[(٢)]
- وقال عمار بن عبد الجبار، سمعت ابن المبارك يقول: "سمعت سفيان الثوري يقول: الجهمية كفار، والقدرية كفار"، فقلت لابن المبارك: فما رأيك: قال: "رأيي رأي سفيان".[(٣)]
- قال عبد الله بن المبارك: "الجهمية كفار".[(٤)]
- وقال ابن المبارك: "ليس تعبد الجهمية شيئًا".[(٥)]
- قال ابن المبارك: "كل قوم يعرفون ما يعبدون إلا الجهمية".[(٦)]
- وعن مصعب بن سعيد، قال: سمعت ابن المبارك، يقول: "الجهمية كفار زنادقة".[(٧)]
- قال عبد الله بن المبارك: "لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا، ولا عن أهل البصرة في القدر شيئًا، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئًا، ولا عن أهل مكة في الصرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئًا".[(٨)]
- وقيل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب بأن: "أولئك ليسوا من أمة محمد".[(٩)]

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ١٦٨).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (ص: ١٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٥٧-١٥٨)..

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢٨)، وانظر كتاب السنة للإمام أحمد (١/ ٦)، (٢/ ١٨٣).

(٤) كتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد (١/ ١٠٩) رقم (١٥)، (٢/ ٥٢٨) برقم (١٢٢٠)، الإبانة الكبرى لابن بطة: (٦/ ٥٦) برقم: (٢٥٤).

(٥) كتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد (١/ ١٠٩) برقم: (١٧).

(٦) كتاب خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٣٨)، قال ابن تيمية: "قد كان سلف الأمة وسادات الأئمة يرون كفر الجهمية أعظم من كفر اليهود، كما قال عبد الله بن المبارك والبخاري وغيرهما". مجموع الفتاوى (٢/ ٤٧٧).

(٧) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦/ ١٠١) برقم (٢٤١).

(٨) شرح السنة للبربهاري (ص: ١١٦).

(٩) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠).

قال عبدالله بن المبارك: "إنَّا لنَحكِي كلامَ اليهود والنصارى، ولا نستطيعُ أنْ نحكي كلامَ الجهميَّة".(١)

- وعن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: "إنا نستجيز أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكي كلام الجهمية".(٢)
- قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أحمدِ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٩٠هـ): "حدثني محمد بن عباس صاحب الشامة قال: سمعت يوسف بن نوح قال: أبو عبد الرحمن ثم سمعت أنا من يوسف بعد يقول: سمعت أبا عصمة يقول: سمعت ابن المبارك يقول: خيبة للأبناء ما فيهم أحد يفتك ببشر. قال يوسف: فسألت عبدان وأصحاب ابن المبارك عن هذا. فقالوا: إن أبا عصمة رجل صدوق وقد كان ابن المبارك يتكلم بكلام هذا معناه".(٣)
- وقال العلاء بن الاسود: ذكر جهم عند ابن المبارك فقال:

عجبتُ لشيطان أتى الناس داعيًا .... إلى النار وانشق اسمه من جهنم".(٤)

- وقال ابن المبارك:

وَلاَ أَقُوْلُ بِقَوْلِ الجَهْمِ إنَّ لَهُ .... قَوْلاً يُضَارِعُ أَهْلَ الشِّرْكِ أَحْيَانَا

ولا أقول تخلى عن بريته...رب العباد وولى الأمر شيطانا

ما قال فرعون هذا في تجبره... فرعون موسى ولا فرعون هامانا".(٥)

- جاء في السير: وقال سفيان بن عبد الملك: سألت ابن المبارك، لم تركت حديث

---

(١) أخرجه أبو داود في مسائل أحمد (ص: ٢٦٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة رقم (٢٣)، وابن بطة في الإبانة - الرد على الجهمية - (٢/ ٩٧) رقم: (٣٣٤) (٦/ ٩٧) برقم: (٣٣٤)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٨) برقم: (٧٦٤)، (٣/ ١٠٧٦)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١٦)، والخلال في السنة (٥/ ٨٥) برقم: (١٦٨٤)، (٥/ ٨٦) برقم: (١٦٨٥)، (٥/ ٩٨) برقم: (١٧١٦)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٥٨٥)، وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ١٩٢-١٩٣).

(٢) كتاب السنة لعبد الله بن الامام أحمد (١/ ١١١). برقم: (٢٣)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ١٣٩).

(٣) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد : (١/ ١٦٨) برقم: (١٩٣).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٤٢٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١١).

(٥) خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٣١)، بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٣٦٧)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٤).

إبراهيم بن أبي يحيى؟ قال: كان مجاهرًا بالقدر، وكان صاحب تدليس".[١]

قال ابن المبارك: "ما رضي عوف ببدعة حتى كان فيه بدعتان قدري، وشيعي".[٢]

قال عبدالله بن المبارك–رحمه الله–: "ليس في المسح على الخفين عندنا خلاف، وإن الرجل ليسألني عن المسح فأرتاب به أن يكون صاحب هوى".[٣]

وقال عبد الله بن المبارك، قال: "ما رأيت أحدا منهم عاقلًا"، يعني الصوفيين. [٤]

- كان ابن المبارك ينهى الناس عن الأخذ عن عمرو بن عبيد المعتزلي، وكان يقول:

أيها الطالب علمًا... إيتِ حَمَّاد بن زيدْ

فخذ العلمَ بحلم... ثم قَيّده بقيدْ

لا كثور، وكجهم ... وكعمرو بن عبيد

يعني بثور: ثور بن يزيد".[٥]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٨٤).

(٣) السنن الكبرى (١٢٨٧)

التعليق: ذكر ابن المبارك المسح على الخفين وفي ذلك إشارة إلى الأحكام التي علمت بالقواطع الشرعية أو بالنصوص القطعية ثم أنكرها، من أنكرها، فكل حكم من الأحكام الشرعية–وإن لم يدخل في العقيدة–تواترت به النصوص أو أجمع عليه السلف أو كان دليله صحيحاً ولو لم يتواتر فإن جحده يعتبر من مخالفة العقيدة، فلذلك ذكر السلف المسح على الخفين.

والمسح على الخفين قد خالفت فيه الرافضة، كما خالفت في تجويز مسح الرجل بدل الغسل، فردوا السنة وعملوا بعكسها في مقام واحد، وهذا دليل انتكاس عندهم في العقول والأصول، ففي الوقت الذي أنكروا فيه المسح على الخفين أجازوا المسح بدون خفين.

وهناك طوائف من الخوارج وطوائف من الجهمية وغيرهم أنكروا المسح على الخفين.

وقال الإمام النووي: "أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها... وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم". شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ١٦٠).

وقال ابن تيمية: "وقد تواترت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، كما تخالف الخوارج نحو ذلك". منهاج السنة النبوية (٤/ ١٧٤) .

(٤) كتاب الحث على التجارة من كتاب الجامع للخلال (ص: ١٤٤) رقم: (٩٤).

(٥) حلية الأولياء (٦/ ٢٥٨)، البداية والنهاية (١٠/ ٧٩).

- عن عبد الله بن معاوية سمعت ابن المبارك يقول:

أيها الطالب علمًا... إيتِ حَمَّاد بن زيدْ

فاستفد علمًا وحلمًا... ثم قَيّده بقيدْ

لا كوثر وكجهم ... وبعمرو بن عبيد" [(١)]

وجاد عند بعضهم:

ودع البدعة من ... آثار عمرو بن عبيد".

- وقال نعيم بن حماد: قلت لابن المبارك: لأي شيء تركوا عمرو بن عبيد ؟ قال: "إِن عمرًا كان يدعو إلى القدر".[(٢)]

- وقيل لعبد الله بن المبارك: كيف رويت عن عبد الوارث، وتركت عمرو بن عبيد؟ قال: إن عمرًا كان داعيا. ومع هذا، فحديثه في الكتب الستة".[(٣)]

- عن علي بن الحسن بن شقيق، قال: قلت لعبد الله يعني ابن المبارك، سمعت من عمرو بن عبيد؟ قال هكذا بيده، أي كثيرا، قلت: فلم لا تسميه وأنت تسمي غيره من القدرية؟ قال: "لأن هذا كان رأسًا".[(٤)]

- عن سفيان بن عبد الملك، قال: سمعت ابن المبارك يقول: "أما الحسن بن دينار، فكان يرى رأي القدر، وكان يحمل كتبه إلى بيوت الناس، ويخرجها من يده، ثم يحدث منها، وكان لا يحفظ".[(٥)]

- عن نعيم بن حماد قال: سمعت ابن المبارك يقول وقيل له تركت عمرو ابن عبيد وتحدث

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٢٩)، وجامع بيان العلم وفضله (١/ ١٢٧)، ذم الكلام للهروي (٥/ ٢١٨-٢١٩) (١٠١٧)، البداية والنهاية (١٠/ ٨٢).

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٧٣)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٤)، تهذيب التهذيب (٨/ ٦٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٠١ -٣٠٤).

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٣٥) برقم: (٩٦٦)، الكفاية (ص: ١٢٧).

(٥) كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم (ص: ١٣٧).

عن هشام الدستوائي وسعيد وفلان وهم كانوا في عداده؟ قال: إن عمرا كان يدعو".[(١)]

- وعن عبد العزيز بن أبي رزمة، يقول: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: قلت للأوزاعي عند الوداع أوصني فقال: "كان من رأيي أن أفعله ولو لم تقل إنك أطريت عندي رجلا كان يرى السيف على الأمة فقلت: أفلا نصحتني قال: كان من رأيي أن أفعله".[(٢)]

- وعن إسحاق بن راهويه، يقول: سمعت معاذ بن خالد بن شقيق، يقول لعبد الله بن المبارك: أيهم أسرع خروجًا الدجال أو الدابة؟ فقال عبد الله: "استقضاء فلان الجهمي على بخارى أشد على المسلمين من خروج الدابة أو الدجال".[(٣)]

- وروى مسلم-رحمه الله-في مقدمة صحيحه عن علي بن شقيق، قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: "دعوا حديث عمرو بن ثابت [(٤)] فإنه كان يسب السلف".[(٥)]

- وقال الحسن بن عيسى "ترك ابن المبارك حديثه".[(٦)]

- وقال هناد السري: "مات عمرو بن ثابت فلما مر بجنازته فرأها ابن المبارك دخل المسجد وأغلق عليه الباب حتى جاوزته".[(٧)]

- وقال أيضًا: "لم يصل عليه ابن المبارك".[(٨)]

- عن إسحاق بن عيسى: سمعت ابن المبارك يقول: "يكتب الحديث إلا عن أربعة:

١-غلاط لا يرجع.

---

(١) الكفاية (ص: ١٢٧).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٨٧) برقم: (٢٠٥).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢١٤) برقم: (٣٥٢).

(٤) هو عمرو بن ثابت بن هرمز البكري أبو محمد ويقال أبو ثابت الكوفي من الثامنة. التقريب (٢/ ٦٦)، تهذيب التهذيب (٨/ ٩-١٠).

(٥) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٦)، الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٦٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٩).

(٦) الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٦٢)، العلل ومعرفة الرجال (٣/ ٤٨٦).

(٧) الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٦٢).

(٨) ميزان الاعتدال (٥/ ٣٠٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٩).

٢-وكذاب.

٣-وصاحب بدعة وهوى يدعو إلى بدعته.

٤-ورجل لا يحفظ فيحدث من حفظه".(١)

- وعن سعيد بن منصور، قال: سمعت ابن المبارك يقول: "من أراد الشهادة فليدخل دار البطيخ بالكوفة وليقل رحم الله عثمان".(٢)
- قال أبو بكر الخلال: سمعت أبا بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله، وذكر الجهمية، فقال: «إنما كان يراد بهم المطابق، تدري أي شيء عملوا هؤلاء في الإسلام؟» قيل لأبي عبد الله: الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟، قال: "ومن لا يفرح بهذا؟" قيل له: إن ابن المبارك قال: "الذي ينتقم من الحجاج، هو ينتقم للحجاج من الناس".قال: "أي شيء يشبه هذا من الحجاج؟ هؤلاء أرادوا تبديل الدين".(٣)
- قال عبدة: سمعت ابن المبارك وذكر أبو حنيفة، فقال رجل هل كان فيه من الهوى شيء؟ قال: نعم الإرجاء".(٤)

الأمور المتعلقة بتوحيد العبادة

سياق أقوال عبد الله بن المبارك ضمن ذكر أقواله في مسائل الاعتقاد يقرره غير واحد من العلماء:

قال ابن تيمية-رحمه الله-في بيان حقيقة العلم الشرعي: "إن الأحكام الشرعية ليست مقصورة على كتب الفقهاء فروعًا وأصولًا، بل ذلك فرع يسير من الأحكام الشرعية بل العلم الأصلي هو العلم الذي بُعِث به الرسل وأُنزل به الكتب؛ وهو:

---

(١) الكفاية (ص: ١٤٣).

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٤٧)، تاريخ ابن معين (٣/ ٢٩٤)، بغية الطلب في تاريخ حلب (٧/ ٣٣٣٧).

(٣) كتاب السنة لأبي بكر الخلال (٥/ ١٢١) برقم: (١٧٦٩).

(٤) تاريخ بغداد (١٣/ ٣٧٢).

-علم الإيمان، وعلم أحوال القلوب وما تزكوا به من الخشية والإنابة والتوكل والرضى والصبر واليقين والمحبة والزهد في الدنيا وطلب الآخرة والحب في الله والبغض في الله ومحبة الله وكتابه ورسوله والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين والإخلاص والصدق والشكر لله دائمًا.

-وعلم شروط الأعمال وما يصححها ويفسدها مما يتعلق بالقلوب: من الرياء والعجب والغفلة عن معانيها، وغير ذلك مما هو مبسوط في غير هذا الموضع؛ ومن ذلك: معرفة النفس وشرورها ودسائسها: من الشِّرَة والحرص والحسد والغضب والكبر والبخل وحب الدنيا وحب التعظيم وحب الرياسة؛ ومعرفة الشيطان وكيده ومداخل غروره؛ ومعرفة موازين الأعمال وما الذي ينبغي أن يبدأ به وأيها الذي يرجح على صاحبه عند الله محبة ومنزلة ومراعات موقع نظر الرب وإهمال موقع نظر الخلق؛ ومعرفة حقوق الخلق مثل الوالدين وذوي الأرحام والأئمة من أهل العدل والإنصاف والعلماء العاملين والصلحاء المقتدين والمشايخ المهتدين والجيران وعامة المؤمنين وما الذي يجب لكل منهم من الحق؛ ومعرفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفيته وصفته.

فهذا هو العلم المطلوب من الخلق معرفته:

وهو أصل التوحيد الذي ما أنزل الله كتابًا ولا أرسل رسولًا إلا به، ودعوة الرسل كلهم إليه، وسائر العلوم وسيلة إليه. وبعد ذلك معرفة أحكام الشريعة وأمور الدين. وبعد هذا كله علم الفروع المعروف عن الرسول وعن أصحابه، الأهم منه فالأهم " . انتهى (١)

قال ابن رجب الحنبلي في معرض كلامه عن حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-: أن رجلا سأل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: أي الاسلام خير؟ قال: (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف). (٢) قال: "وجمع في الحديث بين إطعام الطعام، وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان، وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام ثم ارتقى إلى

(١) انظر: رسالة فضائل الأئمة الأربعة، فصل في اشتراط حفظ القرآن للمجتهد (ص: ١٧ / ١٨).

(٢) رواه البخاري (٢٨)، ومسلم (٣٩).

درجة الإحسان إلى الناس كان خيرا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل-أيضا-، وليس المراد أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام والسلام لا يكونان من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر".(١)

الرجاء

- قوله تعالى: ﴿**ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾ [النور: الآية: ٢٢].

قال حبان بن موسى، قال عبد الله بن المبارك: "هذه أرجى آية في كتاب الله".(٢)

- وقال **عبد الله** إن المرجئة يقولون: حسناتنا متقبلة وأنا لا أجترئ عليه، ولا آمن أن أخلد في النار، ويقولون هي في الجنة، ويقولون: إيماننا مثل إيمان جبريل، وميكائيل، وإسرافيل كيف أجترئ أن أقول مثل ذلك، وبلغني أن إسرافيل قدماه تحت الأرضين السابعة على الصخرة التي عليها قرار الأرض، وقد نفذ جميع السماوات والعرش على كاهله قال: وقال رجل لعبد الله: إني قتلت نفسا فهل لي من توبة؟ قال: ألك أبوان؟ قال: أمي حية، قال: الزمها وبرها، واجعل التراب على رأسك، وابك على نفسك ما بقيت، وإياك أن تيأس من رحمة الله فإنك إن أيست من رحمة الله كان أعظم عليك من هذا الذنب الذي ركبته".(٣)

الخوف

- قال أبو إسحاق إبراهيم بن الأشعث، قيل لابن المبارك: رجلان أحدهما خائف،

(١) فتح الباري لابن رجب الحنبلي (١/ ٤٣).
(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٢٩-٢١٣٧) (٢٧٧٠) .
(٣) "تعظيم قدر الصلاة" (٦٤٨) برقم: (٧٠٢).

والآخر قتل في سبيل الله. فقال: أحبهما إلي أخوفهما".[١]

- عن عبد الصمد قَالَ: سَمِعْتُ الفضيل، يَقُولُ: قَالَ ابن المبارك: "أَكْثَرُكُمْ عِلْمًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَشَدَّكُمْ خَوْفًا " .[٢]

- وقال ابن المبارك: "الذي يهيج الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية".[٣]

الخشية

- عن أبي خزيمة العابد قال: دخلت على عبد الله وهو مريض فجعل يتقلب على فراشة من الغم، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن ما هذا ؟ اصبر قال: ومن يصبر على أخذ الله ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: الآية: ١٠٢]".[٤]

- عن أبي عاصم الهروي: أن شيخًا دخل على عبد الله بن المبارك فرآه على وسادة خشنة مرقعة قال: فأردت أن أقول له، فرأيت به من الخشية حتى رحمته، فإذا هو يقول قال- عز وجل-: ﴿**قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ [النور: الآية: ٣٠].

قال: لم يرض الله أن ينظر إلى محاسن المرأة فكيف بمن يزني بها.

وقال الله-عز وجل-: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين: الآية: ١]، في الكيل والوزن فكيف بمن يأخذ المال كله.

وقال عز وجل: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ [الحجرات: الآية: ١٢]، ونحو هذا فكيف بمن يقتله؟ قال: فرحمته وما رأيته فيه فلم أقل له شيئًا".[٥]

- عن نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثور منحور،

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٥٤٤)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٤).
(٢) حلية الاولياء (٨/ ١٦٨).
(٣) الرسالة القشيرية (١/ ٢٥٥).
(٤) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٥٤٤)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٣).
(٥) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٥٤٥)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٣).

أو بقرة منحورة من البكاء، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء إلا دفعه".[(١)]

- وقال عبد الله بن المبارك: "من أعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع".[(٢)]
- قال أبو إسحاق إبراهيم بن الأشعث: مرض ابن المبارك مرضًا فجزع، حتى رأوه جزعًا، فقيل له: إنه ليس بك كل ذلك وأنت تجزَع هذا الجزع؟ قال: مرضت وأنا بحال لا أرضاه".[(٣)]
- عن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأي شيء فُضَلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة إن كان يصلي إنا لنصلي، ولئن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج. قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت، إذ طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح، فمكث هنيهة، ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت بالدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضَلَ هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة".[(٤)]
- قال المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال: "ما رفعه الله إلا بخشية كانت له، ما أخرجت خراسان مثل ابن المبارك".[(٥)]
- ذُكر ابن المبارك عند الفضيل، فقال: "أما والله إني لأحبه لأنه يخشى الله".[(٦)]
- قال رجل لابن المبارك-رحمه الله-: قرأت البارحة القرآن في ركعة، فقال: "لكني أعرف رجلًا لم يزل البارحة يقرأ ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ إلى الصبح، ما قدر أن يجاوزها-يعني: نفسه".[(٧)]

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٥٤٤)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٧)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٣)، صفوة الصفوة (٤/ ١١).

(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٩١).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٥٤٤)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٤٣).

(٤) صفوة الصفوة (٤/ ١٤٥).

(٥) الورع (ص: ٣٩٣).

(٦) تاريخ دمشق (٣٢/ ٤١٦).

(٧) المجالسة وجواهر العلماء (٤/ ٦٧).

- قال الخليل أبو محمد: "كان عبد الله بن المبارك إذا خرج إلى مكة قال:

بُغْضُ الحَيَاةِ وَخَوْفُ اللهُ أَخْرَجَنِي ... وَبَيْعُ نَفْسِي بِمَا لَيْستْ لَه ثَمَنَا
إِنِّي وَزَنْت الذي يَبْقَى لِيُعْدِلَهُ ... مَا لَيْس يَبَقَى فَلا واللهِ ما اتزنا".(١)

- قال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–:

إِذَا مَـا الـلَّـيْـلُ أَظْـلَـمَ كَـابَـدُوهُ ... فَـيُسْـــفِـرُ عَـنْـهُـمْ وَهُـمْ رُكُـوعُ
أَطَـارَ الْخَـوْفُ نَـوْمَـهُـمْ فَـقَـامُـوا ... وَأَهْـلُ الْأَمْـنِ فِي الـدُّنْـيَـا هُـجُـوعُ
لَهُـم تَحْـتَ الـظَّـلامِ وَهُـمْ سُـــجُـودٌ ... أَنِـينُ مِـنـهُ تَـنـفَـرِجُ الضُّــــلُـوعُ
وَخُـرِسُ بِالنَّـهَـارِ لِطُـولِ صَـــمْـتِ ... عَلَيْهِمْ مِنَ ســـكينتهمْ خُشُـــوعُ".(٢)

- وقال ابن المبارك أيضًا–رحمه الله–:

وَمَـا فُـرْشُـــــهُـمْ إِلَّا أَيَامِـنُ أَزْرِهِـمْ ... وَمَـا وُسْـــدُهُـم إِلَّا مِـلاءٌ وَأَدْرُعُ
وَمَـا لَـيْـلُـهُـمْ إلا نحـيـب ومـأتم ... وَمَـا نَـوْمُـهُـمْ إِلَّا عُشَـــاسٌ مُـرَوِّعُ
وَأَلْـوَانُهُـمْ صُــــفْـرٌ كَـأَنَّ وُجُـوهَـهُـمْ ... عَلَيْهَا صَـــفَـارٌ غُلَ بِالْوَرْسِ مُشْــبَعُ
مـذايلُ قَـدْ أَزْرَى بِهَا الْجُهْدُ والسَّــرى ... إلى الله فِي الـظُّـلْـمَـاءَ وَالنَّـاسُ هُـجَـعُ
وَيَبْكُونَ أَحْيَانًا كَأَنَّ عَجِيجَهُم ... إذا نَـوَّمَ الـنَّـاسَ الحَـنِـينُ الْـمُـرَجِـعُ
وَمَجْلِسُ ذِكْرٍ فِيهِمُ قَـدْ شَـــهِـدْتُـهُ ... وَأَعْيُنُهُمْ مِنْ خَشِـــيـةِ اللَّهِ تَـدْمَعُ".(٣)

وعن عبد الله بن المبارك قال:

لاَ تَضـــرعنَّ لِمخلوق عَلَى طَمَع ... فـإِنَّ ذَاكَ مُضـــر مـنـك بالـديـن

---

(١) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٢٨)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٤)، تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٦).

(٢) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٥٤)، كتاب فضل قيام الليل للآجري (ص: ٧٨)، التخويف من النار لابن رجب (ص: ٣٨).

(٣) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٥٨)، التخويف من النار لابن رجب (ص: ٣٩).

واســــترزق الله ممـا في خــزائـنـه ... فـإنّمـا هــي بـين الـكـاف والـنـون
أَلَا تَـرَى كُـلُّ مَـن تَـرْجُـو وَتَأْمَـلُـهُ ... من البَرِيَّةِ مِســكِينُ بن مِســكِينِ".(١)

- وقال ابن المبارك أيضًا:

أيا رَبِّ يَا ذَا الـعَـرشِ أَنْـتَ رَحـيـمُ ... وَأَنْـتَ بِمَـا تُخفي الصُّـدُورَ عَلِيمُ
فَيَـا رَبِّ هَـلْ لِي مِنـكَ حِلْمـاً فَـإِنَّني ... أَرَى الحِلْمُ لَمْ يَـنـدَمْ عَـلَيْـهِ حَـلِيْـمُ
وَيَارَبِّ هَـبْ لِي مِنْـكَ عَزْماً عَلَى التَّقَى ... أُقِيـمُ بِـهِ فِي الـنَّـاسِ حَـيْـثُ أُقِيـمُ
ألا إِنَّ تَقوى الله أَكرَمُ نِسْبَةٍ ... يُســامِي بِهَـا عِـنـدَ الفَخَـارِ كَرِيمُ
إذا أنت نَافَسْـتَ الرِّجَـالَ عَلَى التَّقَى ... خَرَجْـتَ مِنَ الـدُّنْيَـا وَأَنـتَ سَـلِيمُ
أراك امــرءا تَـرجُـو مِـنَ الله عَـفْـوَهُ ... وأنـتَ عَـلَـى مَـا لَا يُحِـبُّ مُـقِـيـمُ
وَإِن امْـرَءاً لا يـرتجى الـنَّـاسُ عَـفْـوَهُ ... وَلَمْ يَأْمَـنُـوا مِـنْـهُ الأذى لـلـئْـيـمُ
فَحَتى مَتَى تَعَصَـى الإِلَـهَ إلى مَتَى ... تـبـارز رَبِّي إِنَّـهُ لَـرَحِـيـمُ(٢)

المراقبة

- وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فقال له: أوصني. فقال: "راقب الله".فقال الرجل: وما مراقبة الله. فقال: "أن يستحيي من الله".(٣)

- وعن ابن سهم الأنطاكي قال: سمعت ابن المبارك ينشد:

فـكـيـف قـرت لأهـل الـعـلم أعينهم ... أو اســتـلـذوا الـنـوم أو هـجـعـوا
والـنـار ضـاحـيـة لابـد موردهـا ... ولـيس يـدرون من ينجو ومن يقع

(١) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٩)، كتاب الزهد الكبير للبيهقي (٢/ ٨٩)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٦٨).
(٢) ديوان عبد الله بن المبارك (ص: ٦٠)، تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٧٨).
(٣) كتاب أدب النفوس للمحاسبين (ص: ٥٣).

وطارت الصـــحف في الأيدي منشـــرة فـيـهـا الســـرائر والجبـار مـطـلـع
أمـا نعيم وعيش لا انقضـــاء لـه أو الجـحـيـم فـلا تـبـقـى ولا تـدع
تهـوى بســـاكـنـهـا طـورا وتـرفـعـه إذا رجـوا مخرجـا من غـمـهـا قـمـعـوا
لـيـنـفـع الـعـلـم قـبـل الموت عـالمـه قد سـال قوم بها الرجعى فما رجعوا".(١)

التوكل

- قال عبد الله بن المبارك: "من أخذ فلسا من حرام فليس بمتوكل".(٢)

الإخلاص وصلاح النية

- عن ابن المبارك قال: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية".(٣)
- عن حبان بن موسى السلمي يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: من طلب الحديث وكتب ليكتب عنه، فلا يجد رائحة الجنة".(٤)
- قال ابن المبارك في قوله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ [الفرقان: الآية: ٢٣]، قال: "هي الأعمال التي عملت لغير الله".(٥)
- عن أبي روح المروزي قال: قال ابن المبارك: "لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين فتركهما لأجل صاحبه كان ذلك رياء وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك".(٦).

(١) سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٦٥).
(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٣٠٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٠)، جامع العلوم والحكم (ص: ١٧).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٨٨).
(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٢).
(٦) حلية الأولياء (٨/ ١٧١).

- قال عبدالله بن المبارك–رحمه الله–: "إنّ الصالحين فيما مضى كانت نفوسهم تؤاتيهم على الخير عفوًا، وإنّ أنفسنا لا تكاد تؤاتينا إلاّ على كُره، فينبغي لنا أن نكرهها".(١)
- سأل رجل عبد الله بن المبارك عن الرباط، فقال: "رابط بنفسك على الحق، حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط".(٢)
- وقد ذكر عن مطرف أنه قال ما سمعت ثناء أو مدحة إلا تصاغرت إلي نفسي

وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد مسمع ثناء أو مدحة إلا تراءى له شيطان ولكن المؤمن يراجع.

فقال ابن المبارك: "صدق كلاهما

أما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكر مطرف فذلك قلب الخواص

وإن كان مذهبه ونيته إذا سمع ذلك وسر به طلب الرفعة والمنزلة عند الناس فما أسوأ حاله في إحباط عمله".(٣)

قال ابن المبارك–رحمه الله–: "القلب مثل المرآة إذا طالت في اليد صـــدئت وكالدابة إذا غفل عنها عدلت".(٤)

الزهد

- قال ابن المبارك: "ما جلست إلى أحد كان أنفع لي من مجالسة وهيب، وكان لا يأكل من الفواكه وإذا انقضت السنة وذهبت الفواكه يكشف عن بطنه وينظر إليها ويقول يا وهيب ما أرى بك بأسا ما أرى تركك للفواكه ضرك شيئًا".(٥)

---

(١) محاسبة النفس ابن أبي الدنيا (ص: ١٣٣).

(٢) حلية الأولياء (٨ /١٧١).

(٣) كتاب آداب النفوس للمحاسبي (ص: ٩٨-٩٩).

(٤) كتاب رسالة المسترشدين للمحاسبي (ص: ١١٥).

(٥) الورع للمروذي (٣١٦).

- قال أبو العباس السراج: سمعت إبراهيم بن بشار، حدثني علي بن الفضيل، سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا ؟

قال: "يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي".قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا".(١)

- روى الخطيب البغدادي بإسناده- إلى ابن المبارك قال: يذم الناسك الذي يسكن بغداد:

أيها الناسك الذي لبس الصو ... ف وأضحى يعد في العباد
الزم الثغر والتعبد به ... ليس بغداد مسكن الزهاد
إن بغداد للملوك محل ... ومناخ للقارئ الصياد".(٢)

- عن إِبْرَاهِيمَ بْنَ الشَّمَّاسِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ".(٣)

- قال عبد الله بن المبارك: "الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر".(٤)

- قال ابن المبارك: "لا يخرج العبد من الزهد إمساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس".(٥)

- عن المسيب بن واضح قال: سمعت ابن المبارك في طريق الروم يقول: "يا مسيب أن فساد العوام من قِبل الخواص وإن الناس على خمس طبقات:

من أولهم الزهاد وهم ملوك هذه الأمة.

والثاني: العلماء وهم ورثة الأنبياء.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٨).

(٢) تاريخ بغداد: (١/ ٢١)، بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ١٨٧).

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٦١) برقم: (١٠٣).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).

(٥) الرسالة القشيرية (١/ ٢٤١).

والثالث: الولاة وهم الرعاة.

والرابع: التجار وهم أمناء الله في الأرض.

والخامس: الغزاة وهم سيف الله في الأرض.

وإذا كان الزاهد راغبا فبمن يقتدي الناس.

وإذا كان العالم طامعا فبمن يهتدي الناس.

وإذا كان الراعي جائرا فإلى من يلتجئ الناس.

وإذا كان التاجر خائنا فبمن يأمن الناس.

وإذا كان الغازي مرائيا فمتى يرجوا الظفر".[١]

"رأى ابن المبارك ببغداد إِسْمَاعِيل ابن علية راكبا بغله على باب السلطان فأنشأ يقول:

يا جاعل الدين له بازيا ... يصطاد أموال السلاطين
لا تبع الدين بدنيا كما ... بفعل ضلال الرهابين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنونا بها بعدما ... كنت دواء للمجانين
فكر الناس جميعا بأن ... زل حمار العلم في الطين ..".[٢]

- قال أبو علي الروذباري يقول: كان أربعة في زمانهم:

واحد كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان شيئا وهو يوسف بن أسباط ورث من أبيه سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيئا وكان يعمل الخوص بيده.

وآخر كان يقبل من الأخوان والسلطان جميعًا وهو أبو إسحاق الفزاري، فكان ما أخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون، والذي كان يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى أهل طرسوس.

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣١٢-٣١٣) برقم: (١٩١٢).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ٣٦)، تاريخ بغداد: (٦/ ٢٣٦)، سير أعلام النبلاء: (٨/٣٦٣-٣٦٤)

والثالث: كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو **عبد الله بن المبارك** يأخذ من الأخوان ويكافئ عليه.

الرابع: كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الأخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول السلطان لا يمن والإخوان يمنون".[1]

- قال الكديمي: حدثنا عبدة بن عبد الرحيم قال: كنت عند فضيل بن عياض وعنده ابن المبارك،فقال قائل: إن أهلك وعيالك قد احتاجوا مجهودين، محتاجين إلى هذا المال، فاتق الله وخذ من هؤلاء القوم- يعني الحكام والأمراء- فزجره ابن المبارك وأنشأ يقول:

خذ من الجاروش والـ　　　آرز والخبز الشعير
واجعلن ذاك حلالا　　　تنج من حر السعير
وانأ ما استطعت هداك　　　الله عن دار الأمير
لا تزرها واجتنبها　　　إنها شر مزور
توهن الدين وتد　　　نيك من الحوب الكبير
قبل أن تسقط يا　　　مغرور في حفرة بير
وأرض يا ويحك من　　　دنياك بالقوت اليسير
إنها دار بلاء　　　وزوال وغرور
ما ترى قد صرعت قبـ　　　ـلك أصحاب القصور
كم ببطن الأرض من　　　ثاو شريف ووزير
وصغير الشأن عبد　　　خامل الذكر حقير
لو تصفحت وجوه　　　القوم في يوم نضير

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٣٤-٤٣٥).

لم تميزهم ولم ... تعرف غنيا من فقير
خمدوا فالقوم صرعى ... تحت أشقاق الصخور
واستووا عند مليك ... بمساويهم خبير
أحذر الصرعة يا ... بمسكين من دهر عثور
أين فرعون وهامان ... ونمرود النسور
أو ما تخشاه أن ... يرميك بالموت المبير
أوما تحذر من ... يوم عبوس قمطرير
أقمطر الشر فيه ... بعذاب الزمهرير

قال: فغشي على الفضيل، فرد ذلك ولم يأخذه".[1]

- قال عبد الله بن المبارك: "سلطان الزهد، أعظم من سلطان الرعية لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا، والزاهد ينفر من الناس فيتبعوه".[2]
- وقال ابن المبارك في الزهد وذم الدنيا:

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا بالعيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
قد يفتح المرء حانوتا لمتجره ... وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق ... تبتاع بالدين أموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيد به ... وليس يفلح أصحاب الشواهين".[3]

(١) سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٦٦-٣٦٧).
(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).
(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٢٤١)، وفيات الأعيان: (٣/ ٣٣).

● وقال أبو العباس السراج: أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك:

أبإذن نـزلـت بي يا مشـــيـب ... أي عـيـش وقـد نـزلـت يـطـيـب
وكفى الشـيـب واعظا غير أني ... آمـل الـعـيـش، والمـمـات قـريـب
كم أنادي الشـبـاب إذا بان مني ... ونـدائـي مـولـيـا مـا يجـيـب".[١]

وقال ابن المبارك:

همـومـك بـالـعـيـش مـقـرونـة ... فـمـا تـقـطـع الـعـيـش إلا بهـم
إذا تم أمـر بـدا نـقـصـه ... تـرقـب زوالا إذا قـيـل تم
إذا كـنـت في نـعـمـة فـارعـهـا ... فـإن المـعـاصـي تـزيـل الـنـعـم
وحـام عـلـيـهـا بشـكـر الإلـه ... فـإن الإلـه سـريـع الـنـقـم
حـلاوة دنـيـاك مسـمـومـة ... فـمـا تأكـل الشـهـد إلا بسـم
فـكـم قـدر دب في مـهـلـة ... فـلـم يـعـلـم الـنـاس حتى هـجـم".[٢]

حسن الخلق

● قال محمد بن نصر المروزي الحافظ: سمعت إسحاق يحكي عن ابن المبارك-رحمه الله-: أنه سئل عن حسن الخلق ما هو؟

فقال: "كف الأذى، وبذل المعروف، وبسط الوجه، وأن لا تغضب".[٣]

● ولعبد الله بن المبارك الفقيه، وتروى لغيره:

---

(١) سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٦٧).
(٢) أدب الدنيا والدين: (ص: ٢٣٩).
(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٦٣)، برقم: (٨٧٥).

ذهـب الرجـال المتقـدى بفعـالهم والمـنـكـرون لـكـل أمـر مـنـكـر
وبقيـت في خلف يزين بعضـهم بعضـا ليـأخـذ معور من معور
ركبوا ثنيـات الطريق فـأصـبحوا متنكبين عـن الـطـريق الأكـبر
ما أقرب الأشـيـاء حين يسـوقها قـدر وأبـعـدهـا إذا لم يـقـدر
الـعـلـم زيـن لـلـرجـال مـروءة والـعـلـم أنـفـع من كـنـوز الجـوهـر
أأخـي إن مـن الـرجـال بهـيـمـة في صـورة الرجل السـميع المبصـر
فطن لـكـل مصـيـبـة في مـالـه وإذا يصـاب بـدينـه لم يشـعـر"(١)

الاجتهاد في الطاعات

- قال ابن أبي الدنيا حدثني أبو جعفر، مولى بني هاشم، عن أبي زيد محمد بن حسان، قال: سمعت ابن المبارك يقول:

اغـتـنـم ركـعـتـين زلـفـى إلى الـلـ ـــه إذا كنت فـارغا مسـتريحا
وإذا هممـت بالـنـطـق في البـاطـل فـاجـعـل مـكـانـه تسـبـيـحـا
فـاغتنـام السـكوت أفضـل من خوض وإن كنت بالحديث فصـيحا"(٢)

التواضع والنهي عن الإعجاب بالنفس

- عن حبان بن موسى قال سُئل عبدالله بن المبارك: هل للعلماء علامة يعرفون بها؟ قال: علامة العالم من عمل بعلمه، واستقل كثير العلم والعمل من نفسه، ورغب في علم غيره، وقبل الحق من كل من أتاه به، وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم.

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ١٦٩).
(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٨٩)، بهجة المجالس لابن عبد البر (١٢)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٦٨).

قال المروذي: فذكرت ذلك لأبي عبدالله فقال: هكذا هو".[١]

قال ابن المبارك: "رأس التواضع: أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل.

وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل".[٢]

- قال الإمام قال الإمام ابن المبارك رحمه الله: "إنه ليعجبني من القراء [٣] كل طلق مضحاك، فأما من تلقاه بالبشر، ويلقاك بالعبوس، كأنه يمنُّ عليك بعمله؛ فلا أكثر الله في القراء مثله".[٤]

- قال الحسن: "وكنت مع ابن المبارك يوما فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم نعرف ولم نوقر".[٥]

- قال الحسن: "وزوج النضر بن محمد ولده دعي بن المبارك. فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس".[٦]

- عن الحسين بن الحسن المروزي قال: قال عبد الله بن المبارك: "كن محبا للخمول كراهية الشهرة ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة".[٧]

- قال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–: "أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم".[٨]

(١) إبطال الحيل: (ص: ٢٢)، طبقات الحنابلة (٣/ ٢٦٨).
(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٢).
(٣) القراء: يطلق عند السلف على الصالحين.
(٤) شعب الإيمان (١٠/ ٤٠٨).
(٥) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٣).
(٦) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٤).
(٧) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٤-٣٢٥).
(٨) تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٥/ ٢٨٣).

- عن أبي وهب؛ قال: سألت ابن المبارك عن العجب؟
فقال: "أن ترى عندك شيئاً ليس عند غيرك".[١]

- وقال أبو وهب المروزى: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ ، قال: "أن تزدرى الناس، فسألته عن العجب؟ ، فقال: أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك، ولا أعلم في المصلين شيئا شرا من العجب".[٢]

- عن عبد الله بن حبيق قال: قال رجل لابن المبارك: أوصني، فقال: "اعرف قدرك"[٣]

- عن عبد الله بن خبيق قال: قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: "التكبر على الأغنياء".[٤]

العزلة

- قال نعيم بن حماد: كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته
فقيل له: ألا تستوحش؟
فقال: "كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ؟ ".[٥]

- وعن شقيق بن إبراهيم قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا؟ قال: أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين. قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من أسد، وتمسك بدينك يسلم لك".[٦]

---

(١) الشعب (٧٩١٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥٩).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٩).
(٤) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).
(٥) صفة الصفوة (٢ /٣٢٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٥).
(٦) صفة الصفوة (٢ /٣٢٤).

- وعن الحسن قال: وكانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعا في خمسين ذراعا، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلا له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته في داره، يجتمعون في كل يوم خلقا يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه. فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه، وأحببت ما ها هنا للذي أراك تكرهه لي،فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتوني فيه ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا في عافية من ذلك".[١]
- وقال ابن المبارك: "من انقطع إلى الله لم يصبر على الناس ومن انقطع إلى غير الله لم يصبر عن الناس".[٢]
- عن أبي إسحاق الطالقاني، عن عبد الله بن المبارك، قال: قال لي بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله، فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك، فأمسك".[٣]
- وقيل لابن المبارك ما دواء القلب؟ فقال: "قلة الملاقاة للناس".[٤]
- قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك رحمه الله:

ما خير ما أعطي الإنسان؟

قال: غريزة عقل.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: حسن أدب.

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٣).
(٢) كتاب آداب النفوس للمحاسبي (ص: ٥٦).
(٣) العزلة والإنفراد لابن أبي الدنيا (ص: ٩١).
(٤) الرسالة القشيرية (١/ ٢٢٦).

قلت: فإن لم يكن؟

قال: أخ شفيق يستشيره.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: صمت طويل.

قلت: فإن لم يكن؟

قال: موت عاجل".(١)

قال الحافظ ابن بشكوال: "أنشدنا أبو مروان من كتابه لعبد الله بن المبارك:

قد أرحنا واسترحنا .. من غدوٍ ورواح

واتصالٍ بلئيمٍ .. أو كريمٍ ذي سماح

بعفافٍ وكفافٍ .. وقنوعٍ وصلاح

وجعلنا اليأس مفتاحا .. لأبواب النجاح ".(٢)

النصيحة

قال ابن المبارك: "كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمَرَه في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره استغضب أخاه، وهتك ستره".(٣)

قال عبد الله بن المبارك: "ما بقي في زماننا أحد أعرف أنه يأخذ النصيحة بانشراح قلب".(٤)

- جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك رحمه الله يشكو إليه عقوق ولده فسأله ابن المبارك: أدعوت عليه؟

قال: نعم

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٨).

(٢) كتاب الصلة لابن بشكوال (ص: ٢٩٠-٢٩١).

(٣) روضة العقلاء (ص:١٩٧).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥٠-٥١).

قال: أنت أفسدته".[١]

- وعن ابن المبارك قال: "كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أَمَرَه في ستر، ونهاه في ستر، فيؤجر في ستره، ويؤجر في نهيه، فأما اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره استغضب أخاه، وهتك ستره".[٢]

- عن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا داود الطيالسي، يقول: قلت لعبد الله بن المبارك: إنا نقرأ بهذه الألحان، فقال: "إنما كره لكم منها، إنا أدركنا القراء وهم يُؤتون تسمع قراءتهم، وأنتم تُدعون اليوم كما يدعى المغنون"[٣]

- **طلب العلم**

قال ابن المبارك: "عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة".[٤]

- قيل لابن المبارك: "حتى متى تطلب هذا الحديث؟ !

قال: "أليس جاء في الحديث؛ أنه يستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في جوف الماء؟ فَلِهذا مَتْرَكٌ؟ !".[٥]

- قيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: "إلى الممـات!".[٦]

- قال أبو وهب: قلت لابن المبارك: "كم نضيّعُ فراغنا في طلب العلم، فمتى نعمل؟ فقال يا أبا وهب: "طلب العلم عمل".[٧]

- عن أبي بكر بن عبد الله بن حسن قال: قال ابن المبارك: "طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا".[٨]

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٨ / ٥٠٣).
(٢) روضة العقلاء (ص: ١٩٧).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ١٦٨).
(٤) المجالسة وجواهر العلم ٢/١٨٦)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٥).
(٥) ذم الكلام للهروي (٤/ ٣٢٠).
(٦) جامع بيان العلم (١/ ٤٠٦).
(٧) ذم الكلام للهروي (٥/ ٢١٦).
(٨) صفة الصفوة (٢/ ٣٣٠).

- قال عبد الله بن المبارك: "عجبت لطالب العلم كيف تدعوه نفسه إلى محبة الدنيا مع إيمانه بما حمل من العلم".(١)
- قال ابن المبارك: "أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر".(٢)
- وعن المسيب بن واضح يقول: كان ابن المبارك-رحمه الله-إذا رأى صبيان أصحاب الحديث، وفي أيديهم المحابر يقربهم ويقول: "هؤلاء غرس الدين".(٣)
- وعن حبان بن موسى قال: عوتب ابن المبارك فيما يقري من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك، فقال: "إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب، فاحتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم".(٤)
- عن أبي صالح الأنطاكي قال: سمعت ابن المبارك يقول: "من بخل بالعلم ابتلي بثلاث، إما يموت فيذهب علمه؛ وإما يَنسى، وإما يصحب [السلطان] فيذهب علمه".(٥)
- قال ابن المبارك عندما سئل: "لو أوحي إليك أنك ميت العشية، ما أنت صانع اليوم؟ قال: أطلب فيه العلم".(٦)
- قال علي بن الحسن بن شقيق: "قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد؛ فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته، فما زلنا نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح".(٧)
- عن عبد الله بن ضريس قال: قيل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن إلى متى

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٩٣).
(٣) كتاب المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي (٢/ ٣٤٩) برقم: (٢٠١٣).
(٤) تهذيب الكمال (١٦/ ٢٠)صفة الصفوة (٢/ ٣٢٥-٣٢٦).
(٥) حلية الأولياء (٨/ ١٦٥).
(٦) تنبيه الغافلين (٢/ ٤٦٧).
(٧) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/ ٤٠٤).

تكتب هذا الحديث؟ فقال: لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد".[١]

- عن الحسين بن الحسن المروزي قال: سمعت ابن المبارك يقول: أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله عز وجل[٢]

- عن ابن المبارك قال: "ما من شيء أفضل من طلب العلم لله، وما من شيء أبغض إلى الله من طلب العلم لغير الله".[٣]

- عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: "بعض الناس يحتج لترك العلم بكبر السن، أو عدم الذكاء، أو القلة والفقر، أو غير ذلك.

وذلك من وساوس الشياطينِ يثبطون بها، ومن نظر في حال السلف وجماعة من علماء الخلف وجدهم لا يلتفتون إلى هذه الأعذار ولا يعرجون عليها".[٤]

قال ابن أبي الدنيا: "ودفع إلي رجل من أهل مرو كتابا فيه: سئل عبد الله بن المبارك: ما ينبغي للعالم أن يتكرم عنه؟ قال: "ينبغي للعالم أن يتكرم عما حرم الله عليه، ويرفع نفسه عن الدنيا، فلا تكون منه على بال".[٥]

- ذكر عند ابن المبارك عابد تعبد بلا فقه فقال: "ليت بيني وبينه بحرا".[٦]

الأدب

- قال ابن المبارك: قال لي مخلد بن الحسين: "نحن إلى كثيرٍ من الأدب أحوجُ منا إلى كثيرٍ مِن الحديث".[٧]

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).
(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٣٨)، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٥٣).
(٤) الآداب الشرعية (ص: ٤٦٨).
(٥) الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٢٢١) برقم (٧٠١).
(٦) كتاب آداب النفوس (ص: ٥٦)..
(٧) الجامع لأخلاق الراوي – للخطيب البغدادي (١/ ٨٠)، مدارج السالكين (٢/ ٣٥٦).

- قال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–: "طلبت الأدب ثلاثين سنةً، وطلبت العلم عشرين سنةً، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم".(١)
- قال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–: "كاد الأدب أن يكون ثُلُثي الدِّين".(٢)
- وقال عبدالله بن المبارك: إذا وُصِف لي رجلٌ له علم الأولين والآخِرين لا أتأسَّف على فَوْت لقائه، وإذا سمعت رجلاً له أدب القسِّ أتمنى لقاءَه وأتأسَّف على فَوته".(٣)
- قال ابن المبارك: "طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون".(٤)
- وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: "الأدب للمعارف التوبة للمستأنف".(٥)
- قال ابن المبارك –رحمه الله–: "لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزين عمله بالأدب".(٦)
- وقال عبد الله بن المبارك قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول: هو معرفة النفس".(٧)
- قال عبد الله بن المبارك: "مخامر الرجال في اللحى والأكمام، ومخامر النساء تحت القمص".(٨)
- وقال الذهبي: ولابن المبارك:

جربت نفسي فما وجدت لها ... من بعد تقوى الإله كالأدب
في كل حالاتها وإن كرهت ... أفضل من صمتها عن الكذب
أو غيبة الناس إن غيبتهم ... حرمها ذو الجلال في الكتب

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء. لابن الجزري. باب العين. (١/ ٤٤٦).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٣٠)، الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).
(٣) الآداب الشرعية (٤/ ٢٠٧).
(٤) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٤٧).
(٥) صفة الصفوة (٢/ ٤٤٧).
(٦) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٥٥٢).
(٧) الرسالة القشيرية (١/ ٤٤٨).
(٨) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ١٨٦).

قـلـت لها طـائـعـا وأكـرهـهـا | الحلم والعلم زين ذي الحسـب
إن كـان مـن فضـة كـلامـك يا | نفس فإن السـكوت من ذهب".[(١)]

الشكر.

- وسئل عبد الله، قيل: ما ينبغي أن نجعل عظيم شكرنا له؟ قال: "زيادة آخرتكم، ونقصان دنياكم، وذلك أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان دنياكم، وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم".[(٢)]

محاسبة النفس.

- قال عبد الله بن المبارك-رحمه الله-: "من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيراً، ثم لا يبالي ولا يحزن عليه".[(٣)]
- ولعبد الله بن المبارك ولغيره:

ومن البلاء وللبلاء علامة العبد | أن لا يرى لـك عن هواك نزوع
عبد النفس في شهواتها | والحر يشبع مرة ويجوع".[(٤)]

قوله في الصبر

- قال عبد الله بن المبارك: "من صبر فما أقل ما يصبر، ومن جزع فما أقل ما يتمتع".[(٥)]

القناعة والتعفف

(١) جامع بيان العلم وفضله: (١/ ١٦٥).
(٢) الزهد لابن أبي الدنيا (ص: ٢٢١) برقم (٧٠١).
(٣) شعب الإيمان (١/ ٨٩٤).
(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٢٤٠)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٧).
(٥) الصبر لابن أبي الدنيا (ص: ١٠١).

- قال عبدالله بن المبارك:

ما ذاقَ طعم الغنى من لا قنوعَ له ... ولن ترى قانِعاً ما عاشَ مفتَقِرا
والعرفُ من يأتهِ تحمد عواقبهُ ... ما ضاع عرفٌ وإن أولَيتهُ حجرا". [١]

- وقال عبد الله بن المبارك: "إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر". [٢]
- وقال عبد الله بن المبارك: "سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء النفس بالبذل". [٣]
- قال ابن المبارك: "ما الذل إلا في الطمع". [٤]
- وقال ابن المبارك أيضا:

حسبي بعلمي إن نفع ... ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله رجع ... عن سوء ما كان صنع
ما طار شيء فارتفع ... إلا كما طار وقع". [٥]

- قال عبد الله بن المبارك: "التعزز على الأغنياء تواضع". [٦]
- قال عبد الله بن المبارك:

"لله در القنوع من خلق ... كم من وضيع به قد ارتفعا
يضيق صدر الفتى بحاجته ... ومن تأسى بدونه اتسعا". [٧]

حفظ اللسان

- وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك، فقال: "لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي

(١) تاريخ دمشق (٣٢/٢٦٣).
(٢) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٣٤).
(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٠٩).
(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٣٠).
(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٦٣).
(٦) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٩٦).
(٧) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٢٣٩).

لأنهما أحق بحسناتي".[١]

- قال عبد الله بن مبارك لسفيان بن عيينة: التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، قال سفيان: بل تستغفره مما قلت فيه: قال ابن المبارك: لا تؤذه مرتين".[٢]
- عن الحسن بن سعيد الباهلي أنه قال: "لم يقل عبد الله بن المبارك مثل هذين البيتين:

"تعاهد لسانك إن اللسان ... سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله".[٣]

- أنشد ابن المبارك

"وإذا ما هممت بالمنطق البا ... طل فاجعل مكانه تسبيحا
إنّ بعض السكوت خيرٌ من النط ... ق وإن كنت بالكلام فصيحا".[٤]

- قال عبد الله بن المبارك: "اللحن في الكلام أقبح من آثار الجدري في الوجه".[٥]
- عن خاقان بن عبد الله، قال: سمعت ابن المبارك، وسئل عن قول لقمان لابنه: "إن كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب".فقال عبد الله: "لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصية الله من ذهب".[٦]

البعد عن المعاصي

- قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٢٩٢).
(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٨٦).
(٣) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩٨).
(٤) بهجة المجالس (ص: ٥٥).
(٥) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ٨).
(٦) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا (ص: ٣٠٤) برقم: (٧٦٣).

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها.
وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذى العقل إنتانها".[١]

الورع

- قال ابن المبارك: "تَرْكُ فِلسٍ من حرام أفضل من مائة ألف فلس أتصدق بها".[٢]

قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي رِزْمَةَ قَالَ: سُئِلَ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ الْمُبَارَكِ أَيُّ الْوَرَعِ أَشَدُّ؟

قَالَ: اللِّسَانُ".[٣]

- قال ابن المبارك: "رد درهم من شبهة أحب إلي من التصدق بمائة ألف ومائة ألف، حتى يبلغ ستمائة ألف".[٤]
- قال الحسن: ورأيت في منزل ابن المبارك حماما طيارة. فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت: ولم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك".[٥]
- عن الحسن بن عرفة قال: قال لي ابن المبارك: استعرت قلما بأرض الشام فذهب على أن أرده إلى صاحبه فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي إلى أرض الشام

(١) جامع بيان العلم وفضله: (١/١٦٥)، بهجة المجالس (٣/ ٣٣٤). وانظر زاد المعاد (٤/ ٢٠٣) والمدارج (٣/ ٢٦٤)، والجواب الكافي (ص: ١٤٧).
(٢) الغنية لطالبي طريق الحق (١/ ٢٥٠).
(٣) الورع لابن أبي الدنيا.
(٤) الورع لابن أبي الدنيا (ص: ٤٣).
(٥) صفة الصفوة (٢ /٣٢٤).

حتى رددته على صاحبه".[١]

- سيب ابن المبارك: دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت الدابة في زرع قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها".[٢]
- عن عياش بن عبد الله قال: قال عبد الله بن المبارك: "لو أن رجلا أتقى مائة شيء ولم يتق شيئًا واحدًا لم يكن من المتقين. ولو تورع عن مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعا، ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين. أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال: ﴿**إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي**﴾ [هود: الآية: ٤٥]، فقال الله تعالى: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: الآية: ٤٦]".[٣]

الوفاء بالعهود

"كان ابن المبارك يقاتل علجا مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فأمهله فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بسيفه فسمع من الهواء قائلا يقول: ﴿**وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا**﴾ [الإسراء: ٣٤] فأمسك فلما سلم المجوسي قال له لم أمسكت عما هممت به فذكر له ما سمع فقال له المجوسي نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوه فأسلم وحسن إسلامه".[٤]

النفقة على الأهل

وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: "لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، ولا الجهاد في سبيل الله ".[٥]

وقال رحمه الله وهو مع إخوانه في الغزو: "تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه؟ "، قالوا: " ما نعلم ذلك"، قال: " أنا أعلم "، قالوا: " فما هو؟ "، قال: " رجل متعفف ذو عائلة، قام من

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٩).
(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٢٣٧).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).
(٤) الرسالة القشيرية (١/ ٢٦٣).
(٥) سير أعلام النبلاء، (٨/ ٣٩٩).

الليل، فنظر إلى صبيانه نياما متكشفين، فسترهم، وغطاهم بثوبه، فعمله أفضل مما نحن فيه".(١)

صلة الناس ومحبة الصالحين

قال ابن المبارك: "ألذ الأشـــياء مجالســـة الإخوان، والمودة الدائمة هي: التي تكون في الله، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض".(٢)

- عن عبد الله بن عمر السرخسي قال: قال لي ابن المبارك: "ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخا في الله عز وجل-".(٣)
- قال عبد الله بن المبارك: "إن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين".(٤)
- عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت أبي يقول: "كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء. ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة، من طرفها؟ فيقول: كذا. ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا. فيشتري لهم ويخرجهم من مكة. فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مكة فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم. فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٧٠١).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٨٧).

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).

(٤) الطبقات الكبرى للشـــعراني (١/ ٥١)، وقال الإمام أحمد في "الزّهد" (٣٢٦): قال ســـفيان-أي ابن عيينة-: كان يُقال عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. قيل-أي لسفيان-: من ذكره؟ قال: بعض العلماء".

وقال المروزي في " الورع " (٨٠) : ذكرتُ لأبي عبد الله -أي أحمد بن حنبل-الفضـلَ وعريه، وفتح الموصـلي وعريه وصـبره، فتغرغرت عيناه وقال: "رحمهم الله، كان يُقال: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة".

بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه".[١]

- أخرج الخطيب البغدادي بإسناده إلى الحمادين[٢]، قالا: كان عبد الله ابن المبارك يتجر في البز، وكان يقول لولا خمسة ما أتجرت، فقيل له من الخمسة يا أبا عبد الرحمن؟ ، فقال: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وإسماعيل بن علية.

قالا: وكان يخرج فيتجر إلى خراسان، فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة، قالا: وقدم سنة، فقيل له قد ولي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قدم فركب إليه فتنكس على رأسه، فلم يرفع به عبد الله رأسا ولم يكلمه فانصرف، فلما كان من غد كتب إليه رقعة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاطك بحياطته قد كنت منتظرا لبرك وصلتك أتبرك بها وجئت أمس فلم تكلمني ورأيتك واجدا علي، فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه؟ .

فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس، وقال: "يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا، ثم كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم:

يا جاعل العلم له بازيا .. يصطاد أموال المساكين

إلى آخر الأبيات وقد سبق ذكرها كاملة في الكلام عن شعره.

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات، قام من مجلس القضـــاء، فوطيء بســـاط هارون الرشيد وقال: يا أمير المؤمنين الله الله ارحم شيبتي، فإني لا أصبر للخطأ، فقال له هارون: لعل هذا المجنون أغرى عليك؟ ، فقال: الله الله أنقذني أنقذك الله، فأعفاه من القضاء، فلما اتصل

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٧).

(٢) حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار إماما مشهوران.

بعبد الله ذلك وجه إليه بالصرة".[١]

- روى عبدان بن عثمان، عن عبد الله بن المبارك، قال: "إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن".[٢]
- قال ابن المبارك: "المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات".[٣]
- "وكان ابن المبارك إذا اشتهى شيئًا لا يأكله إلا مع ضيف ويقول: بلغنا أن طعام الضيف لا حساب عليه".[٤]
- قال عبدالله بن المبارك: "حق على العاقل أن لا يستخف بثلاثة: العلماء؛ والسلطان، والإخوان؛ فإنه من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته".[٥]

وقيل لعبد الله بن المبارك مرة قد قل المال فقلل من صـــلة الناس. فقال: "إن كان المال قد قل فإن العمر قد نفد".[٦]

- قال محمد بن المنذر وحدثني موسى بن عمر قال سمعت الحسين بن الحسن يقول: "كنا عند ابن المبارك جلوساً، فجاء سائل إلى فسأله شيئًا.

فقال: يا غلام، ناوله درهماً.

فلما ولى السائل قال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الرحمن هؤلاء السُّؤال يتغدون بالشواء والفالوذج!

كان يكفيه قطعةٌ، فلِم أمرت له بدرهم؟

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٩٨).

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٧).

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥٧٨)، النصيحة للراعي والرعية للتبريزي (ص: ٩٧)، والجليس الصالح المعافى بن زكريا (ص٢٢٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥٠) .

(٦) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١-٥٢).

قال ابن المبارك: يا غلام، ردَّه، ظننت أنهم يجيزون بالبقل والخل عند غدائهم، فأما إذا كان غداؤهم بالشواء والفالوذج فلا بد من عشرة دراهم.

يا غلام: ناوله عشرة دراهم". (١)

- لعبد الله بن المبارك، وتمثل بها المأمون:

احضر طعامك وابذله لمن أكلا ... واحلف على من أبى، واشكر لمن فعلا

ولا تكن سابري العرض محتشما ... من القليل، فلست الدهر محتفلا". (٢)

وذكر لعبد الله بن المبارك ما كان عليه يوسف بن أسباط من العبادة فقال: "لقد ذكرتم قوماً يستشفي بذكرهم، ولكن إن فعل الناس جميعهم ذلك فمن لسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لعيادة المرضى وشهود الجنائز، وعد أنواعاً من القرب". (٣)

الجهاد

- قال عبد الله بن سنان: "كنت مع ابن المبارك ومعتمر بن سليمان- بطرسوس- فصاح الناس النفير، النفير ...فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطف الجمعان، خرج علج رومي فطلب البراز فخرج إليه رجل فشد العلج عليه فقتله ...حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، فالتفت إلي ابن المبارك، فقال: يا فلان إن قتلت فافعل كذا وكذا. ثم حرك دابته وبرز للعلج فعالج معه ساعة، فقتل العلج، وطلب المبارزة فبرز له علج آخر، فقتله، حتى قتل ستة علوج، وطلبه البراز فكأنهم كاعوا- أي جبنوا- عنه، فضرب دابته وطرد بين الصفين، ثم غاب فلم نشعر بشيء، فإذا أنا به في الموضع الذي كان، فقال لي: يا عبد الله لئن حدثت بهذا أحدا وأنا حي ... فذكر كلمة !!". (٤)

- حكى الحسن بن الربيع أنه خرج ذات سنة مع جيوش المسلمين إلى الغزوة، فلما

---

(١) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ٦٣)، وانظر: مرآة الزمان (١٣/ ١٥)، والبداية والنهاية (١٣/ ٦١٢)..

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر (ص: ١٩١).

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٥١).

(٤) تاريخ الإسلام (٤/ ٨٩٠).

تقاتل الصفان خرج من صف الكفار فارس يطلب القرن، فذهب إليه فارس من المسلمين، فما أمهله، فأحجم الناس عن مبادرته ودخل المسلمين منه حزن.

فإذا فارس خرج إليه من صـــف المســـلمين وجال معه زمانًا ثم رماه وحز رأســـه، فكبر المســـلمون وفرحوا ولم يكن يعرفه أحد، فعاد إلى مكانه ودخل في غمار الناس! قال الحســـن: فبذلت جهدي حتى دنوت منه وحلفته أن يرفع لثامه، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقلت له: يا إمام المسلمين كيف أخفيت نفسك مع هذا الفتح الذي يسر الله على يدك؟ فقال: الذي فعلت له لا يخفى عليه".[١]

- قال عَبدة بن سليمان المروزي: "كنا سريةً مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفانِ، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البِرَاز، فخرج إليه رجل، فقتله، ثم آخر، فقتله، ثم آخر، فقتله، ثم دعا إلى البِرَاز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً، فطعنه، فقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرتُ، فإذا هو عبد الله بن المبارك".[٢]

(١) آثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٤٥٨).
(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٠)

شرح الاعتقاد

[محتويات الرسالة]

الشهادة لله بالوحدانية.

الشهادة للنبي ﷺ بالنبوة والرسالة.

خلق أفعال العباد.

عدالة الصحابة.

المفاضلة بين الصحابة.

الصلاة خلف البر والفاجر.

القرآن كلام الله غير مخلوق.

الإيمان وعمل ونية.

الجهاد.

الإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير

الحوض

الشفاعة.

الميزان.

رؤية المؤمنين ربهم.

الإيمان بالأنبياء والرسل.

من صفات أهل السنة والجماعة.



قال أبو الفتح المقدسي–رحمه الله–في (مختصر الحجة على تارك المحجة):

قال ابن المبارك–رحمه الله–: "أدركتُ النَّاس بمكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وبمصر، وخراسان، فأدركتهم مُجتمعين على السُّنة والجماعة:

الشهادة لله بالوحدانية

وفيه عشر مسائل:

المسألة الأولى: بيان معنى كلمة شهادة.

المسألة الثانية: بيان معنى كلمة إله في اللغة.

المسألة الثالثة: معنى الإله في الشرع.

المسألة الرابعة: معنى لا إله إلا الله.

المسألة الخامسة: العمل بمقتضاها.

المسألة السادسة: أركان لا إله إلا الله.

المسألة السابعة: شروط لا إله إلا الله.

المسألة الثامنة: مراتب الشهادة.

المسألة التاسعة: متي ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله.

المسألة العاشرة: بما يتحقق توحيد الله.

[١]-قال المصنف-رحمه الله-: "مَن شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله".

الشرح

وفيه المسائل الآتية:

المسألة الأولى: بيان معنى كلمة شهادة

معنى الشهادة: الشهادة مشتقة من الأصل الثلاثي (شهد)، فالشين والهاء والدال أصل يدل على حضور، وعلم، وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن ذلك، يقال: شهد يشهد شهادة، وشهد الرجل على كذا يشهد عليه شهادة: إذا أخبر به قطعًا، والأصل في الشهادة الإخبار عما شاهد المخبر بحسه، ثم قد تطلق على ما يحققه الإنسان ويتقنه معرفة وعلما، وإن لم يكن شاهدا للحس؛ لأن المحقق علما كالمدرك حسا ومشاهدة. (١)

ولا شك أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٥].وقال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: الآية: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء الآية: ١٣٦].

وفي الصحيحين عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لمعاذ بن جبل-رضي الله عنه-حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب). (٢)

وعن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٢١)، وتهذيب اللغة للأزهري (٦/ ٤٧)، والكليات (٥٢٨)، والمعجم الوسيط (١/ ٤٩٧)، والمفهم بشرح صحيح مسلم للقرطبي (١/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٩).

الله). [١]

قال الإمام ابن حجر العسـقلاني: "وقعت البداءة بهما -يعني الشـهادتين-لأنهما أصـل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلاّ بهما ... "إلخ. [٢]

فينبغي للمسـلم أن يكون على علم بمعنى الشـهادة وأركانها وشـروطها ومراتبها، وهذا ما نتناوله في المحاور الآتية وذلك في جانب وحدانية الله هنا، وسـيأتي الجانب المتعلق بالنبوة في الفقرة التي تليها:

وفيه المسائل الآتية:

(١) أخرجه البخاري (٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٢).

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٥٨).

المسألة الثانية: بيان معنى كلمة إله في اللغة:

أ-أصل الكلمة:

قال ابن فارس: الهمزة واللام والهاء أصـــل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد. (١)

ب-تصريفها:

قال الفيروزأبادي: أله يأله ألهة وتالها كعبد يعبد عبادة وتعبدا. (٢)

ج-معناها:

فقد ذكرت له عدة معان:

أولا: الإله فعال بمعنى مألوه، أي: معبود، كإمام بمعنى مؤتم به، وأله إلهة: عبد عبادة، والتأليه: التعبيد، والآلهة: المعبودون من الأصنام وغيرها، والتأله: التعبد والتنسك. (٣)

فالإله: هو المعبود وهو الله سـبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب معنى مكتوب وبســاط بمعنى مبســوط، فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين"(٤)

ثانيا: الإله مأخوذ من أله: إذا تحير، وأصله وله يوله ولها، على وزن تعب يتعب تعبا، فإن الإله هو الله سـبحانه تتحير الألباب والفكر في حقائق صـفاته ومعرفته، وعلى هذا، فأصـل كلمة إله: ولاه، وأن الهمزة مبدلة من واو. (٥) وقد أنكر بعض أصــحاب المعاجم هذا المعنى(٦)

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢/ ١٤).

(٣) تهذيب اللغة: (١/ ٤٢٢،٤٢٤)، معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧)، مجمل اللغة: (١/ ١٠١)، الصــحاح تاج اللغة وصــحاح العربية (٦/ ٢٢٢٣،٢٢٢٤)، المفردات (ص: ٢١-٢٢)، أساس البلاغة (٩)، لسان العرب: (١/ ١٨٨،١٩١)، القاموس : (٤/ ٢٨٢)، وتاج العروس (٩/ ٣٧٤-٣٨٥).

(٤) الطبري في تفسيره (١/ ٥٤).

(٥) لسان العرب: (١/ ١٨٨-١٩١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٠٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩).

(٦) انظر : معجم مقاييس اللغة : (١/ ١٢٧).

ثالثا: أن الإله مأخوذ من أله إلى كذا: أي لجأ إليه، فروي عن الضحاك أنه قال: إنما سمي الله إلها؛ لأن الخلق يتضــرعون إليه في حوائجهم ويتضــرعون إليه عند شــدائدهم [(١)] فيكون المعنى: هو من يفزع إليه في النوائب لأنه المجير لجميع الخلائق من كل المضار.

رابعا: أن الإله مشــتق من (لاه يليه ويلوه لياها) إذا احتجب [(٢)]، فلفظ الجلالة يتضــمن معنى الاحتجاب كما قال تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَـارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَـارَۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾. [الأنعام: الآية: ١٠٣].

خامسـا: أنه مشـتق من ألهت إلى فلان أي سـكنت إليه، فالقلوب لا تسـكن إلا بذكره، فمن خاف الله تقرب إليه فيحصل له الاطمئنان والسكون. [(٣)]

سـادسـا: أنه مشـتق من أله الرجل إلى الرجل إذا اتجه إليه لشـدة شـوقه إليه، ومنه: "أله الفصيل بأمه إذا أولع بأمه، وعلى هذا معناه: أن العباد يتوجهون إليه وحده"

والمعنى: "أن العباد مألوهون: أي مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال"[(٤)]

ســابعا: أنه مشــتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شــيء مرتفع: الاها، وإذا طلعت الشمس تقول: لاهت [(٥)]، وعلى هذا يتضمن لفظ الجلالة معنى العلو والارتفاع.

فهذه كما ترى معاني اشــتقاقات هذا اللفظ، وليس في شــيء منها أن معناه القادر على الاختراع أو أنه الصانع المالك.

وقد رجح جماعة من العلماء القول الأول، وأن لفظ الجلالة (**الله**) مشــتق من أله يأله: إذا عبد، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وكل الاشـــتقاقات والمعاني الأخرى تدخل تحت هذا المعنى الأول، فهو متضمن لها، وسأذكر فيما يأتي من قال بهذا من أئمة اللغة:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٠٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٩).
(٣) انظر ما ذكره ابن كثير في التفسير (١/ ١٩).
(٤) انظر ما ذكره ابن كثير في التفسير (١/ ١٩).
(٥) انظر ما ذكره القرطبي في التفسير (١/ ١٠٣).

قال الراغب الأصفهاني: و(إله) جعلوه اسما لكل معبود لهم. [(١)]

قال ابن منظور: الإله (الله)-عز وجل-، وكل ما اتخذ من دون الله معبودا (إله) عند متخذه، والجمع (آلهة). [(٢)]

وقال المجد الفيروزآبادي: (إله) كفعال، بمعنى مألوه، وكل ما اتخذ معبودا (إله) عند متخذه. [(٣)]

وقال الزبيدي: فإذا قيل: (الإله) أطلق على الله سبحانه، وعلى ما يعبد من الأصنام، وإذا قلت: (الله) لم يطلق إلا عليه-سبحانه وتعالى-"[(٤)]

---

(١) المفردات (ص: ٢١).

(٢) لسان العرب (١/ ١٨٨-١٩١).

(٣) القاموس المحيط (ص: ١٦٠٣).

(٤) تاج العروس : (٩/ ٣٧٥).

المسألة الثالثة: معنى الإله في الشرع.

الإله في القرآن وفي فهم السلف والمفسرين

الألوهية والإله في لغة القرآن وما حكى الله-ســبحانه وتعالى-عن مشــركي العرب لم يختلف عن معناها الذي ذكرناه عن معاجم اللغة. فالإله يطلق على كل معبود حقًا كان أم باطلًا، والأدلة عليها كثيرة، منها:

أ. أن الله ســبحانه وتعالى سمى معبودات المشــركين (**آلهة**) وأبطل كونها آلهة حقا؛ قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾. [الفرقان: الآية: ٣].

وهكذا كان مشـركو العرب يسـمون معبوداتهم (آلهة) مع اعتقادهم أنها ليسـت خالقة لهذا الكون ولا مالكة؛ كما حكى عنهم:

﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾. [ص: الآية: ٥]

وقال عنهم: ﴿**إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَ**﴾. [الفرقان: الآية: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ [الصافات: الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**﴾ [الفرقان: الآية ٤٣].

وقال تعالى: ﴿**وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا**﴾ [طه: الآية: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿**فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَــدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَــىٰ فَنَسِيَ**﴾. [طه: الآية: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾. [الأعراف: الآية: ١٣٨].

فأنت ترى في هذه الآيات أن المشــركين سموا معبوداتهم (آلهة) مع أن المشــركين لم يعتقدوا فيها أنها خالقة لهذا الكون وأرباب للعالم؛ قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [العنكبوت: الآية: ٦١].

وهكذا ترى اللغة القرآنية لكلمة (الإله) تتفق مع معاني أهل اللغة لهذه الكلمة، كما أن هذا ما كان عليه فهم السلف والمفسرين:

قال ابن عباس: "الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين، ومنه قوله في ﴿**وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٢٧]، يذرك وإلاهتك، أي عبادتك"[(١)] وهو قول مجاهد أيضا. [(٢)]

قال الطبري: "ولا شك أن الإلهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل: أله الله فلان إلهة: كما يقال: عبد الله فلانٌ عبادة وعبر الرؤيا عبارة، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن أله عبد وأن الإلاهة مصدره"[(٣)]

وقال أيضا: "فالإله: هو المعبود وهو الله سبحانه، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط، فالإله إذن على معنى ما روي عن ابن عباس: هو الذي يأله كل شيء ويعبده كل خلق"[(٤)]

قال الزجاجي: "(إله) فعال بمعنى مفعول، كأنه مألوه، أي معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويولهونه"[(٥)]

وقال الزمخشري: "(الإله) من أسماء الأجناس، كالرجل والفرس، يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم على المعبود بحق"[(٦)]

قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: لا إله إلا الله: "معناه: لا معبود إلا الله"[(٧)]

والصحيح: لا معبود بحق إلا الله، ومعنى ذلك أن كل المعبودات إنما عبدت بغير الحق،

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري، (١/ ٤١).
(٢) تفسير ابن جرير الطبري، (١/ ٤١).
(٣) تفسير ابن جرير الطبري، (١/ ٤٢).
(٤) تفسير ابن جرير الطبري، (١/ ٤٢).
(٥) اشتقاق أسماء الله الحسنى (ص: ٢٤).
(٦) الزمخشري : الكشاف: (١/ ٦).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٧٥)، والصحيح: لا معبود بحق إلا هو.

قال جل وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: الآية: ٣٠].

فهذه بعض أقوال المفسرين في معنى الإله.

وقال ابن تيمية: "فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع"(١)

وقال ابن القيم: "الإله: هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وإنابة وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاءً وتوكلًا"(٢)

وقال ابن رجب: "الإله: هو الذي يطاع فلا يعصي، هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا الله عز وجل"(٣)

وقال البقاعي: "لا إله إلا الله: أي انتفاء عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك العظيم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف"(٤)

وقال الطيبي: "الإله: فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أنه إلهة: أي عبد عبادة"(٥)

قال الشوكاني: "لفظ (إله) إنما هو لبيان استحقاق الله للألوهية التي هي حقيقة العبودية، ولهذا جاء في كتاب الله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[الزخرف: الآية: ٨٤]، أي: مألوه معبود فيها، قال قتادة: يعبد في السماء

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين (٣/ ٤٩٠).

(٣) تحقيق كلمة الإخلاص (٢٣، ٢٤).

(٤) فتح المجيد (١/ ٥٣٣).

(٥) انظر ما نقله عنه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد (١/ ٥٣٣).

والأرض"(١)

بهذا يتضـــح لنا أن لفظة (إله) مأخوذة من التأله وهو التعبد ومعناه المعبود المطاع ســـواء كان بحق أو بغير حق، فكل ما عبد بأي نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جمادًا فهو إله عند عابده كما قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: الآية: ١٠١].

ولكن هذا اللفظ غلب على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى يقول الزمخشـري: "والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اســـم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق ... "(٢)

وأما لفظ الجلالة (الله) فلا يطلق إلا على المعبود بحق وهو الله سبحانه وتعالى، فهو مختص به عز وجل ولا يطلق على غيره. (٣)

فالتفسـير الصـحيح لكلمة الإله هو المألوه والمعبود المطاع، ولا معبود بحق إلا الله سـبحانه وتعالى.

الرد على من فسر الإله بالقادر على الاختراع.

المتكلمون ومن سار على نهجهم يفسرون الإله بأنه الخالق والقادر على الاختراع، أو شبه ذلك من معاني الربوبية فجعلوا الألوهية بمعنى الربوبية.

وقد عَرَّفَ كثير من الأشـــعرية كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نســـبه البغدادي إلى أبي الحسـن الأشـعري فقال: "واختلف أصـحابنا في معنى الإله: فمنهم من قال إنه مشـتق من الألهية، وهي: قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسـن الأشـعري"(٤)، ثم اختار البغدادي القول بأنه غير مشتق!

---

(١) فتح القدير (٤/ ٥٩٧).
(٢) الكشاف (١/ ٣٦).
(٣) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٩).
(٤) أصول الدين للبغدادي (ص: ١٢٣).

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكرًا دليله دون أن يسمي قائله، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى (الله) قال: "القول السابع: الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: الآية: ٢٣]، قال موسى في الجواب: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشعراء: الآية: ٢٤] فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقًا لذلك السؤال"(١)

وهذا التفسير لا شك أنه تفسير خاطئ مخالف للغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، هذا القول غير معروف عند أهل اللغة، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة (٢)، كما أنه يؤدي إلى إغفال حقيقة التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الله الخلق ألا وهو توحيد العبادة الذي ضل فيه كثير من الناس خصوصًا في هذا العصر.

ليس المراد (بالإله) هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع دون غيره وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا هو. (٣)

ولو كان هذا معنى لا إله إلا الله؛ لما أنكرت قريش على النبي–صلى الله عليه وسلم–دعوته ولآمنت به وصدقت؛ لأن قريشًا تقول: لا خالق إلا الله، ولا خالق أبلغ من كلمة لا قادر، لأن القادر قد يفعل وقد لا يفعل، أما الخالق؛ فقد فعل وحقق بقدرة منه، فصار فهم المشركين خيرًا من فهم هؤلاء المتكلمين، والمنتسبين للإسلام.

قال ابن تيمية–رحمه الله–: "فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك

(١) (شرح أسماء الله الحسنى للرازي) (ص: ١٢٤).
(٢) انظر (تيسير العزيز الحميد) (ص: ٧٦).
(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص: ١٠٨).

من يفعله من متكلمة الصـفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسـن وأتباعه؛ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسـوله، فإن مشـركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شــيء، وكانوا مع هذا مشــركين، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره"(١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "وليس المراد "بالإله" هو القادر على الاختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه. بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه، لا إله بمعنى آله. والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شـريك له، والإشـراك أن يجعل مع الله إلها آخر"(٢)

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله تعالى-بعد أن ذكر أن معنى الإله هو المعبود المطاع: "وهذا كثير جدًا في كلام العلماء، وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبود خلافا لما يعتقده عباد القبور وأشـباههم في معنى الإله أنه الخالق أو القادر على الاختراع أو نحو هذه العبارات، ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى، فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصـوى، ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله...وما شـعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشـاركونهم في هذا الإقرار، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع، ويعبدونه بأنواع من العبادات... فإن قيل: فما الجواب عن قول من قال: بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟ قيل الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٧٧-٣٧٨).

(٢) شرح التدمرية (٢/ ١١٣٧).

الثاني: على تقدير تسليمه، فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقا قادرا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإله حتى وإن سمي إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإســلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام، فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية"[١][٢]

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٧٦-٨١).

(٢) المصدر: كتاب ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف (ص: ٣٠٢-٣٠٧)، بتصرف.

المسألة الرابعة: معنى لا إله إلا الله.

(لا إله إلا الله) تعني إفراد الله سـبحانه وتعالى بالعبادة وحده لا شـريك له، والبراءة من كل معبود سـواه، فهي كلمة الإخلاص وعنوان التوحيد ولا يتم إيمان أي عبد بدون تحقيق معناها والعمل بمدلولها.

فهي تعني الإيمان بالقلب والإقرار باللسـان أنه **لا معبود بحق إلا الله تعالى**؛ فلا يستحق العبادة أحدٌ غير الله تعالى؛ فإنه وإن كانت هناك معبودات تعبد من دون الله تعالى إلا أنها معبودات باطلة؛ وأما المعبود بحق فهو الله تعالى وحده؛ كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج: الآية: ٦٢].

قال ابن تيميه (ت: ٧٢٨ هـ)-رحمه الله-: "تحقيق شـهادة أن لا إله إلا الله، أن ينفي عن قلبه ألوهية ما سـوى الله، ويثبت في قلبه ألوهية الله، فيكون نافياً لألوهية كل شـيء من المخلوقات مثبتا لألوهية رب العالمين رب الأرض والسـماوات؛ وذلك يتضـمن اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه"(١)

قال ابن حجر الهيتمي-رحمه الله-(ت: ٩٧٤ هـ): "لا إله إلا الله.. معناها: لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق"(٢)

قال الصنعاني-رحمه الله-(ت: ١١٨٢ هـ): "إن رسـل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة...وهذا الذي تضـمنه قول: (لا إله إلا الله) فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه.

وهذا الأصـل لا مرية فيما تضـمنه، ولا شـك فيه، وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٥).
(٢) انظر: الإيعاب (١/ ٦).

ويحققه"[١]

قال الشـيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- (ت: ١٢٠٦ هـ): "فإن هذه الكلمة "لا إله إلا الله" نفي وإثبات؛ نفي الإلهية عما سوى الله-سبحانه وتعالى-من المخلوقات، حتى من المرسـلين البشـر وخاتمهم محمد-صـلى الله عليه وسـلم-، وحتى من الملائكة وجبريل-عليهم وعلى جميع المرسـلين الصـلاة والسـلام-، فضـلا عن غيرهم من الأنبياء والصـالحين وسائر المخلوقات؛ وإثباتها بجميع أنواعها كلها لله عز وجل وحده لا شريك له"[٢]

قال الشيخ صالح الفوزان: "معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شـريك له، لأنه المسـتحق للعبادة فتضـمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سـوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل، لأنه لا يستحق العبادة.

ولهذا كثيرًا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونًا ينفي عبادة ما سـواه، لأن عبادة الله لا تصـح مع إشـراك غيره معه قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْـرِكُوا بِهِ شَـيْئًا**﴾ [النسـاء: الآية: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٦].

وقـال تعـالى: ﴿**وَلَقَـدْ بَعَثْنَـا فِي كُـلِّ أُمَّـةٍ رَّسُـولًا أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: الآية: ٣٦].

وقال-صـلى الله عليه وسـلم-: (ومن قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله). [٣]

وكل رسول يقول لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود: الآية: ٨٤].

(١) تطهير الاعتقاد (ص: ٥-٦).
(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول-العقيدة: تفسير كلمة التوحيد- (ص: ٣٦٣-٣٦٤).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣).

إلى غير ذلك من الأدلة"(١)

(١) معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص: ٢٠-٢١).

المسألة الخامسة: العمل بمقتضاها

من قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملًا بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا من نفى الشرك وإثبات العبادة لله مع الاعتقاد الجازم لما تضـمنته والعمل به فهو المسـلم حقًا، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو منافق، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشــرك المنافي لها فهو المشــرك المتناقض فلابد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها، لأن ذلك وســيلة للعمل بمقتضــاها قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَن شَـهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦].

والعمل بمقتضـاها: هو عبادة الله والكفر بعبادة ما سـواه وهو الغاية المقصـود من هذه الكلمة؛ ومن مقتضـي لا إله إلا الله قبول تشــريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم، ورفض تشـريع من سـواه قال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: الآية: ٢١].

فلابد من قبول تشــريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشــخصــية وغيرها رفض القوانين الوضــيعة، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يبتدعها ويروجها شــياطين الإنس والجن في العبادات ومن تقبل شــيئًا من ذلك فهو مشرك كما قال في هذه الآية: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾ [الشورى: الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: الآية: ٣١].

وفي الحديث الصـحيح أن النبي–صـلى الله عليه وسـلم–: تلى هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي–رضـي الله عنه–فقال: "يا رسـول الله لسـنا نعبدهم"، قال: (أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه)، قال: "بلى"، قال النبي–صــلى الله

عليه وسلم-: (فتلك عبادتهم). [(١)]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن-رحمه الله-: "فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله

...

فتبين أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة"[(٢)]. [(٣)]

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في معنى قوله-عليه السلام-: "من شهد أنه لا إله إلا الله": "أي: من تكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضـــاها، باطنًا وظاهرًا كما دل عليه قوله: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: الآية: ١٩]، وقوله: ﴿**إِلَّا مَن شَـهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، ولا عمل بمقتضـــاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع، وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله: (من شهد)؛ إذ كيف يشهد وهو لا يعلم [(٤)]، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به"[(٥)]

قال الشـــيخ عبد اللطيف آل الشـــيخ: "وكل من عقل عن الله يعلم علمًا ضـــروريًا: أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما، ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شـــيئًا، ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه...

فالإيمان بمعناهما، والانقياد له لا يتصـور ولا يتحقق إلا بعد العلم، والحكم على الشـيء فرع عن تصـوره؛ فإذا لم يعلم، ولم يتصـور فهو كالهاذي، وكالنائم، وأمثالهما ممن لا يعقل ما

---

(١) أخرجه الطبراني في (الكبير) (١٧/ ٩٢)، واللفظ له، والترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي في (الكبرى) (٢٠٣٥٠) باختلاف يسير.

(٢) فتح المجيد (ص: ١٠٧).

(٣) معنى لا اله إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص: ٢٤-٢٧).

(٤) روى الإمام الخلال في كتاب السنة: عن أبي بكر بن حماد المقري أنه سأل أبا عبد الله في هذه المسألة -أي: الشهادة للعشرة بالجنة- قال: تفرق بين العلم وبين الشهادة؟ قال: لا؛ إذا قلت أعلم فأنا أشهد، قال الله: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦]، وقال: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: الآية: ٨١] إسناده صحيح. [السنة للخلال (٢/ ٣٥٦)، رقم (٤٧٨)].

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٦).

يقول، بل لو حصـل له العلم، وفاته الصـدق لم يكن شـاهدا، بل هو كاذب، وإن أتى بهما صورة"(١)

(١) مصباح الظلام للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (ص: ١٦١).

المسألة السادسة: أركان لا إله إلا الله:

لها ركنان:

الركن الأول: النفي: أي: نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ بقولك: (لا إله).

الركن الثاني: الإثبات: أي: إثبات الإلهية لله وحده؛ بقولك: (إلا الله).

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان؛ نوع لفظي، ونوع معنوي.

أما النوع اللفظي: وهو ما تضمنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفي وإثبات؛ "لا إله": نفي، "وإلا الله": إثبات.

وأما النوع المعنوي، وهو ما تضمنه معنى الشهادة "لا معبود بحق إلا الله": فركناه نفي وإثبات أيضا؛ فـ "لا معبود بحق": نفي، و"إلا الله": إثبات.

والنفي: مصدر نفيت الشيء أنفيه نفيا، وأصله من الفعل الثلاثي (نفى)، فالنون والفاء والحرف المعتل: أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه، تقول: نفيت الشيء أنفيه نفيا ونفاية: إذا رددته، وأزلته، وجحدته. (١)

وأما الإثبات: فهو ضد النفي، وهو مصدر للفعل الرباعي (أثبت) وأصله (ثبت) صحيح سالم، قال أهل اللغة: الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء، وثبت الشيء يثبت ثبوتا دام واستقر فهو ثابت، وثبت الأمر صح، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أثبته وثبته والاسم الثبات. (٢)

وقال المناوي في معناه: "الإثبات: ضد الإزالة؛ ثم تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم نحو: أثبت الله كذا، وتارة لما ثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم كذا، وتارة لما يكون بالقول؛ سواء كان صدقا أم كذبا، فيقال: أثبت التوحيد، وصدق النبوة، وفلان أثبت مع

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٤٩٥)، والأفعال (٣/ ٢٨١)، وجمهرة اللغة (٢/ ٩٧٢)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣٤١)، وتاج العروس (٤٠/ ١١٧)، ولسان العرب (١٥/ ٣٣٧).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٣٩٩)، وتهذيب اللغة (١٤/ ١٩٠)، وتاج العروس (٤/ ٤٧٢)، والمصباح المنير (١/ ٨٠)، والمعجم الوسيط (١/ ٩٣)، ومعجم تصريف الأفعال العربية للدحداح (ص: ٢٧٤)، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف (ص: ٢٧).

الله إلها آخر"(١)

فشهادة أن لا إله إلا الله اشتملت على معنيين عظيمين، بل على أصلين كبيرين لا تقوم الشـــهادة إلا عليهما؛ وهما النفي والإثبات؛ فالنفي في شـــقها الأول: (لا إله)، والإثبات في الشـــق الثاني: (إلا الله)، والمقصـــود بالنفي: نفي جميع الآلهة المعبودة من دون الله تعالى، ونفيها يستلزم إبطالها، والكفر بها، وبغضـها، وإزالتها عند القدرة، وبيان ضـعفها وحقارتها، وأنها لا تستحق مثقال ذرة من العبادة ولا أدنى من ذلك.

قال ابن القيم-رحمه الله-: "طريقة القرآن في مثل هذا أن يقرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما ســـوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد"(٢)

والمقصـود بالإثبات هو إثبات الألوهية لله تعالى وحده دون ما سـواه، ثم إفراده عز وجل بأنواع العبادة.

يقول الصـــنعاني: "قوله: (لا إله إلا الله) للتوحيد؛ أي: وضـــع لإفادته، ومعناه: النفي والإثبات، فلو كان تكلما بالباقي لكان نفيا لغيره؛ أي: نفيا لما ســـوى الله تعالى؛ لأنه هو الباقي بعد الاستثناء؛ لإثباته للألوهية لله، فيصح من كونها كلمة التوحيد بالإجماع"(٣)

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسـن: "والمقصـود أن نفي الأوثان الذي دلت عليه كلمة الإخلاص يحصـــل بتركها، والرغبة عنها، والبراءة منها، والكفر بها وبمن يعبدها، واعتزالها واعتزال عابديها، وبغضـــها وعداوتها، وكل هذا في القرآن مبينا، وقد انتفت عبادة كل ما عبد من دون الله مما هو موجود في الخارج مما يعبده المشركون سلفا وخلفا بهذه الكلمة كما تقدم"(٤)

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص: ٣٣).
(٢) "البدائع" (١/ ١٤١).
(٣) إجابة السائل شرح بغية الأمل (ص: ٢٦٥).
(٤) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود للشيخ عبد الرحمن بن حسن مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٣٤٣).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: "لأن (لا إله إلا الله): نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منهـا هو البراءة من جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبـادات، وهـذا المعنى جـاء موضـــحـا في قولـه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: الآيـة: ٢٦]، ومعنى الإثبات منهـا: هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شـــرعه على ألســـنة رسـله، وهذا المعنى جاء موضـحـا في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٧]"(١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "فقولك: (لا إله إلا الله): فـ (لا): نافية للجنس، و (الإله) هو: المألوه بالعبادة، وهو الذي تألهه القلوب، وتقصـــده رغبة إليه في حصول نفع، أو دفع ضر، كحال من عبد الأموات، والغائبين، والأصنام، فكل معبود مألوه بالعبادة، والخبر المرفوع محذوف تقديره: حق، وقوله: (إلا الله): اســـتثناء من الخبر المرفوع، فالله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منتفية بلا في هذه الكلمة.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان: الآية: ٣٠]، فإلهية ما سواه باطلة، فدلت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل؛ فتبين أن الإلهية هي العبادة؛ لأن الدعاء من أفرادها، فمن صـــرف منها شيئا لغيره تعالى فهو باطل"(٢)

يقول الشـــيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين: فلا إله إلا الله" اشـــتملت على نفي وإثبات؛ فنفت الإلهية عن كل ما ســـوى الله تعالى؛ فكل ما ســـواه من الملائكة، والأنبياء، فضــلا عن غيرهم؛ فليس بإله، ولا له من العبادة شـيء. وأثبتت الإلهية لله وحده؛ بمعنى أن العبد لا يأله غيره؛ أي لا يقصـده بشـيء من التأله؛ وهو تعلق القلب الذي يوجب قصـده بشيء من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، وغير ذلك. (٣)

(١) أضواء البيان (٧/ ١٠٢).
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ٨٨).
(٣) الشهادتان: معناهما، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين (ص: ٢٢). وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ١٨٩).

فالنفي إذا: نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سوى الله -عز وجل-.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سو الله -عز وجل-.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله عز وجل وحده، لا شريك له. (١)

وهو معنى قوله سـبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: الآيات: ١٦٢-١٦٣].

(١) انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي (ص: ٣٩).

المسألة السابعة: شروط لا إله إلا الله:

شـــروط جمع، مفردها شـــرط، والشـــرط: إلزام الشـــيء، والتزامه؛ يقال: شـــرط له أمرا: التزمه، وشرط عليه أمرا: ألزمه إياه"(١)

يراد بشروط "لا إله إلا الله": الأمور التي يجب على الإنسان أن يلزمها، حتى يحقق "لا إله إلا الله"، أو: ما لا تصح شهادة "لا إله إلا الله" إلا بوجودها، ويجب اجتماعها.

منزلة هذه الشروط من شهادة "لا إله إلا الله":

هذه الشروط بمثابة الأسنان للمفتاح، فلا يفتح إلا بوجودها.

وقد أشار إلى ذلك عدد من علماء الأمة؛ منهم الإمام الحسن البصري-رحمه الله-، حين قال للشاعر الفرزدق-وهو يدفن امرأته-: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال الفرزدق: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فقال الحسن: نعم العدة، إن لـــ "لا إله إلا الله شروطا"؛ فإياك وقذف المحصنات. (٢)

وقيل لوهب بن منبه-رحمه الله-: أليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة؟ فقال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك. (٣)

للشـــهادة شـــروط لا بد من توفرها فيهما، إذ لا يمكن لقائلهما أن ينتفع بهما إلا بعد اجتماعها فيهما، وهذه الشروط مطلوبة فالعبد لا يدخل في الدين إلا بها.

وباستقراء أهل العلم لنصوص الكتاب والسنة تبين أن لا إله إلا الله لا تقبل إلا بشروط

وهي سبعة شروط:

الشرط الأول: العلم:

إذ العلم بالشيء شرط عند الشهادة به.

والدليل على ذلك:

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (ص: ٨٦٩). والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين (ص: ٤٧٨).

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي (ص: ٣٩). والدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. وقد وصله في تاريخ ١/ ٩٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٦٦.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: الآية: ١٩].

وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»(١)

والعلم المراد به هنا هو معرفة معنى الشهادتين ومقتضاهما واللوازم المترتبة على ذلك.

فلا إله إلا الله:

معناها: لا معبود بحق إلا الله.

ومقتضـــاها ولازمها: نفي الشـرك وإثبات الوحدانية لله تعالى وإفراده بالعبادة مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به. (٢)

"فكلمة الإخلاص لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما ســـوى الله، والبراءة من الشـــرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَـــوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤] .

ومعنى: ﴿سَـــوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤]، أي: نســـتوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقال الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٦] . ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٧] . ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: الآية: ٢٨]. فهذا، هو حقيقة معنى: لا إله إلا الله; وهو البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده وهذا هو معناها الذي دلت عليه هذه الآيات وما في معناها; فمن تحقق ذلك وعلمه، فقد حصل له العلم بها، المنافي لما عليه أكثر الناس، حتى من ينتسب إلى العلم، من الجهل بمعناها"(٣)

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار. انظر (١/ ٤١)

(٢) تيسير العزيز الحميد صـ ٥٨.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢٥٢–٢٥٣.



الشرط الثاني: اليقين:

أي استيقان القلب بالشـهادتين، وذلك بأن يعتقدهما اعتقادا جازما لا يصـاحبه شـك أو ارتياب، لأن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن.

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُـــولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ [الحجرات: الآية: ١٥].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله، كونهم لم يرتابوا؛ أي: لم يشكوا.

فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين والعياذ بالله الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّمَا يَسْـــتَأْذِنُكَ الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَـتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾ [التوبـة: الآية: ٤٥].

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال له: (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقينا بها قلبه فبشره بالجنة). الحديث. [(١)]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة). [(٢)]

"فلا بد لقائل هذه الكلمة من اليقين بمعناها، المنافي للشـــك والريب، كما في الحديث الصـحيح: «مستيقنا بها قلبه، غير شـاك فيها»، ومن لم يكن كذلك فإنها لا تنفعه، كما دل عليه حديث: سؤال الميت في قبره"[(٣)]

قال أبو العبـاس أحمـد بن عمر بن إبراهيم القرطبي–رحمـه الله–(ت: ٦٥٦ هـ): "باب لا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسـلم في صـحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شـاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٤١-٤٢)

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٥٥).

يكفي مجرد التلفظ بالشـهادتين، بل لابدَّ من اسـتيقان القلب" هذه الترجمة تنبيه على فسـاد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشـهادتين كافٍ في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفسـاد من الشـريعة لمن وقف عليها؛ ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعاً ا.هـ"(١)

الشرط الثالث: الإخلاص:

"وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك"(٢)

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: الآية: ٥].

وقال تعالى: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: الآية: ٣] "أي لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له".

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ شهادة أن لا إله إلا الله"(٣)

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الزمر: الآية: ١١-١٢]، إلى قوله: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ**﴾[سورة الزمر آية: ١٤-١٥]

وعن عتبان بن مالك-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»(٤)

وعن أبي هريرة-رضـي الله عنه-، قال: قال رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-: «أسـعد

---

(١) المفهم على صحيح مسلم (١/ ٢٠٤).

(٢)معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (١/ ٣٨٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥).

(٤) أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، انظر: فتح الباري (١/ ٥١٩) (ح: ٤٢٥)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٢/ ١٢٦).

الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه». (١)

عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (ما قال عبدٌ قط لا إله إلا الله مخلصًا؛ إلا فتحت له أبواب السـماء حتى تفضـي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر). (٢)

وللنسـائي في "اليوم والليلة" من حديث رجلين من الصـحابة-رضـي الله عنهما-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، مخلصًا له بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله). (٣)

"فلا بد من الإخلاص المنافي للشرك"(٤)

الشرط الرابع: "الصدق فيها المنافي للكذب.

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه"(٥)

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿**الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: الآيات: ١-٣]، "أي الذين صـدقوا في دعوى الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه، والله-سـبحانه وتعالى-يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، انظر: فتح الباري (١١/ ٤١٨) (ح: ٦٥٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه؛ وقال العلامة الألباني: في "صحيح وضعيف الترمذي": حسن".

(٣) أخرجه النسائي في اليوم والليلة (ص: ٢٨)، قال العلامة الألباني: في تخريج "كلمة الإخلاص" (ص: ٦١): إسناده صحيح.

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

(٥) معارج القبول (١/ ٣٨١).

السنة والجماعة"(١).

وقال في شـــأن المنافقين الذين قالوها كذباً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: الآيات: ٨ – ١٠].

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–، ومعاذ رديفه على الرحل–قال: "يا معاذ بن جبل" قال: لبيك يا رســـول الله وســـعديك. قال: "يا معاذ" قال لبيك يا رســـول الله وســـعديك ثلاثا.قال: (ما من أحد يشـــهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار). الحديث. (٢)

"فلا بد من الصدق المنافي للكذب، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: الآية: ١١]، فالصـــادق يعرف معنى هذه الكلمة، ويقبله، ويعمل بما تقتضيه، وما يلزم قائلها من واجبات الدين، فيصدق قلبه لسانه"(٣)

الشرط الخامس: المحبة:

"لهذه الكلمة ولما اقتضـته ودلت عليه ولأهلها والعاملين بها الملتزمين لشـروطها وبغض ما ناقض ذلك"(٤)

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِـــيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَـــبِيلِهِ فَتَرَبَّصُـــوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِـــقِينَ﴾ [التوبة: الآية:

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحها واللفظ له، كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا. انظر فتح الباري (١/ ٢٢٦) (ح: ١٢٨).

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٥٥).

(٤) معارج القبول (١/ ٣٨٣).

٢٣٤]، ففي الآية دليل على وجوب محبة الله ورسوله ولا خلاف في ذلك بين الأمة وأن ذلك مقدم على كل محبوب"(١)

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية: ١٦٥].

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** [المائدة: الآية: ٥٤].

وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار). (٢)

"فلا بد من المحبة المنافية لضدها، فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بمحبة ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك؛ فمن أحب الله أحب دينه، ومن لا فلا، كما قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾** [البقرة: الآية: ١٦٥]، فصارت محبتهم لله ولدينه خاصة، فأحبوا لله ولدينه، ووالوا لله ولدينه، فأحبوا من أحبه الله، وأبغضوا من أبغضه الله.

وفي الحديث: (وهل الدين إلا الحب والبغض) (٣)، ولهذا وجب أن يكون الرسول أحب إلى العبد من نفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين فإن شهادة ألا إله إلا الله تستلزم شهادة أن محمدا رسول الله، وتقتضي متابعته، كما قال تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [آل عمران: الآية: ٣١]"(٤)

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان. انظر: فتح الباري (١/ ٧٢) (ح: ٢١). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، واللفظ له. انظر: (١/ ٤٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٣٩٩) واللفظ له، والحاكم (٣١٤٨)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٨/ ٣٦٨)، بلفظه في آخر حديث طويل. والحديث فيه عبد الأعلى قال أبو زرعة: "منكر الحديث".

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٥٤).

الشرط السادس: الانقياد:

(الانقياد) لما دلت عليه المنافي لترك ذلك، أي الانقياد والاستسلام ظاهرا وباطنا لأوامر الله وما أنزله من الشرع على لسان نبيه-صلى الله عليه وسلم-.

والدليل على ذلك:

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: الآية: ٢٢]

ففي هذه الآية: "يقول تعالى مخبرا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه،ولهذا قال: ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾، أي في عمله: باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ أي فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه ﴿**وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾"(١)

وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٦].

والآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: الآية: ٦٥]"(٢)

ولا بد أيضا من الانقياد لحقوق لا إله إلا الله، بالعمل بما فرضه الله وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، وهو ينافي الشرك، فإن كثيرا ممن يدعي الدين يستخف بالأمر والنهي، ولا يبالي بذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٠).

والإســـلام حقيقته أن يســـلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْـلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِـنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: الآية: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: الآية: ٢٢]، وإحسان العمل لا بد فيه من الإخلاص، ومتابعة ما شرعه الله ورسوله"(١)

الشرط السابع: القبول:

أي قبول الشهادتين والالتزام بمقتضياتها ولوازمها.

والدليل على ذلك:

قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]،

وقال تعالى في شأن من لم يقبلها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: الآيات: ٣٥-٣٦].

وقد قص الله -عز وجل- علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامه ممن ردها وأباها، قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[الصافات: الآيات: ٢٢ – ٣٦].

فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٠٤-٢٠٥).

إِنَّ هَذَا لَشَــيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُــوا وَاصْــبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: الآيات: ٥-٧].

فكذبهم الله-عز وجل-ورد ذلك عليهم على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-فقال: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: الآية: ٣٧]

...

ثم قال في شـــأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِــينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الصافات: الآيات: ٤٠ – ٤٣].

وعن أبي موســى الأشــعري-رضــي الله عنه-، عن النبي-صــلى الله عليه وســلم-أنه قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصــاب أرضــا، فكان منها نقية(١)، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشــب الكثير، وكانت منها أجادب(٢)، أمســكت الماء فنفع الله بها الناس فشــربوا وســقوا وزرعوا، وأصــابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان(٣)، لا تمســـك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). (٤)

"فلا بـد لـه من القبول لـما دلـت عليـه، وذلـك ينـافي الرد، لأن كثيرا ممن يقولها ويعرف معناها، لا يقبلها، كحال مشــركي قريش، والعرب، وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه، لكن لم يقبلوا، فصارت دماؤهم، وأموالهم، حلالا لأهل التوحيد، فإنهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْــتَكْبِرُونَ﴾ [الصــافات: الآية: ٣٥]، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَــاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصــافات آية: ٣٦] . عرفوا أن لا إله إلا الله توجب ترك ما كانوا

(١) هي مستنقع الماء في الجبال والصخور. فتح الباري (١/ ١٧٦).
(٢) هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء. فتح الباري (١/ ١٧٦).
(٣) بكسر القاف جمع قاع وهو الأرض المستوية اللمساء التي لا تنبت. فتح الباري (١/ ١٧٧).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم: باب فضل من علم وعلم واللفظ له. انظر فتح الباري (١/ ١٧٥) (ح: ٧٩). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل: باب بيان مثل ما بعث النبي-صلى الله عليه وسلم-من الهدى والعلم. انظر: (٧/ ٦٣).

يعبدونه من دون الله"(١)

فهذه هي شـروط الشـهادتين يجب على المسـلم تحقيقها والإتيان بها على الوجه المطلوب حتى يكون من أهلها.

قال الشـيخ عبد الرحمن بن حســن-رحمه الله-"وسـرنا ما ذكرت من معرفتك جهل أكثر الناس بمعنى لا إله إلا الله، وإن تكلموا بها لفظا، فقد أنكروها معنى، فانتبه لأمور ســتة أو سبعة، لا يسلم العبد من الكفر والنفاق إلا باجتماعها، وباجتماعها والعمل بمقتضاها، يكون العبد مســلما؛ إذ لا بد من مطابقة القلب للســان، علما، وعملا، واعتقادا، وقبولا، ومحبة، وانقيادا.

فلا بد من العلم بها المنافي للجهل، ولا بد من الإخلاص المنافي للشـــرك؛ ولا بد من الصدق المنافي للكذب، بخلاف المشركين والمنافقين؛ ولا بد من اليقين المنافي للشك والريب؛ فقد يقولها وهو شـــاك في مدلولها ومقتضـــاها؛ ولا بد من المحبة المنافية للكراهة؛ ولا بد من القبول المنافي للرد، فقد يعرف معناها ولا يقبله، كحال مشركي العرب.

ولا بد أيضـا من الانقياد المنافي للشـرك، لترك مقتضـياتها، ولوازمها، وحقوقها، المصـححة للإسـلام والإيمان؛ فمن تحقق ما ذكرته، ووقع منه موقعا، صـرف الهمة إلى تعلم معنى: لا إله إلا الله؛ وصار على بصيرة من دينه، وفرقان، ونور، وهدى، واستقامة. وبالله التوفيق"(٢)

زاد الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ إلي هذه الشروط السبعة المتقدم ذكرها شرطًا ثامنًا، "وهو الكفر بما يعبد من دون الله"(٣) أي: الكفر بالطاغوت.

ونظمه بعض أهل العلم في قوله:

وزِيدَ ثَامِنُها الكُفْرَانُ مِنْكَ وبِمَا // سوى الإله مِنْ الأَنْدَادِ قَدْ أُلِهَا (٤)

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٢٥٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٣) قرة عيون الموحدين (ص: ٥٣).

(٤) انظر: الشهادتان وما يستلزم كل منهما لابن جبرين (ص: ١٠٣)، والبيت منسوب إلى سعد بن عتيق.

وهذا الشرط قد استحسنه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله-، وعبّر عنه بالبراءة. أي: البراءة من الشرك. [١]

وممن عده في الشروط أيضاً: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم النجدي-رحمه الله-، وعبّر عنه بشرط الكفر بما سوى الله تعالى. [٢]

"شروط (لا إله إلا الله) شروط صحة لا شروط كمال؛ لأن الإنسان لا يحصل منه الإيمان إلا بها كلها، مثل: القبول المنافي للرد واليقين المنافي للشك، فإذا حصل الرد أو حصل الشك أو حصل التكذيب فهذا يدل على عدم حصول الإيمان"[٣]

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٣/ ٤٩-٥٠).
(٢) حاشية الثلاثة الأصول (ص: ٥٢).
(٣) شرح سنن أبي داود للعباد (٥٥/ ٢٥).

المسألة الثامنة: مراتب الشهادة:

للشـــهادة مراتب يتدرج عليها الشـــاهد مرتبة بعد مرتبة حتى يتم له تحقيق الشـــهادة على الوجه المطلوب.

ومراتب الشهادة أربع هي: (١)

المرتبة الأولى: العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشـهود به وثبوته، فلا بد للشـاهد أن يعلم ويعرف معنى الشهادتين وإلا كان الشاهد شاهدا بما لا علم له به قال تعالى: ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: الآية: ٨٦].

المرتبة الثانية: تكلمه بالشـهادتين وإن لم يعلم بها غيره، بل يتكلم بها مع نفسـه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها.

والله ســـبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ [الزخرف: الآية: ١٩]، فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم.

المرتبة الثالثة: أن يعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له ومرتبة الإعلام والإخبار نوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل.

وهذا شـــأن كل معلم لغيره بأمر، تارة يعلمه به بالقول وتارة بفعل ومما يدل على أن الشـهادة تكون بالفعل قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ**﴾ [التوبة: الآية: ١٧]، فهذه شـهادة منهم على أنفسـهم بما يفعلونه. (٢)

المرتبة الرابعة: أن يلتزم بمضمونها ويأتمر به.

ومجرد الشـــهادة لا يســـتلزم هذه المرتبة، لكن الشـــهادة في هذا الموضـــع تدل عليه وتتضمنه، فإنه سبحانه وتعالى شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده كما قال

(١) انظر: كتاب الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان من (ص: ٣٨ إلى ص: ٤٠) بتصرف.

(٢) الكواشف الجلية (ص: ٣٩-٤٠) بتصرف.

تعالى: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا**﴾ [التوبة: الآية: ٣١].

والقرآن كله شاهد بذلك.

وقد شـــهد الله لنفســـه بالوحدانية فقال تعالى ﴿**شَـــهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـــطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: الآية: ١٨]، فشهادته سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع وهي: علمه بذلك، وتكلمه، وإخباره لخلقه، وإلزامهم وأمرهم به"(١)

(١) الكواشف الجلية (ص: ٤٠) بتصرف.

المسألة التاسعة: متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله؟

قول لا إله إلا الله لا بد أن يكون مصحوبا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولكن لما كان هناك نصـــوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس، فاقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على حديث عتبان. . الذي فيه: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله). (١) قال: اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث وحديث أنس قال: "كان النبي صـــلى الله عليه وســـلم ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ. قال: لبيك رسول الله وسعديك. قال: (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســـول الله إلا حرمه الله على النار) (٢)، ولمســـلم عن عبادة مرفوعا: (ومن شـــهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورســـوله حرمه الله على النار) (٣)، ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشـــهادتين دخل الجنة، وليس فيها أن يحرم على النار، منها حديث عبادة الذي تقدم قريبا وحديث أبي هريرة "أنهم كانوا مع النبي صـــلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك" (٤) الحديث وفيه: فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة). (٥) رواه مسلم. (٦)

قال: وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها–كما جاءت مقيدة–وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٠٦)، ومسلم رقم: (٣٣).
(٢) رواه البخاري (١/ ١٩٩)، ورواه مسلم في الإيمان.
(٣) صحيح مسلم (١/ ٢٢٨-٢٢٩) بشرح النووي.
(٤) سنن أبو داود البيوع (٣٣٥٧)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ١٧١).
(٥) صحيح مسلم الإيمان (٢٧)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٤٢١).
(٦) صحيح مسلم مع شرح النووي (١/ ٢٢٤).

لا إله إلا الله خالصـــا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصـــوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة. وتواترت بأن كثيرا ممن يقول: لا إله إلا الله، يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم النار أن تأكل أثر الســجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصــلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشــى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها يقولها تقليدا وعادة، لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث: (سمعت الناس يقولون شــيئا فقلته) (١)، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: الآية: ٢٢]، وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب أصلا، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإن هذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار"(٢)

وقال الشــيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كشــف الشــبهات: (٣) "ولهم مشــبهة أخرى، يقولون: إن النبي-صــلى الله عليه وســلم-أنكر على أســامة قتل من قال: لا إله إلا

(١) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) .
(٢) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد (ص: ٦٦-٦٧).
(٣) انظر مجموعة التوحيد (ص: ١٢٠-١٢١).

الله. وقال: (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله). (١)، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل، فيقال لهؤلاء الجهال معلوم أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

وقال–رحمه الله–: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله في ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [النساء: الآية: ٩٤]، أي (فتثبتوا) فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل؛ لقوله: فتبينوا ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك.

والدليل على هذا أن الرسول–صلى الله عليه وسلم–الذي قال: (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله) (٢)، وقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) (٣) هو الذي قال في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) (٤) مع كونهم من أكثر

(١) صحيح البخاري (٦٨٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩).
(٣) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

الناس تهليلًا حتى إن الصـحابة يحقرون أنفسـهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصـحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة.

وقال الحافظ ابن رجب على قوله-صـــلى الله عليه وســـلم-: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسـول الله). [١] قال: ففهم عمر وجماعة من الصـحابة أن من أتى بالشـهادتين امتنع من عقوبة الدنيا لمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة، وفهم الصديق أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وسلم: (فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دمائها إلا بحقها وحســـابهم على الله). [٢]، وقال: "الزكاة حق المال" [٣]، وهذا الذي فهمه الصـديق قد رواه عن النبي-صـلى الله عليه وسـلم-صـريحا غير واحد من الصـحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـــهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رســـول الله ويقيموا الصـــلاة ويؤتوا الزكاة) [٤]، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّـــلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَـــبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: الآية: ٥]، كما دل قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّـــلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: الآية: ١١]، على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشـــرك لا تحصـــل إلا بالتوحيد، فلما قرر أبو بكر هذا للصـــحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صـــوابا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة"[٥]

وقال أيضـا: "وقالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا إله إلا الله ســبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتضـــى لذلك، ولكن المقتضـــى لا يعمل عمله إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١).
(٥) كلمة الإخلاص لابن رجب (ص: ١٣-١٤).

باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر. ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امراته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة، لكن للا إله إلا الله شروط، فإياك وقذف المحصنات. وقيل للحسن: إن أناسا يقولون: من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك"(١) .(٢)

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب (ص: ٩-١١).

(٢) المصدر: بحث بعنوان حقيقة لا إله إلا الله، ضمن مجلة البحوث الإسلامية (١٣/ ١٢٣-١٢٧) .

المسألة العاشرة: بما يتحقق توحيد الله

أولًا: التعريف اللغوي لكلمة التوحيد عند أهل السنة.

١-**أصلها**: أصل هذه الكلمة من "وحد".

قال ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ): "(وحد) الواو، والحاء، والدال: أصـــل واحد يدل على الانفراد"(١)

٢-**تصــريفها**: التوحيد: مصــدر خماســي مشــتق من الفعل الثلاثي المزيد بتضــعيف عينه(وحد)، فالحاء هنا مشـــددة، فهو ثلاثي لكنه من حيث عد الأحرف أربعة أحرف، فيقال: وحد يوحد توحيدًا، والتوحيد مصدر تفعيل، فعل يفعل تفعيلا، مثل علم يعلم تعليما، خرج يخرج تخريجا، إذا التفعيل يكون مصدرا للفعل الماضي الثلاثي المضعف العين. (٢)

فهي على وزن تفعيل، ويعني: الحكم والعلم بأن الشيء واحد.

قال ابن منظور-رحمه الله-(ت: ٧١١ هـ): "التوحيد: مصـــدر من: وحد يوحد توحيدًا؛ إذا أفرده وجعله واحدًا"(٣)

وقـال أبـو القاسـم التيمـي-رحمه الله-(ت: ٥٣٥ هـ): "التوحيـد علـى وزن التفعيـل، وهـو مصـدر وحَّدتـه توحيـدًا... ، ومعنـى وحدتـه: جعلتـه منفـردا عمـا يشـاركه أو يشـبهه في ذاتـه وصفاتـه... فـالله تعالى واحـد، أَي: منفـرد عـن الأنـداد والأشـكال في جميع الأحـوال"(٤)

٣-**اشتقاقها**: التوحيد مشتق من وحد الشيء أي: جعل الشيء واحداً.

٤-**معناها**: مادة "وحد" في اللغة مدارها على انفراد الشـــيء، فإذا قلت: توحيد الله: فالمعنى إفراد الله.

المقصـــود من التفعيل: النســـبة كالتصـــديق لا للجعل، فمعنى وحدت الله: نســـبته إلى

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠).
(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي (٢/ ٨).
(٣) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٤٨).
(٤) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٣٢).

الوحدانية لا جعلته واحدًا. (١)

لأن وحدانيته: صفته، وليست بجعل جاعل، أما التوحيد فهو فعل المكلف، ولذلك جاء في القاموس: "التوحيد: إيمان بالله وحده"(٢)

وقال الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): "التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد"(٣)

ثانيًا: التعريف الشرعي للتوحيد عند أهل السنة.

فهو: إفراد الله -تعالى- بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات"(٤)

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-(ت: ١٧٠ هـ): "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية"(٥)

وقال ابن منظور-رحمه الله-(ت: ٧١١ هـ): "التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد: ذو الوحدانية والتوحد"(٦)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) عن توحيد الرسل إنه "يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات"(٧)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ): "التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن **التوحيد بالقول**

(١) انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٥٦-٥٧).
(٢) القاموس المحيط (ص: ٤١٤) مادة: (وحد).
(٣) التعريفات للجرجاني (ص: ٦٩).
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين (١/١١).
(٥) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٣/ ٢٨١).
(٦) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٤٥٠).
(٧) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/٢٢٤)، وانظر: الصفدية لابن تيمية (٢/ ٢٢٨).

والاعتقاد وبالإرادة والقصد"(١)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ): "والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول:

١-**التوحيد في العلم والقول** وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ.

٢-و**التوحيد في الإرادة والعمل** وهو عبادته وحده لا شريك له"(٢)

وقال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "توحيد الرسل: إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وعبادته وحده لا شريك له، فلا يجعل له ندًا في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر، بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته"(٣)

وقال محمد بن أحمد السفاريني-رحمه الله-(ت: ١١٨٨هـ): التوحيد: "إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفاتٍ وأفعالًا"(٤) والمعبود هو الله وحده.

وقال محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-(ت: ١٤٢١ هـ): "التوحيد: إفراد الله-سبحانه-بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات"(٥)

وقال صديق حسن خان-رحمه الله-: "التوحيد: إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له"(٦)

الأدلة من القرآن والسنة على التوحيد:

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ١٢٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٤٠-١٤١).

(٣) الروح لابن قيم الجوزية (ص: ٣٨٦)، وانظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية (٣/ ٩٣٣)، مدارج السالكين إلى منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية (٣/ ٤٥٩).

(٤) لوامع الأنوار (١/ ٥٧).

(٥)القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين (١/ ١١).

(٦)الدين الخالص لصديق حسن خان (١/ ٥٦)؛ وانظر: الأسئلة والأجوبة الأصولية للسلمان (ص: ٤١).

أولًا: الأدلة من القرآن:

القرآن كله دعوة للتوحيد ويوضـح ذلك قول ابن القيم-رحمه الله-(٧٥١هـ): "كل سـورة في القرآن هي متضـمنة للتوحيد، بل نقول قولاً كليا: إن كل آية في القرآن فهي متضـمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن:

١-إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

٢-وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شـريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

٣-وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

٤-وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

٥-وإما خبر عن أهل الشـرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم توحيده.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"(١)

والآيات الدالة على التوحيد في القرآن كثيرة ومنها:

ما جاء في إثبات الألوهية:

قال-تعالى-: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٣٣]

وقال-تعالى-: ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المائدة: الآية: ٧٣]

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٩-٤٥٠).

وقال-تعالى-: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: الآية: ٥١].

قال محمد بن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ): "إلها واحدا أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا"[(١)]

قال سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي-رحمه الله-(ت ٧١٦ هـ): "قال-تعالى-: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: الآية: ٥١]، هذا نهي عن الشرك، وإثبات للتوحيد يتضمن الأمر به"[(٢)]

ومنها ما جاء في إثبات الأسماء والصفات لله -تعالى-:

قال -تعالى-: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: الآية: ١٦٣]

وقوله-تعالى-: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٤].

ومنها ما جاء في إثبات الربوبية:

قال-تعالى-: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: الآية: ١٦].

وقال-تعالى-: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات: الآيات: ٤-٥].

ثانيًا: الأدلة من السنة:

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١/٥٦٢).

(٢) الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية للطوفي (ص: ٣٨٠).

قوله-صـلى الله عليه وسـلم-لمعاذ (ت: ١٨ هـ)، لما بعثه إلى اليمن: (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله-تعالى-). [١]

ولفظ مصنف عبد الرزاق: (إنك ستأتي على ناس من أهل الكتاب فادعهم إلى التوحيد). [٢]

عن ابن عمر-رضـي الله عنهما-(ت: ٧٣ هـ) عن النبي-صـلى الله عليه وسـلم-: (بني الإسلام على خمسة على أن يوحدوا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج). [٣]

وعنه -صـلى الله عليه وسـلم-أنه قال: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله). [٤]

وفي رواية: (من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله..). [٥]

عن أبي أمامة-رضي الله عنه-، قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت رجلًا بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسـول الله-صـلى الله عليه وسـلم-، مسـتخفيًا جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: (أنا نبي). فقلت: وما نبي؟ قال: (أرسـلني الله). فقلت: وبأي شـيء أرسـلك؟ قال: (أرسـلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء). الحديث...[٦]

ثالثًا: من أقوال السلف.

قول جابر-رضي الله عنه- (ت: ٧٨ هـ): عند قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٤/ ٣٧٨)، (ح: ٧٣٧٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق، باب دعاء العدو (٥/ ٢١٥) (ح: ٩٤٢٠).

(٣) رواه مسلم (١/ ٣٤) (ح: ١٢٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَـبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: الآية: ٥] (٢٤/١)، (ح: ٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. (١/ ٥٣)، (ح: ٣٧).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. (٥٣/١)، (ح: ٣٨).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ٢٠٨) (ح: ١٩٦٧).

في حديث صفة حج النبي–صلى الله عليه وسلم–، حيث قال: "فأهل بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"[(١)]

قول ابن عباس–رضـي الله عنهما–(ت: ٦٨هـ) في معنى قوله –تعالى–: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢١] قال "وحدوا"[(٢)]

وقال–رضـي الله عنه–: "كل عبادة في القرآن فهو التوحيد"[(٣)] وفسـر–رضـي الله عنه– قولـه–تعـالى–: ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: الآية: ٣٩] بقوله: "يخلص لـه التوحيد"[(٤)] فالدين عنده هو التوحيد.

قول عطـاء بن أبي رباح–رحمـه الله–(ت: ١١٤هـ) في قولـه–تعـالى–: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ**﴾ [المائدة: ٥] قال: "الإيمان التوحيد"[(٥)]

ثالثًا: أقسام التوحيد عند أهل السنة.

الأمر الأول: هل تقسيم التوحيد استقرائي أم اصطلاحي.

أولًا: تعريف التقسيم لغة.

أصل الكلمة مأخوذ من قولهم: قَسَمَ الشيء يقسمه قسماً فانقسم، ومعناه إفراز النصيب.

والتقسيم هو مصدر قَسَّمه تقسيما وهي القِسْمة، أي جزاه وفرقه تفريقاً، يقال قسم فلان المال أي فرقه قسما ههنا وقسما ههنا.

والقسم النصيب والحظ، والجمع أقسام وهو القسيم وحقيقته: أنه جزء يقبل التقسيم، يقال: هذا ينقسم قسمين بالكسر إذا أريد به الجزء من الشيء المقسوم، والقسيم هو شطر الشيء.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي–صلى الله عليه وسلم–(٢/ ٨٨٦–٨٨٧)، (ح: ١٢١٨).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (١/٨٥)، وانظر: حقيقة التوحيد للدكتور العلياني (ص: ٥٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/١٩٣)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٤)، (٤/ ٧٥)، البحر الرايق لابن نجيم (١/ ٢٩١).

(٤) زاد المسير (١/ ٢٠٠)، وانظر: جامع البيان (٩/ ٢٤٩).

(٥) جامع البيان للطبري (٦/ ١٠٩).

فالتقسيم معناه في اللغة

من المقسوم فهو قسم له هو عملية الفرز والتفريق بين الأجزاء لشيء معين، وكل جزء من المقسوم فهو قسم له. (١)

وأما اصطلاحا: "فالتقسيم: هو أن يتتبع المستقري جزئيات فيتوصل إلى أنها لا تدخل تحت نوع واحد، ولكنها أقسام تحت أمر كلي، بشرط أن يستقصي الأنواع حتى يعلم أنه لم يبق قسم في الخارج غير ما ذكر"(٢)

وأما الاستقراء فهو أحد أنواع الاستدلال، وللاستدلال أنواع كثيرة عند الأصوليين منها:

الاستقراء: وهو: استدلال على الكلي بالجزئي.

القياس: وهو: استدلال على الجزئي بالكلي.

والتمثيل: وهو: استدلال على الجزئي بالجزئي.

التمثيل أو قياس: وهو: استدلال على الكلي بالكلي.

الاستقراء لغة: "مأخوذ من الفعل الثلاثي "قرأ"، الذي من معانيه الجمع والضم.

قال ابن منظور: "قرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض"(٣)

واصطلاحًا: قال الغزالي: الاستقراء "أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كل، حتى إذا وجدت حكما في تلك الجزئيات، حكم على ذلك الكلي به"(٤)

من الجوانب التي يظهر فيها الاستقراء علم العقيدة، والقواعد الكلية المتعلقة به، ذلك أن كل علم توجد فيه قواعد كلية تحكم جزئياته، وحيث تكون القواعد الكلية يكون الاستقراء موجوداً، ولـذا كانت قواعد علم العقيدة منها ما بني على الاستقراء؛ إلا أن الاستقراء هنا

---

(١) انظر الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠١٠)، والمفردات للأصفهاني (ص: ٦٧٠)، وتاج العروس للزبيدي (٩/ ٢٥)، ولسان العرب (١١/ ١٦٢-١٦٤).

(٢) أدب البحث والمناظرة (٢/ ١٠-١١).

(٣) لسان العرب (١/ ١٢٨).

(٤) معيار العلم (ص: ١٤٨).

مقصور-في الغالب-على استقراء النصوص الشرعية: دلالاتها ومعانيها واستعمالاتها"(١)

وتقسيمات التوحيد استقرائية وليست اصطلاحية، وذلك باعتبار أنها ترجع إلى النصوص فهي مصـــدرها، فتقســيم العلماء للتوحيد ناتج من اســتقراء الآيات والأحاديث الواردة في التوحيد؛ لأن المصدر في تلقي العقيدة هو القرآن والسنة، وبهذا يعلم أنها من الحقائق الشرعية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-وليست أمرًا اصطلاحيًا أنشأه بعض العلماء.

فالفرق بين النوعين:

أن التقسيم الشرعي هو التقسيم الذي تنبني الأحكام عليه بمجرد التقسيم، وهذا النوع من التقسيم يحتاج إلى دليل؛ لأن الحكم لا يكون إلا بدليل.

ومثاله: تقسيم الكفر إلى نوعين أكبر وأصغر، فالأول مخرج من الملة دون الثاني.

والاستقراء نوع من أنواع الأدلة اليقينية في منهج البحث والتحري.

وأما التقسيم الاصطلاحي: فهو تقسيم المتشابهات إلى أقسام بوصفٍ جامع بينها دون بناء الأحكام عليها بمجرد التقسيم، فهذا لا يحتاج إلى دليل؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح.

فالاصطلاح فمعناه كما عرفه الجرجاني بعدة تعريفات بقوله:

"الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول.

الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر؛ لبيان المراد.

وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين"(٢)

وقال الزبيدي: "والاصـــطلاح: اتفاق طائفة مخصـــوصـــة على أمر مخصـــوص؛ قاله

(١) المصدر: بحث بعنوان "الاستقراء ومجالاته في العلوم الشرعية" للباحث محمد أيمن الزهر، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية-المجلد ٢٩-العدد الأول-٢٠١٣م. (ص: ٤٧٧)

(٢) التعريفات للجرجاني (ص: ٢٨).

الخفاجي "(١)

وهذه المناسبة لا تكون دائما في المصطلحات لذا يقال "لا مشاحة في الاصطلاح" إذا كانت لا توجد مناسبة بين الكلمة والمصطلح، قال ابن القيم-رحمه الله: "والاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة "(٢)

وبهذه التعريفات التي أوردها الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ) والزبيدي وغيرهما يتبين أن مقولة إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية لا تنطبق على تقسيمات التوحيد فهي استقرائية كما صرح بذلك بعض أهل العلم.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ): "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيته.

الثاني: توحيده جل وعلا في عبوديته.

النوع الثالث: توحيده-جل وعلا-في أسمائه وصفاته"(٣)

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ): "اعلم أن التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام، وأن هذه القسمة استقرائية؛ والاستقراء: هو تتبع النصوص؛ كما أن النحو علم بالاستقراء بتتبع لغة العرب؛ إما اسم، أو فعل، أو حرف، فكذلك علمنا أقسام التوحيد من تتبع القرآن؛ فالله-تعالى-قسم التوحيد ثلاثة أقسام في سورة الفاتحة؛ فقال ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٢]، والله هو المعبود بحق، ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٢]، والرب هو الذي يربي الأشياء، وهذا توحيد الربوبية. ثم قال: ﴿**الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: الآيات: ٣-٤]، وهذا توحيد الأسماء والصفات. وقوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية أن تكون جميع

(١) تاج العروس (٦/ ٥٥١).
(٢) مدارج السالكين (٣ / ٣٠٦).
(٣) أضواء البيان (٣/ ٤١٠-٤١١) وانظر: المعين والزاد (ص: ٦٤-٦٥).

أعمالك خالصة لله؛ من صلاة وصيام وزكاة ونذر وخوف ورجاء وغير ذلك مما لا يجوز صرفه إلا لله"(١)

قال عبد العزيز بن باز-رحمه الله-(ت: ١٤٢٠ هـ): "هذا التقسيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء"(٢)

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-(ت: ١٤٢١ هـ): "وعلموا [أي العلماء الذين قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام] ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والحديث، فوجدوا زن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوهوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع"(٣)

وقال الشيخ بكر أبو زيد-رحمه الله-(ت: ١٤٢٩ هـ): "هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ)، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء"(٤)

وقال الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد: "وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة"(٥)

وهناك من يقول إن تقسيمات التوحيد اصطلاحية كما ذكر ذلك كل من:

الدكتور صلاح الصاوي حيث قال: "التقسيم المعهود للتوحيد، إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإن هذا التقسيم اصطلاحي، والهدف منه

(١) كتاب جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف (١/ ٩٥).
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ٢١٥).
(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٧-١٨).
(٤)التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص: ٣٠).
(٥) مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني (ص: ١٠).

تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلح أهل العلم على أسماء اصطلاحية للعلوم؛ كعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وعلم النحو والصرف، وعلم البلاغة ونحوه... " إلى أن قال: "وعلى هذا لا مشاحة في الاصطلاح، وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إن هذا التقسيم ابتداء على هذا النحو لم يرد به-فيما نعلم-آية محكمة أو سنة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني"(١)

وقال الشيخ محمد إسماعيل المقدم: "وهذا التقسيم ما جاء به النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولم يستعمل هذه الاصطلاحات: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات" إلى أن قال: "والنبي-صلى الله عليه وسلم-قد أتى بمضمون هذه الأقسام الثلاثة، ولا مشاحة في الاصطلاح، فلا نختلف في الاصطلاح، لكن المهم ما وراء هذا الاصطلاح"(٢)

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق-رحمه الله-(ت: ١٤٤٢ هـ): "وتقسيم معاني توحيده إلى اثنين علمي خبري، وقصدي طلبي؛ أو ثلاثة ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، إنما هو عمل تعليمي إرشادي اصطلاحي لم يأت هذا التقسيم بهذه القسمة الثنائية أو الثلاثية في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة والتابعين، وإنما هذا التقسيم مستفاد من معاني أسمائه وصفاته وتوحيده سبحانه وتعالى"(٣)

وقال الدكتور ناصر العقل: "فتقسيم التوحيد تقسيم اصطلاحي علمي فني، وهو نتيجة لاستقراء نصوص التوحيد"(٤)

قال الدكتور عبد الرحيم السلمي: "وهذا التقسيم وإن لم يرد في الكتاب والسنة بألفاظه إلا أن معناه صحيح وحق لا شك فيه.

(١) كتاب الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر (ص: ١٥١).

(٢) دروس الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم (٦٠/ ١٣).

(٣) انظر: (كتاب أقسام التوحيد الاصطلاح والمضمون) وانظر مقال بعنوان: (أقسام التوحيد) منشور بموقع طريق الإسلام.

(٤) كتاب شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٩).

لأن الاصطلاح هو استخدام ألفاظ معينة، وترتيب أقسام معينة المعاني معينة، فإن كانت هذه المعاني صحيحة فالتقسيم والاصطلاح صحيح، وإن كانت المعاني باطلة فالتقسيم والاصطلاح باطل. فالاصطلاحات ليست كلها حقا، وليست كلها باطة، بل هي بحسب المعاني الداخلة ضمن دلالة اللفظ الاصطلاحي.

ولهذا لم يختلف أهل العلم في أن مصطلحات النحو والصرف وأصول الفقه -في الجملة- ونحوها صحيحة لصحة المعاني الدالة عليها، ولم يعترض أحد من العلماء على هذه الاصطلاحات بأنها لم ترد في الكتاب والسنة.

وهذا المعنى مجمع عليه، لا أعلم فيه خلافا عند من عرف العلم، بينما اعترض علماء أهل السنة على مصطلحات أهل الكلام وتقسيماتهم إما لدلالتها على معنى باطل أو لإجمالها وغموضها وذلك الاحتمال دخول المعنى الباطل في هذا الإجمال"(١)

ولكنه ذكر بعد ذلك أن هذا التقسيم استقرائي فقال: "يتلخص مما تقدم أن تقسيم التوحيد موجود في القرآن والسنة، وقد دل التبغ والاستقراء على أن التوحيد له ثلاثة أقسام باعتبار وقسمين باعتبار آخر.

وهذا الاستقراء الاستقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى (اسم، وفعل، وحرف) والعرب لم ته بهذا ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء. (٢)

وهذا يشير إلى عدم تفريقه بين الاستقراء والاصطلاح.

الأمر الثاني: تقسيمات التوحيد عند أهل السنة.

تنوعت عبارات علماء أهل السنة في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعل السبب في ذلك هو أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص ولم يُنص عليها باللفظ مباشرة.

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين (ص: ٨٩).

(٢) وعزا هذا النقل إلى التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير (ص ٣٠) حاشية (٢).

١-تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

فمن العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، هي: (١)

ا-توحيد الربوبية: وهو إفراد الله بأفعاله كالخلق والرزق.

٢-توحيد الأسماء والصفات: وقد تقدم ذكر تعريفه.

٣-توحيد الألوهية: وهو إفراد الله بأفعال العباد التعبدية؟ كالصلاة والصوم والدعاء.

قال الإمام **أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري-رحمه الله-**(ت: ٣٨٧ هـ): "وذلك أن أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدهما: أن يعتقد العبد ربانيته(٢)؛ ليكون مبايناً بذلك لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشـــرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقده موصــوفاً بالصــفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصــوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وســائر ما وصــف به نفســه في كتابه؛ إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقربه ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته؛ فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده"(٣)

قال **أبو جعفر الطحاوي-رحمه الله-(ت: ٣٢١ هـ)**: "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"(٤)

وقال الإمام الحافظ **أبي عبد الله محمد بن إســـحاق بن يحيى بن منده-رحمه الله-(ت: ٣٩٥ هـ)**، حيث فصـل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقســام الثلاثة للتوحيد

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص: ٣٠)، وشرح الطحاوية (ص: ٧٦)، ولوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١٢٨)، وتيسير العزيز الحميد (ص: ١٧-١٩).

(٢) أي: إثبات وجود الرب تبارك وتعالى.

(٣) الإبانة الكبرى [الرد على الجهمية] (٢/ ١٧٢-١٧٣).

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي (ص: ٧٧).

فمن تبوبياته:

١. ذكر ما وصف الله عز وجل به نفسه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢.ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣.ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسنة التي تسمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر-وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

"قسم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسام حيث جعل أسماء الله الحسنى قسما مستقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات"[(١)] [(٢)]

قال الإمام **أبي عمرو عثمان الداني (ت: ٤٤٤ هـ)**: "والإيمان بالله-تعالى-: يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته،...والتوحيد له: هو الإقرار بأنه ثابتٌ موجود، وواحدٌ معبود"[(٣)]

قال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: "والكلام في التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله خالق كل شيء.

(١) التوحيد ابن مندة (١/ ٣٣) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

(٢) انظر في ذلك: (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد)، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

(٣) الرسالة الوافية، لأبي عمرو الداني (ص: ١٢٠).

والثالث: توحيد الإلهية؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له"(١)

قال **ابن القيم**–**رحمه الله**–**(ت: ٧٥١ هـ)**: "فصـل في اشـتمال هذه السـورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي اتفقت عليها الرسل–صلوات الله وسلامه عليهم–.

التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصـدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع.

فأما توحيد العلم: فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص، وقد دل على هذا شيئان: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فإثبات الحمد له سبحانه، وأما المفصـل: فذكر صـفة الإلهية والربوبية، والرحمة والملك، وعلى هذه الأربع مدار الأسماء والصفات"(٢)

قال **ابن أبي العز (ت: ٧٩٢هـ)**: "فإن التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثالث: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له"(٣)

قال **سـليمان بن عبد الله آل الشـيخ (ت: ١٢٣٣هـ)**: "وسمي دين الإسـلام توحيدا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شـريك له، وواحد في ذاته وصـفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسـم توحيد الأنبياء، والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب"(٤)

---

(١) شرح العقيدة الأصبهانية (ص: ١٠٧). تحقيق: محمد بن عودة السعوي، ط: مكتبة دار المنهاج. الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧–٣٨).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٧٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٧).

وقال **الشـيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي-رحمه الله-(ت: ١٤٠٧هـ)**: "واعلم أنه يجب على كل مســـلم أن يوحد الله في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصـــفاته فهذه أنواع التوحيد الثلاثة من أخل بها أو بشيء منها فهو كافر.

أما توحيد الربوبية: فهو أن يوحد الله تعالى بأفعاله بأن تعتقد أنه الموجد الممد فهو الذي يخلق وهو الـذي يرزق وهو الـذي يحيي ويميـت ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويـذل ويتصرف في الخلق ويحفظ على كل مخلوق وجوده.

وأما توحيد العبادة ويســـمى أيضـــا توحيد الإلهية: فهو أن توحد الله بأفعالك فلا تتوجه بقلبك ولســـانك إلى غيره بدعائك واســـتغاثتك واســـتعادتك واســـتمدادك واســـتشـــفائك واستعانتك وغير ذلك من حاجاتك التي لا يقدر عليها إلا الله.

وأما توحيد الأسماء والصفات: فهو ألا تسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في حديثه، وكل اسم سميت الله به لا تسم به أحدا من خلقه، وكل صفة وصفت الله بها لا تصف بها أحدا من خلقه"(١)

وقال الشـــيخ **أحمد بن حجر آل أبو طامي-رحمه الله-(ت: ١٤٣٢هـ)**: "ينقســـم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات"(٢)

وقال الشـيخ حماد بن محمد الأنصـاري (ت: ١٤١٨هـ): "التوحيد قد بينه الله في أول سورة الفاتحة، فبدأ بتوحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وذكر توحيد الأسماء والصفات، وقد تقدم التفصيل فيه.

وذكر توحيد الألوهية، وأنه توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة والزكاة وهلم جرا"(٣)

---

(١) كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية (١/ ٥٢-٥٣).

(٢) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (١/ ٢٤).

(٣) تفسير سورة الفاتحة بيان ما تضمنته من أنواع التوحيد (ص: ٥٨-٥٩).

وقال الشـيخ **حماد بن محمد الأنصـاري-رحمه الله-(ت: ١٤١٨هـ)**: "وأما كونها-أي سـورة الفاتحة-اشـتملت على التوحيد: فإنك حينما تقرأ هذه السـورة أول ما يواجهك فيها التوحيد ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: الآية:]، هذا توحيد الربوبية الذي يسـميه علماء التوحيد الصـحيح: بتوحيد السيادة، وبتوحيد الخلق، وبتوحيد الملك، وبتوحيد الإحياء والإماتة، وهلم جرا.

وهذا النوع من التوحيد هو: توحيد الله بأفعاله، فنوحده بأنه: الخالق، السـيد، المالك، المحيي المميت، النافع الضـار، وغير ذلك من أسمائه التسـعة والتسـعين اسمًا، نوحده بتلك الأسماء.

وأما النوع الثاني: وهو توحيد الأسماء والصـفات: الذي ثنى الله-عز وجل-به في هذه السـورة في قوله: ﴿**الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾... .ذكر الله-عز وجل-هنا ثلاثة أسماء من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا التي من أحصاها دخل الجنة، والتي سردها الترمذي في جامعه.

ذكر منها ثلاثة أسماء: الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

ذكرها مثالًا لتوحيد الأسماء والصـفات...وتوحيد الألوهية وهو النوع الثالث من أنواع التوحيد الذي نص الله-عز وجل-في هذه الكلمة ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]: هو الغاية والمقصد الأعظم.. وهو معنى: لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله"(١)

٢- تقسيم التوحيد إلى أربعة أقسام

ومن المتأخرين من زاد قسمًا رابعًا على الأقسام الثلاثة السابقة وسماه:

٤-توحيد الاتباع أو توحيد الحاكمية (أي التحاكم إلى الكتاب والسـنة)، ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أن هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية، لأن العبادة لا تقبل شرعًا إلا بشرطين هما:

---

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد (ص: ٢٥-٣٩).

١-الإخلاص.

٢-الاتباع.

كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: الآية: ١١٠].

قال الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت: ١٣٨٩هـ)**: "الهام هو النظر في الأصول العظام التي الإخلال بها هادم للدين من أساس، وذلك مسائل:

ب. توحيد الله تعالى بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات: إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل.

ج. وكذلك توحيد الألوهية،

د. وتوحيد الربوبية.

هـ. وكذا توحيد الاتباع، والحكم بين الناس عند النزاع: بأن لا يحاكم إلا إلى الكتاب والسنة، ولا يحكم إلا بهما"(١)

وقد ألف الشـــيخ **تقي الدين الهلالي-رحمه الله-(ت: ١٤٠٧هـ)**: مؤلفاً على هذا التقسيم وهو (سبيل الرشاد)، وقال عنه: "خطر ببالي منذ مدة أن أؤلف كتاباً لنفسي ولمن شـــاء الله بعدي، أشـــرح فيه أنواع التوحيد الأربعة، التي أولها توحيد الربوبية، وثانيها توحيد العبادة، وثالثها توحيد الاتباع، (٢) ورابعها توحيد الأسماء والصفات".

---

(١) كتاب فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤/ ١٥٦).

(٢) علق الباحث عبد الرحمن بن محمد عميسان في رسالته (جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين) (ص: ١٠٠) فقال: "بيَّن الشيخ-رحمه الله- قصده في تقسيمه التوحيد إلى أربعة، وجعله القسم الرابع: توحيد الاتباع، وهو في الحقيقة داخلٌ في توحيد الألوهية؛ وذلك لكون توحيد الألوهية هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ومعنى لا إله إلا الله لا معبود بحقٍ إلا الله، ومعنى محمد رسول الله أي لا متبوع بحق إلا رسول الله، وهذا معنى الاتباع، وقول الشيخ-رحمه الله-إن سبب هذا التقسيم هو كثرة خلاف المقلدين، أقول: لو فتح هذا الباب لما أغلق؛ لكون الخلاف وجد في أشياء كثيرة فهذا سيقول توحيد المشـــيئة؛راداً على القدرية، وهذا ســـيقول توحيد التوكل؛ ليرد على الصـــوفية، ويأتي آخر بتوحيد الحاكمية ليكفروا بذلك =

علَّق الشيخ على كلامه السابق مبيناً سبب تقسيمه التوحيد إلى أربعة أقسام فقال: "أنواع التوحيد في الحقيقة ثلاثة لأن الثالث الاتباع داخل في الثاني، ولكنني جعلته قسـماً لكثرة خلاف المقلدين لما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم"(١)

وقال أيضاً في بيان الواجب على المسلمين تجاه أقسام التوحيد قائلاً: "فاتباع توحيد الله تعالى بأنواعه الأربعة فرض على كل مسلم، والإعراض عن المشـركين بمخالفتهم والبراءة منهم واجب حتم"(٢)

وعرَّف الشيخ بالإجمال والاختصار هذه الأنواع الأربعة بقوله: "فتوحيد الربوبية: أن تعلم وتعتقد بأن الذي أوجدك من العدم، وأفاض عليك النعم، وحفظ عليك وجودك، وأمدك بكل ما تحتاج إليه، وبيده حياتك، وموتك، وضـرك، ونفعك، وفلاحك، وإخفاقك، هو الله رب العالمين لا شريك له لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الصالحين.

وتوحيد الألوهية: ويسمى أيضاً توحيد العبادة، وهو القسم الثاني: ألا تدعو لجلب خير، أو دفع شـر إلا الله، ولا تستغيث في الشـدائد إلا بالله، ولا تذبح بقصـد التعظيم إلا لله...

ثم قال: النوع الثالث: من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات، وهو أن تصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم...

النوع الرابع: توحيد الاتباع.. "(٣)

وقال الشـيخ **حماد بن محمد الأنصـاري (ت: ١٤١٨هـ)**: "وقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٥]، دل على توحيدين:

المسلمين، مع أن الشيخ الهلالي قد نص أن جعل الحكم لله داخلٌ في توحيد الألوهية فقال: "اعلم أن دين الرسل واحد في أصوله وهي أربعة: -الأول:- توحيد الله في ربوبيته وعبادته-أي: الألوهية- وأسمائه وصفاته، ومن توحيده في عبادته جعل الحكم له-ثم ساق الثاني والثالث والرابع فيما تتفق عليه الرُسل-"[سبيل الرشاد(٤/ ٦٠)].

(١) سبيل الرشاد (١/ ١٩). (١/ ٦٧)

(٢) سبيل الرشاد (١/ ١٩١).

(٣) السراج المنير (ص: ٩١-٩٢).

التوحيد الأول: توحيد الألوهية.

التوحيد الثاني: توحيد المتابعة.

ومعنى توحيد الألوهية: توحيد العبادة لله عز وجل بجميع أنواعها...

ومعنى توحيد المتابعة: إفراد هذا النبي الكريم-عليه أفضـل الصـلاة وأتم التسـليم-بالمتابعة دون غيره من المخلوقات..

وكثير من المؤلفين والمصـنفين، وكثير من طلبة العلم يقتصـرون على أنواع التوحيد الثلاثة (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصـفات)، وليس معنى ذلك أنه لم يكن هناك توحيد رابع، كما ظن بعض الناس، بل التوحيد أربع أقسـام، سـواء ذكرنا الرابع أم لم نذكره، فهو موجود ضمنًا.

فالرابع هو توحيد المتابعة، أي توحيد النبي-صـلى الله عليه وسـلم-بالمتابعة دون غيره من المخلوقات، لأنه لم يرسل إلينا غيره.

والدليل على هذا التوحيد آيات كثيرة تقدم ذكر بعضـها، ويكفي دليلًا عليه كلمة شـهادة الإخلاص، وشهادة الإخلاص ذات شقين:

الشق الأول: لا إله إلا الله.

والشق الثاني: محمد رسول الله.

فالشق الأول: توحيد الألوهية، أي العبادة.

والشـق الثاني: توحيد المتابعة، أي إفراد النبي-صـلى الله عليه وسـلم-دون غيره من المخلوقات بالمتابعة، كما قال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾"(١)

✓ **قال الشـيخ عبد العزيز بن باز (ت: ١٤٢٠ هـ)**: "هذا التقسـيم مأخوذ من الاستقراء والتأمل، لأن العلماء لما استقرأوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله صـلى الله عليه وسـلم ظهر لهم هذا، وزاد بعضـهم نوعا رابعا هو توحيد المتابعة، وهذا كله

(١) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد (ص: ٤٣-٤٤).

بالاستقراء"[١]

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلم المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وذلك بالنظر إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته عز وجل، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله.

وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيد، وتقسيمه إلى قسمين راجع إلى اعتبار ما يجب على الموحد.

٣- تقسيم العلماء التوحيد إلى قسمين:

فمن العلماء من يقول: التوحيد قسمان: [٢]

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات:

ويريد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بتوحيد المعرفة، لأن معرفة الله-عز وجل-إنما تكون بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب:

ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد والطلب لأن العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحه بالعبادة لله وحده رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين هما:[٣]

القسم الأول: التوحيد العلمي الخبري:

والمقصود به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وسمي بالتوحيد العلمي: لأنه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي "العلم بالله".

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (٦/ ٢١٥).

(٢) ممن ذكر ابن القيم في كتابه مدارج السالكين (٣/٤٤٩).

(٣) ممن ذكر ذلك ابن القيم في كتابه مدارج السالكين (٣/٤٥٠)، وابن تيمية في الصفدية (٢/ ٢٢٨)

والخبري: لأنه يتوقف على الخبر أي: "الكتاب والسنة".

القسم الثاني: التوحيد الإرادي الطلبي:

والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي، لأن العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله ويقصده عز وجل بذلك.

قال **ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)**: "التوحيد الذي بعث الله به رسله هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وذلك يتضمن التوحيد بالقول والاعتقاد وبالإرادة والقصد"(١)

✓ وقال **ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)**: "والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليسله فيها شبيه ولاكفؤ والتوحيد في الإرادة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له"(٢)

✓ وقال **ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)**: "وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه: فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح.

كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة " تنزيل " السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٤/ ١٢٣).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ١٤٠-١٤١).

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١] وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَــوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية: ٦٤]، -الآية وأول سـورة "تنزيل الكتاب" وآخرها، وأول سـورة يونس ووسـطها وآخرها، وأول سـورة الأعراف وآخرها، وجملة سـورة الأنعام وغالب سـور القرآن، بل كل سـورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد.

بل نقول قولا كليًا: إن كل آية في القرآن فهي متضـمنة للتوحيد، شـاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شـريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشـرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد"(١)

وقال **ابن القيم**-رحمه الله-(ت: **٧٥١ هـ**): "فالأول: تسليم منازعات الأسباب لتجريد التوحيد العملي القصـدي الإرادي. وهذا تجريد منازعات الأوهام المخالفة للخبر لتجريد التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي. وهذا حقيقة التسليم"(٢)

وقال الشيخ **حافظ بن أحمد حكمي**-رحمه الله-(ت: **١٣٧٧هـ**): "التوحيد نوعان:

الأول: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، المتضـمن إثبات صـفات الكمال لله عز وجل، وتنزيهه عن التشـبيه والتمثيل وتنزيهه عن صـفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصـدي الإرادي، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شـريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه، والتوكل عليه والرضـا به ربا وإلها ووليا، وأن لا

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٧-٤١٨).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٤٨).

يجعل له عدلا في شيء من الأشياء، وهو توحيد الإلهية"(١)

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول: (٢)

القسم الأول: التوحيد القولي:

والمراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصـــفات، وسمي بالقولي لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشـــكل الجانب العلمي من التوحيد، وأما هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي العلمي.

القسم الثاني: التوحيد العملي:

والمراد به توحيد الألوهية، وسمي بالعملي، لأنه يشـمل كلاًّ من عمل القلب وعمل اللسـان وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي.

قال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "فأما ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون: الآية: ١]، فهي متضـــمنة للتوحيد العملي الإرادي وهو إخلاص الدين لله بالقصـــد والإرادة وهو الذي يتكلم به مشايخ التصوف غالبا.

وأما ســورة ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، أحد فمتضـــمنة للتوحيد القولي العلمي"(٣)

قال **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨هـ)**: "فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صـــفات الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضـــاد هذه الحال ولا بد له في أحكامهم أن يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضـــمن كمال قدرته وعموم مشـــيئته ويثبت أمره المتضـــمن بيان ما يحبه ويرضـــاه: من القول والعمل، ويؤمن بشـرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل وهذا يتضـمن (التوحيد في عبادته وحده لا شريك له): وهو التوحيد في القصد والإرادة

(١) معارج القبول (١/ ٥٤).

(٢) ممن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٧)، (١٩/ ١٧١)

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٥٤).

والعمل.

والأول يتضمن (التوحيد في العلم والقول) كما دل على ذلك سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

ودل على الآخر ســـورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١] وهما ســـورتا الإخلاص وبهما كان النبي-صـــلى الله عليه وســـلم-يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك.

فأما الأول وهو-التوحيد في الصفات-فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفســه وبما وصــفته به رســله: نفيا وإثباتا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفســه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه"(١)

وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "التوحيد الذي بعث الله به رســـوله قولا وعملا

فالتوحيد القولي مثل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١].

والتوحيد العملي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية: ١]"(٢)

وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "وكان النبي-صــلى الله عليه وســلم-يقرأ في ركعتي الفجر تارة (ســورة الإخلاص) و (قل يا أيها الكافرون) ففي ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكـافرون: الآيـة: ١] عبـادة الله وحـده وهو دين الإســـلام؛ وفي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الإيمان هذا هو التوحيد القولي، وذلك هو التوحيد العملي"(٣)

وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية:

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٣٦٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٧١).

١] اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما"(١)

قال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "وقد بسط الكلام في التوحيد وأنه نوعان:

علمي قولي.

وعملي قصدي.

فقل يا أيها الكافرون اشـتملت على التوحيد العملي نصـا وهي دالة على العلمي لزوما.

و﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: الآية: ١] اشـتملت على التوحيد العلمي القولي نصـا وهي دالة على التوحيد العملي لزوما"(٢)

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

القسم الأول: توحيد السيادة:

ويعنى بذلك توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصـفات، وسمي بذلك لأن تفرد الله بأفعاله وأسمائه وصـفاته يوجب له القيادة المطلقة والتصـرف التام في هذا الكون خلقا ورزقا وإحياء وإماتة وتصرفا وتدبيرًا، سبحانه وتعالى. فمن واجب الموحد أن يفرد الله بذلك.

والقسم الثاني: توحيد العبادة:

المراد به توحيد الألوهية، وتسميته بذلك واضحة لا تحتاج إلى مزيد تفصيل.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين فيقول:

التوحيد توحيدان:

القسم الأول: توحيد الربوبية.

والقسم الثاني: توحيد الإلهية.

قال **أبو عبد الله الحسـن بن الحسـين الحليمي-رحمه الله-(ت: ٤٠٤هـ)**: "فالإيمان بالله-تعالى جده-إثباته والاعتراف بوجوده، والإيمان له القبول عنه والطاعة له.

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٧-١٠٨).

والإيمان بالنبي إثباته والاعتراف بثبوته، والإيمان للنبي موافقته والطاعة له. ويدل على افتراق الصلتين أن إحداهما تصلح حيث لا تصلح الأخرى، فإن بني يعقوب عليه السلام لو قالوا لأبيهم: "وما أنت بمؤمن بنا" لما صلح لذلك. ولو قال كفار العرب: "ولا تؤمنوا إلا بمن اتبع دينكم" لما أدى ذلك لما أرادوه من المعنى. وأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمنافقين: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ**﴾ [التوبة: الآية: ٩٤]، أي لن نقبل منكم عذركم، ولو كان مكانه: "لن نؤمن بكم"، ما جاز ولا حسن. وقال-جل ثناؤه-: ﴿**قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: الآية: ٦١]، ولو كان مكان ذلك: "ويؤمن بالمؤمنين" لما جاز ولا صلح. فثبت بما اقتصصنا أن الصلتين موضوعان لمعنيين متغايرين لا لمعنى واحد. ويدل على صحة ما ذكرت أن اسم التصديق الذي هو حقيقة الإيمان قد يحتمل صلتين: إحداهما الباء والأخرى الهاء.

فأما الباء فإنه يليق بالتصديق وبما يتصرف عنه من فعل ونعت.

وأما الهاء فإنه يلزم ما ينصرف عنه من فعل، فإذا جاء النعت جازت اللام مكان الهاء، فيقال: "صدقت فلانا وصدقت به"، فمعنى صدقته أثبت قوله وخبره ووثقت بصحته ومعنى صدقت به: أثبت وجوده وكونه. ثم يقال: صدقت به وأنا مصدق. وإذا قيل صدقته، جاز أن يقال: "وأنا مصدقه ومصدق له، قال الله-تعالى-: ﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ [المائدة: الآية: ٤٨]، ولا يصلح مكانه ومصدقا بما بين يديه لأن الغرض، أن هذا الكتاب مثبت من وحدانية الله تعالى وقدسه ووجوب طاعته وتحسين العدل، وتقبيح الظلم والشهادة للذين جاؤوا بالكتب المقدمة، بأنهم جاؤوا بها من عند الله-تعالى-ما أثبتته تلك الكتب أنفسها. ولو قيل: "مصدقا لما بين يديه من الكتاب"، لصلح، فعلم أن اللام قائمة مقام الهاء في صدقته. ولو قيل: "ومصدقا بما يديه"، لم يدلك على أكثر من أنه أثبت أن كتبا كانت قبله، فثبت بهذا افتراق الصلتين، وتغاير ما يراد بهما، والله أعلم وما ينبغي لأحد أن يستنكر هذا الفرق، فإن الوجود منه هو الموافق للصواب والحكمة إذ كان الاعتراف بالله-جل جلاله-، لابد من أن يسبق حتى يصح القبول عنه وطاعته وعبادته من بعد، والاعتراف بالنبي كذلك

لأنه يسبق، ثم تكون متابعته والقبول عنه، ولو تجردت المتابعة بفعل ما يأمر به، والانتهاء عما ينهي عنه عن الاعتراف بالنبوة لما سلمت، ولا سلمت نفعت، فكان حقا أن يعود الأصل من هاتين الخصلتين بإحدى هاتين اللفظتين والتابع منهما بالأخرى. فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه، وإتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، والطاعة فيها لازمة، والمحافظة على حدوده، والثقة بوعده ووعيده.

وكذلك التصديق بالنبي، غير التصديق له.

فالتصديق به: هو الاعتراف بوجوده وكونه وإثباته نبيا في الجملة.

والتصديق له: إتباعه وطاعته وقبول ما جاء عنه.

وكذلك الإيمان بالله: هو الاعتراف به وإثباته.

والإيمان له: طاعته وإتباع أمره.

وعلى هذا الإيمان بالله أو النبي، إيمان بالدلائل التي دلت عليه، لأنه قبول لدلالتها عنها، وانقياد لموجبها"(١)

✓ **وقال محمد بن يعقوب الفيروزأبادي-رحمه الله-(ت: ٨١٧هـ):** "والتوحيد توحيدان: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، فصاحب توحيد الربوبية يشهد قيومية الرب فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطى ولا مانع ولا مميت ولا محيي ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجرى حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

وأما توحيد الإلهية فهو أن يجمع همه وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته"(٢)

(١) شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢١-٢٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٥/ ١٧٢).

✓ قال **ابن تيمية**–**رحمه الله**–**(ت: ٧٢٨هـ)**: "التوحيد: "توحيد الربوبية" و "توحيد الإلهية""(١)

✓ **وقال ابن تيمية**–**رحمه الله**–**(ت: ٧٢٨هـ)**: "وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية وعلى توحيد الإلهية وهو التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن...

✓ فإثبات الإلهية يوجب إثبات الربوبية ونفي الربوية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزام العلة الغائية للفاعلية. وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية –وإن كان معلوما بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية–فهو أيضا معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية"(٢)

قال ابن تيمية–**رحمه الله**–**(ت: ٧٢٨هـ)**–في معرض كلامه عن غلط بعض العامة والسالكين–: "وذلك أن هذا الموضع غلط فيه كثير من العامة؛ بل ومن السالكين فمنهم من يشهد القدر فقط ويشهد الحقيقة الكونية دون الدينية فيرى أن الله خالق كل شيء وربه ولا يفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يسخطه ويبغضه وإن قدره وقضاه ولا يميز بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية"(٣)

وقال **ابن تيمية**–**رحمه الله**–**(ت: ٧٢٨هـ)**: "وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية؛ وعلى توحيد الإلهية؛ وهو: التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن"(٤)

وقال **ابن تيمية**–**رحمه الله**–**(ت: ٧٢٨هـ)**: "وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق؛ من الأعيان والصفات. وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي–صلى الله تعالى عليه وسلم–يستعيذ بها فيقول: (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٣١).

(٢)مجموع الفتاوى (٢/ ٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٦٦٨). وانظر: (١٥/ ٤٩٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٨٣).

ما ينزل من السـماء وما يعرج فيها ومن شـر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شـر فتن الليل والنهار ومن شـر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن). فيغيب ويفنى بهذا **التوحيد الرباني** عما هو مأمور به أيضـا ومطلوب منه وهو محبوب الحق ومرضـيه من **التوحيد الإلهي**؛ الذي هو عبادته وحده لا شـريك له وطاعته وطاعة رسـوله والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه والحب فيه والبغض فيه"(١)

وقال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضـروبة البينة فالمقصـود به نفي رب يشـركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصـور وتقصـير منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سـلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن المقصـودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخذه إلها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا**﴾ [البقرة: الآية: ٦٥]، ولهذا قال الخليل ﴿**لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ**﴾ [الأنعام: الآية: ٧٦]

ومن المعلوم أن كل حي فله إرادة وعمل بحسـبه وكل متحرك فأصـل حركته المحبة والإرادة ولا صـلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله ولهذا قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٢]، ولم يقل لعدمتا إذ هو قادر على أن يبقيها على وجهة الفساد لكن لا يمكن أن تكون صالحة إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له فإن صلاح الحي إنما هو صلاح مقصوده ومراده وصلاح الأعمال والحركات بصلاح إرادتها ونياتها"(٢)

قال **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "فمتكلمة أهل الإثبات يثبتون لله صـفات

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥٧).

(٢) قاعدة في المحبة (ص: ١٤-١٥).

الكمال كالحياة والعلم والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر.

وهؤلاء يثبتون ذلك لكن قصروا في بعض صفات الكمال، وقصروا في التوحيد، فظنوا أن كمال التوحيد هو توحيد الربوبية، ولم يصـــعدوا إلى توحيد الإلهية الذي جاءت به الرســـل ونزلت به الكتب.

وذلك أن كثيرا من كلامهم أخذوه من كلام المعتزلة، والمعتزلة مقصـــرون في هذا الباب، فإنهم لم يوفوا توحيد الربوبية حقه، فكيف بتوحيد الإلهية.

ومع هذا فأئمة المعتزلة وشـيوخهم وأئمة الأشـعرية والكرامية ونحوهم خير في تقرير توحيد الربوبية من متفلسفة الأشعرية كالرازي والآمدي وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء خلطوا ذلك بتوحيد الفلاسـفة كابن سـينا (ت: ٤٢٨ هـ)، وأمثاله، وهو أبعد الكلام عن التحقيق في التوحيد، وإن كان خيرا من كلام قدمائهم أرسطو وذويه"(١)

وقـال **ابن تيميـة-رحمـه الله-(ت: ٧٢٨هـ)**: "حتى أن كثيرا منهم يظنون أن التوحيـد المفروض هو الإقرار والتصـــديق بأن الله خالق كل شـــيء وربه ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسـول الله-صـلى الله عليه وسلم-"(٢)

وقـال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨هـ): "فقوله: (لا مـانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت) توحيد الربوبية الذي يقتضي: أنه سبحانه: هو الذي يسأل ويدعى ويتوكل عليه. وهو سبب لتوحيد الإلهية ودليل عليه"(٣)

وقال **أحمد بن علي المقريزي-رحمه الله-(ت: ٨٤٥هـ)**: "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشـركون، بل أقروا بأنه سـبحانه وحده خالقهم، وخالق السـماوات والأرض، والقائم

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٦٤).

(٣)مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٧).

بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة"[١]

وقال **المقريزي**-رحمه الله-**(ت: ٨٤٥هـ)**: "فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين"[٢]

وقال الشيخ **محمد بن إسماعيل الصنعاني**-رحمه الله-**(ت: ١١٨٢هـ)**: "الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد"[٣]

وقال الشيخ **محمد بن إسماعيل الصنعاني**-رحمه الله-(ت: ١١٨٢هـ): "التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكا، بل هم مقرون به.

والقسم الثاني: توحيد العبادة، ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى"[٤]

وقال **المرتضى الزبيدي**-رحمه الله-**صاحب تاج العروس في شرح القاموس** (ت: ١٢٠٥هـ): "التوحيد توحيدان:

توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

فصاحب **توحيد الربانية** يشهد قيومية الرب فرق عرشه يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا محيي ولا مميت ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجوز حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها

(١) تجريد التوحيد المفيد (ص: ٧).

(٢) تجريد التوحيد المفيد (ص: ٨).

(٣) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (ص: ٤٧).

(٤) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد (ص: ٥٠).

حكمته.

وأما **توحيد الإلهية**: فهو أن يجمع همته وقلب وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه، والقيام بعبوديته"(١)

وقال الشـــيخ **محمد بن عبد الوهاب بن ســـليمان التميمي النجدي**-رحمه الله-(ت ١٢٠٦هـ): "وهو نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية:

أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم،

وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام"(٢)

وقال **الشـــيخ محمد بن عبد الوهاب بن ســـليمان التميمي النجدي**-رحمه الله-(ت ١٢٠٦هـ): "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية: وهو أن الله ســبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم. وهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإســلام؛ بل أكثر الناس مقرون به، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [يونس: الآية: ٣١]، وأن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الإلهية، وهو: ألا يعبد إلا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا"(٣)

وقال الشـــيخ **محمد بن عبد الوهاب بن ســـليمان التميمي النجدي**-رحمه الله-(ت ١٢٠٦هـ): "واعلم، أرشدك الله، أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة، هي: توحيد الله وحده، والكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: الآية: ٣٦]، والطاغوت هو الذي يســـمى: "الســـيد"، الذي ينخى وينذر له، ويطلب منه تفريج الكربات غير الله-تعالى-. وهذا يتبين بأمرين عظيمين:

---

(١) تاج العروس (٩/ ٢٧٦).

(٢) كتاب الجواهر المضية (ص: ٣٧).

(٣) كتاب الرسائل الشخصية (ص: ١٥١).

الأول: توحيد الربوبية، وهو الشـــهادة بأنه لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمور إلا هو؛ وهذا حق، ولكن أعظم الكفار كفرا، الذين قاتلهم رسـول الله صـلى الله عليه وسلم، يشهدون به ولم يدخلهم في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصَـارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٣١].

الأمر الثاني: وهو توحيد الإلهية، وهو أنه لا يسـجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يدعى في الرخاء والشـدائد إلا هو، ولا يذبح إلا له، ولا يعبد بجميع العبادات إلا الله وحده لا شـريك له، وأن من فعل ذلك في نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء فقد أشرك بالله"(١)

وقال الشـــيخ محمد رشـــيد رضـــا-رحمه الله-(ت: ١٣٥٤هـ): "أقول: المراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء...(٢)

ويقول في موضـع آخر مصـرحا بهذه القسـمة: "ولما كان التوحيد الذي هو لباب الدين وروحه نوعين: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية بين كلا منهما بالآيات والبراهين..."(٣)

وهناك من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: توحيد المرسل.

القسم الثاني: توحيد متابعة الرسول.

✓ **قال ابن القيم-رحمه الله-**(ت: ٧٥١ هـ): "توحيدان. لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما:

توحيد المرسل.

وتوحيد متابعة الرسول. فلا يحاكم إلى غيره. ولا يرضى بحكم غيره"(٤)

(١) الرسائل الشخصية (ص: ١٤٦-١٤٧).
(٢) تفسير المنار (٣/ ٣٢٥).
(٣) تفسير المنار (٨/ ٢٧٢).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٦).

وقال **ابن أبي العز**–رحمه الله–(ت: ٧٩٢هـ): "فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسـل، وتوحيد متابعة الرسـول، فلا نحاكم إلى غيره، ولا نرضـى بحكم غيره"(١)

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين:

القسم الأول: التوحيد الإجمالي.

القسم الثاني: التوحيد التفصيلي.

قال الشـيخ **حماد بن محمد الأنصـاري**–رحمه الله–(ت: ١٤١٨هـ): "والتوحيد ينقسـم باعتبار آخر إلى قسمين:

أولًا: توحيد إجمالي.

ثانيًا: توحيد تفصيلي.

التوحيد الإجمالي: هو الذي يدرك بالآيات الفعلية.

والتوحيد التفصيلي: هو الذي يدرك بالآيات القولية.

والتوحيد الإجمالي الذي يدرك بالآيات الفعلية هو توحيد الربوبية.

والآيات الفعلية: هي السـماوات والأرض وما بينهما، وبالنظر إلى الخلق نسـتنتج أن لهذا الخلق ربًا عظيمًا متصفًا بجميع صفات الجمال والكمال.

وهذا في الإمكان أن يدركه كل أحد لأنه فطري.

أما التوحيد التفصـيلي الذي بينه الله عز وجل في سـورة الفاتحة فلا يمكن إدراكه إلا بالآيات القولية، وهي القرآن والسنة"(٢)

وقد قسم بعض العلماء التوحيد إلى قسمين:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٠٠).

(٢) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أقسام التوحيد (ص: ٤٧).

الأول: **توحيد عامي**

الثاني: **توحيد خاصي**.

قال **ابن القيم**-**رحمه الله**-(ت: ٧٥١ هـ): "فإن التوحيد نوعان: عامي وخاصي، كما أن الصلاة نوعان، والذكر نوعان، وسائر القرب كذلك خاصية وعامية.

فالخاصـــية: ما بذل فيها العامل نصـــحه وقصـــده بحيث يوقعها على أحســـن الوجوه وأكملها.

والعامية: ما لم يكن كذلك.

فالمســـلمون كلهم مشـــتركون في إتيانهم بشـــهادة أن لا إله إلا الله، وتفاوتهم في معرفتهم بمضمون هذه الشهادة وقيامهم بحقها باطنا وظاهرا أمر لا يحصيه إلا الله عز وجل"[١]

قال **ابن تيمية**-**رحمه الله**-(ت: ٧٢٨ هـ): "من كان توكله على الله ودعاؤه له هـــــو في حصول مباحات فهو من العامة، وإن كان في حصول مستحبات وواجبات فهو الخاصة""[٢]

قال **ابن تيمية**-**رحمه الله**-(ت: ٧٢٨ هـ): "قوم ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شـاهدين لإلهية الرب سـبحانه الذي أمروا أن يعبدوه ولا ينظرون إلى جانب القضـاء والقدر والتوكل والاســتعانة، وهو حال كثير من المتفقهة والمتعبدة، فهم مع حســن قصـــدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره يغلب عليهم الضعف والعجز والخـــذلان لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجوء إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيســر عليـه"[٣]

فالتوحيد الخاصي هو الذي حقق التوحيد معرفة بكل معانيه وعمـــلا بـه وبلوازمه، وأما العامي ما نقص من ذلك إما معرفة وعلما أو عملا وطاعة، والله أعلم.

وهذا ما وقفت عليه من تقسيمات العلماء للتوحيد وهي واحدة من حيث مضـمونها كما

(١) طريق الهجرتين (ص: ٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢).

سبق إيضاح ذلك من خلال ربطها بالتقسيم الأول، ولذا فإن الاختلاف بينهما منحصر في الألفاظ فقط. والله أعلم.

الأمر الثالث: الرد على شبهة من أنكر تقسيم التوحيد.

هناك من حاول إنكار تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام بدعوى:

أولًا: أن هذا التقسيم لا يعرف عند السلف البتة، وأن هذا التقسيم إنما انتشر بعد القرن السابع الهجري.

ومن ذلك قول حسن السقاف: "وخصوصًا أن هذا التقسيم لا يُعرف عند السَّلَف البتَّة، وإنما اختُرِع هذا التقسيم وانتشر بعد القرن السابع الهجري"[١]

وقال: "ولم يَذكر الله تعالى في كتابه ولا النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- في سنته أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيدِ ربوبية، وتوحيدِ ألوهية، وتوحيدِ أسماء وصفات، بل لم ينطق بهذا التقسيم أحدٌ من الصحابة، بل ولا أحدٌ من التابعين، بل ولا أحدٌ من السَّلَف الصالح -رضي الله عن الجميع-، بل إن هذا التقسيم بدعة خَلَفية مذمومة حَدَثت في القرن الثامن الهجري، أي بعد زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- بنحو ثمان مئة سنة، ولم يقل بهذا التقسيم أحدٌ من قبل"[٢]

وقال: "ابن تيمية الذي اخترَع تقسيمَ التوحيدِ إلى ألوهية وربوبية"[٣]

وقال أبو حامد بن مرزوق: "إن تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والقول بأنَّ المشركين كانوا مؤمنين بالأول دون الثاني ولم يُدخلهم في الإسلام أنَّ ذلك بدعة ابتدعها ابن تيمية وقلَّده فيها محمد بن عبد الوهاب"[٤]

ثانيًا: أن ذلك دعوة إلى التثليث،

---

(١) التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ٣).

(٢) التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ٦).

(٣)التنديد بمن عدَّد التوحيد (ص: ١٠).

(٤) كتاب التوسل بالنبي وجهالة الوهابيين.

والرد على هذه الدعوى بأن يقال هذه الدعوى مقصـــودها التشـــغيب وإثارة الشـــكوك والبلبلة ومردودة على قائليها:

أولًا: هذا التقسيم مأخوذ من التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة فوجد العلماء أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسـام وكل قسـم من هذه الأقسـام له أدلته من القرآن والسـنة، وكل قسم له مميزاته وخصائصه.

ثم إن هذا التقسـيم من جنس تقسـيمات العلماء الأخرى المتعلقة بالأمور الشـرعية مثل تقسـيم العلماء الأمر الشـرعي إلى واجب ومندوب أو تقسـيم النواهي الشـرعية إلى محرم ومكروه، أو قولهم إن الإيمان قول واعتقاد وعمل، أو تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية. فسائر هذه التقسـيمات وغيرها كثير لم ترد في الشـارع منصـوصـاً عليها وإنما اسـتنبطها العلماء من خلال استقراء كلام الشارع. (١)

وقال الشـيخ بكر أبو زيد:"هذا التقسـيم الاسـتقرائي لدى متقدمي علماء السـلف أشـار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ) ، وغيرهما، وقرره شـيخا الإسـلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشـيخنا الشـنقيطي في أضـواء البيان في آخرين-رحم الله الجميع-، وهو اسـتقراء تام لنصـوص الشـرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن، كما في اسـتقراء النحاة كلام العرب إلى اسـم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء"(٢)

وقال الشـيخ عبد المحسـن بن حمد العباد: "وهذا التقسـيم لأنواع التوحيد عرف بالاسـتقراء من نصوص الكتاب والسنة"(٣)

ثانيًا: هذا التقسـيم موجود مع بداية التصـنيف والتدوين لمسـائل العقيدة ومن الأدلة على ذلك بعض النصوص الواردة عن السلف في بيان ذلك:

---

(١) أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ص: ٩١).

(٢) التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» (ص: ٣٠).

(٣) مقدمة تحقيق كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني (ص: ١٠).

النص الأول: للإمام **أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري-رحمه الله**-(ت: ٣٨٧ هـ) حيث قال في كتابه (الإبانة) ما نصه: (... وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذاهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشـرك الذين أقروا بالصـانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصـوفا بالصـفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصـوفا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.."[١]

وكلامه هذا صريح في أن أصل الإيمان بالله وتوحيده مبني على هذه الأمور الثلاثة فسمى الأول اعتقاد الربانية والثاني اعتقاد الوحدانية والثالث اعتقاد اتصـافه بالصـفات العلى اللازمة لكمال الله سبحانه وتعالى.

والنص الثاني: للإمام الحافظ **أبي عبد الله محمد بن إســـحاق بن يحيى بن منده-رحمه الله-(ت: ٣٩٥ هـ)** حيث فصل وبوب في كتابه القيم: (كتاب التوحيد) في الأقسام الثلاثة للتوحيد فمن تبويباته:

١.ذكر ما وصـف الله عز وجل به نفسـه ودل على وحدانيته عز وجل وأنه أحد صـمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

٢.ذكر معرفة بدأ الخلق.

٣.ذكر معرفة أسماء الله عز وجل الحسـنى التي تسـمى بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر-وأبواب أخرى كثيرة فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى الكتاب المذكور.

ولذلك وصف الكتاب ومباحثه محققه الدكتور علي الفقيهي بقوله:

---

(١) الإبانة (٢/ ١٧٢-١٧٣).

"قسـم المؤلف التوحيد إلى أربعة أقسـام حيث جعل أسماء الله الحسـنى قسـما مسـتقلا ثم أتبعها بالصفات، وأقسام التوحيد الذي ذكرها هي:

الوحدانية في الربوبية.

توحيد الألوهية وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

توحيد أسماء الله الحسنى.

الصفات"(١). (٢)

ثالثًا: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أمر مقرر عند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية على خلل في التقســيم لديهم بعدم ذكرهم لتوحيد الألوهية ومن قولهم في ذلك ما قاله الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ): "وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسـيم له، وواحد في صـفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شـريك له"(٣)

وقال الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): "اعلم أنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، أما أنه واحد في ذاته فلأن ذاته منزهة عن جهات التركيبات، لا من التركيبات المقدارية الحسية كما في الجسم، ولا من التركيبات العقلية كما في النوع المركب من الجنس والفصل.

وأما أنه واحد في صـفاته فهو أنه ليس في الوجود مواد آخر يسـاويه في الوجود بالذات، وفي العلم بكل المعلومات، وفي القدرة على كل الممكنات، وفي الغني عن كل ما سواه.

وأما إنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود بكون مبدئا لجميع الممكنات إما بغير واسطة، وإما بواسطة إلا هو"(٤)

وقال أبو منصـــور الماتريدي-رحمه الله-(ت: ٣٣٣ هـ): "الإيمان بالله: هو أن تجعله رب

(١) التوحيد ابن مندة (١/ ٣٣) تحقيق علي بن ناصر الفقيهي ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

(٢) انظر في ذلك: (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد)، عبد الرزاق البدر، دار ابن عفان.

(٣) الملل والنحل (١/ ٤٢).

(٤) المطالب العالية (١/ ١٦٣).

كل شيء، وأن له الخلق والأمر، والإيمان برسوله: هو أن تصدقه في كل ما يخبر عن الله تعالى وفي كل قول وفعل، وأنه صـادق، وأنه محق، وتعلم أنه بأمر الله تعالى ونهيه يأمر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه؛ هذا هو الإيمان بالله تعالى ورسوله-صلى الله عليه وسلم-"[١]

قال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)في تعريف التوحيد: "التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله-تعالى- بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة"[٢]

وقال كمال الدين ابن أبي شـريف (ت: ٩٠٦ هـ):"التوحيد هو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال"[٣]

فلماذا لم يسقط هذا المنكر لتقسيم التوحيد دعواه على هذا القول بأن يقول عنه ما قاله عن تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات، بحيث يقال هذا التقسـيم مبتدع وفيه مشـابهة لدعوى النصـارى بالتثليث، فهلا أخبرونا عن دليلهم الذي استدلوا به لهذا التقسيم؟! فما كان جوابًا لهم فهو جوابٌ لنا.

رابعًا: أن دعوى كون هذا التقسيم هو دعوة لعقيدة التثليث فهذه الدعوى فاسدة وميتة وهي دعوى ادعاها قدماء الجهمية

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وضـربنا لهم مثلا في ذلك فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسـم شـيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد لا نقول إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قدرة حتى خلق قدرته والذي ليس له قدرة هو عاجز ولا نقول قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علما فعلم والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول لم يزل الله عالما قادرا مالكا لا متى ولا كيف.

قال وسمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ**

(١)تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٩/ ٥١٥-٥١٦).

(٢)التعريفات للجرجاني (ص: ٩٩).

(٣)المسامرة شرح المسايرة: (ص: ٤٣).

وَحِيدًا﴾ [المدثر: الآية: ١١] وقد كان الذي سماه وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة وقد سماه وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد"(١)

ثم إن التمييز بين الربوبية والألوهية ومن ثم تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية، لم ينفرد به ابن تيمية،بل قال به العديد من العلماء، وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت: ٣٥٤هـ):"الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته"(٢)

قال الشيخ أحمد بن حجر آل طامي (ت: ١٤٣٢هـ): "أورد بعض المتعصبين: إن ذلك التقسيم لم يقل به النبي؟

الجواب:

أولًا: أن يقال له: إن ترد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل به لا لفظًا ولا معنى فباطل، فإنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)(٣)...

وهذا هو توحيد الألوهية، والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه علموا الداخلين في الإسلام بأن لا يعبدوا إلا الله، وهو ما نريده.

وأكثر القوم كانوا معترفين بالربوبية، فكانوا عارفين بمعاني الألفاظ، لا يحتاجون إلى تفرقة.

فإذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، عرفوا ما تدل عليه الجملة الأولى والثانية، وأنت حين توازن بين قوله تعالى إخبارًا عنهم: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ**

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٩٦-٩٧).

(٢)روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

اللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية: ٨٧]، وقوله–تعالى–: **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** [ص: الآية: ٥]، يظهر لك ما قلناه بجلاء ووضوح.

على أنه لا يضرنا أن النبي–صلى الله عليه وسلم–وصحبه لم يصطلحوا هذا الاصطلاح، لأننا نقول: تؤخذ الأشياء بمعانيها، ولا يلزم أن يكون النبي–صلى الله عليه وسلم–وصحابته–رضي الله عنهم–يمشون على هذا النهج المصطلح عليه.

وغاية قولنا: إن معنى الرب في اللغة غير معنى الإله، يدل الأول على الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، والثاني: على المعبود بحق أو باطل.

ونقول في الجواب ثانيًا: إن لم يقسم النبي التوحيد إلى أقسام ثلاثة، فلم يحصره في قسم واحد–كما تزعم–، ومعنى الألفاظ الواردة في القرآن والسنة واللغة تساعدنا على ذلك، وليس معك ما ينصرك على دعواك"(١)

رابعًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى عدم تفريقهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وزعمهم بأنهما بمعنى واحد.

والذي دلت عليه النصوص وأقوال المفسرين والعلماء هو التفريق بين هذين النوعين من التوحيد.

عن مجاهد بن جبر–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): "**﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾** [يوسف: الآية: ١٠٦]، إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"(٢)

وعن قتادة بن دعامة السدوسي–رحمه الله–(ت: ١١٨هـ)، قوله: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾** [يوسف: الآية: ١٠٦]، في إيمانهم هذا. إنك لست تلقى أحدًا

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (١/ ٦٦–٦٧).

(٢)تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٧).

منهم إلا أنبأك أن الله ربه، وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشرك في عبادته"[(١)]

قال محمد بن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ): "يقول تعالى ذكره: وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله: ﴿**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُـــونَ**﴾ [يوســـف: الآية: ١٠٥]، بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿**إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابا، وزعمهم أن له ولدا، تعالى الله عما يقولون"[(٢)] وقول هنا فيه تفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

قال الشـــيخ حماد بن محمد الأنصـــاري-رحمه الله-(ت: ١٤١٨ هـ): "توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ليسـا بمعنى واحد، كما ظنه الأشـعرية الكلابية، والحنفية الماتريدية، والكرامية السجستانية، والجهمية الجعدية.

وهكذا كل هؤلاء الطوائف من المتكلمين المتفلســـفين، الذين أعرضـــوا عن القرآن وعن السـنة النبوية، واشـتغلوا بالفلسـفة والكلام، وبمجرد آراء يبدونها حول قضـايا جوفاء لا نتيجة لها صحيحة"[(٣)]

خامسًا: أن إخراج توحيد الألوهية من تقسيم التوحيد مرده إلى قول طوائف المتكلمين من إخراجهم العمل عن مسمى الإيمان وأنه التصديق فقط.

قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-(ت: ٧٢٨ هـ): (الوجه الثاني من غلط المرجئة: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصـــديق فقط دون أعمال القلوب، كما تقدم عن جهمية المرجئة، الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شـــيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضـــاه بمنزلة الســـبب مع المســـبب، ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع

(١)تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٨).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢٨٦).
(٣) تفسير سورة الفاتحة وبيان ما تضمنته من أنواع التوحيد (ص: ٣٠).

أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر"[١]

الأمر الرابع: العلاقة بين أقسام التوحيد

أقسـام التوحيد تُشـكل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نُسـميه التوحيد، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضـها بعضًـا، ولا يمكن الاسـتغناء ببعضـها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح-ولا يقوم-توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أيِّ نوع منها هو خلل في التوحيد كله، "فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان"[٢]

وقد أوضـح بعضُ أهل العلم العلاقة بين أنواع التوحيد بقوله: "هي علاقة تلازم وتضـمن وشمول".

فتوحيد الربوبية مُستلزم لتوحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا.

بيان ذلك: أنَّ مَن أقرَّ بتوحيد الربوبية، وعلم أنَّ الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لَزمه [٣] من ذلك الإقرار أن يُفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربًّا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جَرَت سُـنَّة القرآن الكريم على سـوق آيات الربوبية مَقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٤).

(٢) «تحذير أهل الإيمان» (١/ ١٤٠)، (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية).

(٣) اللازم هنا قد يتخلف، كما هو الحال في كفار قريش؛ فهم يُقرون بتوحيد الربوبية، كما دَلَّت على ذلك النصـوص، ولكنهم لم يُحققوا اللازم مِن إقرارهم بتوحيد الربوبية.

الألوهية، ومن أمثلة ذلك:

قوله-تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢١].

وأمَّا توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأنَّ مَن عبد الله ولم يُشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا ربَّ غيره.

وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يَصرف شيئًا منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية، وأنه لا ربَّ ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده.

وأمَّا توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنَّوعين معًا، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكلِّ ما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرَّب-الخالق-الرازق-الملك، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: الله-الغفور-الرحيم-التَّواب، وهذا هو توحيد الألوهية. (١)

(١) انظر: «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية» للشيخ عبد العزيز السلمان (ص: ٤٢١، ٤٢٢).

[الشهادة للنبي -صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة]

وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

المسألة الثانية: معنى النبوة والرسالة.

أ-معنى النبي لغة وشرعًا.

ب-معنى الرسول لغة وشرعًا.

المسألة الثالثة: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به-صلى الله عليه وسلم-.

أ-الأدلة من القرآن.

ب-الأدلة من السنة.

المسألة الرابعة: حقوق النبي-صلى الله عليه وسلم-.

أ-الحقوق التي تتصل بجانب الرسالة التي بعث بها.

ب-الحقوق التي تتعلق بخاصة شخص الرسول-صلى الله عليه وسلم-تفضيلًا

قول المصنف–رحمه الله–: "وأن محمدًا رسول الله".

الشرح

المسألة الأولى: معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

معناها:

"معنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع"(١)

وهذه الشهادة هي الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، كما أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور. ويلاحظ أننا عرفنا الشهادة والإيمان به بتعريف واحد، وهذا الأمر يصح في حالة الإفراد كما سبق وأن ذكرت في لفظ الإسلام والإيمان، أما في حالة الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه، ويجب تحقيق هذه الشهادة معرفة وإقرارا وانقيادا وطاعة(٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الإيمان بالرسول فهو المهم، إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه، ولهذا كان ركنا الإسلام: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله"(٣)

(١) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٩) ضمن مجموعة الرسائل المفيدة.

(٢) زاد المعاد (١/ ٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٦٣٨-٦٣٩).

المسألة الثانية: معنى النبوة والرسالة.

جمع الله لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-بين النبوة والرسالة قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٠].

معنى النبي لغة وشرعا:

لغة:

النبوة في اللغة العربية مشتقة إما من (النبأ) أو (النباوة) أو (النبوة) أو (النبي) فإذا كانت مأخوذة من (النبأ) فتكون بمعنى الإخبار، لأن النبأ هو الخبر.

٢- وإذا كانت مأخوذة من (النباوة أو النبوة) فتكون بمعنى الرفعة والعلو، لأن (النباوة أو النبوة: هي الشيء المرتفع)

٣- أما إذا كانت مأخوذة من (النبي) بدون همز، فيكون معناها الطريق إلى الله-عز وجل- لأن معنى "النبي" الطريق.

ولو نظرنا إلى النبوة الشرعية لوجدنا أنها تشمل كل هذه المعاني إذ النبوة إخبار عن الله-عز وجل-، وهي رفعة لصاحبها لما فيها من التشريف والتكريم، وهى الطريق الموصلة إلى الله سبحانه.

شرعًا:

أما النبوة في اصطلاح الشرع: "فهي خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدًا من عباده فيميزه عن غيره بإيحائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد"[(١)]

أما النبي فقد اختلف العلماء في تعريفه:

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه بشرع[(٢)] ليعمل به ولم يؤمر بتبليغه.

(١) شعب الإيمان للبيهقي، (ص: ٢٧٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٦٧).

-فمنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[١]

-ومنهم من قال: هو الذي أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين[٢] وهذا هو الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية ولعله هو أرجح الأقوال وأسلمها من الاعتراض فقد اعترض على القول الأول بأنه غير صحيح لأن قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾ [الحج: الآية:: ٥٢]، يدل على أن كلا منهما مرسل وأنهما مع ذلك بينهما تغاير [٣] وكذلك مما يؤكد كون الأنبياء مأمورين بتبليغ قومهم ما أوحي إليهم والحكم بينهم بذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: (كانت بنوا إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي ...).الحديث[٤]

"أي تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه"[٥]

وقد اعترض على القول الثاني بأن الضابط الذي ذكروه لا يستقيم فيوسف عليه السلام كان رسولا وكان على شريعة إبراهيم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا**﴾ [غافر: الآية: ٣٤].

وكذلك داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا**

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٥/ ٧٣٥).

(٢) النبوات لابن تيمية (ص: ٢٥٥).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٦/ ١٧).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٢١).

قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآيات: ١٦٣-١٦٤].

معنى الرسول لغة وشرعًا:

لغة:

الرسول لغة: إما مأخوذ من الرسل.

والرسل: هو الانبعاث على تؤدة.يقال: ناقة رسله: أي سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا.ولفظ الرسل متضمن لمعنى الرفق ومعنى الانبعاث.فإذا تصور منه معنى الرفق يقال على رسلك إذا أمرته بالرفق.وإذا تصور منه معنى الانبعاث يقال إبل مراسيل أي منبعثة.

ولفظ الرسول اشتق من المعنى الثاني أي الانبعاث.

فالرسول على هذا الاشتقاق هو المنبعث(١)

وإما مأخوذ من الرسل وهو التتابع فيقال جاءت الإبل رسلا أي متتابعة، ويقال جاءوا أرسالًا: أي متتابعين.

ومعنى الرسول على هذا الاشتقاق: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه(٢)

ولو نظرنا إلى كلا الاشتقاقين فإنا نجد أن لفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل عليهما فالرسول مبعوث من قبل الله، وهو كذلك يتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى.

ولفظ الرسول تارة يقال للقول المتحمل كقول الشاعر:

ألا بلغ أبا حفص رسولا

وتارة لمتحمل القول والرسالة(٣)

شرعًا:

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٩٥)، مادة "رسل".

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٩٥)، مادة "رسل"، ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٩٥) مادة "رسل"، ولسان العرب مادة "رسل" (١١/ ٢٨٤).

والرسول في الشرع: عرف بعدة تعريفات:

فمن العلماء من عرفه بقوله: هو الذي أوحى الله إليه بخبر وأمره بتبليغه للناس، وهؤلاء فرقوا بينه وبين النبي بأن النبي أوحي إليه بخبر ولم يؤمر بتبليغه[(١)]

ومنهم من عرفه بقوله: هو الذي أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي تثبت بها نبوته.

وقالوا: إن النبي هو الذي لم ينزل إليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله[(٢)]

ومنهم من قال: إن الرسول هو الذي ينبئه الله ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى من خالف أمره أي إلى قوم كافرين.

أما النبي فهو من أوحى الله إليه وأخبره بأمره ونهيه وخبره، ويعمل بشريعة رسول قبله بين قوم مؤمنين بهما.

وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، واستشهد لذلك بأن نوحا عليه السلام كان هو أول رسول بعث إلى أهل الأرض وكان أول شرك بالله قد وقع في قومه.

وقد كان قبل نوح أنبياء كشيث وإدريس–عليهما السلام–وقبلهما آدم كان نبيًا مكلمًا، وقد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام وكان المبعوثون في هذه القرون أنبياء فقط[(٣)][(٤)]

وهذا القول الثالث هو أرجح الأقوال.

أما القول الأول فهو غير مسلم كما سبق وإن وضحت في الكلام على معنى النبي.وكذا الأمر بالنسبة للقول للثاني فليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة كما تقدم ذكر

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (ص: ٢٧٥–٢٧٦) بتحقيق فلاح بن ثاني، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٦٧).

(٢) أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

(٣) أضواء البيان (٥/ ٧٣٥).

(٤) النبوات (ص: ٢٥٥–٢٥٦).

ذلك.

المسألة الثالثة: الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان به ﷺ

الأدلة من القرآن:

أوجب الله سبحانه وتعالى على الثقلين–الإنس والجن–الذين أدركتهم رسالة النبي–صلى الله عليه وسلم–أن يؤمنوا بالنبي–صلى الله عليه وسلم–وبما جاء به كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز.

كما أكد الله وجوب الإيمان بأن جعله مقترنا بالإيمان به سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: الآيات: ٧–٨]، وقال تعالى:﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: الآية: ٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: الآية: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: الآية: ١٥].

والإيمان به–صلى الله عليه وسلم–واحد من ثلاثة حقوق اقترن بها حقه–صلى الله عليه وسلم–مع حق الله تعالى في القرآن الكريم.

أما الحق الثاني له: فهو طاعته قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل

عمران: الآية: ١٣٢].

والحق الثالث هو: محبته قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: الآية: ٢٤].

"كما أن الإيمان به واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه".(١)

وقال تعالى في حق من لم يؤمن: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: الآية: ١٣].

الأدلة من السنة على وجوب الإيمان به-صلى الله عليه وسلم-:

وردت في السنة أحاديث كثيرة جدًا تدل على وجوب الإيمان به-صلى الله عليه وسلم- على الجن والإنس الذين أدركتهم رسالته، سواء كانوا أهل كتاب، أم ليسوا بأهل كتاب، ويستوي في ذلك عربهم وعجمهم، وذكرهم وأنثاهم، فلا يسع أحدا من هؤلاء الخروج عن شريعته أو التعبد لله بغير ما جاء به.لأن الله لا يقبل من أحد عملا يخالف شرع نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية: ٨٥]، ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

١-عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: (أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).(٢)

٢- وعن ابن عمر-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: (أمرت

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٣٨) بتصرف.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله (١/ ٣٩) .

أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله).[١]

٣- عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع لي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار).[٢]

٤- وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، في حديث وفد عبد القيس أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال لهم: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟)، قالوا: الله ورسوله أعلم.قال: (شهادة أن لا إله إلا ال له وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس....).الحديث.[٣]

٥- وعن معاذ بن جبل-رضي الله عنه-، قال: بعثني رسول الله فقال: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم).[٤]

وبما تقدم من آيات وأحاديث يعلم وجوب الإيمان بالرسول-صلى الله عليه وسلم-وأهميته وأنه لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، كما لا تحصل نجاة ولا سعادة بدون الإيمان به لأنه هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك كان أول أركان الإسلام "شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله".

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان: باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ، انظر: فتح الباري (١/ ٧٥) (ح: ٢٥).وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، انظر (١/ ٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١/ ٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٣)، ومسلم (١٧).

(٤) أخرجه البخاري(١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

المسألة الرابعة: حقوق النبي-صلى الله عليه وسلم-.

فقد أوجب الله لنبيه–صلى الله عليه وسلم–على هذه الأمة جملة من الحقوق والواجبات تنظم العلاقة التي تربطهم به تنظيمًا دقيقًا لا لبس فيه ولا اشتباه.

وقد وردت في شأن تلك الحقوق نصوص كثيرة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–وضحت وفصلت وبينت جوانب تلك الحقوق.

وهذه الحقوق في جملتها هي الأصل الثاني من أصلي الدين كما يدل عليه قولنا "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله".

ولذا فقد كان لزاما على كل من ينطق بهذه الشهادة، ويدين الله بهذا الدين أن يحيط بتلك الحقوق معرفة، ويلتزم بها اعتقادا وقولا وعملا، فذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يحصل إيمان العبد إلا به.

ومما يؤسف له أن كثيرا من المسلمين اليوم هم على درجة كبيرة من الجهل بهذه الحقوق فتراهم لذلك على طرفي نقيض هذا المقام:

– فإما مقصر عن القيام بهذه الحقوق التي أوجبها الله على الأمة فتراه لا يقيم لها وزنا ولا يلقي لها بالا.

– وإما غال مبتدع منكب على ما ابتدعه، يظن أنه بما يفعله من أمور مبتدعة في هذا المقام قد أحسن صنعا وأنه مؤد لما أوجبه الله من حق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكلا الطرفين صاحب حال مذموم غير محمود.فلما كان عامة أصحاب هذين الطرفين إنما أوقعهم فيما هم فيه، جهلهم بمعرفة تلك الحقوق على الوجه المطلوب شرعا.

وهذه الحقوق:

الحقوق التي تتصل بجانب الرسالة التي بعث بها.

١–وجوب الإيمان بنبوته ورسالته.وقد تقدم بيان الأدلة على ذلك.

٢–وجوب الإيمان بأن رسالته خاتمة الرسالات وأنه خاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ**

اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ .[الأحزاب: الآية: ٤٠].

والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد–صلى الله عليه وسلم–وكونه خاتم الأنبياء وآخرهم مبعثًا فلا نبي بعده ولا رسول.

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: "أتي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بلحم، فرفع إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة ثم قال (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟)، ثم ذكر–صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه–صلى الله عليه وسلم–، فذكر–صلى الله عليه وسلم– أنهم يقولون: "أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك ..." الحديث (١)

٣–وجوب الإيمان بأن رسالته عامة للإنس والجن وأنه لا يسع أحدًا الخروج عنها.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

١–قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُـــولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾** [الأعراف: الآية: ١٥٨].

٢–وقوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾** [سبأ: الآية: ٢٨].

٣–وقوله تعالى: **﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾** [النساء: الآية: ٧٩].

٤–قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: الآية: ١٠٧].

٥–وقولـه تعـالى: **﴿تَبَـارَكَ الَّـذِي نَزَّلَ الْفُرْقَـانَ عَلَىٰ عَبْـدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـالَمِينَ نَذِيرًا﴾** [الفرقان: الآية: ١].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

١–عن جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا

(١) أخرجه البخاري(٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة).[(١)]

٢-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون).[(٢)]

٣-وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار).[(٣)]

وذكر اليهود والنصارى تنبيها على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى.[(٤)]

٤- وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: (من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني ثم لم يؤمن بي دخل النار).[(٥)]

٤-وجوب الإيمان بعصمته فيما بلغه عن ربه.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

١-قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: الآيات: ٣-٤]، فالآية نص في عصمة لسانه-صلى الله عليه وسلم-من كل هوى وغرض فهو لا ينطق إلا بما يوحى إليه من ربه ولا يقول إلا ما أمر به فيبلغه إلى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٣).

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٨٨).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩٦- ٣٩٨).

وهذه الآية شهادة وتزكية من الله لنبيه ورسوله محمد-صلى الله عليه وسلم-في كل ما بلغه للناس من شرع الله.

٢- وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ [الحاقة: الآيات: ٤٤-٤٧]، فالآيات نصت على أن الله سبحانه وتعالى لا يؤيد من يكذب عليه بل لابد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾ [الإسراء: الآيات: ٧٣-٧٥].وهذه الآيات دالة على عصمة الله وتثبيته لنبيه-صلى الله عليه وسلم-في تبليغ ما أوحى إليه، ومعناها مقارب لمعنى الآيات التي ذكرناها قبلها "فقد أخبر تعالى عن تأييده لرسوله-صلوات الله عليه وسلامه-وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، وأنه تعالى هو المتولي أمره ونصره، وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها".(١)

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

حديث طلحة بن عبيد الله، وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم: (ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله).(٢)

والحديث نص على عصمته-صلى الله عليه وسلم-من الكذب فيما يخبر به عن الله.

٢- حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما-، قال: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٦١).

تسمعه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ورسول الله-صلى الله عليه وسلم-بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق).(١)

٣- حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: (إني لا أقول إلا حقًا)، قال بعض أصحابه: فإنك تداعبنا يا رسول الله.قال: (إني لا أقول إلا حقا).(٢)

٥-الإيمان بأن النبي بلغ الرسالة وأكملها.

من تمام نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن أكمل لهم دينهم فلا ينقصه أبدا، ولا يحتاج إلى زيادة أبدا، واقترن هذا الإكمال برضاه سبحانه بأن يكون هذا الدين الكامل دينا نتعبده به، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: الآية: ٣].

وهذه الآية دليل على كمال الدين وحيا من الله، وتبليغا من رسوله-صلى الله عليه وسلم-، ولقد نزلت هذه الآية الكريمة والنبي-صلى الله عليه وسلم-واقف بعرفات في حجة الوداع، وعاش النبي-صلى الله عليه وسلم-بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة.

وهي شهادة من الله تعالى لنبيه-صلى الله عليه وسلم-على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله وبذلك جعله الله خاتم النبيين، لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم-صلى الله عليه وسلم-ليكمل لهم دينهم، كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر وذلك لكمال دينهم.

ووجه الدلالة من الآية على ذلك "أن الله أخبر في هذه الآية بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمل بما بلغه، إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم من ذلك أنه-صلى الله عليه وسلم-قد بلغ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسـنده (٢/ ١٦٢، ١٩٢) ، وأبو داود في سـننه، كتاب العلم: باب في كتاب العلم (٤/ ٦٠) (ح: ٣٦٤٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٤، ١٠٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في مسـنده (٢/ ٣٤٠، ٣٦٠).والترمذي في سـننه، كتاب البر والصـلاة: باب ما جاء في المزاح (٤/ ٣٥٧) (ح: ١٩٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

جميع الدين الذي شرعه الله لعباده"[١]

وما كان من النبي–صلى الله عليه وسلم–بعد نزول هذه الآية الكريمة إلا أن استشهد الناس على ذلك في نفس المناسبة التي نزلت فيها الآية.

فعن جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟).

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: (اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ...).الحديث[٢]

فشهد له خير قرون هذه الأمة وهم صحابته–رضوان الله عليهم–، وكانوا في ذلك الموقف نحوا من أربعين ألفًا".[٣]

ولقد أمر الله تبارك وتعالى رسوله–صلى الله عليه وسلم–في مواطن متعددة من كتابه العزيز بأن يبلغ أمور هذا الدين البلاغ المبين الواضح فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النحل: الآية: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: الآية: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [الشورى: الآية: ٤٨].

وهذا الأمر والحث من الله لرسوله–صلى الله عليه وسلم–على البلاغ لشرع الله والدين الذي أوحاه إليه نابع من كون الرسول–صلى الله عليه وسلم–هو الطريق الوحيد الذي يعرف بواسطة ما شرعه من دين يدين العباد له به، فليس ثمت طريق آخر إلى معرفة شرع الله وأوامره ونواهيه

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٥، ١٥٦) بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٤/ ٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٧).

إلا طريقه بها فهو المبلغ عن الله تعالى، وهذه هي سنة الله في خلقه حيث جعل طريق معرفته وعبادته عن طريق من أرسله من الرسل "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدارين إلا على أيدي الرسل، كما أنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث والحلال من الحرام إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير" [(١)] وبهذا وبغيره نلمس عظم الحاجة إلى تبليغ الرسل.

٦-وجوب طاعته واتباعه ولزوم سنته والمحافظة عليها.

وأما الأدلة من القرآن على ذلك فمنها:

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله تعالى-: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول-صلى الله عليه وسلم-في ثلاثة وثلاثين موضعا". [(٢)]

جعل الرب طاعته طاعة له في مثل قوله تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: الآية: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [النساء: الآية: ٦٥].

وهو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته، وبه يمتحنون في القبور، قال تعالى: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٦].

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [النساء: الآية: ٦٤].

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [النور:

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم (١/ ٦٩).

(٢) الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٥٦) .

الآية: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٨].

وأما الأدلة من السنة على ذلك فمنها:

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)، قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟، قال: (من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى).[١]

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ...) الحديث.[٢]

وعن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير).قال: يارسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟، قال: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)[٣]

وعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صـــحيحه (١/ ١٥٣) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٨٠) ، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصـحيح.وله شـاهد من طريق أبي هريرة بنحوه أخرجه الحاكم في مسـتدركه (٤/ ٢٤٧) وقال صـحيح على شـرطهما ووافقه الذهبي.وله شـاهد آخر من طريق أبي أمامة بنحوه.أخرجه الحاكم في المسـتدرك (٤/ ٢٤٧) وقال صـحيح على شـرطهما ووافقه الذهبي.

وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).[١]

الحقوق التي تتعلق بخاصة شخص الرسول–صلى الله عليه وسلم–تفضيلًا وتكريمًا من الله له.

١–وجوب محبته–صلى الله عليه وسلم–.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: الآية: ٢٤].

عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى في النار).[٢]

ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي–صلى الله عليه وسلم–: "يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: (لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك)".فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي".فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: (الآن ياعمر).[٣]

فالحديث نص على وجوب تقديم محبة الرسول–صلى الله عليه وسلم–على محبة النفس.

وأما الدليل على وجوب تقديم محبته على محبة الوالد والولد والناس أجمعين:

ثانيا: فعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، قال: (فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده".[٤]

(١) أخرجه مسلم (٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٣) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).
(٤) أخرجه البخاري (١٤).

ثالثا: وعن أنس-رضي الله عنه-، قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين).(١)

٢-وجوب تعزيره وتعظيمه وتوقيره-صلى الله عليه وسلم-.

قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

أما التعزير في اللغة:

فيقول صاحب معجم مقاييس اللغة عن أصل هذه الكلمة: "عزر" العين والزاء.والراء: كلمتان

أحدهما: التعظيم والنصر.والكلمة الأخرى: جنس من الضرب.فالأولى: النصر والتوقير كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩]

والأصل الآخر: التعزير وهو الضرب دون الحد".(٢)

وفي النهاية في غريب الحديث "أصل التعزير: المنع والرد.فكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه.ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير، لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب، يقال عزرته، وعزرته.فهو من الأضداد".(٣)

وجاء في تهذيب اللغة: "عزر" قال الله عز وجل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

جاء في التفسير في قوله تعالى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي لتنصروه بالسيف ﴿وعزرتموهم﴾ عظمتموهم.وقيل: نصرتموهم.

واللفظة تستعمل لعدة معان هي:

---

(١) أخرجه البخاري (١٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٣١١).

(٣) النهاية (٣/ ٢٢٨).

١- التعزير: النصر باللسان والسيف.

٢- التعزير: التوقير.

٣- التعزير: التأديب دون الحد.

٤- التعزير: التوقيف على الفرائض والأحكام".[١]

وأما عن المعنى الشرعي المراد هنا:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**وعزروه**﴾ يقول: "حموه ووقروه".[٢]

وعن مجاهد قال: "عزروه: سددوا أمره، وأعانوا رسوله ونصروه".[٣]

وعن قتادة في قوله: ﴿**وتعزروه**﴾ قال ينصروه".[٤]

وقال ابن جرر الطبري: ﴿**وعزروه**﴾ "وقروه وعظموه وحموه من الناس".[٥]

وقال أيضا بعد أن نقل قول ابن عباس ومجاهد وقتادة "وهذه الأقوال متقاربات المعنى، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصر والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال".[٦]

وقال شيخ الإسلام: "التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه".[٧]

وأما عن التوقير في اللغة:

ففي معجم مقاييس اللغة: "وقر" الواو. والقاف. والراء: أصل يدل على ثقل في الشيء

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ١٢٩- ١٣٠) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

(٣) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ٨٥).

(٦) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).

(٧) الصارم المسلول (ص: ٤٢٢).

...ومنه الوقار: الحلم والرزانه".[١]

وجاء في تهذيب اللغة "وقر الرجل من الوقار، يقر، فهو وقور.ووقرت الرجل: إذا عظمته ومنه قوله عز وجل: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وفي لسان العرب: "وقر الرجل: بجله، والتوقير: التعظيم والترزين".[٢]

وأما المعنى الشرعي المراد هنا:

فقال ابن عباس: ﴿وَتُوَقِّرُوه﴾ يعني التعظيم.[٣]

وقال قتادة: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أمر الله بتسويده وتفخيمه".[٤]

وقال أيضا: "﴿وَتُوَقِّرُوه﴾ أي ليعظموه".[٥]

وقال ابن جرير الطبري: "فأما التوقير فهو التعظيم والإجلال والتفخيم".[٦]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار".[٧]

قال ابن كثير: "التوقير: هو الإحترام والإجلال والإعظام".[٨]

وأما التعظيم في اللغة:

ففي لسان العرب "التعظيم: التبجيل: يقال لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١٣٢).
(٢) تهذيب اللغة (٩/ ٢٨٠).
(٣) لسان العرب (٥/ ٢٩١).
(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٤).
(٥) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٤).
(٦) تفسير الطبري (٢٦/ ٧٥).
(٧) الصارم المسلول (ص: ٤٢٢).
(٨) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٥).

لها".[١]

ولفظ "التعظيم" لا يرد في خطاب الشارع كما ورد لفظ "التعزير" و"التوقير" لكن العلماء استعملوه في كلامهم عند هذه المسألة وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي "التعزير" و"التوقير".

تعظيم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإجلاله، وتوقيره، شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة [٢] بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة. ذلك لأنه ليس كل محب معظما، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه.

والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم. والسيد قد يحب مماليكه ولكنه لا يعظمهم. والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم.

فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة.[٣]

فمن حق النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجل أكثر من كل ولد لوالده ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة له مما يزيد على لوازم الرسالة.[٤] وهو ما أمر الله به في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿**لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

فأبان أن حق الرسول صلى الله عليه وسلم في أمته أن يكون معزرًا موقرًا مهيبًا.

---

(١) لسان العرب (١٢/ ٤١٠-٤١١).

(٢) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٤) الشعبة الخامسة عشرة. وكذلك الجامع في شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٣٠٠) الشعبة الخامسة عشرة..

(٣) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢/ ١٢٤).

(٤) المعنى المقصود هنا: أنه يجوز أن يبعث الله رسولا ولا يوجب له هذا الحق بخلاف الإيمان والاتباع فإنهما من لوازم الرسالة.

وأخبر سبحانه أن الفلاح إنما يكون لمن جمع بين الإيمان به وتعزيره ولا خلاف في أن التعزير ها هنا التعظيم.[١]

وفي الجمع الحاصل في الآيتين بين الإيمان به وتعظيمه، تنبيه وإرشاد إلى أن القيام بحقوقه-صلى الله عليه وسلم-يعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به.

قال الحليمي: "فمعلوم أن حقوق رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم.فأية نعمة توازي هذه النعم وأية منة تداني هذه المنن.ثم إنه جل ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعدنا على معصيته بالنار.ووعدنا باتباعه الجنة.فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة، وأي درجة تساوي في العلا هذه الدرجة.فحق علينا أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه أكثر من إجلال كل عبد سيده وكل ولد والده.وبمثل هذا نطق القرآن ووردت أوامر الله جل ثناؤه".[٢]

ففي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه-صلى الله عليه وسلم-وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه ومن تلك الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿**لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾ [النور: الآية: ٦٣]، "ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع".[٣]

وروى الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيرها فقال: "أمرهم أن يدعوه يارسول الله في لين وتواضع، ولا يقولوا: يامحمد، في تجهم".[٤]

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٥) "بتصرف".

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (ص: ١٢٤- ١٢٥) والجامع لشعب الإيمان (ص: ٣٠٢- ٣٠٣).

(٣) تفسير الطبري (١٨/ ١٧٧).

(٤) تفسير الطبري (١٨/ ١٧٧).

وعن قتادة قال: "أمرهم أن يفخموه ويشرفوه".(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في تفسيرها "خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهي أن يقولوا: يامحمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يارسول الله، يانبي الله وكيف لا يخاطبونه بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحدا من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: الآية: ٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: الآية: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٥] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق: الآية: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: الآية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: الآيات: ١-٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: الآيات: ١-٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].

مع أنه سبحانه قال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية: ٣٥]، ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: الآية: ٣٣] ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: الآية: ٤٦]، ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [هود: الآية: ٧٦] ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٤]، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: الآية: ٢٦]، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ [المائدة: الآية: ١١٠].(٢)

وقال رحمه الله: "وإذا كنا في باب العبارة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-علينا أن نفرق بين مخاطبته والإخبار عنه.فإذا خاطبناه كان علينا أن نتأدب بآداب الله تعالى حيث قال: ﴿لَّا

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٧٧).

(٢) الصارم المسلول (ص: ٤٢٢-٤٢٣).

تجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: الآية: ٦٣]، فلا تقول يا محمد يا أحمد، كما يدعو بعضنا بعضا بل نقول: يارسول الله، يانبي الله.والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال: **﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾** [البقرة: الآية: ٣٥]، **﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾** [هود: الآية: ٤٨]، **﴿يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾** [طه: الآيات: ١١-١٢] **﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾** [آل عمران: الآية: ٥٥]

ولما خاطبه صلى الله عليه وسلم قال **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾** [الأنفال: الآية: ٦٤]، **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾** [المائدة: الآية: ٤١]، **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾** [المائدة: الآية: ٦٧] **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾** [المزمل: الآية: ١]، **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾** [المدثر: الآية: ١]، فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه.

وأما إذا كنا في مقام الإخبار عنه قلنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله" وقلنا محمد رسول الله وخاتم النبيين، فنخبر عنه باسمه كما أخبر الله سبحانه لما أخبر عنه- صلى الله عليه وسلم-: **﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾** [الأحزاب: الآية: ٤٠]، وقال **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾** [الفتح: الآية: ٢٩] وقال **﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾** [آل عمران: الآية: ١٤٤]، وقال **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾** [محمد: الآية: ٢].

فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل".

٢- وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**

* إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: الآيات: ١-٥].

فهذه الآيات اشتملت على جملة من الآداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يجب أن يعاملوا به الرسول-صلى الله عليه وسلم-من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام وهذه الآداب هي:

أولًا: أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحجرات: الآية: ١].

قال ابن كثير في معناها: "أي لا تسارعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن (بم تحكم؟).قال: بكتاب الله تعالى.قال -صلى الله عليه وسلم-: (فإن لم تجد؟).قال بسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.قال-صلى الله عليه وسلم-: (فإن لم تجد؟).قال-رضي الله عنه-: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لما يرضي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-).(١)

فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقدم بين يدي الله ورسوله".(٢)

وقال الحليمي عند تعليقه على هذه الآية: "والمعنى لا تقدموا قولًا أو فعلًا بين يدي قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر دين أو دنيا، بل أخروا أقوالكم وأفعالكم إلى أن يأمر رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في ذلك بما يراه فإنكم

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢) .وأبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء (٤/ ١٨) (ح: ٣٥٩٢).والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب القاضي كيف يقضي (٣/ ٦١٦) (ح: ١٣٢٧).وابن ماجة في سننه، المقدمة، باب اجتناب الرأي والقياس بنحوه (١/ ٢١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥).

إذا قدمتم بين يديه كنتم مقدمين بين يدي الله-عز وجل-إذ كان رسوله لا يقضي إلا عنه، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾! أي احذروا عقابه بتقديمكم يين يدي رسول الله ومعاملته بما يوهم الاستخفاف به ومخالفة شيء مما يأمركم به عن الله بوحي متلو أو بوحي غير متلو ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لما تقدمونه بين يدي رسوله صلى الله عليه وسلم، أو تأتونه اقتداء به واتباعا له، عليم بما يكون منكم من إجلاله أو خلاف ذلك فهو يجزيكم بما سمعه ويعلمه منكم". [١]

ولقد تأدب الصحابة مع ربهم ومع رسولهم، فما عاد بعد نزول هذه الآية مقترح منهم يقترح على الله ورسوله، وما عاد واحد منهم يدلي برأي لم يطلب منه رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أن يدلي به، وما عاد أحد يقضي برأيه في أمر أو حكم إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-.

حتى كان الرسول-صلى الله عليه وسلم-يسألهم عن اليوم الذي هم فيه والمكان الذي هم فيه وهم يعلمونه حق العلم،فيتحرجون أن يجيبوا إلا بقولهم: الله ورسوله أعلم.خشية أن يكون في قولهم تقدم بين يدي الله ورسوله.ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي-رضي الله عنه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-سأل في حجة الوداع (أي شهر هذا؟).قلنا: الله ورسوله أعلم.فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس ذو الحجة؟).قلنا: بلى.قال: (فأي بلد هذا؟).قلنا: الله ورسوله أعلم.فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير أسمه، قال: (أليس البلدة؟).قلنا بلى.قال (فأي يوم هذا؟).قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.قال: (أليس يوم النحر؟).قلنا بلى ..." الحديث. [٢]

فهذه صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى التي انتهى إليها الصحابة بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى تقوى الله السميع العليم.

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع واللفظ له.انظر فتح الباري (٨/ ١٠٨) (ح: ٤٤٠٦).

ثانيا: أنه حرم رفع الصوت فوق صوت النبي–صلى الله عليه وسلم–وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وهذا من باب الأدب مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في الحديث والخطاب ومن التوقير الذي يجب له، ذلك التوقير الذي ينعكس على نبرات أصوات الصحابة ليتميز بذلك شخص الرسول–صلى الله عليه وسلم بينهم ويميز مجلسه فيهم فقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: الآية: ٢].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم يين يدي النبي–صلى الله عليه وسلم–فوق صوته، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما–، فعن ابن أبي مليكة قال: "كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي–صلى الله عليه وسلم–حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس–رضي الله عنه–أخي بن مجاشع وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر–رضي الله عنهما–ما أردت إلا خلافي، قال: مما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ**﴾ [الحجرات: الآية: ٢].

قال ابن الزبير–رضي الله عنه–: "فما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر".(١)

فقد نهى الله–عز وجل–عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–، أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي–صلى الله عليه وسلم–قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة الحجرات. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٩٠) (ح: ٤٨٤٥).

أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا". (١)

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره–صلى الله عليه وسلم–كما كان يكره في حياته–عليه الصلاة والسلام–لأنه محترم حيًا وفي قبره صلى الله عليه وسلم دائمًا.

ثم نهي عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبة ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، كما قال ﴿**لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾ [النور: الآية: ٣].

وقوله–عز وجل–: ﴿**أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض). (٢)

ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [الحجرات: الآية: ٣] أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا ﴿**لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحجرات: الآية: ٣]". (٣)

وجاء في الكشاف عند تفسير هذه الآيات قوله: "أعاد النداء عليهم– أي في قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك هممهم لئلا يفتروا ويغفلوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المسجد. انظر: فتح الباري (١/ ٥٦٠) (ح: ٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان.فتح الباري (١ ١/ ٣٠٨) (ح: ٦٤٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥– ٢٠٦).

عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم.

وذلك لأن في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لايدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه، وارتداعا بما يصده عنه، وانتهاء إلى كل خير.

والمراد بقوله: ﴿**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم، وجهره باهرا لجهركم، حتى تكون ميزته عليكم لائحة، وسابقته واضحة، وامتيازه عن جمهوركم كشية الأبلق غير خاف، لا أن تغمروا صوته بلغطكم، وتبهروا منطقه بصخبكم.

وبقوله ﴿**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ [الحجرات: الآية: ٢]، أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فإياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت، بل عليهم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم، وأن تتعمدوا في مخاطبته القول البين المقرب من الهمس الذي لا يضاهي الجهر، كما تكون مخاطبة المهيب المعظم، عاملين بقوله عز شأنه: ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ [الفتح: الآية: ٩]، وليس الغرض من رفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون وإنما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء، ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه، ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير.

ولم يتناول النهي أيضا رفع الصوت الذي لا يتأتى به رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وهو ما كان منهم في حرب، أو مجادلة معاند، أو إرهاب عدو أو ما أشبهه، فلم ينهوا عن الجهر مطلقًا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه إلا بالهمس والمخافتة، وإنما نهوا عن جهر مقيد بصفة أعلى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم، وهو الخلو عن مراعاة أبهة النبوة،

وجلالة مقدارها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت عن رتبتها".[١]

"ومن البداهة أن هذه الآيات وأمثالها في تأديب الأمة وتعليمها إنما جاءت بأسلوبها المعجز لتفخيم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار رفعة قدره المنيف، وسمو منزلته–صلى الله عليه وسلم–فوق كل منزلة أحد من الخلق، وهي مسوقة في مواضعها من القرآن الكريم لتعليم الأمة أفرادا وجماعات الأدب الأكمل مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في كل ما يتصل بمخاطبته والتحدث إليه، والإصغاء إلى حديثه، ومجالسته حتى يستشعر المؤمن بقلبه وروحه وكافة إحساساته ومشاعره ما أوجبه الله تعالى من توقيره–صلى الله عليه وسلم–توقيرا يجلي رفيع قدره، وعظيم مقامه، ويظهر تشريف الله تعالى له بما ميزه به على سائر الخلق، وقد اتفق أهل العلم من أئمة أعلام الأمة على أن حرمته–صلى الله عليه وسلم–بعد وفاته كحرمته في حياته".[٢]

ثالثا: أن الله تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه فقال ﴿**أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [الحجرات: الآية: ٤]، ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ**﴾ [الحجرات: الآية: ٥]، أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة فكره إليهم النداء على هذه الصفة المنافية للأدب والتوقير اللائق بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لهم ما يجب عليهم وهو الصبر والانتظار حتى يخرج إليهم وحبب إليهم التوبة والإنابة، ورغبهم في المغفرة والرحمة.[٣]

قال الحليمي "في هذه الآية يسلى الله نبيه–صلى الله عليه وسلم–بما أخبره من أن الذين يصيحون خارج منزله ولا يصبرون حتى يخرج إليهم إنما حملهم على ذاك جهلهم وقلة عقلهم وأكثرهم لا يهتدون إلى ما يلزمهم من تعظيمك في حال مخاطبتك".[٤]

٣– وقال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ**

(١) الكشاف (٣/ ٥٥٤–٥٥٥).

(٢) كتاب محمد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–منهج ورسالة تأليف محمد الصادق إبراهيم عرجون (٤/ ٣٣٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٨).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٨).

اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٠].

قال الحليمي: "فأعلمهم أن نفس الرسول–صلى الله عليه وسلم–أكرم وأشرف وأزكى وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك أن يصرفوا أنفسهم عمالا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا عنه إذا خرج لجهاد أعداء الله معتذرين من شدة حر، أو طول طريق، أو عوز ماء، أو قلة زاد، بل يلزمهم متابعته ومشايعته على أي حال رضيها لنفسه، وفي هذا أعظم البيان لمن عقل، وأبين الدلالة على وجوب تعظيمه وإجلاله وتوقيره".[1]

٤- وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾** [الأحزاب: الآية: ٥٣].

فنهاهم سبحانه وتعالى عن أن يعاملوا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–بالتوسع في الانبساط والإسترسال كما يعامل من لا يهاب ولا يتقى، فيدخل بيته بغير إذنه إذا دعاهم إلى طعام لم ينضج، وأحاطوا به منتظرين إدراكه وإذا حضر الطعام ودخلوا وطعموا لزموا مجالسهم مستأنسين بالمحادثة، وأخبرهم أن ذلك منهي عنه، إذ كان النبي–صلى الله عليه وسلم–قد تأذى منه ويستحى أن يكلمهم، كما أدبهم فيما ينبغي عليهم تجاه معاملتهم مع أزواجه–صلى الله عليه وسلم–وهذا كله مما يدل على ماله–صلى الله عليه وسلم–من التعظيم والاحترام.

٥- وقد جاء بعد هذه الآيات الأمر بالصلاة والسلام عليه–صلى الله عليه وسلم–، حيث قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: الآية: ٥٦].

ووجه إيصال هذه الآية بما قبلها هو أنه لما كان من الواجب على المكلفين تعظيم النبي–صلى الله عليه وسلم–برفع الأذى عنه وإظهار شرفه وكرامته فذكر الله تعالى القسم الأول– أي

(١) المنهاج في شعب الإيمان (٢/ ١٢٦).

رفع الأذى- في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٣]، إلى آخرها وذكر القسم الثاني- أي إظهار شرفه وكرامته- في هذه الآية الثانية، وبدأ بالأول لأن دفع المفاسد أهم.

وأيضا لما أرشد الله تعالى المؤمنين إلى تعظيمه-صلى الله عليه وسلم-بتعلم سلوك طريق الأدب معه في أشياء كثيرة تتعلق بحياته وموته إظهارا لشرفه وتعظيما له، عقبه بما يدل على أنه تعالى أيضا معظم لشأنه أيضا، وكذلك ملائكته المقربون حملة العرش وحفظته الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وفيه بيان لمنقبة عظيمة له-صلى الله عليه وسلم-، فإن الملك قد يأمربإكرام شخص ولا يكون عنده بمكان فأزيل هذا التوهم وبين أنه أكرم الخلق على ربه تعالى.

وأيضا لما أرشد الله المؤمنين إلى الحال التي يجب أن يكونوا عليها مع نبيه-صلى الله عليه وسلم-من التعظيم والتوقير-ولهم معه حالتان:

و. حالة الخلوة: والواجب هناك عدم إزعاجه- بين ذلك بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٣]

٢- وحالة الملأ: والواجب هناك إظهار التعظيم، بين ذلك بقوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وأيضًا لما أمر الله سبحانه وتعالى بالاستئذان في بيوته، وعدم النظر إلى وجوه زوجاته، وغير ذلك من الآداب إكراما وتبجيلا، كمل سبحانه بيان حرمته بقوله ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ .

وأيضًا لما بين الأدب معه في حال الخلوة، وكان حاله في الملأ نوعين، لأنه يكون أعلى وأسفل، فبين أنه في الأعلى محترم في غاية الاحترام ثم بين ما يجب على الملأ الأسفل من ذلك التعظيم بقوله ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].(١)

٦- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) الصلات والبشر في الصلاة على خير البشر (ص: ١٩-٢٠).

عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: الآيات: ٥٧-٥٨].

فالله تعالى من تعظيمه لنبيه-صلى الله عليه وسلم-حفظ له كرامته وصان له حقه ففرق بين

أذاه وأذى المؤمنين، فأوجب على من آذى النبي-صلى الله عليه وسلم-اللعن والطرد من رحمته وهذا حكم على من آذاه بالكفر وفي الآخرة له العذاب المهين ومصيره إلى جهنم وبئس المصير. بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم والفرق بين الحكمين ناتج عن الفرق بين حق النبي صلى الله عليه وسلم وحق غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في استدلاله بهذه الآية على وجوب قتل من أذى النبي-صلى الله عليه وسلم-: "ودلالتها من وجوه:

أحدها: أنه قرن أذاه بأذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصا عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم. بين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئا واحدا فقال تعالى: **﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** [التوبة: الآية: ٤]، وقال تعالى: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾** [آل عمران: الآية: ١٣٢]، في مواضع متعددة، وقال تعالى: **﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾** [التوبة: الآية: ٦٢]، فوحد الضمير، وفي ذلك إشارة إلى أن إرضاء الله إرضاء للرسول وإرضاء الرسول فيه إرضاء لله، وقال أيضا **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾** [الفتح: الآية: ١٠]، وقال أيضا: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾** [الأنفال: الآية: ١].

وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله وأذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئا واحدا، فقال: **﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾** [الأنفال: الآية:

١٣]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: الآية: ٥]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦٣]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: الآية: ٤].

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانا وإثما مبينا وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافرا فإن المؤمن يقرب إليها بعض الأوقات ولا يكون مباح الدم، لأن حقن الدم رحمة عظيمة من الله، فلا تثبت في حقه ...".(١)

ومما يوضح ذلك أن سب النبي-صلى الله عليه وسلم-قد تعلق به عدة حقوق:

ز. حق الله سبحانه من حيث كفر برسوله وعادى أفضل أوليائه وبارزه بالمحاربة ومن حيث طعن في كتابه ودينه، فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعن في ألوهيته، فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل، وتكذيبه تكذيب لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

وتعلق به حق جميع المؤمنين من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصا أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٤٠-٤١).

والآخرة بوساطته وسفارته، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين.

ح. وتعلق به حق رسول الله كلها من حيث خصوص نفسه فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه، خصوصا من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة".[(١)]

٣-الصلاة والسلام عليه-صلى الله عليه وسلم-.

فقد أمرنا الباري تبارك وتعالى أن نصلي ونسلم على نبينا-محمد صلى الله عليه وسلم-، وذلك تشريف منه عز وجل لنبيه ورسوله-صلى الله عليه وسلم-وإظهار للاحترام والتعظيم الذي شرعه في حقه فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦]، فهذه الآية فيها من تعظيم النبي-صلى الله عليه وسلم-والتنويه به ما ليس في غيرها، وذلك بسبب ما فيها من تمييز للنبي-صلى الله عليه وسلم-عند ذكره ولا شك أن ذلك فيه رفع لقدره وإعلاء لمكانته في حياته وبعد موته.

ولذلك فإن من أعظم شعب الإيمان الصلاة والسلام على النبي-صلى الله عليه وسلم-محبة له وأداء لحقه وتعظيما لقدره، والمواظبة عليها من باب أداء شكره-صلى الله عليه وسلم-، وشكره واجب لعظمة الإنعام به، فقد جعله الله سببا لنجاتنا من الجحيم، ودخولنا في دار النعيم، وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب، ونيلنا السعادة من كل الأبواب.

وليست صلاتنا على النبي-صلى الله عليه وسلم-شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا، فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله- لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا-إلى الصلاة عليه لتكون صلاتنا عليه مكافأة بإحسانه

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٣٩٣-٣٩٤).

إلينا وإفضاله علينا إذ لا إحسان لمخلوق أفضل من إحسانه–صلى الله عليه وسلم–، وكذلك فإن المقصود بصلاتنا على النبي–صلى الله عليه وسلم–هو التقرب إلى الله تعالى بامتثال ما أمر به، وقضاء لحق من حقوق المصطفى–صلى الله عليه وسلم–التي أوجبها الله علينا فحق على هذه الأمة أن تعظم قدر نبيها وذلك بأن تكثر من الصلاة والسلام عليه–صلى الله عليه وسلم– اتباعا لأمر ربها تبارك وتعالى وقياما بما لنبيها–صلى الله عليه وسلم–من الحق عليها.وقد اعتنى العلماء بهذه الخصيصة العظيمة فأفردوها بالتأليف وتناولوا في مؤلفاتهم تلك جوانب هذا الموضوع، من أشهر تلك المؤلفات وأجمعها كتاب "جلاء الأفهام" في الصلاة والسلام على خير الأنام للعلامة ابن القيم، بل هو أشهرها وأحسنها.

ومن تلك المؤلفات كتاب القول البديل في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي (ت: ٩٠٢ هـ). وقد ختم كتابه هذا ببيان الكتب المصنفة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جملة كبيرة من هذه الكتب مرتبة.(١)

الأدلة:

من القرآن:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وهذه الآية هي الأصل في هذا الباب (٢) والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها.(٣)

وهي مدنية النزول وقد جاءت بعد جملة من الآيات في سورة الأحزاب ذكر الله فيها عددا من حقوق نبيه–صلى الله عليه وسلم–وما خصه به دون أمته، من حل نكاحه لمن تهب نفسها له، ومن تحريم نكاح أزواجه على الأمة من بعده، ومن سائر ما ذكر بعد ذلك من حقوقه

(١) انظر: القول البديع (ص: ٢٥٨-٢٥٩).
(٢) المنهاج للحليمي (٢/ ١٤٣).
(٣) انظر: القول البديع (ص: ٢١).

وتعظيمه وتبجيله.

ثم ذكر رفع الجناح عن أزواجه في تكليمهن آباءهن وأبناءهن ودخولهم عليهن، وخلوتهم بهن.

ثم عقب ذلك بما هو حق من حقوقه الأكيدة على أمته، وهو أمرهم بصلاتهم عليه وسلامهم، مستفتحا ذلك الأمر بإخباره بأنه هو وملائكته يصلون عليه". [(١)]

قال ابن كثير-رحمه الله تعالى-: "والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا". [(٢)]

"فهذه الآية شرف الله بها رسوله-صلى الله عليه وسلم-في حياته وبعد موته". [(٣)] "وفيها تنبيه على كمال الرسول-صلى الله عليه وسلم-ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره، فقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ أي يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى، ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].اقتداء بالله وملائكته وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيما له-صلى الله عليه وسلم-ومحبة وإكراما وزيادة في حسناتكم وتكفيرا من سيئاتكم". [(٤)]

قال الحليمي: "وقد أمر الله تعالى في كتابه بالصلاة والتسليم عليه جملة فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦]، فأمر الله عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك إخبارهم بأن

(١) جلاء الأفهام (ص: ١٧٤-١٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ٢٣٢) بتصرف.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي (٦/ ١٢٠-١٢١).

ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذ كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق".(١)

ب- من السنة النبوية:

ورد في شأن الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-كثير من الأحاديث التي وضحت وبينت ما يتعلق بشأن هذه الصلاة من جهة مشروعيتها وكيفيتها ومواطنها وفضلها إلى غير ذلك من الجوانب المتعلقة بها.

وقد روى هذه الأحاديث ما جمع من الصحابة رضوان الله عليهم عدهم ابن القيم في كتابه "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام" فبلغوا اثنين وأربعين صحابيا.

وقد جمع ابن القيم هذه الأحاديث وبين طرقها وصحيحها من حسنها ومعلولها، وما في معلولها من العلل بيانا شافيا.

قال ابن القيم: "إن طلب الصلاة من الله على رسوله-صلى الله عليه وسلم-هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته".(٢) يدلك على ذلك ما جاء في فضلها من الأحاديث.

فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "من صلى على واحدة صلى عليه عشرا".(٣)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-، أنه سمع النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة).(٤)

---

(١) المنهاج للحليمي (٢/ ١٣١).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٩٠).

(٣) رواه مسلم (٤٠٨).

(٤) رواه مسلم (٣٨٤).

وعن أبي بن كعب–رضي الله عنه–، قال: قلت: "يارسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال☹(ما شئت)."قلت: الربع؟" قال: (ما شئت، وإن زدت فهو خير).قلت: النصف؟ قال: (ما شئت، وإن زدت فهو خير).قلت: الثلثين؟ قال: (ما شئت وإن زدت فهو خير).قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: (إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك).[(١)]

وللحديث طريق آخر عن يعقوب بن زيد بن طلحة التيمي قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (أتاني آت من ربي فقال: ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا).فقام إليه رجل فقال: يارسول الله أجعل نصف دعائي لك؟ قال: (إن شئت).قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك؟ قال: (إن شئت).قال: ألا أجعل دعائي كله؟ قال: (إذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة).[(٢)]

وعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: (من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا).[(٣)]

وفي رواية: "من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات".[(٤)]

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٧) وأحمد (٢٠٧٣٦) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٨٧٠٦) وعبد بن حميد في "المسند" (١٧٠) والبيهقي في "الشعب" (١٥٧٩).قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.وحسنه المنذري في (الترغيب والترهيب)، وكذا حسنه الحافظ في "الفتح" (١١/ ١٦٨)، وأشار البيهقي في "الشعب" (٢/ ٢١٥) إلى تقويته، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (١٦٧٠) وغيره.

(٢) أخرجه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (ص: ٨٧) (ح: ١٣)، وقال: قال شيخ كان بمكة يقال له منيع لسفيان: عمن أسنده؟ قال: لا أدري، وقال الألباني في تعليقه: هذا مرسل صحيح الإسناد، ويشهد له الحديث الذي بعده– يعني الحديث الذي تقدم ذكره.

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص: ١٦٥) (ح: ٦١)، باب ثواب الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ١٣٥–١٣٦) (ح: ٣٨٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٠٢، ٢٦١) .والبخاري في الأدب المفرد (ص: ٩٤، ٩٥) باب الصلاة على النبي صلى الله
=

وفي رواية: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات).(١)

وقد ورد كذلك في فضل السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–ومواطنها عدد من الأحاديث أورد بعضا منها هنا:.

فالسلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–مشروع في التشهد عند كل صلاة ففي الصحيحين عن ابن مسعود–رضي الله عنه–، قال: "كنا إذا كنا مع النبي–صلى الله عليه وسلم–في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان.

فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: (لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله الصلوات الطيبات، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو).(٢)

عليه وسـلم.والنسـائي في عمل اليوم والليلة (ص: ١٦٦) (ح: ٦٣)، باب ثواب الصـلاة على النبي–صـلى الله عليه وسـلم–.وأخرجه ابن حبان في صحيحه.انظر موارد الظمآن (٢٣٩٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن (٣/ ٥٠) باب الفضل في الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم وكذلك في عمل اليوم والليلة (ص ١٦٥، ١٦٦) (ح: ٦٢)، ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم–، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وكل من رواية "صـلى الله عليه عشـر صـلوات وحط عنه عشـر خطيئات".ورواية "صـلى الله عليه عشـر صـلوات وحط عنه بها عشـر سيئات، ورفعه بها عشر درجات" جاءت من طريق بريد بن أبي مريم وقد جاء في بعض الروايات عن بريد بن أبي مريم عن الحسن عن أنس وفي بعضها عن بريد بن أبي مريم عن أنس، وقد ذكر ابن القيم أن هذه العلة لا تقدح فيه شيئًا، لأن الحسن لا شك في سماعه من أنس، وقد صح سماع بريد بن أبي مريم من أنس أيضًا هذا الحديث، فرواه ابن حبان في صحيحه موارد ٢٣٩٠ والحاكم في المســتدرك (١/ ٥٥٠) من حديث يونس بن أبي إســحاق، عن بريد بن أبي مريم، قال سمعت أنس بن مالك ...نذكره.ولعل بريدا سمعه من الحسن ثم سمعه من أنس، فحدث به على الوجهين، فإنه قال: كنت أزامل الحسن بن محمد، فقال حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فذكره، ثم إنه حدثه به أنس فرواه عنه كما تقدم".جلاء الأفهام (ص: ٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري في صـحيحه، كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشـهد.وليس بواجب.فتح الباري (٢/ ٣٢٠) (ح: ٨٣٥).وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (٢/ ١٣).

وشرع السلام كذلك عند دخول المسجد والخروج منه.

فعن فاطمة بنت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ورضي الله عنها–، أن النبي–صلى الله عليه وسلم–، قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك).(١)

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي–صلى الله عليه وسلم–، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي–صلى الله عليه وسلم–، وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم).(٢)

وعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–، أنه قال: (إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام).(٣)

وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله–عز وجل–إلى روحي حتى أرد عليه السلام).(٤)

(١) رواه ابن ماجه (٧٧١) وغيره، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٢٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٧٦٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٦٢٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٨٧، ١ ٤٤، ٤٥٢).وأخرجه النسائي ني السنن،كتاب السهو، باب السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم– (٣/ ٤٣) .وأخرجه أيضًا في اليوم الليلة، فضل السلام على النبي–صلى الله عليه وسلم–، (ح: ٦٦).وأخرجه الدارمي في السنن،كتاب الرقائق، باب فضل الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–، (٢/ ٣١٧) (ح: ٢٧٧٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه،كتاب الأدعية، باب الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–.انظر: موارد الضمآن (ح: ٢٣٩٣) .وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي–صلى الله عليه وسلم–، (ص: ١١) (ح: ٢١)، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام (ص: ٥٤) : إسناده صحيح..

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٥٢٧).وأخرجه أبو داود في سننه،كتاب المناسك، باب زيارة القبور (٢/ ٥٣٤) (ح: ٤١ ٠ ٢)، وعزاه السخاوي في القول البديع (ص: ١٦١) إلى الطبراني والبيهقي أيضا والحديث لا يسلم من مقال في إسناده.قال ابن عبد الهادى: أما المقال في إسناه فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة.ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة ولا تابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط.الصارم المنكي (ص: ٢٥٠) وحميد بن زياد أبو صخر، ويزيد بن عبد الله بن قسيط فيهما كلام قال ابن عبد الهادي: وأبو صخر حميد بن زياد قد اختلف الأئمة في عدالته والاحتجاج بخبره مع =

وبما تقدم من نصوص يعلم أن السلام هو حق من الحقوق التي للنبي-صلى الله عليه وسلم- على أمته، والمسلم مأمور بالقيام بهذا الحق حيث كان إما مطلقا، وإما عند الأسباب المؤكدة لذلك كما في التشهد وعند الدخول إلى المسجد أو الخروج منه.وهذا السلام فيه من الخاصية للنبي صلى الله عليه وسلم والفضل على هذه الأمة ما فيه.أما الخاصية التي فيه للنبي-صلى الله عليه وسلم-.

قال ابن تيمية: "فالأمر بالسلام عليه-صلى الله عليه وسلم-، مع الغيبة من خصائصه التي خصه الله بها، فلم يرد في الشرع الأمر بالسلام على معين مع مغيبه إلا عليه-صلى الله عليه وسلم-، وذلك كما في التشهد فليس فيه سلام على معين إلا عليه، وكذلك عند دخول المسجد والخروج منه".(١)

وأما الفضل الذي جعله الله لهذه الأمة بهذا السلام فهو جعله سبحانه وتعالى هذا السلام مطلقا لا يتكلف فيه المرء قطع المسافة ولا يشترط فيه اللقاء به في حياته أو المجيء إلى قبره بعد وفاته.

فالمسلم يسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم-في أي مكان في هذه الدنيا وفي أي وقت وزمان يشاء وهذا من الفضل والنعمة التي امتن الله بها علينا.

٤-الإقرار ببشريته وعدم الغلو في حقه-صلى الله عليه وسلم-.

أما المعنى اللغوي للغلو:

جاء في مقاييس اللغة: الغين -واللام- والحرف المعتل -أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر.يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه.وغلا الرجل في الأمر غلوا، إذا جاوز

الاضطراب في اسمه وكنيته واسم أبيه، فما تفرد به من الحديث ولم يتابعه عليه أحد لا ينهض الى درجة الصحة بل يستشهد به ويعتبر به.انتهي كلامه.وهذا الحديث مما تفرد به كما سبق بيانه من كلام ابن عبد الهادى.وقد ذكر ابن عبد الهادي أقوال أئمة الجرح والتعديل في كل من حميد بن زياد أبي صخر ويزيد بن عبد الله بن قسيط وقال في نهاية نقله والحديث إسناده مقارب وهو صالح أن يكون متابعا لغيره عاضدا له والله أعلم.الصارم المنكى (ص: ٢٥٩) ..

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٢).

حده.وغلا بسهمه غلوا، إذا رمى به سهما أقصى غايته.وتغالى النبت ارتفع وطال.وتغالى لحم الدابة: إذا انحسر عنه وبره، وذلك لا يكون إلا عن قوة وسمن وعلو ...الخ [(١)]

جاء في اللسان: ... "أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء.وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا: جاوز حده.وفي التنزيل: ﴿**لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ [النساء: الآية: ١٧١]. [(٢)]

وفي التهذيب " ...غلا السعر غلاء ممدود.وغلا في الدين يغلو غلوا: إذا تجاوز الحد ...". [(٣)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الغلو: هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك". [(٤)]

الغلو في الشرع:

هو مجاوزة حدود ما شرع الله سواء كان ذلك التجاوز في جانب الاعتقاد أو القول أو العمل.

وقد جاء ذكر لفظ الغلو في القرآن الكريم في موضعين وكان الخطاب فيهما للنصارى باعتبارهم أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وأما الموضعان:

فأحدهما: في قوله تعالى ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ [النساء: الآية: ١٧١].

والموضع الثاني: قوله تعالى ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [المائدة: الآية: ٧٧].

قال ابن جرير الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**﴾: يا أهل الإنجيل من

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٢) لسان العرب (١٥/ ١٣١، ١٣٢) مادة (غلا).

(٣) تهذيب اللغة (٨/ ١٩٥، ١٩٢).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ١٠٦).

النصارى ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول: " لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق فإن قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق، لأن الله لم يتخذ ولدا، فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ .

وأصل الغلو في كل شيء: مجاوزة حده الذي حده، ويقال منه في الدين قد غلا فهو يغلو غلوًا ".(١)

وقال في تفسير آية المائدة: وهذا خطاب من الله تعالى ذكره، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يعني بالكتاب الإنجيل ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ يقول لا تفرطوا في القول فيما تدينون به في أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه: هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ يقول لا تتبعوا أيضا في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه كما قالوا وتبهتوا أمه كما يبهتونها بالفرية ...".(٢)

وقال ابن كثير في تفسيره للآية الواردة في سورة النساء: "ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا ولهذا قال الله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ٣١]".(٣)

وقال عند تفسير آية سورة المائدة: "أي لا تتجاوزوا الحد في إتباع الحق ولا تطروا من أمرتم

(١) تفسير الطبري (٦/ ٣٤).
(٢) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٩).

بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديما ...".[(١)]

والمتأمل للنصوص القرآنية يجد أن النصارى لم يكتفوا بالغلو في المسيح ورفعه إلى درجة الألوهية بل غلوا أيضا في حق أحبارهم ورهبانهم فأعطوهم حق التشريع والطاعة المطلقة والإتباع حتى فيما يخالف شرع الله وأحكامه.فكان الأحبار والرهبان يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله ويقررون شرائع وأحكاما ما أنزل الله بها من سلطان فتلقى النصارى ذلك كله بالقبول والطاعة.

قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة: الآية: ٣١]، فهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا**﴾أي الذي إذا حرم شيئا فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ ﴿**لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأنداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب سواه".[(٢)]

ولم يقتصر غلو النصارى عند الحد، بل قدسوهم أمواتا كما قدسوهم أحياء فأقاموا على قبورهم الأضرحة وقدموا لهم القرابين فكان ذلك سببا في لعنهم قال صلى الله عليه وسلم (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).[(٣)].يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنصارى أشد غلوا في ذلك من اليهود كما في الصحيحين: " أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت له أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما كنيسة بأرض الحبشة، وذكرتا من حسنها

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٤١)، ومسلم (٥٢٩).

وتصاوير فيها.فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بنو على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة).(١)

والنصارى كثيرا ما يعظمون آثار القديسين منهم، فلا يستبعد أنهم ألقوا إلى بعض جهال المسلمين أن هذا قبر بعض من يعظمه المسلمون ليوافقوهم على تعظيمه.

فالذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى".(٢)

فالنصارى أمة ضلت وهلكت وكان سبب ضلالها وهلاكها غلوها وقد تجلى غلوها في عدة أمور منها:

ط. غلوهم في نبي الله عيسى ورفعه إلى مكانة الألوهية.

٢- غلوهم في رهبانهم وصالحيهم وذلك بإعطائهم حق التشريع في التحليل والتحريم، والعكوف على قبورهم وتقديسها بعد موتهم.

٣- ابتداعهم الرهبانية.

والله سبحانه وتعالى بذكره لأحوالهم في كتابه العزيز يحذرنا من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفي هذا دعوة للاعتبار بالأمم السابقة ومعرفة سبب هلاكها وضرورة اجتنابه قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: الآية: ١١١].

والغلو عند النصارى هدم أصلي الدين: ١- التوحيد، ٢- الإتباع.

فهم هدموا الأصل الأول بجعلهم عيسى في مقام الألوهية.وهدموا الأصل الثاني بأن جعلوا لرهبانهم حق التشريع والتحليل والتحريم.

فانظر كيف كان الغلو سببا لهدم الدين.

فإن المسيح قال لهم ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾ [المائدة: الآية: ١١٧]، وقال ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ**

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٦٠-٤٦١).

أَحْمَدُ﴾ [الصف: الآية: ٦]، فلو امتثلوا أمره كانوا مطعين لرسول الله موحدين لله، ونالوا بذلك السعادة من الله في الدنيا والآخرة، ولكنهم غلوا فيه واتخذوه وأمه إلهين من دون الله، يستغيثون به وبغيره من الأنبياء والصالحين ويطلبون منهم ويشركون بهم، وكذبوا بالرسول الذي بشر به، وحرفوا التوراة التي صدق بها وظنوا في ذلك أنهم معظمون للمسيح وكان هذا من جهلهم وضلالهم، فإنهم لو أطاعوه فيما دعاهم إليه لكان له مثل أجورهم، وكانت طاعتهم له والإقرار بعبوديته وبما بشر به فيه له ولهم من الأجر ما لا يحصيه إلا الله، ففوتوا هذا الأجر والثواب عليهم وعليه وله ولهم فيه الخير المستطاب واعتاضوا عن ذلك بما ضرهم في الدنيا والآخرة.

وإذا بين لهم قدر المسيح فقيل لهم **﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾** [المائدة: الآية: ٧٥].

قالوا: إن هذا تنقص بالمسيح وسب له واستخفاف بدرجته وسوء أدب معه، بل قالوا هذا كفر وجحد لحقه، وسلب لصفات الكمال الثابتة له.

وهذا في الحقيقة إنما هو نقص لما في نفوسهم من الغلو فيه لا نقص لنفس المسيح الموجود في نفس الأمر.

وفي ذلك من الحمد له والمدح وإعظامه والإيمان به وإعطائه الدرجة العلية ما ليس في الغلو فيه.

لأن في تقرير كمال عبوديته التي هي كمال الخلوق، وهذا هو الكمال فأما الغلو فيه إلى حد الربوبية فذاك خيال باطل لا كمال حاصل وفي إثبات العبودية له، إيمان به وموافقة لخبره وأمره، فيحصل له بذلك من الخير والرحمة ما لا يحصل له بالغلو فيه، الذي هو كذب فيه مكذوب عليه ومعصية له وإشراك بالله، وليس في ذلك ما ينفعه ولا ما يرفعه بل في ذلك ضرر على المشركين المفترين ".[1]

ولم يقتصر الغلو على النصارى وحدهم بل كان واقعا في الأمم قبلهم فالغلو كان أول

(١) الرد على البكري (ص: ١٠٤- ١٠٥).

خطوات الإنحراف عن الدين القويم والوقوع في الشرك.

فقد روى الطبري بسنده عن عكرمة قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ".[(١)]

فكان مبدأ الشرك في قوم نوح، وكان سببه غلوهم في الصالحين فقد روى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه باب قوله تعالى ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: الآية: ٢٣]، عن ابن عباس أنه قال: " أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت ".[(٢)]

فالغلو في الصالحين هو الطامة الكبرى والبلية العظمى التي جنحت بالبشرية عن جادة الحق والصواب إلى ظلمات الشرك والضلال باتخاذ أنداد لله من خلقه واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الإلهية.

قال ابن القيم: "ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطائه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه.

وهذا التشبيه الواقع في الأمم هو الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله".[(٣)]

ولهذا نهي الشارع الحكيم عن الغلو بشتى صوره وأشكاله وحذر منه وذلك لما له من آثار سيئة على الدين ولما فيه من منافاة لعقيدة التوحيد وهدم لأصلي الدين: التوحيد، والإتباع.

ولقد حذر النبي–صلى الله عليه وسلم–أمته من الغلو في الدين وأخبر أنه سببا لهلاك من قبلنا

من الأمم.

---

(١) تفسير الطبري (٢٩/ ٩٩).

(٢) انظر: فتح الباري (٨/ ٦٦٧).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

فعن ابن عباس-رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين).[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقوله "إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال".[٢]

وسبب قول النبي-صلى الله عليه وسلم-لهذه العبارة أن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال لابن عباس غداة العقبة وهو على ناقته "القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: أيها الناس إياكم والغلو في الدين ..." الحديث.

فسبب ورود الحديث ينبهنا إلى أمر هام جدا وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته فتهلك بذلك أمم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه: مثل رمي الحجارة ونحو ذلك، بناء على أنه بالغ في الحصى الصغار، ثم علل ذلك بأن ما أهلك.كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى".[٣]

ولو لم يرد في السنة إلا هذا الحديث لكفى به زاجرا ورادعا للأمة عن الوقوع في الغلو، كيف والسنة مليئة بالأحاديث التي تحذر من الغلو وتبين خطره وهلاكه.

فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-

---

(١) أخرجه الأمام أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧) .والنسائي في السنن (٥/ ٢٠١٨) كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى.وابن ماجه في سننه، أبراب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢/ ١٨٣) (ح: ٣٠٦٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رواه أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عوف بن أبي جميلة عن زيادة بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ١٠٦) .وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٧٨) (ح: ١٢٨٣)، وقال في تخريج السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٦) إسناده صحيح.وقد صححه ابن خزيمة والحاكم (١/ ٤٦٦) والذهبي والنووي وابن تيمية.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ١٥٦).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ١٠٦).

: (هلك المتنطعون): قالها ثلاثا.[(١)]

قال النووي: "هلك المتنطعون": أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم".[(٢)]

وقال أيضا: "المتنطعون: المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد".[(٣)]، فهذا الحديث موافق لما جاء في الحديث السابق من الإخبار بهلاك أصحاب الغلو.

وهناك أحاديث كثيرة نهي فيها النبي–صلى الله عليه وسلم–أصحابه–رضوان الله عليهم– عن الغلو في جوانب معينة من الدين نذكر اثنين منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

فعن أنس بن مالك–رضي الله عنه–، قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي–صلى الله عليه وسلم–فلما أخبروا كأنهم تقالوها.فقالوا: وأين نحن من النبي–صلى الله عليه وسلم–وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا.وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.فجاء رسول الله ال فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).[(٤)]

فسمى النبي–صلى الله عليه وسلم–الغلو في جانب العبادات والسنن التي سنها لهم رغبة عن الشرع الذي جاء به، وتبرأ ممن هذه حاله، حتى وإن كان الدافع لذلك التقرب إلى الله تعالى ذلك لأن هذا الغلو فيه هدم للأصل الثاني من أصول هذا الدين ألا وهو الإتباع فنحن مأمورون بالاقتداء به–صلى الله عليه وسلم–والأخذ بسنته.والغلو في هذا الجانب مناقض تماما لهذا الأصل، ولذلك فلا غرابة أن يتبرأ النبي–صلى الله عليه وسلم–ممن غلا في جانب ما سنه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٨/ ٥٨).

(٢) شرح النووي (١٦/ ٢٢٠).

(٣) رياض الصالحين باب الاقتصاد في الطاعة (ص: ٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

وشرعه للأمة.

لأنه لو فتح هذا الباب وولجته الأمة لأصبحت عبادة الله مجالا لأهواء الناس وعقولهم وبذلك يتلاشى دينها وتنطمس معالمه فتستحق بذلك غضب الله ومقته فتهلك كما هلكت الأمم السابقة.

وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: دخل رسول الله–صلى الله عليه وسلم–المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: (ما هذا الحبل؟).قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به.فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: (حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد) [(١)] وعند مسلم " حبل لزينب تصلي ".

قال ابن حجر: "وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها ...".[(٢)]

وقد حذر النبي–صلى الله عليه وسلم–أمته كذلك من الغلو في حقه–صلى الله عليه وسلم–.

وذلك لما ينطوي عليه الغلو من الشر العظيم، ولما يعلمه–صلى الله عليه وسلم–من منزلته في قلوب المؤمنين.

فقد خشي–صلى الله عليه وسلم–أن يدفعهم حبهم وتعظيمهم له إلى رفعه فوق منزلته التي جعلها الله له وتشريكه مع الله في بعض ما هو حق لله.

فحذرهم من الغلو في شخصه بأساليب مختلفة وذلك حماية منه لجناب التوحيد وقطعا لذريعة الشرك.

وقد جاء تحذره تارة بأسلوب النهي الصريح.

وتارة بالتجائه إلى ربه ودعائه بأن لا يتحول قبره إلى وثن يعبد.

وتارة بلعنة الغلاة الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

(١) أخرجه البخاري في صـــحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشـــديد في العبادة.انظر: فتح الباري (٣٦١٣) (ح: ١١٥٠).وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومراجع الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته ...(٢/ ١٨٩).

(٢) فتح الباري (٣/ ٣٧).

فمما ورد عنه قوله-صلى الله عليه وسلم-: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فانما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله).(١)

قال ابن حجر: "الإطراء: المدح بالباطل تقول أطربت فلانا: مدحته فأفرطت في مدحه".(٢)

فمعنى الحديث: أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية، وإنما أنا عبد الله فصفوني بذلك كما وصفني به ربى، وقولوا عبد الله ورسوله.

فأبى عباد القبور إلا مخالفة لأمره، وارتكابا لنهيه، وناقضوه أعظم المناقضة وظنوا أنهم إذا وصفوه بأنه عبد الله ورسوله، وأنه لا يدعى ولا يستغاث به، ولا ينذر له، ولا يطاف بحجرته، وأنه ليس له من الأمر شيء، ولا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، أن في ذلك هضمًا لجنابه وغضًا من قدره، فرفعوه فوق منزلته، وادعوا فيه ما ادعت النصارى في عيسى أو قريبا منه، فسألوه مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب وغير ذلك من الأمور.(٣)

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتاب تلخيص الاستغاثة (٤) عن بعض أهل زمانه أنه جوز الاستغاثة بالرسول-صلى الله عليه وسلم-في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف فيه مصنفا.وكان يقول أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.وحكي عن آخر من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا أنه كان يقول إن النبي-صلى الله عليه وسلم-يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه.

ومن هؤلاء من يقول في قول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٢]، إن الرسول-صلى الله عليه وسلم-هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون الرسول معبودا ويقول قائلهم:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٢-٢٧٣).

(٤) الرد على البكري (ص: ٢١٨).

فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ".(١)

فانظر إلى ما أدى إليه هذا الإطراء من صرف أمور قد اختص بها الرب عز وجل فصرفت للنبي-صلى الله عليه وسلم-.

ولكن ما على الرسول إلا البلاغ فقد سد النبي-صلى الله عليه وسلم- كل ذريعة مؤدية إلى الغلو والشرك حتى يبقى هذا الدين وسطًا صافيًا لا كدر فيه، وتبقى عقيدة التوحيد نقية قوية خالدة.

فلقد نهي الرسول الكريم عن المبالغة في مدحه لعلمه بأن هذه المبالغة بريد إلى الغلو ومدعاة للشرك والانحراف عن الطريق السوي.

وهذا من الحرص الكامل للرسول-صلى الله عليه وسلم-على حماية التوحيد، فبهذا النهي الشديد سد الرسول-صلى الله عليه وسلم-طريق الغلو.

والنهي عن المبالغة في الإطراء لا يعني التقليل من قدره وتوقيره فإن للتوقير والتعظيم وسائله المشروعة والتي سبق ذكرها.

ولكن هناك أناس شق عليهم التوقير المشروع فلجأوا إلى التوقير الممنوع فنسجوا قصائد مطولة أغرقوا فيها بالمديح المجاوز للحد والمنافي لقواعد التوحيد والذي لا يرضى به الله ورسوله بل جاء التحذير منه بنص القرآن والسنة المطهرة.

"ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الخلق على تجريد التوحيد حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: (اجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده).(٢)

ونهى أن يحلف بغير الله، وأخبر أن ذلك شرك.

ونهي أن يصلى إلى القبر أو يتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليه سراج، بل مدار دينه على

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) ، وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (ص: ٥٤٥) (ح: ٩٨٧).

هذا الأصل–أي تجريد التوحيد– الذي هو قطب رحا النجاة، ولم يقرر أحد ما قرره–صلى الله عليه وسلم–بقوله وفعله وسد الذرائع المنافية له، فتعظيمه–صلى الله عليه وسلم–بموافقته على ذلك لا مناقضته فيه".[١]

والغلو بشتى صوره وأشكاله مناف لأصلي التوحيد ويكفيك أن تعلم أن سبب عبادة الأصنام هو الغلو في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلته، حتى جعل فيه حظ من الإلهية، وشبهوه بالله سبحانه، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطه الله سبحانه، وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله.فهو سبحانه ينفي، وينهي، أن يجعل غيره مثلا له، وندا له وشبها له.لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلته سبحانه مثلا لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوق أصلا وشبهت به الخالق، فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم.

وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك، غلوا فيمن يعظمونه، ويحبونه، حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله، وأنكروا جعل الألهة إلهًا واحدًا وقالوا: ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [ص: الآية: ٦]وصرحوا بأنه إله معبود، يرجى، ويخاف، ويعظم، ويسجد له ويحلف باسمه، وتقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى.فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله سبحانه، وإن لم يشبه من كل وجه.[٢]

فحقيقة الشرك هو التشبه بالخالق أو التشبيه للمخلوق به فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية.

فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده.

فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٧٤).
(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٢٦).

ولا حياة ولا نشورا -فضلا عن غيره- شبيها لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه، ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد.

فمن أقبح التشبيه: تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات.ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره.فمن جعل شيئا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة.

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب، مع غاية الذل، هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين.

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه في خالص حقه وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم، وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها.ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله الحسنى فأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه بما يوفق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور ﴿**يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ [النور: الآية: ٣٥].

إذا عرف هذا فمن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به.

ومنها المتوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به.

ومنها التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به.

ومنها الحلف باسمه تعظيما وإجلالا له، فمن حلف بغيره فقد شبهه به.هذا في جانب التشبيه.

وأما في جانب التشبه به: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويذله غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه.

وفي الصحيح عنه–صلى الله عليه وسلم–قال: (يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدا منهما عذبته).[١]

وإذا كان المصور الذي يصنع الصورة بيده من أشد الناس عذابا يوم القيامة لتشبهه بالله في مجرد الصنعة، فما الظن بالتشبه بالله في الربوبية والإلهية؟ ففي الصحيحين عنه–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: (قال الله–عز وجل–: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة).[٢] فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر وقال–صلى الله عليه وسلم–: (أشد الناس عذابا ثرم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم)[٣]".[٤]

الفرق بين ما هو حق لله وحده لا يشركه فيه غيره وبين ما هو حق للرسول

بعث الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن دعاء ما سواه –لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة–.قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: الآية: ٣٦].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الكبر (٨/ ٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فتح الباري (١٣/ ٥٢٨) ح ٧٥٥٩.وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (٦/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة. فتح الباري (١٠/ ٨٢-٨٣) (ح: ٤٩٥٠-٤٩٥١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولاصورة (١٦١١٦).

(٤) الجواب الكافي (ص: ١٥٩-١٦١).

وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: الآية: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآيتان: ٧٩-٨٠].

فدين الحق دين الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسله كما يدل عليه قولنا: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

فهذان الأصلان:

١-توحيد الرب بالعبادة، ٢- الإيمان برسله.

لابد منهما، ولهذا لا يدخل أحد في الإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

ذلك لأن دين الإسلام مبني على هذين الأصلين ومن خرج عن واحد منهما فلا عمل له ولا دين.

فلا إله إلا الله معناها أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا.

فإن الإله: هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالًا وإكرامًا.

وهو سبحانه له حق لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله ولا يدعى إلا الله ولا يخاف إلا الله ولا يطاع إلا الله.

وأما شهادة أن محمدا رسول الله فهي تعني ألا نعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فهو المبلغ عن الله طاعته وأمره ونهيه وتحليله وتحريمه، فهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده.

وليس للرسول واسطة في إجابة الدعاء، وكشف البلاء، والهداية، والإغناء ونحو ذلك.

فالله تعالى هو المتفرد بذلك فهو سبحانه الذي يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى وهو القادر على إنزال النعم وإزالة الضر من غير احتياج منه إلى أن يعرفه أحد أحوال عباده أو يعينه على قضاء حوائجهم.

والأسباب التي بها يحصل ذلك هو خلقها ويسرها، فهو مسبب الأسباب التي يحصل بها ذلك ولهذا فرض سبحانه على المصلى أن يقول في صلاته ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: الآية: ٥].

فالله سبحانه أجل وأعظم وأغني وأعلى من أن يفتقر إلى شيء، بل هو الأحد الصمد وكل ما سواه مفتقر إليه، وهو مستغن عن كل ما سواه.وعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، قال: " قام فينا النبي-صلى الله عليه وسلم-فذكر الغلول وعظم أمره قال: (لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، يقول: يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له ركاء، يقول يارسول الله أغثني فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك) الحديث.[١]

فهؤلاء الذين بلغهم أخبر أنهم إذا استغاثوا به يوم القيامة وسألوه الشفاعة يقول لهم لا أملك لكم من الله شيئا قد أبلغتكم.[٢]

فعلى المسلم أن يفرق لأن ما هو حق لله وحده وبين ما هو حق لرسله.

فالله أمرنا أن نؤمن بالأنبياء وما جاؤا به وفرض علينا طاعة الرسول الذي بعث إلينا ومحبته وتعزيره وتوقيره والتسليم لحكمه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الغلول.انظر: فتح الباري (٦/ ١٨٥) (ح: ٣٠٧٣).
وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول (٦/ ١٠).

(٢) انظر: الرد على البكري (ص: ٥٢-٥٤) بتصرف.

وأمرنا أيضا أن لا نعبد إلا الله وحده لا نشرك به شيئا ولا نتخذ الملائكة والنبيين أربابا.

وفرق بين حقه الذي يختص به الذي لا يشركه فيه لا ملك ولا نبي.

وبين الحق الذي أوجبه علينا لملائكته وأنبيائه عموما ولمحمد–صلى الله عليه وسلم–خاتم الرسل

وخير مرسل الذي جاءه بالوحي خصوصا، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فاصطفي من الملائكة جبريل لرسالته واصطفي من البشر محمدا–صلى الله عليه وسلم–، وأخبر أن هذا القرآن الذي نزل به هذا الرسول إلى هذا الرسول مبلغا له عن الله قال تعالى: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: الآية: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء: الآيات: ١٩٢–١٩٥].

فالله أوجب علينا الإيمان بمحمد–صلى الله عليه وسلم–خصوصا وبالملك الذي جاءه بالقرآن.وأمرنا بالإيمان بالأنبياء كلهم وبجميع ما أوتوا كما قال تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**﴾ [البقرة: الآية: ١٧٧].

وقال تعالى ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ**

ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: الآية: ١٣٦].

فالأنبياء وسائط بين الله–عز وجل–وبين عباده في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، وما أخبر به عن نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان وسيكون.وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم، مجملًا وذلك بأن كل ما أخبروا به عن الله فهو حق وأن طاعتهم فرض على من أرسلوا إليهم.

أما محمد–صلى الله عليه وسلم–فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق وقد ختم الله به الأنبياء وآتاه من الفضائل ما فضله به على غيره وجعله سيد ولد آدم وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لا يسعها هذا الموضع.

وقد أوجب الله علينا أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به وأن نصدقه في كل ما أخبر به، كما سبق ذكر ذلك في الباب الأول من هذه الرسالة.

وهو سبحانه مع هذا كله نهانا عن الشرك بهم والغلو فيهم، وميز بين حقه تعالى وحقهم.

فقال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** * **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: الآيتان: ٧٩–٨٠].فهذا بيان أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر مع وجوب الإيمان بهم ما لم يحصل بعبادة الأوثان، فإن الأوثان تستحق الإهانة وأن تكسر كما كسر إبراهيم الأصنام وكما حرق موسى العجل ونسفه وكما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يكسر الأصنام ويهدم صوتها وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٩٨].فإهانتها من تمام التوحيد والإيمان.

والملائكة والأنبياء بل الصالحون يستحقون المحبة والموالاة والتكريم والثناء.مع أنه يحرم الغلو فيهم والشرك بهم، فلهذا صار بعض الناس يزيد في التعظيم على ما يستحقونه فيصير شركا، وبعضهم يقصر عما يجب لهم من الحق فيصير فيه نوع من الكفر.

والصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وهو القيام بما أمر الله به ورسله في هذا وهذا.

والله تعالى يميز حقه من حق غيره ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد).

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: (أن يعبدوه ولا شركوا به شيئا، أتدرى يا معاذ ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟).قلت: الله ورسوله أعلم.قال: (أن لا يعذبهم).[1]

وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: الآيتان: ٧٤-٧٥].

فالرسل كلهم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم يبينون أن العبادة والتقوى حق لله وحده، وحق الرسل طاعتهم.

قال نوح عليه السلام ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح: الآيتان: ٢-٣].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: الآيات: (٦٥- ٧٣- ٨٥)].

وقال تعالى ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.[الشعراء: الآيات: ١٠٥-١٠٨].

وكذلك قال سائر الرسل هود وصالح وشعيب كل يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء الآيات: ١٢٦-١٣١-١٤٤-١٦٣-١٧٩].

وكذلك في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) باختلاف يسير.

اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: الآية: ٥٢].

فجعل الطاعة لله والرسول.وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

وقال تعالى: **﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** [الفتح: الآية: ٩].

فالإيمان بالله والرسول، والتعزير والتوقير للرسول، وتعزيره، نصره ومنعه.

والتسبيح بكرة وأصيلا لله وحده، فإن ذلك من العبادة لله وحده والعبادة هي لله وحده.

وقال تعالى: **﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾** [النحل: الآيتان: ٥١-٥٢].فأنكر سبحانه أن يتقى غيره كما أمر أن لا يرهب إلا إياه.

وقال تعالى: **﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾** [البقرة: الآية: ١٥٠].

وقال تعالى: **﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾**.[التوبة: الآية: ١٨].فقد أمر الله تعالى في غير موضع بأن يخشى ويخاف ولا يخشى ويخاف غيره.وقال تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾**.[التوبة: الآية: ٥٩].

ففي الإيتاء قال **﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾** كما قال: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** [الحشر: الآية: ٧]، لأن الحلال ما حلله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله.

فما أعطاه الرسول للناس فهو حقهم بالقول والعمل كالفرائض التي قسمها الله وأعطى كل ذي حق حقه وكذلك من الفيء والصدقات ما أعطى فهو حقه، وما أباحه له فهو مباح، وما نهاه عنه فهو حرام عليه فلهذا قال تعالى **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا**

اللَّهُ ﴾ [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل هنا ورسوله لأن الله تعالى وحده حسب عبده أي كافيه.لا يحتاج الرب في كفايته إلى أحد لا رسول ولا نبي، ولهذا لا تجئ هذه الكلمة إلا الله وحده كقوله: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: الآية: ١٢٩].

وقال تعالى ﴿**وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: الآية: ٦٢].إلى قوله ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين كما قاله جمهور أهل العلم.ومن قال إن الله ومن اتبعك حسبك فقد غلط، ولم يجعل الله وحده حسبه بل جعله وبعض المخلوقين حسبه، وهذا مخالف لسائر آيات القرآن.

وقال تعالى ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر: الآية: ٣٦].فهو وحده كاف عبده، وقال تعالى ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: الآية: ٣].

فلهذا قال تعالى ﴿**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ**﴾ [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل ورسوله ثم قال ﴿**إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾ [التوبة: الآية: ٥٩]، ولم يقل ورسوله بل جعل الرغبة إلى الله وحده كما قال ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ** * **وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب**﴾ [الشرح: الآيتان: ٧-٨].

فالرغبة تتضمن التوكل وقد أمر أن لا نتوكل إلا عليه كقوله ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا**﴾ [المائدة: الآية: ١١١]، وقوله ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [النحل: الآية: ٩٩].

فالتوكل على الله وحده، والرغبة إليه وحده، والرهبة منه وحده.

ليس لمخلوق لا الملائكة ولا الأنبياء في هذا حق كما ليس لهم حق في العبادة ولا يجوز أن نعبد إلا الله وحده ولا نخشى ولا نتقى إلا الله وحده كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ**

إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢].

فإذا قال القائل لا يجوز التوكل إلا على الله وحده، ولا العبادة إلا لله وحده ولا يتقى ولا يخشى إلا الله وحده لا الملائك ولا الأنبياء ولا غيرهم كان هذا تحقيقا للتوحيد.

ولم يكن، هذا سبا لهم ولا تنقصا بهم ولا عيبا لهم وإن كان فيه بيان نقص درجتهم عن درجة الربوبية فنقص المخلوق عن الخالق من لوازم كل مخلوق.ويمتنع أن يكون المخلوق مثل الخالق.

والملائكة والأنبياء كلهم عباد الله يعبدونه كما قال تعالى ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية: ١٧٢].

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآيات: ٢٦-٢٩].

فإذا نفي عن مخلوق ملك أو نبي أو غيرهما ما كان من خصائص الربوبية وبين أنه عبد الله كان هذا حقا واجب القبول، وكان إثباته إطراء للمخلوق فإن دفعه عن ذلك كان عاصيا بل مشركا.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله).(١)

فالله تعالى قد وصفه بالعبودية حين أرسله، وحين تحدى، وحين أسرى به فقال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: الآية: ١٩].

وقال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: الآية: ٢٣].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

وقال تعالى ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء: الآية: ١].

وأهل الباطل يقولون لمن وصفهم بالعبودية إنه عابهم وسبهم ونحو ذلك.

ولهذا لما سأل النجاشي جعفر بن أبي طالب-رضي لله عنه- ما تقول في المسيح عيسى؟ فقال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه رفع النجاشي عودًا وقال: ما زاد المسيح على ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته.(١) فقال: "وإن نخرتم".(٢)

فهم يجعلون قول الحق في المخلوق سبا له، وهم يسبون الله ويصفونه بالنقائص والعيوب كما في الحديث عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: (يقول الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك.أما تكذبه إياي أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولدا، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد).(٣)

فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء يسبونه، وقد كان معاذ بن جبل يقول عن النصارى: "لا ترحموهم فقد سبوا الله سبة ما سبه إياها أحد من البشر".وهذا نظير ما ذكره الله تعالى عن المشركين بقوله ﴿**وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٣٦].

فكانوا ينكرون على محمد عليه السلام أن يذكر آلهتهم بما تستحقه وهم يكفرون بذكر الرحمن ولا ينكرون ذلك كما قال تعالى ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٨].

وهكذا من فيه شبهه من اليهود والنصارى والمشركين تجده يغلو في بعض المخلوقين من

---

(١) أي تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.النهاية (٥/ ٣٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٠١-٢٠٣) (٥/ ٢٩٠-٢٩٢) .قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤-٢٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٩٣-٢٩٥).وهو في سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٩-٢٩١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...﴾ الآية (٦/٢٨٧) (ح: ٣١٩٣)، وكذلك في كتاب التفسير، تفسير سورة الإخلاص.انظر فتح الباري (٨/٧٣٩) (ح: ٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

المشايخ والأئمة والأنبياء وغيرهم وإذا ذكروا بما يستحقونه أنكر ذلك ونفر منه وعادى من فعل ذلك وهو وأصحابه يستخفون بعبادة الله وحده وبحقه وبحرماته وشعائره ولا ينكر ذلك.ويحلف أحدهم بالله ويكذب ويحلف بمن يعظمه ويصدق ولا يستجيز الكذب إذا حلف به.وهؤلاء من جنس النصارى والمشركين وكذلك قد يعيبون من نهي عن شركهم كالحج إلى القبور التي يحجون إليها عادة وهم يستخفون بحرمة الحج إلى بيت الله ويجعلون الحج إلى القبور أفضل منه.وقد ينهون عن الحج اعتياضا إلى القبور ويقولون هذا الحج الأكبر.

ويرون النهي عن الحج إلى قبور الأنبياء والصالحين إخلالا بحقهم ومعاداة لهم ونحو ذلك.

وهم لا يرون الشرك بالله ودعاء غيره واتخاذ عباده من دونه أولياء إخلالا بحقه ومعاداة له.

ومعلوم أن المشركين من أعظم أعداء الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: الآيات: ١-٤] فأمر بالتأسي بإبراهيم ومن معه لما تبرءوا من المشركين وما يعبده المشركون، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء حتى يؤمنوا بالله وحده.فالمشرك والآمر بالشرك والراضي به معاد لله، ومن عادى الله فقد عادى أنبياءه وأولياءه.

وأما من أمر بما جاءت به الرسل فلم يعادهم ولم يعاندهم قال تعالى ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: الآيات: ١-٦].

وهنا موضع يشكل على بعض الناس وذلك أنه قال عليه السلام في الحديث الصحيح: " أصدق كلمة قد قالها شاعر كلمة لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل.[(١)]

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: الآية: ٦٢].

فالمراد بالباطل: ما لا ينفع، وكل ما سوى الله لا تنفع عبادته، وهذا يدخل فيه كل ما عبد من دون الله من الملائكة والأنبياء وهؤلاء قد سبقت لهم من الله الحسني فكيف يدخلون في الباطل؟.

وكذلك قوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: الآية: ٣٢]..

فيقال: إن المراد عبادتهم والعمل لهم باطل، وقد يقال عن الشيء أنه لا شيء لانتفاء المقصود منه ليس بشيء وكما قال صلى الله عليه وسلم عن الكهان لما سئل عنهم فقال: "ليسوا بشيء" فقالوا إنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– : (تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة).[(٢)] فهم ليسوا بشيء: أي لا ينتفع بهم فيما يقصد منهم، وهو الاستخبار عن الأمور الغائبة لأنهم يكذبون كثيرا فلا يدرى ما قالوه أهو صدق أم كذب.وهم مع ذلك موجودون يضلون ويضلون.

فقوله: "ليس بشيء" مثل قوله: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل" وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: الآية: ٦٢]، فهو من جهة كونه معبودا باطل لا ينتفع به ولا يحصل لعابده مقصود العبادة وإن كان من جهة أخرى هو شمس

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية فتح الباري (٧/ ١٤٩) (ح: ٣٨٤١).وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر (٧/ ٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٧/ ٣٦).

وقمر ينتفع بضيائه ونوره وهو يسجد لله ويسبحه.وكذلك الملائكة والأنبياء إذا نفي عنهم كونهم آلهة معبودين وتبين أن عبادتهم عمل باطل لا ينتفع به، لم ينف ذلك ما يستحقونه من الإجلال والإكرام وعلو قدرهم عند الله تعالى.

والتبري من عبادتهم وكونهم معبودين، لا من موالاتهم والإيمان بهم وقولهم ﴿**إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [الممتحنة: الآية: ٤]، أي ومن عبادتهم ومن كونهم معبودين كما قال الخليل عليه السلام: ﴿**يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: الآية: ٧٨]، فهو بريء من كل شريك لله من جهة كونه جعل شريكا وندا لله ولم يبرأ منه من جهات أخرى.

فإبراهيم لم يبرأ من الشمس والقمر والكواكب من جهة كونها مسخرة لمنافع العباد وكونها تسجد لله وتسبحه وكونها من آياته العظيمة بل من جهة كونها

شركاء لله.أما الأوثان ونحوها فتعادى مطلقا.والشمس والقمر والملائكة والكواكب تعادى عبادتها وكونها آلهة معبودة فتبغض من هذه الجهات وتعادى، مع وجوب الإيمان بالملائكة وإذا قيل للنصارى نحن براء من شرككم ومما تعبدون من دون الله.وقد قال تعالى: ﴿**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [المائدة: الآية: ٧٦].هذا بعد قوله: ﴿**مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ [المائدة: الآية: ٧٥].

فالبراءة من كل معبود سوى الله كالبراءة من كل إله سوى الله، وذلك براءة من الشرك ومن كل ما سوى الله معبودا، وليس هو براءة من المسيح من جهة كونه رسولا كريما وجيها عند الله، بل براءة مما قيل فيه من الباطل لا من الحق.والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرؤن ممن عبدوهم ويعادونهم ولا يوالونهم قال الله تعالى ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ**﴾.[سبأ: الآيات: ٤٠-٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: الآيات: ١٧-١٨].

وقال تعالى ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ [الكهف: الآية: ١٠٢]، وقال تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآية: ٩].

وقال تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ [الأنعام: الآية: ١٤].

وهو سبحانه لم ينه عن موالاتهم فمن أحبهم ووالاهم فهو موحد ومن جعلهم أندادا أحبهم كما يحب الله فهو مشرك كافر.فالحب لله توحيد وإيمان.والحب كما يحب الله شرك وكفر.

وكذلك الشفاعة قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السجدة: الآية: ٤].وقال تعالى ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥].

فتبين أنه لا تنفع شفاعة الملائكة والأنبياء ولا غيرهم إلا لمن أذن له حتى (إذا قضى بالأمر ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله تعالى كأنه سلسلة على صفوان) [(١)] وصعقوا فلا يعلمون ما قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، فحينئذ يعلمون ما قضى به، فكيف يضفعون بدودت إذنه؟

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: الآيتان: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: الآية: ٤٣].

وأوجه الشفعاء وأول شافع يوم القيامة محمد–صلى الله عليه وسلم–وقد ثبت في الأحاديث

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، تفسير سورة سبأ، باب (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) .فتح الباري (٨/ ٥٣٧-٥٣٨) (ح: ٤٨٠٠).

الصحيحة أحاديث الشفاعة أن الناس يوم القيامة إذا ذهبوا إلى آدم ليشفع لهم يردهم إلى نوح ونوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى المسيح والمسيح إلى محمد–صلى الله عليهم وسلم أجمعين–فيقول اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال صلى الله عليه وسلم (فيأتوني فأذهب إلى ربي فإذا رأيت ربي خررت ساجدا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن وحينئذ فيقول الله تعالى "أي محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه واشفع تشفع" قال فأقول: أي رب أمتي فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة) وكذلك ذكر في الثانية والثالثة.(١)

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة–رضي الله عنه–، قلت: يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ " الحديث إلى أن قال–صلى الله عليه وسلم–: (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه).(٢)

فقد بين أوجه الشفعاء أنه إذا أتى يبدأ بالسجود لله والحمد لله لا يبدأ بالشفاعة حتى يؤذن له فإن أذن له فحينئذ يشفع، فإذا شفع حد له حدا فيدخلهم الجنة، وبين أن أولى الناس بشفاعته من كان أعظم إخلاصا وتوحيدا لا من كان سائلا وطالبا منه أو من غيره.فالأمر كله لله وحده لا شريك له هو الذي يأذن في الشفاعة وهو الذي يقبل شفاعة الشفيع فيمن يختار قال تعالى ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القصص: الآية: ٦٨].

فالذين يخالفون شريعة الأنبياء ويغلون فيهم ويقولون إنهم يحبونهم ويوالونهم ويعظمونهم بذلك، فالأنبياء يتبرءون منهم، ومحمد صلى الله عليه وسلم بريء من عمل يخالف أمره وسنته قال الله تعالى ﴿**فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [الشعراء: الآية: ٢١٦].

ولا ينفع من عصى الرسول أن يقول قصدي تعظيمهم فإنه إنما أمر بطاعتهم ولم يأمر أن

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩).

يعبد الله بالظن وما تهوى الأنفس، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: الآيتان: ١١٦-١١٧].

فقد أخبر أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به أن يعبدوا الله وحده وكذلك سائر الانبياء قال الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٥].

وهو سبحانه انما يعبد بما شرع من الدين، لا يعبد بما شرع من الدين بغير إذنه فإن ذلك شرك قال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: الآية: ١٣].والدين الذي شرعه إما واجب أو مستحب فكل من عبد عبادة ليست واجبة في شرع الرسول ولا مستحبة كانخا من الشرك والبدع، وكلما تدبر الإنسان ما أمر به وشرعه تبين له أنه جمع في شرعه بين كمال توحيد الرب وإخلاص الدين له.

وبين كمال طاعة الرسل وتعزيرهم ومحبتهم وموالاتهم ومتابعتهم فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أتبعهم للرسول باطنا وظاهرا صلى الله عليه وسلم تسليما.(١)

فهذا هو صراط الله المستقيم قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٥٣].

ولما أمرنا الله أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم

(١) الرد على الأخنائي (ص: ٣٣٣- ٣٨٨) بتصرف.

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين. كان ذلك مما لحين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين.(١) والمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى.(٢)

وقد افترق اليهود والنصارى في شأن الأنبياء، فاليهود جفوا عنهم فكذبوهم وقتلوهم كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ٨٧]، والنصارى غلوا فيهم فأشركوا بهم حتى كفروا بالله تعالى قال تعالى ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ [النساء: الآية: ١٧١].

فبالإيمان بهم وتصديقهم وطاعتهم يخرج المسلم عن مشابهة اليهود وبعبادة الله وحده والاعتراف بأنهم عباد الله لا يجوز اتخاذهم أربابا إلا اك ك بهم والغلو فيهم يخرج عن مشابهة النصارى.

فإن اتخاذهم أربابا كفر تال الله تعالى ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: الآية: ٨٠]، والنصارى يشركون بمن دون المسيح من الأحبار والرهبان قال تعالى ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة: الآية: ٣١]، فمن غلا فيهم واتخذهم أربابا فهو كافر.

ومن كذب شيئا مما جاؤا به أو سبهم أو عابهم أو عاداهم فهو كافر.

فلابد من رعاية هذا الأصل.(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٦٥).

(٢) كتاب الله يدل على ذلك فقد قال الله في حق اليهود ﴿فباءوا بغضب على غضب﴾، وقال في النصارى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ .

(٣) الرد على الأخنائي (ص: ٣٢٤-٣٢٥).

وكان السلف يرون أن من انحرف من العلماء عن الصراط المستقيم ففيه شبه من اليهود كما ئرى في أحوال منحرفة أهل العلم من تحريف الكلم عن مواضعه، وقسوة القلوب، والبخل بالعلم وغير ذلك.

ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى كما ئرى في منحرفة أهل العبادة من الغلو في الأنبياء والصالحين وغير ذلك.(١)

والغلو في هذه الأمة وقع في طائفتين:

الطائفة الأولى: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية.

الطائفة الثانية: طائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين.(٢)

فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى.

وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم قال تعالى في خطابه لبني إسرائيل ﴿**وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [المائدة: الآية: ١٢].

والتعزير: النصر والتوقير والتأييد.

وقال تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ [الفتح: الآيتان: ٨-٩].فهذا في حق الرسول، ثم قال في حق الله تعالى ﴿**وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفتح: الآية: ٩].

وقال تعالى ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٥٧].

وقال تعالى ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: الآية: ٣١].

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٦٥) بتصرف.

(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٩٢) والرد على البكري (ص: ١٠٥، ١٠٦).

وقال تعالى ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾ [آل عمران: الآية: ٣٢]، وذكر طاعة الرسول في أكثر من ثلاثين موضعا.

وقال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٦].

وقال تعالى ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾ [التوبة: الآية: ٢٤]، فقد بين الله في كتابه حقوق الرسول من الطاعة له، ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، ونصره، وتحكيمه، والرضى بحكمه، والتسليم له واتباعه والصلاة والتسليم عليه، وتقديمه على النفس والأهل والمال، ورد ما يتنازع فيه إليه وغير ذلك من الحقوق.

وأخبر أن طاعته طاعته فقال: ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: الآية: ٨٠]، ومبايعته مبايعته فقال ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾ [الفتح: الآية: ١٠].

وقرن بين اسمه واسمه في المحبة فقال ﴿**أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [التوبة: الآية: ٢٤]، وفي الأذى فقال ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [الأحزاب: الآية: ٥٧]، وفي الطاعة والمعصية فقال ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [النساء: الآية: ١٣]، ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [النساء: الآية: ١٤]، وفي الرضا فقال ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ**﴾ [التوبة: الآية: ٦٢].

فهذا ونحوه هو الذي يستحقه رسول الله بأبي هو وأمي.

فأما العبادة والاستعانة فلله وحده لا شريك له كما قال ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ [النساء: الآية: ٣٦].

نماذج من الغلو في حق النبي-صلى الله عليه وسلم-.

ما يسمى بـ (الحقيقة المحمدية):

وهي أسطورة من أساطير الصوفية، نسجها خيالهم المريض، وأوهامهم الفاسدة، فهي كذبة ليس لها رصيد من الواقع، بل هي مناقضة تماما لما أخبر به الله تعالى وقرره في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.أما عن فحوى هذه الأسطورة فيقول قائلهم:"اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها ...ثم انبخست منه-صلى الله عليه وسلم-عيون الأرواح فهو الجنس العالي على جميع الأجناس والأب الأكبر لجميع الموجودات".(١)

ويقول آخر: "اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأراضين وجنات وحجبا وما فوقها وما تحتها إذا اجتمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي، وأن مجموع نوره لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافتت وتساقطت".(٢)

وفي هذا يقول شاعرهم:

أنشاك نورا ساطعا قبل الورى	فـردا لـفـرد، والـبرية في عـدم
ثم اســتمـد جميع مخلوقاتـه	من نورك الســـامي، فيا عظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم	في هـذه الـدنيـا، وفي اليوم الأهم
وإذا دعتهم كربـة فرجتهـا	حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم.(٣)

وهذا الزعم الباطل تضمن ثلاث دعاوى كلها كذب وافتراء.

الدعوى الأولى: دعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم خلق من نور رب العالمين.

---

(١) الأنوار المحمدية (ص: ٩).

(٢) هذه هي الصوفية (ص: ٨٧).

(٣) الأبيات لأحمد بن عبد المنعم الحلواني من قصيدته المستجيرة (نقلا عن كتاب هذه الصوفية) (ص: ٨٧).

الدعوى الثانية: أنه وجد قبل خلق آدم.

الدعوى الثالثة: أن الأشياء خلقت منه.

وكل دعوى من هذه الدعاوى هي أكذب من أختها، وقد قال بها جميعا بعض الغلاة المنتسبين إلى الإسلام مضاهاة لقول النصارى في عيسى، ويروون في ذلك أحاديث، وكلها كذب، فمن هؤلاء الغلاة من يروى عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: "من قال إني كلى بشر فقد كفر، ومن قال لست ببشر فقد كفر" وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم بالحديث.[١]

ومنهم من يروى عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-، قال: "قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال: يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأراضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربع أجزاء، فخلق من الأول أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله".[٢]

وهذا الحديث باطل قال عنه السيوطي: "ليس له إسناد يعتمد عليه".[٣]

ولا يخفي على من له أدنى معرفة بنصوص القرآن والسنة ما في هذا الخبر المكذوب من المخالفات والمغالطات، ولا يشك طالب علم في وضعه واختلاقه.وكذلك مما يروونه "كنت نبيا

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٠٠- ٢٠١) بتصرف.

(٢) الرد على البكري (ص: ٨-٩).

(٣) الحاوي للفتاوى (١/ ٣٢٥).

ولا آدم ولا ماء ولا طين".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحدًا من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي–صلى الله عليه وسلم–كان حينئذ موجودا وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه "أنه كان نورًا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور".(١)

ومن العجيب أن كثيرًا من الناس صاروا يتناقلون مثل هذه الأخبار المفتراة حتى أصبحت عندهم عقيدة راسخة في قلوبهم.

ومما يبين كذب هذه الدعاوى ويظهر زيفها مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

فقد أخبرنا عز وجل عن أصل ما خلق منه الإنس والجن فقال تعالى ﴿ **خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ**﴾.[الرحمن: الآيتان: ١٤–١٥].

والنبي صلى الله عليه وسلم بشر خلق مما خلق منه باقي البشر فلا ميزة له في هذا الشأن عن باقي البشر قال تعالى ﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٩٣].

وقال تعالى ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ**﴾.[الأحقاف: الآية: ٩].

والآيات في هذا الشأن، وفي شأن خلق السموات والأرض وكذا الأحاديث الثابتة كثيرة وكلها تخالف هذا الخبر المذكور وتبين زيفه وبطلانه.(٢)

دعوى أن الدنيا خلقت من أجل النبي–صلى الله عليه وسلم–:

وفي هذا يقول قائلهم

---

(١) الأنوار المحمدية (ص: ١٣).

(٢) انظر في هذا الشأن رسالة تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق.

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة * من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم [١]

وقول الآخر ممن هو من نقطة وشكله

لولاه ما خلقت شمس ولا قمر * ولا نجوم ولا لوح ولا قلم [٢]

ويستند هؤلاء على أحاديث موضوعة وأخبار مكذوبة منها حدثا "لولاك ما خلقت الأفلاك" وهو موضوع.[٣]

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–، قال: أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت جنة ولا نار ..."[٤]

وهذه الأحاديث الموضوعة وأمثالها لا يمكن أن يعول عليها في إثبات أمر شرعي كهذا.

أضف إلى ذلك مخالفتها للشرع فالذي تدل عليه النصوص الشرعية أن الله عز وجل إنما خلق الجن والإنس لغاية ذكرها في القرآن الكريم حيث قال عز وجل ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.[الذاريات: الآية: ٥٦].

قال ابن كثير: "ومعني الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ومن عصاه عذبه أشد العذاب".[٥] وقال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ**

(١) ديوان البوصيري (ص: ٢٤٠) .تنبيه الحذاق (ص: ٢٧).

(٢) تنبيه الحذاق (ص: ٢٧).

(٣) لا أصل له مرفوعًا إنما أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٤، ٦١٥) من طريق عمرو بن أوس الأنصاري ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: فذكره موقوفًا وقال: "صحيح الإسناد" وتعقبه الذهبي بقوله "أظنه موضوعًا على سعيد".

وقد قال الذهبي في الميزان (٣/ ٢٤٦) عند ترجمته لعمرو بن أوس الذي روى هذا الحديث عن سعيد ما نصه: "عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر، أخرجه الحاكم في مستدركه، وأظنه موضوعًا من طريق جندل بن والق" ثم ذكر نص هذا الحديث.ووافقه ابن حجر في اللسان (٤/ ٣٥٤) ..

(٤) .قاله الصغاني في الأحاديث الموضوعة (ص: ٧) ، وانظر الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني (ص: ٣٢٦) وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم: (٢٨٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨).

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[هود: الآية: ٧].

وقال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾.[الملك: الآية: ٢].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾.[الكهف: الآية: ٧].

فصرح–جل وعلا–في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق هي اختبارهم وابتلاؤهم ليجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فهذه هي الحكمة من خلقهم أولًا وبعثهم ثانيًا.(١)

والنصوص من آيات وأحاديث كلها تؤكد هذا الأمر وتدل عليه، وفي الوقت نفسه تبطل ما زعمه الغلاة من أن الغاية من خلق الخلق هي من أجل محمد–صلى الله عليه وسلم–.

فهذه الدعاوى يعرف بطلانها من له أدني بصيرة في نصوص الشرع؛ والنبي–صلى الله عليه وسلم–قد أعطاه الله خصائص وفضائل كثيرة تدل على فضله ومكانته، فليس هو بحاجة إلى أن ترفع مكانته ويبين شرفة بمثل هذه الأخبار الباطلة الموضوعة.

دعوى الغلاة: جواز صرف بعض جوانب العبادة له–صلى الله عليه وسلم–:

وقد تفنن الغلاة في هذا

"فمن قائل يقول إنه يستغاث به في كل يستغاث فيه بالخالق بمعني أنه يطلب منه كما يطلب من الخالق.

فهؤلاء جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه الناس ما يطلبونه من الله تعالى.

فآذوا الرسول وأساؤا في حقه إذ سألوه ما لا يقدر عليه مخلوق وسووه برب العالمين وسلطوا عليه العامة، فهذا يطلب منه إنزال المطر، وهذا يطلب منه غفران الذنوب، وهذا يطب منه

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ٦٧٣– ٦٧٧).

النصر على الأعداء، وهذا يطلب منه أن يتزوج، وهذا يطلب منه الولد.

وهذا يطلب منه المعيشة وهذا يطلب منه الملك، وهذا يطلب منه الولاية، وهذا يطلب منه قضاء دينه، وهذا يطلب منه شفاء مريضه إلى غير ذلك من الأمور فنزلوا المخلوق منزلة الإله وطلبوا منه من جلب المنافع ودفع المضار ما لا يقدر عليه إلا الله". [١]

ومن نظم بعضهم في هذا قوله:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

إن لم يكن في معادى آخذا بيدي ... فضلا وإلا فقل يا زلة القدم. [٢]

فنفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث، إلا النبي-صلى الله عليه وسلم-وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا إياه سبحانه وتعالى.

ودعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك الشرك في الإلهية. [٣]

ومن شعر بعضهم قوله:

مـاذا تعـامـل يا شمس النبوة من ... أضحى إليك من الأشواق في كبدي

فامنع جناب صـريع لا صـريخ له ... نائي المزار غريـب الـدار مبتعـدي

حليف ودك واه الصـبر منتظر ... لغـارة منـك يا ركني ويا عضـدي

أسـير ذنـبي وزلاتي ولا عـمـل ... أرجو النجـاة بـه إن أمـا لم تجـد

(١) الرد على البكري (ص: ٣٣٥-٣٣٦) بتصرف.

(٢) ديوان البوصيري (ص: ٢٤٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٧).

وجرى في شركه وإلى أن قال:

وحـل عقـدة كربي يا محمـد من هم على خطرات القلـب مطرد
أرجوك في سـكرات الموت تشـهدني كيما يهون إذ الأنفاس في صـــعد
وإن نزلـت ضـــريحا لا أنيس بـه فكـن أنيس وحيـد فيـه منفرد
وارحم مؤلفهـا عبـد الرحيم ومن يليـه من أجلـه وانعشـــه وافتقـد
وإن دعـا فـأجبـه واحم جـانبـه من حاســد شـــامت أو ظالم نكد

وقوله من أخرى:

يا رســول الله يا ذا الفضـــل يا بهجـة الحشـــر جـاهـا ومقـامـا
عـد على عبـد الرحيم الملتجى بحـمى عـزك يا غـوث اليـتـامى
وأقـلـني عـثـرتي يا ســـيـدي في اكتسـاب الذنب في خمسين عاما

وقوله:

يا ســيدي يا رســول الله يا أملي ويا موئلي يا ملاذي يوم يلقـاني
هبني بجـاهـك مـا قـدت من زلـل جودا أو رجح بفضـــل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشــف ما يسـاورني من الخطوب ونفســـه كـل أحزاني
فـأنـت أقرب من ترجى عواطفـه عنـدي وإن بعـدت داري وأوطـاني
إني دعـوتـك مـن نـيـابـتي بـرح وأنـت اسمع من يـدعوه ذو شـــأن
فامنع جنابي وأكرمني وصــل نســبي بـــرحـمـــة وكـــرامـــات وغـــفـــران

لقد أنسانا هذا ما قبله، وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه السلام، إلا

أن أولئك أطلقوا عليه اسم الإله، وهذا لم يطلقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها، وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز، فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعني دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل، وقبوله عند ذوى العقول السخيفة، إذ كان من المتقرر عند الأمة المحمدية أن دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر، فلو أتاهم بدعوى النصارى اسما ومعنى لردوه وأنكروه، فأخذ المعنى وأعطاه البرعى وإضرابه، وترك الاسم للنصارى وإلا فما ندرى ماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى وتقدس من سؤال مطلب أو تحصيل مأرب، فالله المستعان.(١)

ويقول صاحب المواهب اللدنية: وينبغي للزائر -لقبره- أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل والتوجه به لا فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه فإن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه للنبي-صلى الله عليه وسلم-واقع في كل حال كل خلقه وبعده في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة.(٢)

ومن هؤلاء من يرى أن زيارة قبر النبي-صلى الله عليه وسلم-أفضل من الحج إلى الكعبة وأن دعاء النبي-صلى الله عليه وسلم-والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه.(٣)

ومنهم من يظن أن الرسول يعلم ذنوبه وحوائجه وإن لم يذكرها وأنه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه ويقدر على ما يقدر عليه الله ويعلم ما يعلمه الله".(٤)

ومنهم من يقول "إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان" يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا هو فيه موجود.(٥)

ومنهم من يقول: "إنه يحضر في كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه وأنه يتصرف حيث

(١) تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٩-١٩٠).
(٢) انظر الأنوار المحمدية (ص: ٦٠٤).
(٣) الرد على البكري (ص: ٣٤٩).
(٤) الرد على البكري (ص: ٣٠).
(٥) غاية الأماني (١/ ٤٨).

شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته".(١)

ومنهم من يقول في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفتح: الآيتان: ٨-٩].

يقول: إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلا.

ومنهم من يقول: اسقط الربوبية وقل في الرسول ما شئت.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

لو ناسبت قدره آياته عظما ... أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم.(٢)

ومنهم من يقول نحن نعبد لله ورسوله فيجعلون الرسول معبودًا.(٣)

بل لم يكتف غلاة الصوفية بهذا القدر حتى اعتقدوا أنه هو الله سبحانه ذاتًا وصفة.(٤)

وكتب أصحاب البدع وعباد القبور مملؤة بالكثير من أنواع هذا الغلو وألوانه والذي لا يشك الموحد بكذبه وبطلانه.

---

(١) هذه هي الصوفية (ص: ٨١).

(٢) ديوان البوصيري (ص: ٢٤١).

(٣) الرد على البكري (ص: ٢١٩).

(٤) هذه هي الصرفية (ص: ٧٤- ٧٥).

قال المصنف رحمه الله: وفوِّضَ الأمرَ إلى اللهِ–عز وجل–.

الشرح

ثم ذكر المصنف ما يتعلق بالرضا بقضاء الله والصبر على حكم الله، فهنا مقامان: مقام الرضا ومقام الصبر، ومقام الرضا أعظم من مقام الصبر، لأنك قد تصبر ولكن قد لا تكون راضيًا، فلابد من الإيمان بقضاء الله وقدره والصبر على حكمه، والرضا بقضائه سبحانه وتعالى.

فإذا أردت أن ينتظم لك التوحيد فعليك بالإيمان بقضاء الله وقدره، يجب أن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وبحمد الله لدى أهل الإيمان هذه النعمة العظمى، الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره، فلدى المسلم كنز من الكنوز التي أعطاها الله عز وجل لأهل الإيمان، بأن الإنسان إذا أصابته مصيبة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، واسترجع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون وصبر على قضاء الله وقدره، ورضي بقضاء الله عز وجل وقدره، فهذا يعطيه السكينة والطمأنينة في النفس فلا يجزع ولا يسخط ولا يقول قولاً كفرياً ولا يصيبه ما يصيب أولئك الذين ما آمنوا بقضاء الله وقدره.

ولذلك قال ابن عباس: "القدر نظام التوحيد"[١]

هناك فرق بين الصبر والرضا، فرق في التعريف، وفرق في الحكم[٢].

أما الحكم، فالصبر واجب، بحيث يأثم الإنسان إذا لم يصبر على ما أصابه من مكروه، ويعرض نفسه بهذا لعقوبة الله تعالى.

وأما الرضا، فهو درجة أعلى من الصبر، وهي درجة السابقين بالخيرات، ولذلك كانت مستحبة وليست واجبة، فلا يأثم المسلم إذا لم يصل إليها، غير أنه مطالب بمجاهدة نفسه والشيطان حتى يصل إلى تلك الدرجة العالية.

---

(١) انظر القدر للفريابي صفحة (١٤٣)، وضعفه الشيخ الالباني انظر ضعيف الجامع الصغير صفحة (٦٠٢).

(٢) المصدر: موقع الإسلام سؤال وجواب.

قال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية رحمه الله: "الرضـــا بالمصـــائب كالفقر والمرض والذل: مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر"[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه "[(٢)]

وأما الفرق بين الصبر والرضا في التعريف، فالصبر هو أن يمنع الإنسان نفسه من فعل شيء، أو قول شيء يدل على كراهته لما قدره الله، ولما نزل به من البلاء، فالصابر يمسك لسانه عن الاعتراض على قدر الله، وعن الشكوى لغير الله، ويمسك جوارحه عن كل ما يدل على الجزع وعدم الصبر، كاللطم وشق الثياب وكسر الأشياء وضرب رأسه في الحائط وما أشبه ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: "الصبر: حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها"[(٣)].

وأما الرضا فهو صبر وزيادة، فالراضي صابر، ومع هذا الصبر فهو راضٍ بقضاء الله، لا يتألم به.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الصبر: يتألم الإنسان من المصيبة جدا ويحزن، ولكنه يصبر، لا ينطق بلسانه، ولا يفعل بجوارحه، قابض على قلبه، موقفه أنه قال: (اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها)، (إنا لله وإنا إليه راجعون)... الرضا: تصيبه المصيبة، فيرضى بقضاء الله.

والفرق بين الرضا والصبر: أن الراضي لم يتألم قلبه بذلك أبدًا، فهو يسير مع القضاء (إن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦٨٢).

(٢) "مجموع فتاوى ابن عثيمين "(٢/٩٢).

(٣) "عدة الصابرين" (ص/٢٣١).

إصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له)، ولا يرى الفرق بين هذا وهذا بالنسبة لتقبله لما قدره الله عز وجل، أي إن الراضي تكون المصيبة وعدمها عنده سواء"(١)

ومجرد شعور الإنسان بالضيق وعدم التحمل، وتمنيه أن ما وقع به من الشدة لم يكن وقع.

كل هذا لا ينافي الصبر، مادام قد أمسك قلبه ولسانه وجوارحه عن كل ما يدل على الجزع، وما دام لم يعترض على قضاء الله تعالى، بل الصبر في الغالب لا يكون إلا مع هذا الضيق والمشقة والتعب.

وأما الراضي: فلا يجد ذلك الضيق والألم؛ لأنه يعلم أن الله تعالى لن يختار له إلا ما هو خير، فهو يتقلب فيما يختاره الله بنفس راضية مطمئنة.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الصبر مثل اسمه مر مذاقه...لكن عواقبه أحلى من العسل فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل عليه ويكرهه، لكنه يتحمله ويتصبر، وليس وقوعه وعدمه سواء عنده، بل يكره هذا، ولكن إيمانه يحميه من السخط. والرضا، وهو أعلى من ذلك، وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره، وإن كان قد يحزن من المصيبة ؛ لأنه رجل يسبح في القضاء والقدر، أينما ينزل به القضاء والقدر فهو نازل به على سهل أو جبل، إن أصيب بنعمة، أو أُصيب بضدها، فالكل عنده سواء، لا لأن قلبه ميت، بل لتمام رضاه بربه سبحانه وتعالى يتقلب في تصرفات الرب عز وجل، ولكنها عنده سواء، إذ ينظر إليها باعتبارها قضاء لربه"(٢)

وهناك درجة أعلى من الرضا وهي درجة الشكر، بأن يشكر الإنسان الله تعالى على ما أصابه من بلاء وشدة، فيرى أن ما أصابه كان نعمة من الله ولذلك يقوم بشكرها.

ويصل الإنسان إلى درجة الصبر ثم الرضا ثم الشكر بما يأتي:

---

(١) "مجموع فتاوى ابن عثيمين "(٣/٢٠٦).

(٢) "مجموع فتاوى ابن عثيمين" (١٠/٦٩٢).

١- أن ينظر إلى اختيار الله تعالى له، وأن الله لن يختار له إلا الخير.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[(١)]

٢- أن يتأمل فيما أصـــابه: فإنه ســـبب لتكفير ذنوبه، حتى يلقى الله تعالى طاهرا من الخطايا، قال صـلى الله عليه وسـلم: (مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)[(٢)]

٣- أن ينظر إلى ما أصابه وأن الله تعالى رفق به فيه، فكم من الناس أصيب بما هو أشد من ذلك وأعظم؟

قال ابن القيم: بعد أن ذكر الصبر والرضا: "عبودية العبد لربه في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضـا بها وهو أعلى منه، ثم الشـكر عليها وهو أعلى من الرضـا، وهذا إنما يتأتى منه، إذا تمكن حبه من قلبه، وعلم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة، وإن كره المصيبة "[(٣)].

٤- أن ينظر إلى عواقب الابتلاء والشدة، وأن الله يسوقه إليه بهذه الشدة التي تجعله يكثر من ذكر الله تعالى ودعائه والتضرع إليه.

٥- أن ينظر إلى ثواب الصبر والرضا (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) [الزمر: ١٠]، وقال النبي صـلى الله عليه وسـلم: (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ)[(٤)] ورضا الله تعالى عن العبد أعظم من دخول الجنة، قال الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) رواه الترمذي، وصححه الألباني في "سنن صحيح الترمذي"

(٣) الفوائد (١/١١٢-١١٣).

(٤) رواه الترمذي وصححه الألباني في "سنن صحيح الترمذي ".

الْعَظِيمُ) [التوبة:٧٢].وقال النبي صــلى الله عليه وســلم: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ)، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ.فَيَقُولُ: (هَلْ رَضِيتُمْ؟) فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَــى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ.فَيَقُولُ: (أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَــلَ مِنْ ذَلِكَ!) فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: (أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)[١].

قال ابن القيم: بعد أن ذكر نحوا من هذه الأسباب التي تعين العبد على الرضا بقضاء الله تعالى: "فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر"[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) "طريق الهجرتين "(٤١٧/١).

[خلق أفعال العباد]

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالقدر.

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر.

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدر.

المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر.

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر.

[٢]–قال المصنف–رحمه الله–: "وعلِمَ أن كلَّ شيءٍ بقضاءِ اللّه وقدَرِه، والخيرَ والشَّرَّ، والكُفرَ والإيمان".

الشرح

الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وركن من أركان الإيمان.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان التي يرجع إليها ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ فبالقدرة والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ **[الأعراف: الآية: ٥٤]**"[(١)].

وفي هذا النص مسائل:

(١) مقدمة كتابه شفاء العليل (ص: ٣).

المسألة الأولى: التعريف بالقدر:

القدر في اللغة:

القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، ومنه ذكر (ليلة القدر) وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى.وأصل (قدر): يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته.(١)

قال اللحياني–رحمه الله–(ت: ٢٢٠ هـ): "إن القدر بفتح الدال هو: الاسم، والقدر بسكون الدال هو: المصدر"(٢)

ويطلق القدر على معان؛ منها:

١– معنى الحكم والقضاء.

ومن ذلك حديث الاستخارة، وفيه: **(فاقدره لي ويسره لي)** (٣)(٤)

٢–معنى الطاقة.ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٦]**، بفتح الدال، وقرئ بإسكانها(٥).

٣– معنى التضييق.

ومنه قوله تعالى: **﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: الآية:١٦]** (٦).

٤– معنى التقدير.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٢)، النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٢)، مختار الصحاح للرازي (ص٢٤٨)، تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠)..

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١٦٢) مطولا من حديث جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–.

(٤) ينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٢)، مرقاة المفاتيح للقاري (٣/ ٩٨٦).

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير (٤/ ٢٩٤)، النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٨).

(٦)ينظر: تفسير ابن جرير (٢٤/ ٣٧٦).

ومنه الحديث: (**فإن غم عليكم فاقدروا له**)[١]

أي: قدروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يومًا، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون.[٢].

ويقال: قدره: إذا قاسه، وقدرت الشيء، أي: هيأت.والقدرة تأتي بمعنى اليسار، والغنى، والقوة.[٣]

تلك من أهم معاني (القدر) لغة.وهناك معان أخرى تعرضت لها كتب اللغة.[٤].

والقدر في الاصطلاح:

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): القدر: "وهو عند أهل السنة والجماعة: قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه وكتابته، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته"[٥]

والقَدَرُ في الاصطلاحِ: هو تقديرُ اللهِ تعالى الأشياءَ منذُ القِدَمِ، وعِلْمُه سُبحانَه أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، وكتابتُه سُبحانَه لذلك، ومشيئتُه له، ووقوعُها على حَسَبِ ما قدَّرها، وخَلْقُه لها".[٦]

قال السفاريني–رحمه الله–(ت: ١١٨٨ هـ): "هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه– عز وجل– قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات

(١) رواه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) مطولا من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما–.

(٢) ينظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٣).

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٧٨٦)، مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٣)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥) تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

(٤) يُنظر: الصحاح للجوهري (٢/٧٨٦)، أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٥٦)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٣٥٤٥) تاج العروس للزبيدي (١٣/ ٣٧٠).

(٥) انظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ١١٤).

(٦)يُنظر: العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص: ١٠٥)، شفاء العليل لابن القيم (ص: ٨٣)، فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٤٨)..

مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها".[(١)]

وقال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ): في تعريفه: "المراد أنّ الله- تعالى- علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثمّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته".[(٢)]

(١) عقيدة السفاريني (١/ ٣٤٨).

(٢) فتح الباري (١/ ١١٨).

المسألة الثانية: أدلة الإيمان بالقدر:

نصوص القرآن والسنة متواترة في وجوب الإيمان بالقدر، وصريحة في أن كل شيء خلقه الله بقدر.

فأما أدلة القرآن، فمنها ما يلي:

لم يرد في القران التنصـــيص على وجوب الإيمان بالقدر، وإنما وردت أدلة مجملة تدل على تقدير الله للأشياء.(١)

- **قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: الآية: ٦٢].**
- **قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: الآية: ٤٩].**
- **وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٨].**
- **وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: الآية: ٤٢].**
- **وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢].**
- **وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: الآيات: ١-٣].**
- **وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: الآيات: ١ – ٢].**

وسيأتي ذكر مزيد من الأدلة من القرآن عند بيان مراتب القدر.

وأما أدلة السنة، فمنها ما يلي:

وقد ورد التنصيص على الإيمان بالقدر في السنة ومن ذلك

- **عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–(ت: ٢٣ هـ)** في سؤال جبريل عليه السلام الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن الإيمان قال: (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن**

(١) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، (ص: ٨٦).

بالقدر خيره وشره).قال (أي: جبريل عليه السلام): صدقت".[(١)].

- **عن جابر–رضي الله عنهما–(ت: مابين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**).[(٢)]

- **وعن طاووس بن كيسان–رحمه الله–(ت: ١٠٦ هـ)** أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقولون: كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (**كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس**).[(٣)]

- **وعن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** قال: "جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله–صلى الله عليه وسلم–في القدر، فنزلت: ﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ، إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: الآيات: ٤٨: ٤٩].[(٤)].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: (لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بالقدر)[(٥)].

أقوال السلف

أجمع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من أصول الإيمان الستة، التي لا يتم إسلام العبد ولا إيمانه إلا بها

ومن الآثار في هذا الباب ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه أن سلمان الفارسي–رضي الله

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة (١/ ٣٦ رقم ٨).

(٢)رواه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (ص: ٦/ ٣٥٦)–شرح تحفة الأحوذي)، رقم (٢٢٣١)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: (١٧٤٣)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٢٤٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٥) رقم: (٢٦٥٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب كل شيء بقدر (٤/ ٢٠٤٦ رقم: (٢٦٥٦).

(٥) رواه الإمام أحمد، انظر الجامع الصحيح في القدر، تأليف مقبل الو ادعي، (ص: ١٤)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم: (٦٧٥)،

عنه-سئل عن الإيمان بالقدر فقال: "إذا علم الرجل من قبل نفسه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن يصيبه، فذلك الإيمان بالقدر".[١]

عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-(ت: ٤٠ هـ)، قال: "إذا قضي الأمر من السماء عمله أهل الأرض، وإن العبد لا يجد طعم الإيمان حتى يوقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[٢].

عن يحيى بن يعمر-رحمه الله-(ت: ٨٩ هـ)؛ قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني.فانطلقت أنا **وحميد بن عبد الرحمن الحميري (ت: ١٠٠ هـ)**.حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر.فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب-رضي الله عنهما-(ت: ٧٤ هـ) داخلا المسجد.فاكتنفته أنا وصاحبي.أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله.فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي.فقلت: أبا عبد الرحمن! إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم.وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر.وأن الأمر أنف.قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني[٣].والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر".[٤]

عن الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ): "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم"[٥].

عن الحسن البصري-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ): قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد

---

(١)مصنف عبد الرزاق (١١/ ١١٨)، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٣٠٥).

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٦٦)، وانظر: القضاء والقدر للبيهقي (ص: ٢٩٩).

(٣)قال الخطابي: في تبرى ابن عمر منهم دليل على أن الخلاف إذا وقع في أصـول الدين وتعلق بالمعتقدات يوجب البراءة، بخلاف ما تعلق بأصول الأحكام وفروعها"معالم السنن (٧/ ٦٥).

(٤)صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في الأمر بالإيمان بالقدر (١/ ٨).

(٥) "كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩).

الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده".[(١)]

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-(ت: ١٠٤ هـ): قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد".[(٢)]

قال الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ): "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون".[(٣)].

قال الإمام سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ): "من كفر بالقدر فقد كفر بما أنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم-، فإن الله تعالى قدّر كل شيء في الأزل".[(٤)]

قال الإمام ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به".[(٥)]

وقال الإمام ابن المبارك (ت: ١٨١ هـ): "الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[(٦)]

قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر" (ت: ١٥٠ هـ): "والقدر خيره وشره من الله تعالى، نؤمن به ونعلم أن الله لم يكلفنا إلا ما نطيق، وأنه تعالى لم يجبر العباد على المعاصي، وأنه تعالى هو الخالق للأفعال".

قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ): "الإيمان بالقدر واجب، من أنكر القدر فقد كفر، والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر فهو من الله تعالى".[(٧)]

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٨٠).
(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٩٦).
(٣)"البداية والنهاية" لابن كثير (١٠/ ٢٠٥).
(٤)"الجامع" لمصنف عبد الرزاق (١١/ ٤٤).
(٥)"الزهد" لابن المبارك (ص: ١٩٤).
(٦) "سير أعلام النبلاء" (٨/٤٠٢).
(٧)"التمهيد" لابن عبد البر (٧/ ١٤٣).

قال الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ): "لا يتم الإيمان إلا بالإيمان بالقدر، ومن أنكر القدر فقد أبطل علم الله السابق، ونسب الله إلى الجهل".(١)

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ): "والإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها".(٢)

قال الإمام البخاري (ت: ٢٥٦ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره من أصول الإيمان".(٣)

قال الإمام مسلم (ت: ٢٦١ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره من أركان الإيمان".(٤)

قال الإمام ابن ماجه (ت: ٢٧٣ هـ): "والإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم".(٥)

قال الإمام ابن جرير الطبري (توفي ٣١٠ هـ): "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من أركان الإيمان التي لا يتم إلا بها".(٦)

---

(١) "الرسالة" (ص: ٣٥١).

(٢)"أصول السنة" (ص: ٢٨).

(٣) "صحيح البخاري" (٦٦١٤).

(٤)"صحيح مسلم" (٩٣).

(٥)"سنن ابن ماجه" (٧٧).

(٦) تفسير الطبري (١/ ١٤٧).

المسألة الثالثة: أهمية الإيمان بالقدروثمراته:

مما يدل على أهمية الإيمان:

أولًا: الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان لا يتم الإيمان إلا به.

قال الإمام الأوزاعي (ت: ١٥٧ هـ): "علينا أن نؤمن بالقدر خيره وشره، فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وقد علم الله تعالى ما يكون وما سيكون".[(١)]

قال الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩ هـ): "الإيمان بالقدر من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن".[(٢)]

قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها".[(٣)]

قال الإمام ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧ هـ): "الإيمان بالقدر هو من **أصول الإيمان**، ولا يصح الإيمان إلا به، وقد أمرنا الله بالإيمان به في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (سورة القمر: ٤٩)".[(٤)]

قال الإمام الدارمي (توفي ٢٥٥ هـ): "والإيمان بالقدر خيره وشره هو من **أصول الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[(٥)]

ثانيًا: الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان

وهو الركن السادس من أركان الإيمان

قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٨ هـ): "الإيمان بالقدر من **أركان الإيمان**،

---

(١) "البداية والنهاية" (١٠/ ٢٠٥).

(٢) "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر (٢/ ١٢٩٠).

(٣) "مسند أحمد" (٦/ ٢٣٣).

(٤) "السنة" لابن أبي عاصم (١/ ١٥٩).

(٥) "الرد على الجهمية" للدارمي (ص: ١٥٤).

ولا يتم الإيمان إلا به، ومن أنكره فقد كفر بما أنزل على محمد–صلى الله عليه وسلم–".[١]

قال الإمام علي بن المديني (ت: ٢٣٤ هـ): "الإيمان بالقدر خيره وشره من **أركان الإيمان**، ولا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بأن الله قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[٢]

قال الإمام ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ): "الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن الله تعالى قد علم كل شيء وكتبه، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو من **أركان الإيمان** التي لا يتم إلا بها".[٣]

قال ابن أبي حاتم–رحمه الله–(ت: ٣٢٧ هـ): "وقد أجمع العلماء على أن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من **أركان الإيمان**، وأن الله تعالى قدّر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ".[٤]

ثالثًا: الإيمان القدر نظام التوحيد.

جاء في السنة الصحيحة عن النبي–صلى الله عليه وسلم–الربط بين القدر والتوحيد عن عائشة–رضي الله عنها–(ت: ما بين ٥٧ و٥٩ هـ)، قالت فقدت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدمه وهما منصوبتان وهو يقول: **(اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)**.[٥]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وهذا يتضمن كمال الإثبات للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فإن الذي يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء الرب تعالى وقدره

(١)"الإبانة الكبرى" لابن بطة (٢/ ١٧٢).

(٢)"سير أعلام النبلاء" (١١/ ١٦٨).

(٣)تفسير الطبري (١/ ١٤٧).

(٤)"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي (٤/ ٧١١).

(٥)رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة (٤٨٦) ونظر صحيح مسلم بشرح نووي ٢/ ٢١٢.

وهو المنفرد بخلقه وتقديره وتكوينه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن".(١)

عن ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ) أنه قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضاً لتوحيده".(٢)

عن الحسن البصري-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ): قال: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده" (٣).

عن مجاهد بن جبر-رحمه الله-(ت: ١٠٤ هـ): قال: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد"(٤).

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "اعلم أن أهل البدع من القدرية الجهمية والمجبرة والقدرية النافية لا يحمدون الله ولا يشكرونه، كما أنهم لا يعبدونه، وأما أهل الإلحاد من المتفلسفة والباطنية فهم أبعد عن حمده وشكره، وذلك أن المجبرة حقيقة قولهم أنه ليس برحيم ولا منعم، بل ولا إله يستحق أن يعبد ويحب، بل صدور الإحسان عنه كصدور الإساءة، وإنما هو يفعل بمحض مشيئة ترجح الشيء على مثله لا لمرجح، وكل الممكنات عندهم متماثلة، فلا فرق بين أن يريد رحمة الخلق ونفعهم والإحسان إليهم، أو يريد فسادهم وهلاكهم وإضرارهم، يقولون: هذا كله عندهم سواء"(٥).

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ

(١)شفاء العليل (ص: ٤٥٠)، وانظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٢٢)، والفريابي في القدر تحت رقم (٢٠٥)، واللالكائي في السنة (٤/ ٦٢٣-٦٧٠)، والآجري في الشريعة (ص: ٢١٥)، وابن بطة في: الإبانة تحت رقم: (١٦١٨-١٦١٩)، ونسبه في مجمع الزوائد إلى الطبراني في الأوسط.المجمع الزوائد (٧/ ١٩٧). ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.

وقد روي عن ابن عباس-رضي الله عنه-، مرفوعًا، وفيه ضعف.انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة تحت رقم (٤٠٧٢).

وذكره ابن الجوزي عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، مرفوعا في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ١٤٩)، تحت رقم (٢٣٤)، وقال: "لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-"اهـ

(٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٨٠).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، رقم: (١٠٩٦).

(٥) جامع الرسائل (المجموعة الأولى) (١/ ١٠٣).

وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: الآيات: ٢٩-٣٠].

"هذه الآية تضمنت قواعد الدين علمًا وعملًا واعتقادًا.

فقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ أمر سبحانه فيها بالقسط هو الذي هو حقيقة شرعه ودينه، وهو يتضمن التوحيد فإنه أعدل العدل، والعدل في معاملة الخلق، والعدل في العبادة، وهو الاقتصاد في السنة.

وقوله ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، يتضمن الأمر بالإقبال على الله وإقامة عبوديته في ثبوته، ويتضمن الإخلاص له وهو عبوديته وحده لا شريك له فهذا ما فيها من العمل.

ثم أخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق وإعادته فذلك الإيمان بالمبدأ والمعاد فقال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

ثم أخبر عن القدر الذي هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقًا حق عليهم الضلالة.﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾، فتضمنت الآية الإيمان بالقدر والشرع والمبدأ، والمعاد، والأمر بالعدل، والإخلاص.

ثم ختم الآية بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الأمر بأنه قد أطاع الشيطان دون ربه وأنه على ضلال وهو يحسب أنه على هدى فقال: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.والله أعلم". (١)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "النبي-صلى الله عليه وسلم-أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سببا السعادة

١-الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد.

(١)شفاء العليل (١/ ٢٩٢) بتصرف يسير.

٢-والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره وذلك نظام الشرع.

فأرشدهم إلى نظام التوحيد والأمر

فأبى المنحرفون إلا

- القدح بإنكاره في أصل التوحيد
- أو القدح بإثباته في أصل الشرع

ولم تتسع عقولهم التي لم يلق الله عليها من نوره للجمع بين ما جمعت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والأمر

وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والنبي-صلى الله عليه وسلم-شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة وقد تقدم قوله: **(أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز)**.وإن العاجز من لم يتسع للأمرين"[١].

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ): "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد".[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "إن الإيمان بالقدر أصل الإيمان بالأمر وهو نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه إيمانه" [٣].

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "والذي دل عليه قول ابن مسعود وهو قول الصحابة كلهم وأئمة السنة من التابعين ومن بعدهم هو إثبات القدر الذي هو نظام التوحيد؛ إثبات فعل العبد الأختياري، الذي هو نظام الأمر والنهي، وهو متعلق المدح والذم والثواب

---

(١)شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١/ ٢٦).

(٢)شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٦٥).

(٣)روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٦١).

والعقاب والله أعلم".[١]

رابعًا: الإيمان بالقدر فيه تحقيق للشهادتين.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إذا ثبت هذا – يعني تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله– فمعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، وبقضائه وشرعه"[٢].

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "قال الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): القدر قدرة الله، واستحسن ابن عقيل–رحمه الله–(ت: ٥١٣ هـ) هذا الكلام جدا، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين، وهو كما قال أبو الوفاء؛ فإن إنكار القدر: إنكار لقدرة الرب على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها".[٣]

فالإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد وخلاص من الشرك؛ لأن ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله تعالى، فقد جاء في صفاته سبحانه صفة العلم، والإرادة، والقدرة، والخلق، وعلى هذه الأسس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

كما عد العلماء الإيمان بالقضاء والقدر ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، فالراضي بالقضاء والقدر راض بالله، والساخط من القدر ساخط على الله، وهذه النكتة في عطف الفعل "تؤمن" لما عد النبي – صلى الله عليه وسلم –أركان الإيمان فقال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).في حديث جبريل المشهور".[٤]

خامسًا: الإيمان بالقدر يعصم العبد من أمور كثيرة.

"فاعتصام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر يعصمه من أمور كثيرة، على رأسها أمران:

أحدهما: عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد الألوهية.

والثاني: عصمته في مسيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضاء والقدر والأمر

(١) حاشيته على تهذيب السنن (٦/ ١٠٥).

(٢) التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، (ص: ١٣٠).

(٣)شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: ٢٨).

(٤) منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة (ص: ٦٤٨).

والشرع". [(١)]

الإيمان بالقدر أساس لعمارة الدنيا.

قال الإمام الحسن البصري (توفي ١١٠ هـ): "والله لولا الإيمان بالقدر لخربت الدنيا وما عمرتها، إن الله تعالى قدّر كل شيء بقدر معلوم" [(٢)]

من ثمرات الإيمان بالقدر:

أولًا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره.

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، واحرص على ما ينفعك واستعن بالله عز وجل ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل: قدر الله وما شاء فعل).** [(٣)]

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين–رحمه الله–(ت: ١٤٢١ هـ): "الإيمان بالقدر يوجب صدق الاعتماد على الله عز وجل لأنك إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره صدق اعتمادك على الله". [(٤)]

ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشا، وأروح نفسا، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

قَالَ ابنُ عَونٍ–رحمه الله–(ت: ١٥١ هـ): "ارْضَ بِقَضَاءِ اللهِ مِن عُسْرٍ وَيُسْرٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقَلُّ لِهَمِّكَ، وَأَبلَغُ فِيمَا تَطلُبُ مِن أَمرِ آخِرَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ العَبدَ لَن يُصِيبَ حَقِيقَةَ الرِّضَا، حَتَّى

---

(١) تيسير لمعة الاعتقاد لعبد الرحمن بن صالح المحمود.(ص: ١٩٩).

(٢)"كتاب التوكل" لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (ص: ٦٣٠).

يَكُونَ رِضَاهُ عِندَ الفَقرِ وَالبَلَاءِ، كَرِضَاهُ عِندَ الغِنَى وَالرَّخَاءِ؛ كَيفَ تَستَقضِي اللهَ فِي أَمرِكَ، ثُمَّ تَسخَطُ إِنْ رَأَيتَ قَضَاءً مُخَالِفًا لِهَوَاكَ؟! وَلَعَلَّ مَا هَوَيْتَ مِن ذَلِكَ، لَو وُفِّقَ لَكَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُكَ، وَتَرضَى قَضَاءَهُ إِذَا وَافَقَ هَوَاكَ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عِلْمِكَ بِالغَيبِ؟! إِذَا كُنتَ كَذَلِكَ، مَا أَنْصَفْتَ مِن نَفسِكَ، وَلَا أَصَبْتَ بَابَ الرِّضَا.

قال ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ): وَهَذَا كَلَامٌ حَسَنٌ.[١]

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله-(ت: ١٤٢١ هـ): "والإيمان بالقدر يوجب الطمأنينة يوجب للقلب الطمأنينة إذا علمت أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك اطمئن أنت بما يصيبك بعد فعل الأسباب النافعة".[٢]

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح؛ فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب".[٣]

رابعًا: انشراح الصدر، وسعادة القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال، قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت وَمَا لِيَ سرورٌ إلا في مواضع القضاء والقدر، قَالَ تَعَالَى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون**﴾ **[التوبة: الآية: ٥١]**.

خامسًا: ذهاب الهم والحزن، فمن الإيمان بالقدر الإيمان بكتابة المقادير قبل إيجادها، فإذا وُجِدت تبين مدى الإيمان بذلك، فَقَوِيُّ الإيمان لا يفرح بما أُوتي، ولا يحزن على ما فات، وعكسه بعكسه بهذا المعنى، وردت الآية الكريمة: ﴿**لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾ **[الحديد: الآية: ٢٣]**.

قال ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ): "الإيمان بالقدر يُذهب الهم والحزن".[٤]

(١) "تيسير العزيز الحميد" (ص: ٥٢٢-٥٢٣).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (ص: ٦٣٠).
(٣) «مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين» (٣/ ٢٥٦-٢٦٠) بتصرف.
(٤)مجموع الرسائل (٣/ ١٤٤).

سادسًا: غنى النفس، روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ **أَبِي هُرَيرَةَ–رضي اللهُ عنه–(ت: ٥٧ هـ)**: أَنَّ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم قَالَ: **(وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ)**.[(١)]

سابعًا: النجاة من النار، روى أبو داود في سننه مِن حَدِيثِ **أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ–رضي اللهُ عنه–(ت: ١٩ أو ٢٠ هـ)**: رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيّ صلى اللهُ عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: **"لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ"**.[(٢)]

---

(١)"سنن الترمذي" (برقم: ٢٣٠٥)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (برقم: ٩٣٠).

(٢)"سنن أبي داود" (برقم: ٤٦٩٩)، وصححه الألباني في "صحيح سنن أبي داود" (٣/ ٨٩٠) (برقم: ٣٩٣٢).

المسألة الرابعة: الخوض في القدر.

عن عمرو بن شعيب -رحمه الله- (ت: ١١٨ هـ) عن أبيه -رحمه الله- (ت: ٨١ أو ٨٠ هـ) عن جده -رضي الله عنه- (ت: ٦٥ هـ) قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: "وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: **(ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكما)**، وقال: "فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس، أني لم أشهده".(١)

وقد كان السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يكرهون الجدال في القدر ويذمون من خاض فيه، بل حذروا من ذلك، فهذا الصحابي الجليل **عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- (ت: ٦٨ هـ)** يقول: "باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم".(٢) ويقول أيضًا رضي الله عنه: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج من الإسلام"(٣)

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام في القدر والخوض فيه، لكن لما خاضت المبتدعة في هذا الأمر وحادوا عن الصواب رأي السلف الصالح أنه يجب عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء، ذلك لأنه لم يظهر القول في القدر إلا بعد مضي نصف القرن الأول تقريبا، حيث إن معبدًا الجهني(٤) هو أول من أثار القول في هذا الأمر.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨)، وقال أحمد شاكر، أسناده صحيح.المسند تحقيق أحمد شاكر (١٠/ ١٥٣)، حديث رقم (٦٦٦٨)، وأخرجه أيضًا ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر (١/ ٣٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (ص: ٢١٥)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة: (٤/ ٦٣٠).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول أهل السنة (٤/ ٦٣٢).

(٤) معبد بن عبد الله الجهني نزيل البصرة، كان داعية إلى الضلال وهو أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، قال ابن أبي حاتم: كان صدوقًا في الحديث وكان رأسًا في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناسا، وقد قتله عبد الملك سنة ٨٠هـ.الجرح والتعديل (٨/ ٢٨٠)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٤١)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).

روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى يحيى بن يعمر، أنه قال: "كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن خطاب داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عند الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم[(١)] وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" [(٢)]

وقد سلك هذا المسلك العلماء من بعدهم الذين ساروا على نهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كما ذكر الإمام البربهاري هنا.

ولا شك أن الخوض في أمور العقيدة بالعقل استقلالاً دون الرجوع إلى النصوص والتحاكم إليها والاستضاءة بالنصوص هذه مهلكة للإنسان، وكل من خاض من هؤلاء في هذا الأمر دون معرفة بالنص فإنه هالك، ولذلك وقع ما وقع من الفرق، ووقع ما وقع من قول القدرية وقول الجبرية ونحوهم لا لشيء إلا لأن هؤلاء تركوا النصوص تمامًا وخاضوا في الأمر من جهة عقولهم.

فوقع التحسين والتقبيح العقلي، ووقع الطعن في أفعال الله عز وجل وفي علم الله عز وجل كل ذلك من طريق هؤلاء.

وأما أصل القدر؟ فكما **قاله الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ)**: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله

(١) ويتقفرون العلم: أي يطلبونه ويتتبعونه.النهاية لابن الأثير (٤/ ٩٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان: (١/ ٣٦).

تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين" [(١)]

وعلم القدر **قال عنه علي رضي الله عنه**–(**ت: ٤٠ هـ**): "القدر سر الله فلا تكشفه". [(٢)]

قال جعفر بن محمد–رحمه الله–(ت: ١٤٨ هـ): "الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظرا ازداد حيرة". [(٣)]

وسماه الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ) بالعلم المفقود، لأن الله طواه عن الخلق، [(٤)] ونحن نؤمن بأن له تعالى في خلقه حكمًا عظيمة، وإذا كان هناك من الحكم ما هون خاف فلا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها، ولا من جهلنا انتفاء حكمته تبارك وتعالى. [(٥)]

قال الإمام مالك–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ): "القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة إلى الخذلان، وسُلَّمٌ إلى الحرمان، والحذر كل الحذر من النظر في القدر والتفكر فيه والوسوسة به". [(٦)]

قال البربهاري–رحمه الله–(ت: ٣٢٩ هـ): "الكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة، منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله، ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٧٦).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٧٧).
(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ١٩٦).
(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩٢).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩٢).
(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٠٩).

صلى الله عليه وسلم في جملة الأشياء، وتسكت عما سوى ذلك"[١].

قال الآجري–رحمه الله–(ت: ٣٦٠ هـ): "لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق" [٢].

قال ابن بطة–رحمه الله–(ت: ٣٨٧ هـ): "وأما الوجه الآخر من علم القدر الذي لا يحل النظر فيه ولا الفكر به، وحرام على الخلق القول فيه: كيف؟ ولم؟ وما السبب؟ مما هو سر الله المخزون وعلمه المكتوم الذي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وحجب العقول عن تخيل كنه علمه، والناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظرا ازداد فيه تحيرا، ومن العلم بكيفيتها بعدا– فهو التفكر في الرب عز وجل كيف فعل كذا وكذا، ثم يقيس فعل الله عز وجل بفعل عباده، فما رآه من فعل العباد جورا يظن أن ما كان من فعل مثله جور، فينفي ذلك الفعل عن الله، فيصير بين أمرين؛ إما أن يعترف لله عز وجل بقضائه وقدره، ويرى أنه جور من فعله، وإما أن يرى أنه ممن ينزه الله عن الجور، فينفي عنه قضاءه وقدره، فيجعل مع الله آلهة كثيرة يحولون بين الله وبين مشيئته، فبالفكر في هذا وشبهه والتفكر فيه والبحث والتنقير عنه هلكت القدرية حتى صاروا زنادقة وملحدة ومجوسا؛ حيث قاسوا فعل الرب بأفعال العباد وشبهوا الله بخلقه ولم يعوا عنه ما خاطبهم به؛ حيث يقول: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٢٣] .فمما لا يحل لأحد أن يتفكر فيه ولا يسأل عنه، ولا يقول فيه: لم لا ينبغي لأحد أن يتفكر لم خلق الله إبليس وهو قد علم قبل أن يخلقه أنه سيعصيه، وأن سيكون عدوا له ولأوليائه؟ ولو كان هذا من فعل المخلوقين إذا علم أحدهم أنه إذا اشترى عبدا يكون عدوا له ولأوليائه، ومضادا له في محابه، وعاصيا له في أمره، ولو فعل ذلك لقال

(١) شرح السنة (ص: ٨٠).

(٢) الشريعة (٢/ ٧٠٢).

أولياؤه وأحباؤه: إن هذا خطأ وضعف رأي وفساد نظام الحكمة، فمن تفكر في نفسه وظن أن الله لم يصب في فعله حيث خلق إبليس؛ فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يعلم قبل أن يخلق إبليس أنه يخلق إبليس عدوا له ولأوليائه، فقد كفر، ومن قال: إن الله لم يخلق إبليس أصلا، فقد كفر.وهذا قول الزنادقة الملحدة، فالذي يلزم المسلمين من هذا أن يعلموا أن الله خلق إبليس وقد علم منه جميع أفعاله؛ ولذلك خلقه، ويعلموا أن فعل الله ذلك عدل صواب، وفي جميع أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون".[١]

قال أبو المظفر السمعاني–رحمه الله–(ت: ٤٨٩ هـ): "قد ذكرنا أن سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول، فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء النفس، ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سر من سر الله وعلم من علمه ضربت دونه الأستار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب.حجبه عن عقول البشر ومعارفهم؛ لما علم من الحكمة، وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وألا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور.

وجماع هذا الباب أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدره على عباده، فلم يطلع عليه نبيا مرسلا، ولا ملكا مقربا؛ لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم.قال الله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية: ٥٦]** ...فلو كشف لهم عن سر ما قضى وقدر لهم وعليهم في عواقب أمورهم لافتتنوا، وفتروا عن العمل، واتكلوا على مصير الأمر في العاقبة، فيكون قصاراهم عند ذلك أمن أو قنوط.وفي ذلك بطلان العبادة وسقوط الخوف والرجاء؛ فلطف الله سبحانه بعباده وحجب عنهم علم القضاء والقدر، وعلقهم بين الخوف والرجاء، والطمع والوجل؛ ليبلو سعيهم واجتهادهم، وليميز الله الخبيث من الطيب، ولله الحجة

(١) الإبانة الكبرى (٣/ ٢٤٨).

البالغة".[١]

قال البغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٠ هـ): "القدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا".[٢]

قال ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ): "أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى.قال علي–رضي الله عنه–(ت: ٤٠ هـ): القدر سر الله فلا تكشفه".[٣]

قال ابن رجب–رحمه الله–(ت: ٧٩٥ هـ): "قد ورد النهي عن الخوض في القدر، ...، والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه:

منها: ضرب كتاب الله بعضه ببعض، فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى.ويقع التجادل في ذلك...وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهي عن ذلك.[٤]

ومنها: الخوض في القدر إثباتا ونفيا بالأقيسة العقلية: كقول القدرية: لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما.وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد على أفعالهم، ونحو ذلك.

ومنها: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف؛ فإن العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك".[٥]

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٣٠).

(٢) شرح السنة (١/ ١٤٤).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٣٢٠).

(٤) أخرجه من طرق: أبو داود (٤٦٠٣)، وأحمد (٩٤٧٩) بلفظ: "المراء في القرآن كفر" صححه ابن حبان في صحيحه (١٤٦٤)، والحاكم على شرط مسلم في المستدرك (٢/ ٢٤٣)، والنووي في التبيان (٢٠٦).

(٥) بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص: ٤١-٤٦).

المسألة الخامسة: أركان الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر له أربعة أركان، ويسميها بعض العلماء أيضًا: (مراتب القدر)، وهذه الأركان الأربعة هي:

الركن الأول: العلم:

الركن الأول- أو المرتبة الأولى من مراتب الإيمان بالقدر- هو العلم، فيجب الإيمان بأن الله يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فالله يعلم القدر قبل وقوعه،

والأدلة على علم الله تعالى بالمقادير كثيرة، منها:

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾. **[الطلاق: الآية:١٢]**

فالله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيءٍ علما، ولذلك لما ذكر الله تعالى الخلق استدل به على العلم والقدرة ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ**﴾ **[الطلاق: الآية:١٢]**، ثم قال بعدها: ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾.

فتأمل السياق في الحديث عن الخلق، الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن هذا حديث عن الخلق، لكنه دلالة على أمرين هم؟ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، فالخلق دليل على القدر، فكيف يخلق من لا يقدر، فهل الذي لا يقدر يستطيع أن يخلق؟ فبما أنه هو الخالق فهو قادر، وكيف يخلق ما لا يعلم؟ فبالتالي استشهد بخلقه على قدرته وعلى علمه، لذلك قال: ﴿**لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾.

فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل خلقها، وهو سبحانه وتعالى يعلم ما سيكون، بل ما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سبحانه وتعالى عندما ذكر أصحاب النار قال عنهم: ﴿**وَلَوْ**

رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]، فلو أُخرج أهل النار من النار وعادوا إلى الدنيا لعادوا إلى كفرهم.

فإذاً يعلم مالم يكن لو كان كيف يكون، فعلمه سبحانه وتعالى محيطٌ بكل شيء،

- قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: الآية: ٢٢].

- وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: الآية: ١٢].

- وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ [سبأ: الآية: ٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: الآية: ١٢٥].

- وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: الآية: ٣٢].

وقال الله تعالى–مقررًا علمه بما لم يكن لو كان كيف سيكون–: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية: ٢٨]، فالله يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يوم القيامة الرجعة إلى الدنيا أنهم لو عادوا إليها لرجعوا إلى تكذيبهم وضلالهم.

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢٣].

ومن علمه تبارك وتعالى بما هو كائن: علمه بما كان الأطفال الذين توفوا صغارًا عاملين لو أنهم كبروا قبل مماتهم، وبيانه فيما يلي:

- عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: " سئل النبي–صلى الله عليه

وسلم-عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين "[(١)].

- **وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، قالت: توفي صبيٌّ، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة.فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «**أَوَلَا تدرين أن الله خلق الجنة والنار، فخلق لهذه أهلًا ولهذه أهلًا؟**»[(٢)].وفي رواية عند مسلم-أيضًا- **عن عائشة-رضي الله عنها-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)** قالت: "دُعي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبي لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه.قال: «**أَوَغَير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**»[(٣)].

وكان أول من أنكره القدرية فأنكروا علم الله السابق، فزعم القدرية الأوائل أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فهذا أول حال القدرية، ثم إن القدرية بعد ذلك تراجعوا عن إنكار العلم السابق وأثبتوا العلم السابق، ولكن أنكروا قدرة الله في فعل العبد، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها.

الركن الثاني: الكتابة

الركن الثاني- أو المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر- هو الكتابة، فيجب الإيمان بأن الله تعالى كتب كل المقادير في اللوح المحفوظ وسطر فيها كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

واللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق سماه القرآن بالكتاب، وبالكتاب المبين، وبالإمام المبين وبأم الكتاب، والكتاب المسطور.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب الله أعلم بما كانوا عاملين (٨/ ١٢٢) رقم: (٦٥٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٥٠) رقم: (٢٦٦٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٥٠) رقم: (٢٦٦٢).

- قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ **[البروج: الآيات: ٢١، ٢٢]**،

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ **[الحج: الآية: ٧٠]**،

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ **[يس: الآية: ١٢]**،

وقال تعالى: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ **[الطور: الآيات: ١- ٣]**،

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ **[الزخرف: الآية: ٤]**،

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–(ت: ٦٥ هـ)، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: **(إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء).**[(١)].

قال عبادة بن الصامت–رضي الله عنه–(ت: ٣٤ هـ) لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقول: **(إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب.قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)**، يا بني إني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: **(من مات على غير هذا فليس مني)**.[(٢)]

وعن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: "كنت خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يوما، فقال: **(يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت**

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى برقم: (٢٦٥٣).

(٢)أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٤٥).

الصحف).[١]

أنواع التقدير:

ذكر ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ) أقسام التقدير الخمسة، وأوضحها بأدلتها، وهي باختصار:

التقدير الأول: تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض، وهو التقدير العام الشامل لكل شيء في اللوح المحفوظ، وقد سبق ذكر بعض الأدلة عليه.

التقدير الثاني: تقدير الرب- تبارك وتعالى- شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم، وهو تقدير ثان بعد التقدير الأول، فعن عمران بن حصين قال: "قيل: يا رسول الله، علم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال (نعم).قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: (كل ميسر لما خلق له)."[٢].

التقدير الثالث: المتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله؛ فعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق: **(إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك؛ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)**.[٣]

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣) (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٥١) ومسلم (٢٦٤٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).

التقدير الرابع: التقدير في ليلة القدر؛ قال الله تعالى: ﴿**حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ [الدخان: الآيات: ١ - ٥].

قال أبو عبد الرحمن السلمي -رحمه الله- (ت: ٧٤ هـ): "يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر"، وهذا هو الصحيح: أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا، فهي ليلة الحكم والتقدير.

التقدير الخامس: التقدير اليومي؛ قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ **[الرحمن: الآية: ٢٩]**.

قال مجاهد -رحمه الله- (ت: ١٠٤ هـ)، والكلبي -رحمه الله- (ت: ١٠٤ هـ)، وعبيد بن عمير -رحمه الله- (ت: ٧٣ هـ)، وأبو ميسرة -رحمه الله- (ت: ٦٣ هـ)، وعطاء -رحمه الله- (ت: ١١٤ هـ)، ومقاتل -رحمه الله- (١٥٠ هـ): "من شأنه: أن يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر، ويعز ويذل، ويفك عانيا، ويشفي مريضا، ويجيب داعيا، ويعطي سائلا، ويتوب على قوم، ويكشف كربا، ويغفر ذنبا، ويضع أقواما، ويرفع آخرين. دخل كلام بعضهم في بعض ... ".

إلى أن **قال ابن القيم -رحمه الله- (ت: ٧٥١ هـ)**: "فهذا تقدير يومي، والذي قبله تقدير حولي، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به، والذي قبله كذلك عند أول تخليقه، وكونه مضغة، والذي قبله تقدير سابق على وجوده، لكن بعد خلق السماوات والأرض، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق، وفي ذلك الدليل على علم الرب وقدرته وحكمته، وزيادة التعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه".(١)

الركن الثالث: المشيئة:

الركن الثالث- أو المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر- المشيئة، أي: الإيمان بمشيئة الله

(١) شفاء العليل (ص: ٣١-٤٩).

النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

والنصوص المصرحة بهذا الركن المقررة له كثيرة، منها:

- قال تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ**﴾ **[التكوير: الآية: ٢٩]**.

- وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْموتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَّشَاءَ اللهُ**﴾ **[الأنعام: الآية: ١١١]**.

- وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**) **[الأنعام: الآية: ١١٢]**.

- **وقال تعالى:** ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ **[يس: الآية: ٣٦]**.

- وقال تعالى: ﴿**مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ **[الأنعام: الآية: ٣٩]**.

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لا يكن لعدم مشيئة الله تعالى ليس لعدم قدرته عليه.

- قال تعالى: ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد**) **[البقرة: الآية: ٢٥٣]**.

- **وقال تعالى:** ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ **[المائدة: الآية: ٤٨]**.

- وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى**﴾ **[الأنعام: الآية: ٣٥]**.

- وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا**) **[الأنعام: الآية: ١٠٧]**.

- **وقال تعالى:** ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ**﴾ **[يونس: الآية: ٩٩]**.

وجاء في حديث **حذيفة بن أسيد**-رضي الله عنه-(ت: ٤٢ هـ) في شأن الجنين: (**فيقضي ربك ما يشاء، ويكتب الملك**).(١).

وعن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-(ت: ٤٤ هـ)، عن النبي-صلى الله عليه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

وسلم-: **(اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء)**.[(١)].

قال ابن القيم –رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر، وهي مرتبة المشيئة:

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والبيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به.

والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد حتى وإن كان مخالفا لأمره الشرعي، فهو سبحانه وتعالى أراد أن يمتحن عباده، فجعل لهم إرادة وقدرة؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملا؛ فمن آمن واستقام فاز، ومن كفر وعاند فقد خسر خسرانا مبينا؛ فتجزى كل نفس بما عملت، فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ **[التكوير: الآيات: ٢٨، ٢٩]**، وقد يريد العبد الشر، ولكن الله لا يمكنه منه؛ فكل شيء داخل تحت إرادته ومشيئته، ولا يخرج العباد أبدا في كل أمورهم عن تلك الإرادة والمشيئة؛ قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ **[البقرة: الآية: ٢٥٣]**، وقال سبحانه: ﴿**كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ **[آل عمران: الآية: ٤٠]**، وقال جل وعلا: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢).

يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ١١٢]".[1]

أنواع الإرادة: لله- جل وعلا- إرادتان: كونية قدرية، ودينية شرعية.

قال ابن القيم -رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علما، وهو أن الله- سبحانه- له الخلق والأمر، وأمره- سبحانه- نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي.

فمشيئته- سبحانه- متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته- سبحانه- شاملة لذلك كله.

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعا فهو محبوب للرب، واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته، ولا رضاه ولا أمره الديني، و ما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية؛ فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية؛ فتكون هي المحبة.

وإذا عرفت هذا فقوله تعالى: **﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: الآية: ٧]**، وقوله: **﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية: ٢٠٥]**، وقوله: **﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية: ١٨٥]**، لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره؛ فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق، ونظير هذا: الأمر؛ فإنه نوعان: أمر تكوين، وأمر تشريع، والثاني قد يعصى ويخالف بخلاف الأول".

إلى أن قال رحمه الله: "فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه، وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له،

---

(١) انظر: شفاء العليل (ص: ٩٣) بتصرف واختصار.

ولو شاءه لوجد"[١].

الركن الرابع: الخلق

الركن الرابع- أو المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر- الخلق، أي: خلق الله تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه.

وقد قررت النصوص أن الله خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق وكوَّنهم وأوجدهم، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق.

ومن أدلة القرآن الكريم:

الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه...

١-قال تعالى في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث كسر أصنامهم ثم جاء إليه قومه يناقشونه مسرعين فقال لهم كما حكى الله عنه: ﴿**أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ **[الصافات: الآيات: ٩٥-٩٦]**، أي خلقكم وعملكم فتكون (ما) مصدرية، وقيل: إنها بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيدكم وهو الأصنام[٢] وقد ذكر ابن كثير القولين ثم قال: "وكلا القولين متلازم، والأول أظهر" [٣] وقد علل ذلك بما يؤيده من رواية البخاري في أفعال العباد **عن حذيفة-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله يصنع كل صانع وصنعته)**[٤]، وتلا بعضهم عند ذلك ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ **[الصافات: الآية: ٩٦]**، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة فالله تعالى خالق الخلق وأفعالهم كما دلت على ذلك الآية والحديث.

(١) شفاء العليل (ص: ١٠٥-١٠٦).

(٢)انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٧/ ٧٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢).

(٤) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٢). وصححه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٠٧)، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٣٦) وقال: على شرط مسلم.

٢-وقد وردت آيات كثيرة تدل دلالة واضحة على أن كل شيء مما في هذا الكون مخلوق لله سبحانه وتعالى, وقد وردت هذه الآيات بلفظ العموم فقال تعالى: ﴿**اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ **[الرعد: الآية: ١٦]**، وفي آية أخرى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ **[غافر: الآية: ٦٢]**، وهذه نصوص واضحة في الدلالة على مرتبة الخلق، وقد جاءت الآية الأولى في معرض إنكار أن يكون للشركاء خلق كخلقه، سبحانه وتعالى فنفى ذلك سبحانه آمراً رسوله أن يقرر هذه الحقيقة التي تفصل في الأمر وتدل على وحدانية الله تعالى وانفراده بالخلق والرزق: ﴿**اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ **[الرعد: الآية: ١٦]**، وفي موضع آخر جاءت هذه الآية لبيان قدرة الله تعالى وكماله ودلائل وحدانيته: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ **[الزمر: الآية:٦٢]**، أما الآية الثانية فقد جاءت أيضاً لبيان قدرة الله التامة حيث جعل لعبادة الليل والنهار ثم بين سبحانه أنه خالق كل شيء.

٣-وقال تعالى ممتناً على الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن أمرهم بالتثبت في خبر الفاسق.﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ**﴾.**[الحجرات: الآية: ٧]**، والشاهد قوله: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ**﴾..﴿**وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ**﴾...، فهو سبحانه هو الذي جعل الإيمان محبوباً أو أحب الأشياء إليكم، وهو الذي حسنه بتوفيقه وقربه منكم، وهو الذي جعل ما يضاد الإيمان من الكفر والفسوق والعصيان مكروها عندكم، وذلك بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر وعدم إرادة فعله، فالفاعل في كل ذلك هو الله تعالى.(١)

وهناك آيات أخرى كثيرة تدل على أن الله تعالى هو المضل، والهادي, والمؤيد لعباده المؤمنين، والهازم لأعدائهم، وأنه المضحك, والمبكي، والمميت, والمحيي, وكل ذلك دليل على مرتبة الخلق،

(١) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان (٩/ ٧٤)، وانظر: تفسير ابن السعدي (٧/ ١٣١)، وانظر: شفاء العليل لابن القيم (ص: ٥٧).

وقد أورد ابن كثير عند تفسيره لآية الحجرات السابقة، حديثاً يدل على هذه المرتبة عن ابن رفاعة الزرقي قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك، ورحمتك، وفضلك، ورزقك، اللهم إني أسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسالك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق**).[١] فترى في هذا الحديث بأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأمور، وهذا دليل على مرتبة الخلق.

الأدلة من السنة:

١-**عن زيد بن أرقم-رضي الله عنه-(ت: ٦٨ هـ)** قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كان يقول: (**اللهم أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب، القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها...**).الحديث[٢] والشاهد قوله: (**اللهم آت نفسي تقواها وزكها...**)، فالفاعل هو الله تعالى، فهو الذي يطلب منه ذلك ولفظ (**خير**) ليس للتفضيل، بل لا مزكي

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٤) (١٥٥٣١)، والبزار (٩/ ١٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٣٨). وقال: [فيه] عبد الواحد بن أيمن مشـــهور ليس به بأس في الحديث، روى عنه أهل العلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٢٤): رجاله رجال الصـــحيح، وصححه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/ ١٦٣) والألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٣٨).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٢).

للنفس إلا الله، ولهذا قال بعد ذلك: (**أنت وليها ومولاها**).[١] فهو سبحانه الملهم للنفس الخير والشر، قال تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ **[الشمس: الآية: ٨]**.

قال سعيد بن جبير–رحمه الله–(ت: ٩٥ هـ) في تفسير هذه الآية: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ **[الشمس: الآية: ٨]**، أي: فالخلق والإنسان قادر على سلوك أيهما شاء ومخير فيه.

وقال ابن زيد–(ت: ١٨٢ هـ)، في معنى الآية: "جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى".[٢]

٢– وعن **وراد مولى المغيرة بن شعبة (ت: غير معروف سنة وفاتة)** قال: كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي–صلى الله عليه وسلم–يقول خلف الصلاة، فأملى عليّ المغيرة قال: سمعت النبي–صلى الله عليه وسلم–يقول: خلف الصلاة: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**).[٣]

والشاهد قوله: (**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**)، فالمعطي والمانع هو الله تعالى فهو الفاعل لهما، وهذا يدل على أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى وقوله: (**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**)، أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه، أو لا ينجيه حظه منك، بل ينفعه عمله الصالح.

٣–وقد قال–صلى الله عليه وسلم–**لأبي موسى الأشعري–رضي الله عنه–(ت: ٤٤ هـ)**: (**يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**).فقلت بلى يا رسول الله، قال: (**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**).[٤]، والشاهد قوله: (**لا حول ولا قوة إلا بالله**)، ففيها الاعتراف بأنه لا صانع غير الله، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً، فمعناها: لا

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٤١).

(٢) الكشف والبيان للثعلبي (١٠/ ٢١٣)، وزاد المسير (٩/ ١٤٠)، و تفسير البغوي (٨/ ٤٣٨).

(٣) رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

(٤) رواه البخاري (٤٠٢٥) بلفظ: (ألا أدلك على كلمة) بدلاً من (ألا أدلك على كنز)، ومسلم (٢٧٠٤).

حركة, ولا استطاعة, ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى[١] وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله، وقيل: **(لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونته)**[٢]، وحكي هذا **عن ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، وكله متقارب، والكنز هنا: معناه ثواب مدخر في الجنة عند الله وهو ثواب نفيس[٣].

فهذه مراتب القدر وأركانه الأربعة التي يجب على العبد أن يؤمن بها حتى يكون مؤمنًا بالقدر.

وقد يقسم بعض العلماء مراتب القدر إلى درجتين:

فقد قسم **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: "الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين" - بين فيه مراتب القدر الأربع التي هي:(العلم والكتابة والمشيئة والخلق).

فذكر هنا مراتب القدر، وجمع هنا بين مرتبتين؛ مرتبة العلم ومرتبة الكتابة؛ باعتبار أنهما متلازمتان، كما أنه بالدرجة الثانية جمع بين الخلق والمشيئة، فالقسمة إما ثنائية وإما رباعية، فإذا قلت: رباعية، فتقول: (العلم، الكتابة، الخلق، المشيئة).

وإذا قلت ثنائية، فتقول: (العلم، الكتابة)، أي: علم سبحانه وتعالى ذلك وكتبه، ثم خلقه وشاءه.

فقال: «الإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بالعلم والكتابة»؛ فالله- تعالى علم الأشياء قبل كونها، ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، كما أخبر- مثلا- عن شأن أهل النار فقال: **﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾** [الأنعام: الآية: ٢٨]؛ فلو ردوا إلى الدنيا فسيكون

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ٢٤٣)، لسان العرب (١١/ ١٨٤) مادة: (حول).

(٢) رواه البزار (٥/ ٣٧٤)، والبيهقي في (١/ ٤٤٦) (٦٦٤)، والديلمي (٥/ ٣٧٥) (٨٤٧٨). بلفظ: (إلا بعون الله) بدلاً من (إلا بمعونته). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠٢): رواه البزار بإسنادين أحدهما: منقطع وفيه عبد الله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر: متصل حسن، وقال الحسيني في البيان والتعريف (٢/ ٢٨٩): سنده لا بأس به.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٢٦-٢٧)، وانظر: عمدة القاري للعيني (٢٣/ ١٥٤).

منهم عودة إلى ما نهاهم الله عنه، وهذا لا يكون، ولكنه لو كان فسيكون بهذه الحال، فالله سبحانه وتعالى علم الأشياء قبل كونها، وهو عليم بها أثناء كونها، وعليم بما سيكون، وعليم بما لم يكن لو كان كيف يكون، فسبحان من وسع علمه كل شيء!

فهو عليم بما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبدا؛ ونحن نؤمن أن الله متصف بجميع الصفات أزلا وأبدا.

المسألة السادسة: مواقف المخالفين من مراتب القدر

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الناس قد تنازعوا في القدر، وخاضوا فيه بغير علم، وهذا باب عظمت فيه الفتنة، وكثر فيه النزاع، وما يصيب الإنسان من الحيرة والضلال، إلا من جهة الجهل بالقدر".[١].

قال ابن أبي العز-رحمه الله-(ت: ٧٩٢ هـ): "وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع".[٢]

وقد حدثت بدعة "القدرية" في آخر عصر الصحابة.[٣].وكان القدر قد حدث أهله قبل أهل النفي للصفات، فمقالة القدر ظهرت في خلافة عبد الله الزبير-رضي الله عنه-(٦٤-٧٣هـ) بعد موت معاوية.[٤]

ولهذا تكلم فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع[٥] -رضي الله عنهم-.

وابن عباس-رضي الله عنهما-مات (٦٨هـ) قبل ابن الزبير وابن عمر مات عقب موته (٧٤هـ).وعقب ذلك تولى الحجاج العراق سنة بضع وسبعين، فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز، والشام، والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق بالبصرة، وأقله كان بالحجاز.[٦]

وأول من عرف بنفي القدر، رجل مجوسي يقال سيسويه من الأساورة، وإن كان قد اشتهر أن أول من قال به معبد الجهني.[٧]

---

(١) مجموع الفتاوى، (٨/ ٢٦٢).

(٢)شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٤٠).

(٣)منهاج السنة (١/٣٠٨).

(٤)الحسنة والسيئة (ص: ١٠٣).

(٥)منهاج السنة (ص: ١٠٣).

(٦)الحسنة السيئة (ص: ١٠٣).

(٧)تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥).

قال الهروي–رحمه الله–(ت: ٤٨١ هـ): "فأما القدر فأول من تكلم به معبد الجهني رجل من أهل البصرة، كان عنده حظ من العلم يقال له معبد بن خالد، ويقال معبد ابن عبد الله بن عويم، مات بعد الهزيمة وكان يومئذ مع ابن الأشعث، وأصابته جراحة، وهو أول من تكلم بالقدر، وهو الذي تبرأ منه عبد الله بن عمر بن الخطاب.[١] مات قبل التسعين [٢] قتله الحجاج بن يوسف وقيل صلبه عبد الملك بن مروان سنة ثمانين".[٣]

وأخذ غيلان الدمشقي عن معبد الجهني [٤]

قال الهروي–رحمه الله–(ت: ٤٨١ هـ): "فتكلم عليه عمرو بن عبيد، وجادل به غيلان بن مسلم الدمشقي (ت: ١٠٦ هـ) وغيلان هو ابن أبي غيلان أبو مروان من موالي عثمان، وكان عنده حظ من العلم، تكلم به أيام عبد الملك بن مروان–رحمه الله–(ت: ٨٦ هـ)، واستتابه عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ)، ثم ظهر منه تكذيب التوبة [٥] زمن يزيد بن عبد الملك–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ)، ثم لما ولي هشام بن عبد الملك سنة (١٠٦هـ)، أرسل إلى غيلان وأحضر له الأوزاعي لمناظرته، ثم قتله [٦] فصلب على باب الشام بأخزى حالة لقيها بشر".[٧]

"وأما عمرو بن عبيد فهو عمرو بن كيسان أبو عثمان مولى بني تميم البصري، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة في طريق مكة فإنه أول من بسط أساسه فأصبح رأسه، ونظم له كلامًا ونصبه إمامًا، ودعا إليه ودل عليه، فصار مذهبًا يسلك، وهو إمام الكلام وداعية الزندقة الأولى

---

(١) ذم الكلام (ص: ٣٠٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).
(٣) تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٢٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).
(٤)سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧).
(٥)ذم الكلام (ص: ٣٠٣).
(٦) الشريعة للآجري (ص: ٢٢٨)، التنبيه والرد للملطي (ص: ١٦٨).
(٧)ذم الكلام ص: ٣٠٣).

رأس المعتزلة، سموا به لاعتزاله حلقة الحسن البصري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، وهو الذي لعنه إمام أهل الأثر مالك بن أنس الأصبحي–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ)، وإمام أهل الرأي النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة–رحمه الله–(ت: ١٥٠ هـ)، وحذر منه إمام أهل الشرق عبد الله بن المبارك الحنظلي–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)، فسلط الله عليه وعلى من استتبع واخترع، سيفاً من سيوف الإسلام وهو أبو بكر أيوب بن أبي تميمة السختياني–رحمه الله–(ت: ١٣١ هـ)، فهتك استاره، وأظهر عواره، ورسمه باللعنة وألحق به بلاء تلك الفتنة".[(١)]

فقد تلقَّف المعتزلة مقالة القدرية حتى بعد ذلك أصبح إذا قيل: القدرية، فإن الذي يعنى بذلك هم المعتزلة في ذلك الحين.

ونفاة القدر أرادوا منازعة الله في الربوبية فضاهوا بذلك المجوسية الأولى وهم الزنادقة.[(٢)]

وأصل بدعة القدرية كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع؛ وكانوا قد آمنوا بدين الله وآمره ونهيه ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه، وظنوا أيضاً أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يفسد.

فلما بلغ قولهم بإنكار القدر الصحابة أنكروه إنكاراً عظيماً وتبرؤا منهم.ثم كثر الخوض في القدر فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار النزاع في الإرادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين.

١– "النفاة": يقولون لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد.

٢– "المجبرة" كالجهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ) وأمثاله، قابلوا الفريق الأول فقالوا ليست

(١) ذم الكلام (ص: ٣٠٣).

(٢) ذم الكلام (ص: ٣٠٥).

الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا العبد لا فعل له البتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط.[(١)]

أولًا: الموقف من مرتبة العلم والكتابة.

والقدرية[(٢)] ينقسمون إلى قسمين:

القدرية الأولى

وهؤلاء هم الغلاة الذين أنكروا القدر وأنكروا علم الله السابق بالأمور، "فيقولون إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، ولا تعلقت بها مشيئة الله، فلما شنع عليهم المسلمون، وكفروهم بذلك: تحولوا عن قولهم الأول فأثبتوا العلم، وأنكروا القدر.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فهذا التقدير– أي: تقدير العلم والكتابة– قد كان ينكره غلاة القدرية قديما، ويقولون: إن الأمر أنف؛ أي: أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها"[(٣)].

فغلاة القدرية يقولون والعياذ بالله–: إن الله لا يعلم أن العبد سيعمل هذا العمل إلا عند وقوعه. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. والله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء أزلا

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، وغيره، يقولون: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا"[(٤)]

قال حافظ حكمي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٧ هـ): "ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦،٣٧).

(٢) سموا بالقدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضًا، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٧٩)، و (٢/ ٧٩٧)، معجم ألفاظ العقيدة (ص: ٣١٦).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (ص: ٢١٩).

(٤) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص: ٢٠)، مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٠).

الجزئيات"[١]

قال النووي –رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله– تبارك وتعالى– قدر الأشياء في القدم، وعلم– سبحانه– أنها ستقع في أوقات معلومة عنده –سبحانه وتعالى–، وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها –سبحانه وتعالى–، وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه –سبحانه وتعالى– لم يقدرها، ولم يتقدم علمه –سبحانه وتعالى– بها، وأنها مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها– سبحانه– بعد وقوعها، وكذبوا على الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا.

وسميت هذه الفرقة قدرية؛ لإنكارهم القدر؛ قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، لكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره"[٢]

والنصـــوص في العلم والكتابة– بحمد الله تعالى– كثيرة وواضـــحة في الدلالة على هاتين المرتبتين: العلم والكتابة، كما تقدم ذكرهما.

ثانيًا: الموقف من مرتبة الخلق والمشيئة.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما الدرجة الثانية فهي مشيئته النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه– سبحانه– على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات؛ فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي –صلى الله عليه وسلم– مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون

---

(١) معارج القبول (٣/ ٩٤٥).

(٢)شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤).

عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها"[(١)]

فالقدرية الثانية:

زعموا "أن أفعال العباد وطاعاتهم ومعاصيهم، لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات، وأوصافها، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردها ولم يشأها منهم، بل: هم الذين أرادوها وشاءوها، وفعلوها، استقلالاً بدون مشيئة الله"[(٢)]

"فهؤلاء يقولون أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله، وإنما العباد هم الخالقون لها، وهذا هو مذهب المعتزلة ومن وافقهم، فهم ينكرون مرتبتي المشيئة والخلق، فينفونها عن الله تعالى، ويثبتونها للإنسان"[(٣)]

وافترقت القدريَّة إلى عشرين فرقة، وهذه أسماؤها: الواصلية، والعمرية، والهذلية، والنظامية، والمردارية، والمعمرية، والثمامية، والجاحظية، والخياطية، والشحامية، وأصحاب صالح قبة، والمريسية، والكعبية، والجبائية، والبهشيمية المنسوبة إلى أبي هاشم بن الجبائي".[(٤)]

وابن تيمية-رحمه الله-يشير هنا إلى كل من القدرية والجبرية

وقد ضَلَّ في هذا الباب (باب أفعال الله) الجبريةُ والقدريةُ، وما زال إلى يوم الناس هذا مَن يَخبط فيه بين قائل بأن العبد مجبر على أفعاله، وبين قائل بأن العبد لا فِعل له ولا اختيار، وإنما هو كالريشة في مَهَبِّ الرِّيح، وأهل السنة والجماعة وسطٌ بين هذا وذاك.

وقد أوضَح **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)**: هذا في «مَجموع الفَتاوى» قول أهل السنة فقال: "وهم في باب خَلقِ الله وأمرِهِ وسطٌ بين المكذِّبين بقُدرة الله الذين لا يُؤمنون بقُدرتِهِ الكاملة ومَشِيئته الشاملة وخَلقِهِ لكل شيء، وبين المفسدين لدِين الله الذين يَجعلون العبدَ ليس له مَشِيئةٌ ولا قُدرة ولا عمل، فيُعطِّلون الأمر والنهي والثوابَ والعقاب، فيَصِيرون

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص: ٢٢٠-٢٢١).

(٢) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (ص: ١٧).

(٣) القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود (ص: ٣٠٥).

(٤)الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي (ص: ٤٤).

بمَنزِلة المشـــركين الذين قالوا: ﴿**لَوْ شَـــاءَ اللَّهُ مَا أَشْـــرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَـــيْءٍ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٤٨].

فيُؤمن أهل السُّـــنَّة بأنَّ الله على كل شـــيء قدير، فيَقدر أن يهدي العبادَ ويُقلِّب قلوبهم، وأنه ما شـاء الله كان وما لم يشـأ لم يكن، فلا يكون في مُلكِه ما لا يُريد، ولا يَعجَز عن إنفاذ مُرادِه، وأنه خالِق كلِّ شـــيء من الأعيان والصِّـــفات والحَرَكات.ويُؤمنون أن العبدَ له قُدرة ومشيئة وعملٌ، وأنه مُختار ولا يُسمُّونه مَجْبورًا؛ إذ المجْبور مَن أُكْرِه على خلاف اختِياره، والله عز وجل جعَل العبدَ مُختارًا لِمَا يفعله، فهو مختارٌ مُريد، والله خالِقُه وخالِقُ اختياره، وهذا ليس له نَظِيرٌ؛ فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاتِه ولا في صفاته ولا في أفعاله"[١]

(١) مجموع الفَتاوى (٣/ ٣٧٣-٣٧٤).



[عدالة الصحابة]

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: عدالة الصحابة

المسألة الثانية: الأدلة على عدالة الصحابة

المسألة الثالثة: وجوب اتباع سبيلهم

المسألة الرابعة: وجوب محبتهم.

المسألة الخامسة: القول بعدالة الصحابة لا يعني عصمتهم.

المسألة السادسة: الإمساك عما شجر بينهم.



[٣]–قال المصنف–رحمه الله–: "وعَرَفَ حقَّ السَّلفِ الماضين الذين اختارَهم اللّٰه–عز وجل–لصحبَةِ نَبيِّهِ–صلى الله عليه وسلم–".

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: عدالة الصحابة.

أولًا: معنى العدالة في اللغة:

قال الجوهري-رحمه الله-(ت: ٣٩٣ هـ): "العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفلان من أهل المعدلة، أي: من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة، وهو في الأصل مصدر، وقوم عدل وعدول أيضًا: وهو جمع عدل وقد عدل الرجل بالضم عدالة..إلى أن قال: وتعديل الشيء: تقويمه، يقال: عدلته فاعتدل، أي: قومته فاستقام".[١]

وجاء في القاموس: "العدل ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة والمعدلة".[٢]

"فمن هذه التعاريف اللغوية تبين أن معنى العدالة في اللغة الاستقامة، وأن العدل هو الذي لم تظهر منه ريبة وهو الذي يرضى الناس عنه، ويقبلون شهادته ويقنعون بها".[٣]

ثانيًا: العدالة شرعًا:

عرفها **ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ)**، بقوله: "المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة"[٤].

---

(١) الصحاح للجوهري (ص: ١٧٦٠-١٧٦١)، مختار الصحاح (ص: ٤١٥-٤١٦).

(٢) القاموس (٤/ ١٣).

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، لناصر بن علي (٢/ ٧٩٦).

(٤) نزهة النظر شرح نخبة الفكر (ص: ٢٩).

المسألة الثانية: الأدلة على عدالة الصحابة وفضلهم ومكانتهم.

لقد تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعديل الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، مما لا يبقى معها شك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى-صلى الله عليه وسلم-لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن ذلك:

أ-الأدلة من القرآن

١- قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة-رضي الله عنهم-أن وسطا بمعنى "عدولا خيارا"[(١)] ، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن اللفظ وإن كان عامًا إلا أن المراد به الخصوص، وقيل: "إنه وارد في الصحابة دون غيرهم"[(٢)]

٢-قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠].

قال الشاطبي-رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ): "سنة الصحابة-رضي الله عنهم-سنة يعمل عليها ويرجع إليها، ومن الدليل على ذلك أمور:

أحدها: ثناء الله عليهم من غير مثنوية ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها كقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]، وقوله ﴿**وَكَذَلِكَ**

(١) انظر جامع البيان (٢/ ٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٥٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٣٣٥).

(٢) انظر الكفاية للخطيب البغدادي (ص: ٦٤).

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: الآية: ١٤٣]، ففي الآية الأولى: إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية: إثبات العدالة مطلقًا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى.ولا يقال إن هذا عام في الأمة، فلا يختص بالصحابة دون من بعدهم لأنا نقول:

أولا: ليس كذلك بناء على أنهم المخاطبون على الخصوص ولا يدخل معهم من بعدهم إلا بقياس وبدليل آخر.

ثانيا: على تسليم التعميم أنهم أول داخل في شمول الخطاب، فإنهم أول من تلقى ذلك من الرسول عليه الصلاة والسلام وهم المباشرون للوحي.

ثالثا: أنهم أولى بالدخول من غيرهم، إذ الأوصاف التي وصفوا بها لم يتصف بها على الكمال إلا هم فمطابقة الوصف للاتصاف شاهد على أنهم أحق من غيرهم بالمدح، وأيضا: فإن من بعد الصحابة من أهل السنة عدلوا الصحابة على الإطلاق والعموم فأخذوا عنهم رواية ودراية من غير استثناء ولا محاشاة، بخلاف غيرهم فلم يعتبروا منهم إلا من صحت إمامته وثبتت عدالته وذلك مصدق لكونهم أحق بذلك المدح من غيرهم، فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط، أي: عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر وعملهم مقتدى به"(١)

٣-قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية: ٧٤].**

ففي هذه الآية وصف الله تعالى عموم المهاجرين والأنصار بالإيمان الحق ومن شهد الله له بهذه الشهادة فقد بلغ أعلى مرتبة العدالة.

٤-قال تعالى:﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ

(١) الموافقات (٤/ ٤٠-٤١).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٠].

ولا خلاف بين أهل العلم في أن الآية تتحدث عن الصحابة، إلا أن الخلاف في من هم هؤلاء الصحابة،

فقد **قال ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)**: "إنهم هم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدرا،

وعن الشعبي–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): "هم الذين بايعوا بيعة الرضوان"[(١)]

وقال أبو موسى الأشعري–رضي الله عنه–(ت: ٤٢ هـ)، وسعيد بن المسيب–رحمه الله–(ت: ٩٤ هـ)، ومحمد بن سيرين–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ) والحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، وقتادة–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ)، "هم الذين صلوا إلى القبلتين مع الرسول–صلى الله عليه وسلم–"[(٢)]

وذكر الله تعالى رضاه عنهم في قوله: **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾** "ولما وصفهم بهذا الوصف أثبت لهم ما يوجب التعظيم" [(٣)]، "ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم"[(٤)].

وقال ابن خويز منداد–رحمه الله–(ت: ٣٩٠ هـ): "تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم، أو دين، أو شجاعة، أو غير ذلك"[(٥)]، فرضي الله –سبحانه وتعالى– عن هؤلاء فيه بيان لفضلهم وتميزهم عن غيرهم.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فرَضِــيَ عن الســابقين عن غير اشــتراط

(١) التفسير الكبير، الرازي، (١٦/ ١٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير، (٧/ ٢٧٠).

(٣) التفسير الكبير، الرازي، (١٦/ ١٣٥).

(٤) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٧٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثاني، المجلد الرابع، (ص: ٤١٣).

إحسان، ولم يرضَ عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان"(١)

قال ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلا للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلا في دينه.

ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلا وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا تثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين.

فقد أخبر الله-تعالى-في هذه الآية أنه رضي عن هؤلاء رضًا مطلقًا، ورَضي عمن بعدهم رضًا مقيدًا، وهو شرط اتباعهم بإحسان؛ قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل مَن أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض-أو سَبَّ-بَعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخَيرهم وأفضلهم-أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم-أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبونهم؛ عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن قدم الله ذكرهم ورفع شأنهم.

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون"(٢).

قال محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ): "ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله جل وعلا،

(١) "الصارم المسلول" (ص: ٥٧٢).

(٢) تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣).

حيث أبغض من رضي الله عنه؛ ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان"(١)

٥- قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وهذه الآية فيها دلالة واضحة على تعديل الصحابة الذين كانوا مع النبي-صلى الله عليه وسلم-يوم الحديبية، وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة ووجه دلالة الآية على تعديليهم-رضي الله عنهم- أن-الباري جل وعلا-أخبر برضاه عنهم، وشهد لهم بالإيمان وزكاهم بما استقر في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة ولا تصدر تلك التزكية العظيمة من . الرب-جل وعلا-. إلا لمن بلغ الذروة في تحقيق الاستقامة على وفق ما أمر الله به والصحابة-رضي الله عنهم-كانوا في مقدمة من استقاموا في جميع الأحوال.

فالآية فيها بيان أن طاعة الله والرسول وجدت من أهل بيعة الرضوان أما طاعة الله فالإشارة إليها بقوله: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ وأما طاعة الرسول-صلى الله عليه وسلم- فبقوله: ﴿**إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ**﴾ بقي الموعود به وهو إدخال الجنة أشار إليه بقوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ لأن الرضا يكون معه إدخال الجنة، كما قال عز وجل . ﴿**وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**﴾ [المجادلة: الآية: ٢٢].

٦- قال تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا**﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].

(١) أضواء البيان (٢/ ٥٥٨).

قال ابن الجوزي–رحمه الله–(ت: ٥٩٧ هـ): "وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور"[(١)]

قال القرطبي–رحمه الله–(ت: ٦٧١ هـ)، عند تفسيره لهذه الآية: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله، هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿**مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد" [(٢)].

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): " ذكر سبحانه رسوله وحزبه الذين اختارهم له، ومدحهم بأحسن المدح، وذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل، فكان في هذا أعظم البراهين على صدق من جاء بالتوراة والإنجيل والقرآن، وأن هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة بهذه الصفات المشهورة فيهم، لا كما يقول الكفار عنهم: إنهم متغلبون طالبو ملك ودنيا.

ولهذا لما رآهم نصارى الشام وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم وعلمهم ورحمتهم وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة قالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء، وكان هؤلاء النصارى أعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة أعدائهم، والرافضة تصفهم بضد ما وصفهم الله به في هذه الآية وغيرها و ﴿**من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**﴾ [الكهف:

---

(١) زاد المسير: (١/ ٢٠٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٩٩).

١٧]"[1]

٧-قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

فالصحابة-رضي الله عنهم-هم السابقون من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-إلى كل خير، وإلى تحصيل كل قربة فيها رضى الرب-جل وعلا-، ولا يصدر ذلك إلا ممن تحقق بوصف العدالة.

قال أبو محمد بن حزم-رحمه الله-(ت: ٤٥٦ هـ) بعد أن ذكر أفضلية جماعات الصحابة حسب سبقهم إلى الإسلام وحسب المشاهد، قال: "فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار-رضي الله عنهم-إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون، ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢] وقوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الفتح: الآية: ١٨]، إلى أن قال: . فمن أخبر الله عنهم بذلك فلا يحل لأحد أن يتوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة"[2]

٨- قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا**

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٣٧٤-٣٧٥).

(٢) ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة (ص: ٢٦٥-٢٦٦).

لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: الآيات: ٨- ١٠].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر **أبو بكر الصديق (ت: ١٣ هـ)** هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبا الأنصار: "إن الله سمانا "الصادقين" وسماكم "المفلحين"، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة: الآية: ١١٩]"[(١)]

ولذلك أهل السنة-والحمد لله-قلوبهم سليمة دائمًا من الغل أو الحقد والحسد تجاه الصَّحب والآل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد زَكَّى المهاجرين والأنصار ومَن جاءوا بعدهم مُستغفرين لهم.

٩-وقال تعالى: **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** [النساء: ١١٥].

والمراد بـ**﴿المؤمنين﴾** في الآية: أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله-جل وعلا-: **﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ﴾**.

١٠-وقال تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾** [الحديد: الآية: ١٠].

وقال **أبو محمد بن حزم-رحمه الله-(ت: ٤٥٦ هـ)**: "وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة قال الله تعالى **﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الفتح: الآية: ٢٩].وقال تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ**

(١) العواصم من القواصم (ص: ٤٤-٤٥).

مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ * لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ * لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: الآيات: ١٠١-١٠٣]، قال أبو محمد: هذه مواعيد الله تعالى ووعد الله مضمون تمامه وكلهم ممن مات مؤمنا قد آمن وعمل الصالحات"(١).

١١- قال تعالى: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ **[النمل: الآية: ٥٩]**.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، وسفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ): "هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-اصطفاهم الله لنبيه-رضي الله عنهم-" (٢).

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ) في الذين اصطفاهم: "هم الذين اجتباهم لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-فجعلهم أصحابه ووزراءه" (٣)

قال ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "يقول سفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، والسدي-رحمه الله-(ت: ١٢٧ هـ) في هذه الآية: "هم أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-"(٤)

قال ابن عاشور-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ): "فلما أمر الله تعالى في هذه الآية رسوله أن يقول: ﴿**وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ فقد عين له هذه الجملة ليقولها يسأل من الله أن يكرم عباده الذين اصطفى بالثناء عليهم في الملأ الأعلى وحسن الذكر؛ إذ قصارى ما

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٩٠-٩١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، الجزء الثالث، المجلد السابع، (ص: ١٤٧).
(٣) جامع البيان، الطبري، (٨/ ٧٠٢).
(٤) تفسير ابن كثير: (٣/ ٥٠٣).

يستطيعه الحاضر من جزاء الغائب على حسن صنيعه أن يبتهل إلى الله أن ينفعه بالكرامة"[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وحقيقة الاصطفاء: "افتعال من التصفية، فيكون قد صفاهم من الأكدار، ولا ينقض هذا بما إذا اختلفوا؛ لأن الحق لم يعدهم بألا يختلفوا، وهذا لا يخرجهم من حقيقة الاصطفاء"[٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إنه لا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة"[٣]

وهذا أمر لا غرابة فيه بأن يصطفي الله–عز وجل–أفضل الأصحاب لأفضل الأنبياء وخاتمهم.

١٢–قال تعالى: **﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾** [الأحزاب: الآية: ٢٣].

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية وفيمن نزلت، إلا أنها اتفقت على أن المقصود بها هو أحد الصحابة أو جميعهم، فلم تخرج من دائرة الصحابة وفضلهم، ففي البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ)، **عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ) قال**: "نرى هذه الآية نزلت في أنس بن النضر (ت: ٣ هـ)"[٤] وفي رواية: "وفي أشباهه"[٥]

وعند مسلم: "وفي أصحابه"[٦]

وفي حديث عائشة–رضي الله عنها–(ت: ٥٧ هـ)، قالت في قوله تعالى: **﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾** الآية: منهم طلحة بن عبيد الله–رضي الله عنه–(ت:

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، المجلد الثامن، الجزء العشرون، (ص: ٨).

(٢) إعلام الموقعين، ابن القيم، (٥/ ٥٦٨).

(٣) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (١/ ٣٦٦)..

(٤) صحيح البخاري، (٤٧٨٣).

(٥) صحيح البخاري، (٢٨٠٥).

(٦) صحيح مسلم، (٤٩١٨).

٣٦ هـ)، ثبت مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حتى أصيبت يده، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: (**أوجب طلحة الجنة**).[(١)]

قال الشوكاني-رحمه الله-(ت: ١٢٥٠ هـ): "إن معنى الآية: أن من المؤمنين رجالا أدركوا أمنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم، فقاتلوا حتى قتلوا، وذلك يوم، أحد كحمزة (ت: ٣ هـ)، ومصعب بن عمير (ت: ٣ هـ)، وأنس بن النضر (ت: ٣ هـ)، ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ**﴾ قضاء نحبه حتى يحضر أجله، كعثمان بن عفان(ت: ٣٥ هـ)، وطلحة (ت: ٣٦ هـ)، والزبير (ت: ٣٦ هـ)، وأمثالهم، فإنهم مستمرون على ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-والقتال لعدوه، ومنتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمنيتهم بالقتل وإدراك فضل الشهادة، وجملة ﴿**وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ معطوفة على صدقوا، أي: ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه"[(٢)]

ب-الأدلة من السنة.

ولقد تواترت الأحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-فيما يدل على فضل الصحابة-رضوان الله عليهم-ووجوب تعظيمهم وإكرامهم وكونهم خير قرون هذه الأمة بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-.ولقد عقد البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، ومسلم (ت: ٢٦١ هـ).في صحيحيهما وكذا أهل السنن وغيرهم، كل منهم كتابا لفضائل الصحابة أوردوا فيه الكثير من الأحاديث الواردة في فضل الصحابة-رضوان الله عليهم-.

وأما دلالة السنة على تعديلهم وفضلهم-رضي الله عنهم-:

فقد وصفهم النبي-صلى الله عليه وسلم-في أحاديث يطول تعدادها وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

١_ **عن عمران بن حصين-رضي الله عنهما-(ت: ٥٢ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلّى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٧/ ٣٤٤).

(٢) فتح القدير، الشوكاني، (٣/ ٤٢١-٤٢٢).

الله عليه وسلّم-: (**خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا. ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**).[(١)]

٢- **وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)**، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**).[(٢)]

٣- **عن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-(ت: ٤٢ هـ)**، قال: صلينا المغرب مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: (**ما زلتم ههنا**)، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (**أحسنتم أو أصبتم**)، قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه، فقال: (**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**).[(٣)]

٤-**وعن البراء-رضي الله عنه-(ت: ٧٢ هـ)**، قال: سمعت النبي-صلّى الله عليه وسلّم- أو قال: قال صلّى الله عليه وسلّم: (**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**).[(٤)]

٥-وفي الصحيحين "أنه كان بين عبد الرحمن بن عوف (ت: ٣٢ هـ)، وبين خالد بن الوليد (ت: ٢١ هـ)، كلام، فقال رسول الله: (**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٥).

(٢) صحيح البخاري ٢/٢٨٨، وانظر صحيح مسلم ٤/١٩٦٣.

(٣) صحيح مسلم ٤/١٩٦١، ومسند أحمد (١٩٥٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥).

أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ).[(١)]

قال ذلك لخالد بالنسبة إلى السابقين الأولين، فالصحابة هم خير هذه الأمة بعد نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

٦-**عن عبد الله بن مسعود-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-(ت: ٣٢ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **(إذا ذُكِرَ أَصْحابي فأَمْسِكُوا)**.[(٢)]

٧-وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال: **(لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)**.[(٣)]

٨- **عن أبي بكرة-رضي الله عنه-(ت: ٥١ هـ)**، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (..**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**).الحديث.[(٤)]

وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا.

قال ابن حبان-رحمه الله-(ت: ٣٥٤ هـ): "وفي قوله-صلى الله عليه وسلم-: **(ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب)**، أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله صلى الله عليه وسلم وقال: ألا ليبلغ فلان منكم الغائب فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٤٢٧)، أخرجه قوام السنة في الترغيب والترهيب (٦٢٩) باختلاف يسير، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة: (صحيح) انظر حديث رقم: (٥٤٥). في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٤٩٦).

(٤) صحيح البخاري (٣١/١)، صحيح مسلم (١٣٠٦/٣).

عدول وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا"[(١)]

٩-**عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (**يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتِي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ**).[(٢)].

هذه الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن الصحابة عدول على الإطلاق حيث شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية المطلقة كما أخبر بأنهم أمان للأمة من ظهور البدع والحوادث في الدين ولا يخبر صلى الله عليه وسلم بهذا إلا لمن كانوا عدولا مستقيمين على الصراط المستقيم.[(٣)]

ج-أقوال السلف ومن تبعهم في عدالة الصحابة وفضلهم.

فمن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةَ قلوبهم تجاه أصحاب النبيﷺ.

قال حبر الأمة وترجمان القرآن **عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**: "إن الله-جل ثناؤه وتقدست أسماؤه-خص نبيه محمدا-صلى الله عليه وسلم-بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: ﴿**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ**

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٩).

(٣) المصدر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام-رضي الله عنهم-، لناصر بن علي (٨٠٠-٨٠٨).

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه وظهرت آلاء الله، واستقر دينه ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها"(١)

قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد–صلى الله عليه وسلم–خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ"(٢)

وذلك لأنهم حَمَلَة ميراث النبوة، فهم علماء هذه الأمة وخيرها وأبرُّها، كما قال عنهم **ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**: "مَن كان منكم مستنًّا، فليستنَّ بمَن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا يُؤمن عليه الفتنة.أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم"(٣)

وقد عَلَّق **ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)** على هذا الأثر؛ فقال: "وقول عبد الله بن مسعود: "كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا": كلامٌ جامع، بيَّن فيه

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣/ ٧٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩)، والطبراني في الكبير (٨٥٨٢)، وقال المحققون: إسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن عبد البرَّ في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٧)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤)، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

حُسن قَصدهم، ونيَّاتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف...وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فليسوا مِن المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين...بل لهم كمال العلم، وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمةُ خيرَ الأمم، وأن لا يكونوا خيرَ الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة.

وأيضًا فالاعتبار العقليُّ يدلُّ على ذلك؛ فإنَّ مَن تأمَّل أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين-تبيَّن له مِن فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

عن الحسن البصري-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ)، قال: "إن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا أكياسًا، عملوا صالحًا، وأكلوا طيبًا، وقدموا فضلًا، ولم ينافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم ينافسوهم في عزها، ولم يجزعوا لذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاظم في أنفسهم حسنة عملوا، ولا تصغر في أنفسهم سيئة"(١)

قال قتادة بن دعامة السدوسي-رحمه الله-(ت: ١١٨ هـ): "ولكن أحق من صدقتم أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه"(٢).

عن أبي صخر حميد بن زياد-رحمه الله-(ت: ١٨٩ هـ)، قال: قلت لمحمد بن كعب القرظي-رحمه الله-(ت: ١٠٨ هـ): أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أريد الفتن؟ فقال إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت: له وفي أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه؟ قال ألا تقرأ ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ**

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٧١) رقم (١٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٧٤) رقم (١٠٦٣٣).
(٢) أحمد المسند (١٠/ ٤٣٦)، رقم: (١٢٣١٦) وإسناده صحيح.

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٠] أوجب لجميع أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترطه فيهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك قال أبو صخر: لكأني لم أقرأها قبل ذلك وما عرفت تفسيرها حتى قرأها علي محمد بن كعب"(١)

نقل الإمام **أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي -رحمه الله- (ت: ٣٢١ هـ)**: مذهب **الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي -رحمه الله- (ت: ١٥٠ هـ)**، **وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري -رحمه الله- (ت: ١٨٢ هـ)**، **ومحمد بن الحسن الشيباني -رحمه الله- (ت: ١٨٩ هـ)** ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به لرب العالمين ومن ضمن ذلك ما كانوا يعتقدونه في الصحابة عموما فقال: في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(٢)

وقال الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله- (ت: ٢٠٤ هـ): "وقد أثنى الله ـ تبارك وتعالى ـ على أصحاب -رسول الله صلى الله عليه وسلم- في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين أدوا إلينا سنن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عاما وخاصا وعزما وإرشادا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٢٧٢)، وعزاه لأبي الشيخ وابن عساكر.

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها (ص: ٥٢٨).

تفرقوا، وهكذا نقول ولم نخرج من أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله" (١).

قال ابن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ): "ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم-صلى الله عليه وآله وسلم-إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلغوها عنه، وهم صحابته الحواريون الذين وعوها وأدوها ناصحين محسنين، حتى كمل بما نقلوه الدين، وثبتت بهم حجة الله تعالى على المسلمين، فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه. قال الله تعالى ذكره: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: الآية: ٢٩]. فهذه صفة من بادر إلى تصديقه والإيمان به، وآزره ونصره، ولصق به وصحبه"(٢)

يقول الخطيب البغدادي-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ): "على أنه لو لم يرد من الله-عز وجل-ورسوله فيهم شيء، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطعَ على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء". (٣)

وقال الإمام ابن قدامة-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ): "أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء". (٤)

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٤٢- ٤٤٣)، أعلام الموقعين (١/ ٨٠).

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١-٢).

(٣) "الكفاية" (٤٩).

(٤) لمعة الاعتقاد: مع شرحها الإرشاد (ص: ٣٠٦).

قال ابنُ الصَّلاحِ–رحمه الله–(ت: ٦٤٣ هـ): "للصَّحابةِ بأسْرِهم خَصيصةٌ، وهي أنَّه لا يُسألُ عن عدالةِ أحَدٍ منهم، بل ذلك أمرٌ مَفروغٌ منه؛ لكونِهم على الإطلاقِ مُعَدَّلين بنُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعِ من يُعتَدُّ به في الإجماعِ من الأُمَّةِ...ثم إنَّ الأُمَّةَ مجمِعةٌ على تعديلِ جميعِ الصَّحابةِ، ومن لابَسَ الفِتَنَ منهم فكذلك بإجماعِ العُلَماءِ الذين يُعتَدُّ بهم في الإجماعِ؛ إحسانًا للظَّنِّ بهم، نظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثِرِ، وكأنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك؛ لكونِهم نَقَلةَ الشَّريعةِ، والله أعلَمُ"(١)

وقال الإمام النَّووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "وكُلُّهم عُدولٌ رَضِيَ اللهُ عنهم، ومتأوِّلون في حُروبِهم وغَيرِها، ولم يُخرِجْ شَيءٌ من ذلك أحدًا منهم عن العدالةِ ... ولهذا اتَّفَق أهلُ الحَقِّ ومن يُعتَدُّ به في الإجماعِ على قَبولِ شَهاداتِهم ورواياتِهم، وكَمالِ عَدالتِهم رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين"(٢)

وقال الإمام النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "قال القاضي، ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم.وسبب تفضيل نفقتهم: أنها كانت وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته عليه الصلاة والسلام وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعتهم، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"(٣).

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل

---

(١) يُنظر: (مقدمة ابن الصلاح) (ص: ٣٩٧).

(٢) يُنظر: شرح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٣) شرح مسلم للنووي: (١٦/ ٣٢٧)، فتح الباري لابن حجر: (٧/ ٤٢).

الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتجد مَن ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس.ولهذا لا يُوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوَّه مَن هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سِيرة محمودة مَن هو رافضي..."[١]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى"[٢]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قال غير واحد من الأئمة: إن كل من صحب النبي–صلى الله عليه وسلم–أفضل ممن لم يصحبه مطلقا، وعينوا ذلك في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز مع أنهم معترفون بأن سيرة عمر بن عبد العزيز أعدل من سيرة معاوية، قالوا: لكن ما حصل لهم بالصحبة من الدرجة أمر لا يساويه ما يحصل لغيرهم بعلمه، واحتجوا بما في الصحيحين من أنه قال: (**لا تسبوا أصحابي**..).[٣] قالوا: فإذا كان جبل أحد ذهبا لا يبلغ نصف مد أحدهم، كان في هذا من التفاضل ما يبين أنه لم يبلغ أحد مثل منازلهم التي أدركوها بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم"[٤]

قال الإمام ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، كما وصفهم الله بذلك في قوله: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر: الآية: ١٠]، وأمر النبي–صلى الله عليه وسلم–بحسن القول فيهم، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خالف أمر النبي–صلى

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٧٩-٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى: (٤/ ٥٢٧).

الله عليه وسلم-"[١].

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "فالله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالاته أصلا وميراثا؛ فهو أعلم بمن يصلح لتحمل رسالته فيؤديها إلى عباده بالأمانة والنصيحة، وتعظيم المرسل والقيام بحقه، والصبر على أوامره والشكر لنعمه، والتقرب إليه، ومن لا يصلح لذلك، وكذلك هو سبحانه أعلم بمن يصلح من الأمم لوراثة رسله والقيام بخلافتهم، وحمل ما بلغوه عن ربهم"[٢]

وقال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "الصَّحابةُ كُلُّهم عدولٌ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لِما أثنى اللهُ عليهم في كِتابه العزيزِ، وبما نطَقَت به السُّنَّةُ النبويَّةُ في المدحِ لهم في جميعِ أخلاقِهم وأفعالِهم، وما بَذَلوه من الأموالِ والأرواحِ بين يَدَيْ رَسولِ اللهِ-صلى الله عليه وسلم-؛ رغبةً فيما عند الله من الثَّوابِ الجزيلِ، والجزاءِ الجميلِ"[٣]

فمن واجب الأمة نحو أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-محبتهم والترضي عنهم والدعاء لهم كما أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾ [الحشر: الآية: ١٠].

فهم قوم اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه-صلى الله عليه وسلم-وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ونصرته والذب عنه والجهاد معه في سبيل الله ونشر دين الإسلام.

وبعد وفاته كانوا هم الواسطة بين الرسول-صلى الله عليه وسلم-وبين الأمة، فقد بلغوا عن رسول الله ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها ونشروا هذا الدين في شتى

---

(١) "إعلام الموقعين"، (٢/ ١٦١).

(٢) طريق الهجرتين، (ص: ١٧١).

(٣) يُنظر: اختصار علوم الحديث (ص: ١٨١).

بقاع الأرض: وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وذبوا عن هذا الدين بسنانهم ولسانهم فكان لهم بذلك الأجر العظيم والمنزلة العالية عند ربهم وعند نبيهم وعند المسلمين الموحدين جميعا.

وكيف لا يكونون كذلك وهم خير قرون هذه الأمة بشهادة النبي–صلى الله عليه وسلم–.

المسألة الثالثة: وجوب اتباع سبيلهم.

قوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.....

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعباده المؤمنون"(١).

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

والمراد بـ﴿**المؤمنين**﴾ في الآية: أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ**﴾.

قال ابن تيمية –رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد شهد الله لأصحاب نبيه الله ومن تبعهم بإحسان بالإيمان فعلم قطعا أنهم المراد بالآية الكريمة" (٢)

وعن العرباض بن سارية –رضي الله عنه–(ت: ٧٥ هـ)، قال: "وعظنا رسول الله–صلى الله عليه وسلم–موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون.فقلنا: يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا.قال: (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا**

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٣).
(٢) الانتصار لأهل الأثر (ص: ٣).

عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة).[(١)]

قال تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [سبأ: الآية: ٦].

عن قتادة–رحمه الله–(ت: ١١٨ هـ) ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ قال: "أصحاب محمد"[(٢)]

قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): "لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد–صلى الله عليه وسلم–، وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا"[(٣)]

كتب عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–(ت: ١٠١ هـ) إلى عامل له فقال: "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السُنَّة إنما سنَّها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦، ١٢٧). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٣، ١٥) ح: (٤٦٠٧)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم: باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥/ ٤٤) ح: (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجة في سننه، في المقدمة: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٦). وابن حبان في صحيحه (١/ ١٣٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (ص: ٤٦، ٤٧)، والدارمي في سننه، باب اتباع السنة (١/ ٤٤، ٤٥) وقال الألباني: سنده صحيح، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في اتباع السنن واجتناب البدع، انظر: مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) ح: (١٦٥).

(٢) تفسير الطبري (تفسير سورة سبأ الآية: ٦).

(٣) أخرجه ابن عبد المبارك في الزهد (١/ ٢٨١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٧) والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١١٤).

إليه، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم"(١)

قال شقيق البلخي-رحمه الله-(ت: ١٩٤ هـ): قيل لابن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ): إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: "أجلس مع الصحابة والتابعين أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس"(٢)

قال الإمام أحمد: ثنا عبيد الله بن محمد (هو العيشي حافظ) قال: سمعت شيخًا يذكر عن محمد بن سيرين وسئل مرة عن فتيا فأحسن الإجابة فيها، فقال له رجل: والله يا أبا بكر، لأحسنت الفتيا فيها أو قال: القول فيها قال: وعرّض، كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا؛ فقال محمد بن سيرين-يعني منكرا-لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا"(٣)

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "أصول السُنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين"(٤)

قال ابن قتيبة-رحمه الله-(ت: ٢٧٦ هـ): "وكان أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-هم مصابيح الأرض وقادة الأنام ومنتهى العلم"(٥)

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني-رحمه الله-(ت: ٣٨٦ هـ)، في رسالته: "واللجأ إلى كتاب الله عزوجل وسنة نبيه، واتباع سبيل المؤمنين، وخير القرون من خير أمة أخرجت للناس

(١) البدع لابن وضاح، (ص: ٣٠، ٣١)، الحلية لأبي نعيم (٥/ ٣٩)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٤٠)، وتاريخ الإسلام (١٢/ ٢٣٥).
(٣) الحلية (٢/ ١٥٧) من طريق كتاب الزهد لأحمد.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة للالكائي (١/ ١٥٦)، طبقات الحنابلة (١/ ٣١١).
(٥) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٨).

نجاة، ففي المفزع إلى ذلك العصمة، وفي اتباع السلف الصالح النجاة"[١]

قال الإمام أبو القاسم اللالكائي (ت: ٤١٨ هـ): "أما بعد: فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول، كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون"[٢]

قال ابن قدامة -رحمه الله- (ت: ٦٢٠ هـ): "ومتى اختلف الصحابة على قولين، لم يجز إحداث قول ثالث لأنه يفضي إلى تخطئتهم، وخروج الحق عن قول جميعهم ولا يجوز ذلك"[٣]

قال ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة رضي الله عنهم منشأ كل علم وصلاح وهدى ورحمة في الإسلام"[٤]

قال ابن تيمية -رحمه الله- (ت: ٧٢٨ هـ): "والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله، يدور على ذلك، ويتبعه أين وجده، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله -صلى الله وعليه وسلم-، ولا لطائفة انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط، بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون على خطأ، بل كل قولٍ قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ؛ فإن الدين

(١) رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ص: ١٦٩).
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧).
(٣) المغني (٨/ ١٠٧).
(٤) منهاج السنة (٦/ ٣٦٨).

الذي بعث الله به رسـوله ليس مُسَـلَّمًا إلى عالِمٍ واحدٍ وأصـحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيرًا لرسول الله-صلى الله وعليه وسلم-وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم.

ولا بد أن يكون الصـــحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرســـول، قبل وجود المتبوعين الذين تُنســـب إليهم المذاهب في الأصـــول والفروع، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرســـول ما يخالف الصـــحابة والتابعين لهم بإحســـان، فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة، فلابد أن يكون قوله إن كان حقًّا مأخوذًا عمَّا جاء به الرسول، موجودًا فيمن قبله، وكل قول قِيلَ في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه، فإنه قول باطل"(١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة؛ فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم.وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر"(٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بيّنا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق"(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: الآية: ٥٩].

(١) منهاج السنة (٥/ ٢٦١-٢٦٣).
(٢) مجموع الفتاوى، (١٣/ ٣٣٢).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٢٧).

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"[١]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "العالمون بالله وكتابه ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة، فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول صلى الله عليه وسلم فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الظلم إلى العدل، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه ..."[٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "كل الخير في اجتهاد باقتصاد، وإخلاص مقرون بالاتباع قال بعض الصحابة اقتصاد في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة"[٣]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان، وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق.

وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم وبينهم في الفضل"[٤]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "فلا أحسن مما قضى به الصحابة–رضي الله

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٩٥).
(٢) الفوائد (ص: ١٠٨. ١٠٩).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٠٧).
(٤) التفسير القيم (ص: ٣٤٣).

عنهم-"[١]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): عن الصحابة: "فإنهم أفقه الأمة وأعلمهم بمقاصد الشرع وحكمه"[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "أفهام الصحابة رضي الله عنهم فوق أفهام الجميع، وعلمهم بمقاصد نبيهم وقواعد دينه وشرعه أتم من علم كل من جاء بعدهم" إلى أن قال: "ولم يرتضوا لأنفسهم عبارات المتأخرين واصطلاحاتهم وتكلفاتهم فهم كانوا أعمق الأمة علما وأقلهم تكلفا والمتأخرون عكسهم في الأمرين"[٣]

وسنة الصحابة وهي ما جاء عنهم من قول أو فعل أو تقرير إذا كان مما لا يقال من قبل الرأى، ومما لا مجال للاجتهاد فيه، فله حكم المرفوع المسند تحسينا للظن بهم، وجزم بذلك الرازى في المحصول، وغير واحد من أئمة الأصول والحديث.[٤]

وإذا كانت سنتهم في غير ذلك، فقد اختلف العلماء في ذلك.والراجح من هذا الخلاف [٥] أن سنتهم كسنة الرسول يعمل بها، ويرجع إليها، وانتصر لهذا الرأى غير واحد من أئمة الأصول، منهم **الشاطبي-رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ)** فبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على عدالتهم قال: "فيصح أن يطلق على الصحابة أنهم خير أمة بإطلاق، وأنهم وسط أى عدول بإطلاق، وإذا كان كذلك فقولهم معتبر، وعملهم مقتدى به.

...ثم استدل الشاطبي لما رجح بأدلة منها:

(١) الطرق الحكمية (١/ ٣٢٦).

(٢) الطرق الحكمية (٢/ ٥٣١).

(٣) الطرق الحكمية (١/ ٣٢٤).

(٤) انظر: المحصول (٢/ ٢٢١)، والإحكام للآمدى (٢/ ٨٧)، وأعلام الموقعين (٤/ ١٢٣)، وفتح المغيث للسخاوى (١/ ١٤٤)، وتدريب الراوى (١/ ١٩٠، ١٩١)، وتوضيح الأفكار (١/ ٢٨٠).

(٥) انظر: الأدلة المختلف فيها وأثرها فى الفقه الإسلامى للدكتور عبد الحميد أبو المكارم (ص: ٣٠٣)، والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادى، (١/ ٤٣٧).

١- ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم، وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم: (**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**).(٢)

٢- أن جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلا، وبعضهم يعد قول الصحابي على الإطلاق حجة ودليلا، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة وهذه الآراء-وإن ترجح عند العلماء خلافها-ففيها تقوية تضاف إلى أمر كلي هو المعتمد في المسألة، وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم، يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائرة بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم وفى مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشريعة، وأنهم مما يجب متابعتهم وتقليدهم فضلا عن النظر معهم فيما نظروا فيه.

...ويؤيد هذا ما جاء عن السلف الصالح، من تزكيتهم والحث على متابعتهم.

فعن ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال: "من كان مستنا فليستن بأصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، وأقومها هديا، وأحسنها حالا، قوما اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[(١)]

قال الشاطبي-رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ): "ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم، فضلّوا عن سواء السبيل"[(٢)]

(١) أخرجه البغوى في شرح السنة كتاب الإيمان، باب رد البدع والأهواء (٢١٤/١)، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٧)، وذكره ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين (٤/ ١٣٩).

(٢) الاعتصام (٢/ ٩٦).

وقال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-(ت: ١٠١ هـ): "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرا.

...وفي رواية بعد قوله -وقوة على دين الله - ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في رأى خالفها، من اهتدى بها مهتد ...الحديث"[(١)]

فقال مالك فأعجبني عزم عمر على ذلك"[(٢)]

والآثار في هذا المعنى يكثر إيرادها، وقد استوعب كثيرا منها الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "أعلام الموقعين عن رب العالمين"[(٣)]

ويقول الإمام الشاطبي-رحمه الله-(ت: ٧٩٠ هـ)، في موضع آخر من كتابه مبينا أن بيان الصحابي حجة، قال: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه، فلا إشكال في صحته أيضا، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا**﴾ [المائدة: الآية: ٦]، وهذا الإجماع حجة موجبة للعلم، ولا يعتد بخلاف من خالفهم، كما حكاه **السرخسي-رحمه الله-(ت: ٤٨٣ هـ)**[(٤)]، **عن أبي حازم القاضي-رحمه الله-(ت: ١٤٠ هـ)**.

(١) ابن عبد الحكم سيرة عمر (ص: ٤٠)، وابن بطة في الإبانة (١/٣٥٢)، ورقم: (٢٣٠-٢٣١)، والآجري في الشريعة (١/ ١٧٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧٦). كلهم عن مالك بن أنس وأعل بالانقطاع ورواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (ص: ١٧٣)، واللالكائي (١/ ١٠٦)، من طريق يعقوب بن سفيان الفسوي عن سعيد بن أبي مريم عن رشدين بن سعد قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن عمر بن عبد العزيز به، ورشدين ضعيف. انظر التقريب (٢٠٩)، وقد صحح هذا الأثر محقق كتاب الشريعة للآجري فقال: والأثر يصح بهذين الطريقين ويقوى بهما. انظر الشريعة (١/ ١٧٤). وقد أخرجه أيضا قوام السنة في الحجة في بيان المحجة (١/ ١٠٩-١١٠) وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٤٢) وعزاه محقق كتاب المعرفة والتاريخ إلى الجزء المفقود منه.

(٢) الموافقات (٤/٤٥٢-٤٥٥)، وانظر: الاعتصام (٢/ ٥١٩).

(٣) أعلام الموقعين (٤/١١٨-١٥٦)، وانظر: الرسالة للشافعي (ص: ٥٩٦)، فقرات رقم: (١٦٨٢، ١٨٠٥ — ١٨١١).

(٤) أصول السرخسي (١/ ٣١٧)، وانظر: علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامي للشيخ أحمد إبراهيم (ص: ٢٤، ٢٥).

وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بيانهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل.ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان، من وجهين:

أحدهما: معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة.

ثانيهما: مباشرتهم للوقائع والنوازل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فمتى جاء عنهم تقييد بعض المطلقات، أو تخصيص بعض العمومات، فالعمل عليه صواب، وهذا إن لم ينقل عن أحد منهم خلاف في المسألة، فإن خالف بعضهم فالمسالة اجتهادية"[١]

(١) الموافقات (٣/ ٣٠٠، ٣٠١).

المسألة الرابعة: وجوب محبتهم.

الصحابة هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة وأفضل هذه الأمة بعد نبيها-صلى الله عليه وسلم-، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن.

قال أنس بن مالك-رضي الله عنه-(ت: ٩٣ هـ): "ما فرحنا بشيء فرحنا بقوله-صلى الله عليه وسلم-: **(المرء مع من أحب)**.قال: فأنا أحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم"(١)

عن أيوب السختياني-رحمه الله-(ت: ١٣١ هـ)، أنه قال: "من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الحسنى في أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقد برئ من النفاق"(٢)

عن شقيق البلخي-رحمه الله-(ت: ١٩٤ هـ)، قال: "حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة"(٣)

وعن عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي قال: قلت **للحسن-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ)**: "حب أبي بكر وعمر سنة"قال: "لا فريضة"(٤)

وعن طاووس-رحمه الله-(ت: ١٠٦ هـ)، قال: "حب أبي بكر ومعرفة فضلهما من السنة"(٥)

عن أبي زرعة الرازي-رحمه الله-(ت: ٢٨٩ هـ)، قال: سمعت قبيصة بن عقبة (ت:

---

(١) أخرجه: البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ١٣).

(٣) المناقب لابن الجوزي (ص: ٤٩)، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ١٢٣٨).

(٤): شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ١٢٣٩)، وابن الجوزي: مناقب (ص: ٣٩).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ١٢٣٩)، والمناقب لابن الجوزي: (ص: ٣٩).

٢١٥ هـ) يقول: "حب أصحاب النبي–صلى الله عليه وسلم–كلهم سنة"(١)

وعن مالك بن أنس–رحمه الله–(ت: ١٧٩ هـ): قال: "كان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر–رضي الله عنهما– كما يعلمون السورة من القرآن"(٢)

قال الإمام الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، وَلا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ.وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ"(٣)

وقال أبو عبد الله ابن بطة–رحمه الله–(ت: ٣٨٧ هـ): "ونحب جميع أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–على مراتبهم ومنازلهم أولًا فأولًا: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين"(٤)

قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "وكلهم عدل إمام فاضل رضي فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم وأن نستغفر لهم ونحبهم وتمرة يتصدق بها أحدهم أفضل من صدقة أحدنا بما يملك وجلسة من الواحد منهم مع النبي–صلى الله عليه وسلم–أفضل من عبادة أحدنا دهره كله وسواء كان من ذكرنا على عهده عليه السلام صغيرا أو بالغًا"(٥)

قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ): "ويدخل في جملة حب النبي–صلى الله عليه وسلم–حب أصحابه؟ لأن الله–عز وجل–أثنى عليهم ومدحهم فقال: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ**

---

(١) أصول الاعتقاد (٧/ ١٣١٣، ٢٣٢٧)

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: (٤/ ١٢٤٠)، والمناقب لابن الجوزي: (ص: ٣٩).

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٧).

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (ص: ٢٧١).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام (٥/ ٨٩).

وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: الآية: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ **[الأنفال: الآية: ٧٤]**.

فإذا أنزلوا هذه المنزلة استحقوا من جماعة المسلمين أن يحبوهم ويتقربوا إلى الله عز وجل بمحبتهم لأن الله تعالى إذا رضي عن أحد أحبه وواجب على العبد أن يحب من يحب مولاه"(١)

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "واجب على كل مسلم جاء بعد الصحابة–رضي الله عنهم–من عباد الله المؤمنين أن يدعو لهم، ويستغفر لهم، ويترحم عليهم لما لهم من القدر العظيم، ولما حازوه من المناقب الحميدة، والسوابق القديمة، والمحاسن المشهورة، ولما لهم من الفضل الكبير على كل من أتى بعدهم"(٢)

قال السفاريني–رحمه الله–(ت: ١١٨٨ هـ): "فمن أراد السلامة لدينه وأن يسلم له إيمانه فليحبهم جميعًا، وأن يحتم ذلك على نفسه، وعلى كل أبناء جنسه لأن ذلك واجب على جميع الأمة واتفق على ذلك الأئمة، فلا يزوغ عن حبهم إلا هالك، ولا يزوغ عن

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١/ ٢٨٧).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (ص: ٥٣٧).

وجوب ذلك إلا آفك"[١]

(١) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٣٥٤).

المسألة الخامسة: القول بعدالة الصحابة لا يعني عصمتهم.

إليك بعض النقولات من العلماء التي تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني عصمتهم:

قال ابن حزم–رحمه الله–(ت: ٤٥٦ هـ): "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم ما يُخالف الصواب، ويجب التفريق بين العدالة والعصمة"(١)

قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ): "الصحابة كلهم عدول، ولكنهم غير معصومين من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم"(٢)

قال ابن عبد البر–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون"(٣)

وقال الخطيب البغدادي–رحمه الله–(ت: ٤٦٣ هـ): "عدالة الصحابة ثابتة ومعلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية: ١١٠]،

وقوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾** [البقرة: الآية: ١٤٣].

وهذا اللفظ وإن كان عاما فالمراد به الخاص وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم.

وقوله تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** [الفتح: الآية: ١٨].

وقوله تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [التوبة: ١٠٠].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، (١/ ٨٩).

(٢) المدخل إلى السنن الكبرى، (١/ ١٨٧).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (١/ ١١).

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: الآيات: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآيات: ٨- ٩].

في آيات يكثر إيرادها، ويطول تعدادها.

ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة مثل ذلك، وأطنب في تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم....

وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له ...

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين.

وهذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(١)

قال القاضي عياض-رحمه الله-(ت: ٥٤٤ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ،

---

(١) الكفاية في علم الرواية (ص: ٩٣-٩٦).

ولكنهم عدول، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم وإخلاصهم"[١]

قال ابن عساكر-رحمه الله-(ت: ٥٧١ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، ولكن عدالتهم ثابتة، وما وقع منهم يُغفر لهم باجتهادهم"[٢]

قال الإمام النووي-رحمه الله-(ت: ٦٧٦ هـ): "اتفق أهل السنة على أن الصحابة كلهم عدول، ولكن ليس معنى ذلك أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل يُحتمل منهم الذنوب والخطايا، ولكنهم لا يتعمدون الكذب في الرواية"[٣]

قال الإمام النووي-رحمه الله-(ت: ٦٧٦ هـ): شرحًا للحديث: "وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم عدول في نقل الدين، والاجتهاد مغفور خطؤه"[٤]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب، بل يُغفر لهم ما اجتهدوا فيه وأخطأوا، فإن الله يغفر لهم باجتهادهم، وعدالتهم لا تعني العصمة"[٥]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم من البشر، ولكن عدالتهم ثابتة بالإجماع"[٦]

قال الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ، ولكنهم عدول في روايتهم، وعدالتهم لا تعني العصمة من الزلل"[٧]

قال الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ): "كل من يُثبت للصحابة العصمة فقد غلط،

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (٢/ ٨٣).
(٢) تاريخ دمشق، (٢/ ٣٢٤).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٥/ ١٤٩).
(٤) الأربعين النووية، شرح الحديث رقم: (٨).
(٥) منهاج السنة النبوية، (٤/ ٥٤٨).
(٦) مجموع الفتاوى، (٢٨/ ٣١١).
(٧) ميزان الاعتدال، (١/ ٤).

فإنهم بشر يُصيبون ويُخطئون، وعدالتهم لا تعني العصمة من الذنوب"[١]

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "الصحابة ليسوا بمعصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الدين ورواية الحديث"[٢]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين من الخطأ، بل لهم من الحسنات ما يُكفر سيئاتهم، وهم عدول فيما نقلوه، ولكن هذا لا يعني العصمة"[٣]

قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "الصحابة كلهم عدول، وليسوا بمعصومين من الخطأ والزلل، ولكن اجتهادهم مغفور لهم، وذنوبهم مغمورة في بحار حسناتهم"[٤]

قال الشاطبي–رحمه الله–(ت: ٧٩٠ هـ): "ليس معنى عدالة الصحابة أنهم معصومون من الخطأ والذنوب، بل هم بشر، يُحتمل منهم ما يُحتمل من غيرهم، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم، وما شجر بينهم مغفور لهم"[٥]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الصحابة كلهم عدول، وما شجر بينهم مغفور لهم، لأنهم مجتهدون، ولكن لا يعني ذلك أنهم معصومون من الخطأ، بل قد يقع منهم الخطأ والزلل"[٦]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الصحابة ليسوا معصومين، بل يُحتمل منهم الخطأ والزلل، ولكنهم عدول في نقل الحديث وما وقع منهم يُغفر باجتهادهم"[٧]

قال السيوطي–رحمه الله–(ت: ٩١١ هـ): "اتفق أهل السنة والجماعة على عدالة

---

(١) تذكرة الحفاظ، (١/ ٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، (١/ ١٢).

(٣) إعلام الموقعين، (١/ ٧٨).

(٤) البداية والنهاية، (٨/ ٢٢١).

(٥) الاعتصام، (٢/ ١٨٩).

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، (١/ ١٠).

(٧) فتح الباري (٧/ ٨٢).

الصحابة، ولكن ذلك لا يعني العصمة من الخطأ والمعاصي، فإن العصمة خاصة بالأنبياء"(١)

قال الشوكاني-رحمه الله-(ت: ١٢٥٠ هـ): "عدالة الصحابة ثابتة بالإجماع، ولكنها لا تعني العصمة من الخطأ، فقد يقع منهم الخطأ والزلل، ولكن يُغفر لهم باجتهادهم"(٢)

هذه النقولات تؤكد أن عدالة الصحابة لا تعني العصمة، وأنهم قد يخطئون ويزلّون كغيرهم من البشر، ولكن يُغفر لهم ذلك بسبب اجتهادهم وعدالتهم في نقل الحديث والدين.

---

(١) تدريب الراوي، (٢/ ٢١٤).

(٢) نيل الأوطار، (١/ ٣٨).

المسألة السادسة: الإمساك عما شجر بينهم.

عن عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-(ت: ١٠١ هـ)، أنه سئل عما جرى بين الصحابة، فقال لهم: "هذه دماء طهر الله سيوفنا منها؛ فنحن نطهر ألسنتنا منها"[(١)]

قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم"[(٢)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الآثار المروية فيما وقع بين الصحابة-رضي الله عنهم-تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- منها ما هو كذب.

٢- ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهته.

٣- والصحيح منها هم فيه معذورون أما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون"[(٣)]

ولهم-رضي الله عنهم-من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم.

قال الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ): "كما تقرر الكف عن كثير مما تشجر بينهم وقتالهم-رضي الله عنهم-أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب...فينبغي طيه وإخفاءه، بل إعدامه لتصفوا القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء"إلى أن قال: "فأما ما نقله أهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء"[(٤)]

---

(١) فتح المغيث للسخاوى (٣/ ٩٦).

(٢) "تفسير القرطبي" (١٦/ ٣٢١).

(٣) انظر الواسطية لابن تيمية (ص: ١٢٠).

(٤) السير (١٠/ ٩٢-٩٣).

قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ): "فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم لا يكاد يشاهد فيه إلا غاليًا في الحب مفرطًا في البغض ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟! فنحمد الله على العافية الذين أوجدنا في زمان قد أنمحص فيه الحق وأتضح من الطرفين وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين وتبصرنا فعذرنا واستغفرنا وأحببنا باقتصاد وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة أو بخطأ إن شاء الله مغفور وقلنا كما علمنا الله ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا وترضينا أيضا عمن اعتزل الفريقين كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسعيد بن زيد وخلق وتبرأنا من الخوارج الذين حاربوا علياً وكفروا الفريقين"(١)

عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، قال: "لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون"(٢)

روى الخطابي من طريق حمزة بن الحارث الدهان قال: حدثنا عبد الله بن روح المدائني قال: حدثنا يحي بن الصامت قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي راشد قال: جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر، فقال: إن رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر هذين الرجلين علي وعثمان وما قولك فيهما.فقال: هل غير.قال: لا.قال: جهزوا الرجل فلما فرغ من جهازه قال: أقرأ – عليهم السلام – وأخبرهم أن قولي فيهم: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤١].(٣)

عن شهاب بن خراش بن حوشب–رحمه الله–(ت: قبل: ١٨٠ هـ) ابن أخي العوام بن حوشب قال: "أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا محاسن أصحاب

(١) السير (٣/ ١٢٨).
(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٦٩)، (٢/ ١١٥٢). والإبانة لابن بطة (٢٩٤). وانظر: الصارم المسلول (٣/ ١٠٧١).
(٣) كتاب العزلة (٤٤).

رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم"(١)

وقيل للإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية -رحمهما الله -؟ قال: ما أقول فيها إلا الحسنى-رحمهم الله-أجمعين"(٢)

وفي ترجمة الحسن بن إسماعيل الربعي: قال.قال لي أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة: - "أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين، وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار على: ....والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم-أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، والترحم على جميع أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأزواجه، وأصهاره-رضوان الله عليهم أجمعين-فهذه السنة الزموها، تلموا أخذها هدى، وتركها ضلالة"(٣)

عن أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن آزر الفقيه (ت: ٢٧٥ هـ) حدثني أبي قال: حضرت أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه.فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه.فقال: أقرأ ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤١]"(٤)

قال اللالكائي-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ): "أخبرنا محمد بن المظفر المقري قال: حدثنا

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٣٤) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/ ٢١٥)، وله طريق آخر. فرواه الخلال في السنة (ص: ٥١٣) عن العوام بن حوشب قال: اذكروا محاسن أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-تأتلف عليه قلوبكم، ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم.

(٢) رواه الخلال في السنة (٢/ ٤٦٠)، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (١٦٤). وسنده صحيح.

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٩).

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٤٤)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٩/ ١٤١)، وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ٢٥١).

الحسين بن محمد بن حبش المقري قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي (ت: ٢٧٧ هـ)، وأبا زرعة-رحمه الله-(ت: ٢٦٤ هـ) عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك.فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله-عز وجل-وخير هذه الأمة بعد نبيها-عليه الصلاة والسلام-أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب-عليهم السلام-، وهم الخلفاء الراشدون المهديون وأن العشرة الذين سماهم رسول الله وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله وقوله الحق والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم..."[(١)]

وقال البربهاري-رحمه الله-(ت: ٣٢٩ هـ): "والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير-رحمهم الله-أجمعين ومن كان معهم ولا تخاصم فيهم وكل أمرهم إلى الله-تبارك وتعالى-"[(٢)]

قال ابن بطة-رحمه الله-(ت: ٣٨٧ هـ): "ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ولا تنظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبدالله بن إدريس ومالك بن أنس وابن

---

(١) أصول اعتقاد أهل السنة (ص: ٣٢١).

(٢) شرح السنة (ص: ١٠٢).

أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبدالوهاب الوراق.كل هؤلاء قد رأوا: النهي عنها والنظر فيها والاستماع إليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها.وقد روى عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعاني على كراهية ذلك والإنكار على من رواها واستمع إليها"(١)

قال الإمام الصابوني–رحمه الله–(ت: ٤٤٩ هـ): "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبًا لهم ونقصًا فيهم"(٢)

يقول الإمام الآمدى–رحمه الله–(ت: ٦٣١ هـ): "فالواجب أن يحمل كل ما جرى بينهم من الفتن على أحسن حال، وإن كان ذلك إنما لما أدى إليه اجتهاد كل فريق من اعتقاده أن الواجب ما صار إليه، وأنه أوفق للدين وأصلح للمسلمين.

وإلا فجمهور الصحابة وسادتهم تأخروا عن تلك الفتن والخوض فيها كما **قال محمد بن سيرين–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)**: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–عشرة آلاف فما حضر منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين"وإسناد هذه الرواية كما قال ابن تيمية أصح إسناد على وجه الأرض"(٣)

وعلى هذا فالذى خاض في تلك الفتن من الصحابة إما أن يكون كل مجتهد مصيبًا، أو أن المصيب واحد، والآخر مخطئ في اجتهاده مأجور عليه.

وعلى كلا التقديرين، فالشهادة والرواية من الفريقين لا تكون مردودة، إما بتقدير الإصابة فظاهر، وإما بتقدير الخطأ مع الاجتهاد فبالإجماع"(٤)

(١) كتاب الإبانة (ص: ٢٩٤).
(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٤).
(٣) منهاج السنة (٣/ ١٨٦).
(٤) الإحكام للآمدى (٢/ ٨٢) بتصرف وانظر: فواتح الرحموت (٢/ ١٥٥-١٥٦)، والبحر المحيط (٤/ ٢٩٩)، وإرشاد الفحول (١/ ٢٧٥)، والباعث الحثيث (ص: ١٥٤)، وعقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام للدكتور ناصر الشيخ مبحث "الحرب التى دارت بين على بن أبي طالب، وبعض الصحابة–رضى الله عنهم–وموقف أهل السنة منها" (٢/ ٧٠٠ – ٧٤٨)، وانظر: الرد القويم على المجرم الأثيم للشيخ التويجرى (ص: ١٨٢-١٨٤).

يقول الإمام الجويني–رحمه الله–(ت: ٤١٩ هـ): "أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الانكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبيل السابقة، وهذا من نفائس الكلام"[(١)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم، ووجبت موالاتهم ومحبتهم، وما وقع: منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان، ومنه ما تاب صاحبه منه، ومنه ما يكون مغفورا، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضا وذما، ويكون هو في ذلك مخطئا، بل عاصيا، فيضر نفسه، ومن خاض معه في ذلك..ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف"[(٢)]

قال ابن حجر العسقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله – تعالى –عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين"[(٣)]

(١) البرهان فى أصول الفقه (١/ ٢٤١، ٢٤٢).
(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٤٨–٤٤٩).
(٣) الفتح (١٣/ ٣٧).

[المفاضلة بين الصحابة]

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله -عز وجل-.

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة .

المسألة الثالثة : الترحم على أصحاب محمد ﷺ

[٤]–قال المصنف–رحمه الله–: "وقدَّمَ أبا بكرٍ الصِّديق، وعُمر بن الخطَّاب، وعثمان بن عفَّان، وعليَّ بن أبي طالبٍ–رضوان الله عليهم أجمعين–".

الشرح

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-.

المفاضلة بين العباد أمرٌ بيد الله-عز وجل-وما كان بيد الله-عز وجل-فهو ملكه، والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: الآية: ٦٨]، فالله اختار أن يفضل فلان على فلان من الناس وهذه المفاضلة قد تكون في المال، وقد تكون في العلم، وقد تكون في النسب، وقد تكون في أمورٍ متعددة فهذا فضل الله سبحانه وتعالى، وفضل الله يؤتيه من يشاء سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: الآية: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: الآية: ٧١].

وكتب عمر-رضي الله عنه-رسالة إلى أبي موسى الأشعري، يقول له فيها: واقنع برزقك من الدنيا، فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلًا، فيبتلي من بسط له، كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله، رواه ابن أبي حاتم.(١)

فقد يُفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين الذكر والأنثى، قد يفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين الإخوة، وقد يفاضل الله-سبحانه وتعالى-بين بني الجنس الواحد، كل ذلك تحت قدرته، وتحت إرادته-سبحانه وتعالى-حتى في الأولاد، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: الآيتان: ٤٩-٥٠]، فقد يكون الإنسان عقيمًا، وقد يكون ذا أولاد من الذكور أو الإناث أو من الذكور والإناث.

فالإنسان في هذا الكون يسير على قدر الله-سبحانه وتعالى-، والله-سبحانه وتعالى-هو

---

(١) الدر المنثور: (٥/ ١٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

المتصرف والمدبر لأمر هذا الكون كله، وكله ابتلاء، فالنعمة ابتلاء وضدها ابتلاء، ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [الملك: الآية: ٢]، كل أمرٍ نحن فيه هو ابتلاء.

ليرى الله عز وجل منك ما أنت صانع وما أنت فاعل، فإذاً هذه المفاضلة موجودة، ولا شك أن أهل الإيمان أفضل من الكفار، وأكبر نعمة منها الله عز وجل على الإنسان أن هداه لهذا الدين، والله سبحانه وتعالى سماه نعمة، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: الآية: ٣]، فسماها نعمة ولا شك أنها أعظم النعم على العبد أن هداه الله–عز وجل–لنعمة الإسلام.

المسألة الثانية: المفاضلة بين الصحابة.

والصحابة هم في الفضل متفاوتون؛ فمن أنفق قبل الفتح (صُلح الحديبية) لا يستوي مع مَن أنفق بعده، وكذلك المهاجرون مُقَدَّمون على الأنصار، ويأتون في الفضل على مراتب؛ فأهل بدر، ثم أهل بيعة الرِّضوان، ثم من جاء بعدُ.

وقد جاء في فضل أهل بدر؛ قوله–صلى الله عليه وسلم–: **(لعلَّ اللهَ اطَّلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شِئتم، فقد وَجَبت لكم الجنة–أو–فقد غفرتُ لكم)**.(١)، وقال الله–جل وعلا–عن أهل بيعة الرضوان: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** [الفتح: الآية: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

أولاً: هذه المسائل المتعلقة بالمفاضلة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يذكرها العلماء دائماً توطئة لمسائل الخلافة والإمامة.

فمسألة تفضيل أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم على باقي الصحابة، ويدخل فيها مسألة تفضيل عثمان على علي.

وأهل السنة يعتقدون بأن خير هذه الأمة بعد النبي–صلى الله عليه وسلم–أبو بكر وعمر وعثمان، ثم علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، ثم بعد ذلك يأتي بقية العشرة، ثم يأتي بعد هذا أهل بدر، ثم يأتي بعد ذلك أهل بيعة شجرة الرضوان، ثم بعد ذلك يأتي أهل الفتح فتح مكة ثم بعد ذلك يتوالى الفضل بحسب أقدمية ذلك الذي أسلم من الصحابة.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ويقرُّون بما تَوَاتَرَ به النَّقْلُ عن أميرِ المؤمنينَ عليّ بْنِ أبي طالبٍ–رضي الله عنه–وغيرِه، مِن أَنَّ خَيْرَ هذه الأُمَّةِ بعد نَبِيِّهَا: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ،

(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب–رضي الله عنه–.

ويثَلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ-رضي الله عنهم أجمعين-، كما دلَّت عليه الآثارُ"[١]

وقد أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، وإن كان بعض السلف قد اختلفوا في التفضيل بين عثمان وعلي-فإنهم لم يختلفوا في الترتيب في البيعة للخلافة، وكل مَن خالف الترتيب في الخلافة فإنه من أهل البدع.

وترتيب أهل السنة: "أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويثَلِّثُونَ بِعُثْمَان، ويُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ-رضي الله عنهم أجمعين-".

وإن كان ثَمَّ خلاف في التفضيل بين عثمان وعليّ، ولكنه لا يترتب عليه أي أثر في الانتساب لأهل السنة؛ "فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، وربَّعوا بعليٍّ، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقومٌ توقَّفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلُ السُّنَّة على تقديم عُثْمَان ثم عليٍّ".

كانتْ هذه المسْأَلَةُ (مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وعليّ) ليستْ من الأصولِ التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، لكن التي يُضَلَّلُ فيها مسألةُ الخلافةِ؛ وذلك لأنهم يؤمنون أنَّ الخليفةَ بَعْدَ رسولِ الله-صلى الله عليه وسلم-أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ، ومَن طَعَنَ في خلافة أحدٍ مِن هؤلاء فهو أضلُّ مِن حِمَارِ أَهْلِهِ».

فلهم مِن الفضل ومِن المكانة ما هو مُجمع عليه بين أهل السُّنَّة.

ثانيًا: ذكر تفاضل الأربعة رضوان الله عليهم.[٢]

أجمع الصحابة-رضوان الله عليهم-على تفضيل أبي بكر وتقديمه على سائر الصحابة ثم تفضيل عمر بعده على عثمان ثم عثمان بعد عمر على من بعده-رضوان الله عليهم-، وكانوا يتحدثون بذلك في زمن النبي-صلى الله عليه وسلم-وهو يسمعهم فلا ينكره، ثم أجمعوا على تقديم علي بعد عثمان فقدموه وبايعوه بالخلافة.

فالصحابة مجمعون على تفضيل أبي بكر على عمر ثم عمر على عثمان ثم عثمان على

(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٩١).

(٢) المصدر: مباحث المفاضلة في العقيدة: (ص: ٢٥٢-٢٦٤).

علي-رضي الله عنهم أجمعين-، وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

ولقد اتفق-الناس-الصحابة وغيرهم-بعد مقتل عمر-رضي الله عنه-على تفضيل عثمان، حكى هذا الاتفاق صاحب رسول الله-صلى عليه وسلم-، عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنهما-، أما عبد الرحمن فقد قال في قصة بيعة عثمان-رضي الله عنه-لما اختاره للخلافة بعد عمر: "أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان"[١] وكان قد قال-رضي الله عنه-قبل ذلك للشيخين عثمان وعلي-رضي الله عنهما-حين التشاور: "أفتجعلونه-(يعني أمر الاختيار)-إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم"[٢] وقال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-لما استخلف عثمان: " أمرنا خير من بقي ولم نأل"[٣] وقال-رضي الله عنه-: "إنا اجتمعنا أصحاب محمد فلم نأل عن خيرنا ذي فوق فبايعنا أمير المؤمنين عثمان".[٤]

وقال الإمام أحمد: "لم يكن بين أصحاب رسول الله اختلاف إن عثمان أفضل من علي"[٥]

ومضى اعتقاد أهل السنة والجماعة على ذلك إلا ما كان من خلاف يسير في المفاضلة بين عثمان وعلي أيهما أفضل؟ بعد أن أجمعوا على تقديم أبي بكر وعمر عليهما في الفضل

(١) أخرجه البخاري انظره مع الفتح (١٣/ ١٩٤)، وقد كان عبد الرحمن-رضي الله عنه-قد اجتهد غاية الاجتهاد قال ابن كثير في الباعث الحثيث (ص: ١٥٥): "حتى سأل النساء في خدورهن والصبيان في المكاتب فلم يرهم يعدلون بعثمان أحدًا".

(٢) أخرجه البخاري انظره مع الفتح (٧/ ٦١).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٦١)، قال المحقق: "إسناده صحيح"، وابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٣)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٦٠)، والخلال في السنة (ص: ٣٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٨٨): "رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح"، وأخرجه اللالكائي في الشرح (٧/ ١٣٤٢).

(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢٩٦، ٤٦٣)، قال المحقق في (ص: ٢٩٦): "رجال الإسناد ثقات، وقال في (ص: ٤٦٧): "إسناده حسن"، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٦٣)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٧٦١)، وأخرجه اللالكائي في الشرح.(٧/ ١٣٤٢).

(٥) السنة للخلال (ص: ٣٩٢).

بلا خلاف.

وتفضيل أبي بكر على عمر بلا خلاف.

قال الشافعي–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان"قال البيهقي–رحمه الله–(ت: ٤٥٨ هـ)، –بعد ذكره قول الشافعي هذا بسنده–: "وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا"[(١)]

وقال يحيى بن سعيد القطان–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ): "من أدركت من أصحاب النبي والتابعين لم يختلفوا في أبي بكر وعمر وفضلهما إنما كان الاختلاف في علي وعثمان[(٢)] والخلاف الذي وقع في ذلك خلاف يسير، وما وقع إلا في المفاضلة بينهما، وتقديم أحدهما على الآخر في الفضل دون الخلافة، فإنهم مجمعون بلا خلاف على تقديم عثمان على علي في الخلافة، وعلى صحة الخلافتين، ثم إن ذاك الخلاف قد انقضى واستقر أمر أهل السنة على تفضيل عثمان على علي ورجع بعض من قال بتقديم علي إلى تقديم عثمان.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي–رضي الله عنهما–بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر، أيهما أفضل، فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي، وقدم قوم عليا، وقوم توقفوا، قال: "لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان على علي، وإن كانت هذه المسألة–مسألة عثمان وعلي–ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله"[(٣)]

---

(١) الاعتقاد (ص: ٣٦٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٦٧).

(٣) العقيدة الواسطية–ضمن المجموعة العلمية السعودية–(ص: ٨٦).

قال ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ): "الإجماع انعقد بأخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة"(١)

وروى ابن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ) بسنده أن مالكًا سُئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا.وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس"(٢)

ولقد روى الخلال-رحمه الله-(ت: ٣١١ هـ) بسنده عن أيوب السختياني-رحمه الله-(ت: ١٣١ هـ) أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد وسليمان وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان"(٣)

هذا، وقد ذكر **ابن حزم-رحمه الله-(ت: ٤٥٦ هـ)** (٤) عن بعض السلف من الصحابة وغيرهم سمى بعضهم، أن منهم من قال: أفضل الناس بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-جعفر بن أبي طالب ومنهم من قال وبعد جعفر حمزة، وأن منهم من قال إن أفضل الناس بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-عبد الله بن مسعود، وغير ذلك مما ذكره ابن حزم عن بعض السلف من غير أن يذكر إسنادًا؛ لما رواه عنهم.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما ما يحكي عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر وتقديم طلحة أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًا وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي"(٥)

ويشهد لما قاله ابن تيمية من كلام **ابن حزم-رحمه الله-(ت: ٤٥٦ هـ)** نفسه فقد حمل ما ورد عن أم سلمة-رضي الله عنها-في ذكرها زوجها قبل النبي-صلى الله عليه وسلم-على

---

(١) فتح الباري (٧/ ٣٤).

(٢) الانتقاء (ص: ٣٠، ٣٩).

(٣) السنة (ص: ٤٠٣).

(٤) انظر الفصل (٤/ ١١١).

(٥) منهاج السنة (٢٢/ ٧٤).

أنه مذهبها في التفضيل، قال: "وروينا عن أم سلمة أم المؤمنين–رضي الله عنها–(ت: مابين ٥٧ إلى ٦٤ هـ)، أنها تذكرت الفضل ومن هو خير فقالت: ومن هو خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله–صلى الله عليه وسلم–[(١)]، والمروي عن أم سلمة في ذلك ما جاء في سياق قصة زواجها بالنبي–صلى الله عليه وسلم–من قولها: "فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منه"، قال: "ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة، فلما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، فذكرت قصة خطبة النبي لها ثم زواجها منه–صلى الله عليه وسلم–حتى قولها: "فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه رسول الله–صلى الله عليه وسلم–[(٢)] وحمل ما ورد في هذه الرواية عن أم سلمة أنه مذهبها وقولها في أفضل الناس بعد رسول الله–كما حمله ابن حزم–عجيب غاية العجب، ولقد وردت أحاديث في تفضيل أعيان من الصحابة كل واحد في أمر مخصوص كما في حديث: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح).[(٣)] ونحو ذلك من الأحاديث ومن قال من السلف مثلا أفرض الصحابة زيد فليس هذا قول منه بأنه أفضل الصحابة بعد النبي وإن توهم الواهم ذلك.

وقد روى الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ) بسنده **عن أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، أنه قال: "وما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا ركب الكور رجل أفضل من جعفر"ثم **قال الذهبي–رحمه الله–(ت: ٧٤٨ هـ)**: "هذا ثابت عن أبي هريرة، ولا ينبغي أن يزعم زاعم أن مذهبه: أن جعفرًا أفضل من أبي بكر وعمر، فإن هذا الإطلاق ليس هو على عمومه، بل يخرج منه الأنبياء والمرسلون، فالظاهر أن أبا هريرة لم يقصد أن يدخل أبي بكر ولا

(١) الفصل (٤/ ١١١).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٧، ٢٨)، (٦/ ٣١٣، ٣١٧، ٣٢١)، والحاكم (٤/ ١٦)، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الفتح الرباني (٢١/ ٦٧، ٦٨)، وأصله في صحيح مسلم (٢/ ٦٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٣)، وابن ماجه (١/ ٢٥٥)، وأحمد في المسند (٣/ ١٨٤، ٢٨١).

عمر-رضي الله عنهم-"[١]

ومن قبيل ما ذكره **ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) ما حكاه الخطابي-رحمه الله-(ت: ٣٨٨ هـ)** عن بعض المتأخرين إذ قال: "وللمتأخرين في هذا مذاهب، منهم من قال بتقديم أبي بكر من جهة الصحابة وبتقديم علي من جهة القرابة"

قال: وكان بعض مشايخنا يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل قال: وباب الخيرية غير باب الفضيلة، قال: وهذا كما تقول: إن الحر الهاشمي أفضل من العبد الرومي والحبشي، وقد يكون العبد الحبشي خيرًا من هاشمي في معنى الطاعة لله والمنفعة للناس، فباب الخيرية متعد وباب الفضيلة لازم[٢] وهذا الذي حكاه الخطابي هو في معنى ما تقرر من أنه قد تكون في المفضول فضيلة لا توجد في الفاضل من غير أن ينال ذلك من تفضيل الفاضل على المفضول، والله أعلم.

وكان **ابن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ)** قال: "اختلف السلف أيضا في تفضيل علي وأبي بكر"[٣]

قال الزركشي-رحمه الله-(ت: ٧٩٤ هـ): "قد غلط في ذلك ووهم"[٤] كيف وهو نفسه ممن نقل اجتماع السلف والخلف على أن عليا أفضل الناس بعد عثمان"[٥]

وحاصل ما كان عليه أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي قبل انعقاد إجماعهم على تفضيل عثمان ثلاثة مذاهب:

الأول: تفضيل عثمان ثم علي-وكان مذهب الجمهور.

الثاني: تفضيل علي ثم عثمان-وكان قد ظهر في أهل الكوفة.

(١) السير (١٤/ ٥٠٦).
(٢) معالم السنن-بهامش المختصر- (٧/ ١٨، ١٩).
(٣) الاستيعاب -بهامش الإصابة- (٣/ ٥٢).
(٤) الإجابة (ص: ٥٤).
(٥) انظر الاستيعاب (٣/ ٥٢).

الثالث: التوقف عن المفاضلة بينهما، وكان قد ظهر في أهل المدينة.

فالمذهب الأول: هو الذي كان عليه عامة أهل السنة كما قال ابن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ) [(١)] والخطابي-رحمه الله-(ت: ٣٨٨ هـ) [(٢)]، وابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ)[(٣)] وغيرهم، وفي هؤلاء من توقف في التفضيل عند عثمان فقال بتفضيل عثمان بعد عمر وسكت على ذلك، مع اعتقاده بالتربيع بعلي، وإنما قصد بالتوقف عند عثمان الاقتداء بحديث ابن عمر المتقدم، وهم لا يقدمون على علي أحدًا بعد الثلاثة، ومن هؤلاء أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وصرح رحمه الله بأن التوقف عند عثمان إنما هو عمل بحديث ابن عمر فقال: نقول أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت، على حديث ابن عمر"[(٤)]

وقال رحمه الله: "فإن قال قائل من بعد عثمان؟ قلت: علي"[(٥)]

وقال-رحمه الله-لمن سأله عمن قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، قال: "أذهب إليه، ويعجبني أن أقول أبو بكر وعمر وعثمان وأسكت، وإن قال رجل: وعلي، لم أعنفه، ولا يعجبني هذا القول"

قال ابن عمر-رضي الله عنه-(ت: ٧٣ هـ): "أبو بكر وعمر وعثمان، ونترك أصحاب رسول الله له لا نفضل بينهم"[(٦)]

وقال-رحمه الله-: "من وقف على عثمان ولم يربع بعلي فهو على غير السنة"[(٧)]

وهذا المسلك مروي عن جماعة من أئمة أهل السنة كيحيى بن معين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣

---

(١) الاستيعاب (٣/ ٥٤).
(٢) معالم السنن -بهامش المختصر- (٧/ ١٨).
(٣) فتح الباري (٧/ ١١).
(٤) السنة للخلال (ص: ٣٩٧).
(٥) السنة للخلال (ص: ٤,٥).
(٦) السنة للخلال (ص: ٤-٥).
(٧) طبقات الحنابلة (١/ ٣١٣).

هـ)، وبشر بن الحارث–رحمه الله–(ت: ٢٢٧ هـ)، ويزيد بن زريع–رحمه الله–(ت: ١٨٢ هـ)، ومحمد بن عبيد–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ)، وعبد الله بن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ)، وغيرهم[١]، وسبق بيان أن ما ورد في حديث ابن عمر من السكوت عن علي متأول بأمور منها أن الإجماع المنعقد على تقديم علي بعد عثمان إنما حدث بعد الزمن الذي قيده ابن عمر.

وأما المذهب الثاني: وهو تفضيل علي ثم عثمان بعد أبي بكر وعمر فهو كان مذهب عامة أهل الكوفة.

قال الخطابي–رحمه الله–(ت: ٣٨٨ هـ): "ذهب أكثر أهل الكوفة إلى تقديمه–يعني عليا– على عثمان رضي الله عنهما قال: "وحدثني محمد بن هاشم حدثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة عن عبد الصمد قال: قلت **لسفيان الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)**: "ما قولك في التفضيل؟ فقال: أهل السنة من أهل الكوفة يقولون: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وأهل السنة من أهل البصرة يقولون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قلت: فما تقول أنت؟ قال: أنا رجل كوفي.

قال الخطابي–رحمه الله–(ت: ٣٨٨ هـ): "قلت: وقد ثبت عن سفيان أنه قال في آخر قوليه: "أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم"[٢]، وكما رجع سفيان الثوري رجع غيره من أهل الكوفة. كما قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "إن سفيان الثوري وطائفة من الكوفة رجحوا علياً ثم عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره"[٣]

وقال ابن حجر–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "ذهب بعض السلف إلى تقديم علي على عثمان، وممن قال به سفيان الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، ويقال إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة–رحمه الله–(ت: ٣١١ هـ)، وطائفة قبله وبعده[٤]

(١) انظر السنة للخلال (٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/ ١٣٨٩، ١٣٩٢، ١٣٦٩).

(٢) معالم السنن–بهامش المختصر–(٧/ ١٨).

(٣) الفتاوى ٤/ ٤٢٦؛ وانظر منهاج السنة (٢/ ٧٣، ٧٤).

(٤) فتح الباري (٧/ ١٦) وانظر الباعث الحثيث (ص: ١٥٦).

هذا وقد **روى الخلال-رحمه الله-(ت: ٣١١ هـ) بسنده عن يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)** أنه قال: "كان رأي سفيان الثوري: أبو بكر وعمر ثم يقف"[(١)]

وكان التوقف مذهب يحيى بن سعيد-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، وقال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "بلغني أن يحيى كان يقف عند ذكر عمر" قال: "وكان يأخذه من سفيان"[(٢)] يعني الثوري، فلا أدري متى كان التوقف من سفيان؟ والله أعلم.

وأما المذهب الثالث: وهو التوقف عن المفاضلة بينهم، فهو رواية عن مالك، ففي المدونة **قال ابن القاسم-رحمه الله-(ت: ١٩١ هـ)**: "وسألت مالكًا عن خير الناس بعد نبيهم-صلوات الله وسلامه عليه-، فقال: أبو بكر ثم قال: أو في ذلك شك؟ قال ابن القاسم: فقلت لمالك: فعلي وعثمان أيهما أفضل فقال: ما أدركت أحدا ممن أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه-يعني عليا وعثمان-ويرى الكف عنهما"[(٣)]

وروى ابن عبد البر-رحمه الله-(ت: ٤٦٣ هـ) بسنده أن مالكًا سئل: من تقدم بعد رسول الله؟ قال أقدم أبا بكر وعمر ولم يزد على هذا.وروى أيضا قول مالك: "ليس من أمر الناس الذين مضوا عليه أن يفاضلوا بين الناس"[(٤)]

وروى اللالكائي-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ) بسنده أن مالكًا سئل عن علي وعثمان فقال: "ما أدركت أحدًا ممن يقتدى به إلا وهو يرى الكف عنهما، يريد التفضيل بينهما، فقيل له: فأبو بكر وعمر فقال: ليس في أبي بكر وعمر شك، يريد أنهما أفضل من غيرهما"[(٥)]

وقد ذكر ابن تيمية أن مالكًا رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان ثم علي فقال: "أما عثمان

---

(١) السنة (٣/ ٣٧)، وقال المحقق: "إسناده صحيح".

(٢) رواه الخلال بسنده في السنة (ص: ٣٧٢)، وقال المحقق وإسناده صحيح).

(٣) المدونة (٦/ ٤٥١).

(٤) الانتقاء (٣٠، ٣٩).

(٥) شرح أصول الاعتقاد (٧/ ٣٦٨).

وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك"[١]

وقال في موضع آخر: "وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة"[٢]

وقد اعتمد **ابن رشد-رحمه الله-(ت: ٥٩٥ هـ)** في كلام له تقديم عثمان ثم علي في مذهب مالك وقال: "وقيل: إنه الذي رجع إليه مالك بعد أن وقف في عثمان وعلي، فلم يفضل أحدهما على صاحبه على ظاهر ما وقع في كتاب الديات من المدونة" قال ابن رشد-رحمه الله-(ت: ٥٩٥ هـ): "على أنه كلام محتمل للتأويل"[٣]

وذكر السيوطي-رحمه الله-(ت: ٩١١ هـ) أنه قد حكى القاضي عياض-رحمه الله-(ت: ٥٤٤ هـ)، عن الإمام مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان، قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "وهو الأصح إن شاء الله"[٤]

ولعل من وافق مالكا على التوقف قبل الرجوع يكون قد رجع إلى تفضيل عثمان على علي كما رجع مالك موافقة له في الرجوع بعد موافقته في التوقف، ولقد روى الخلال بسنده **عن أيوب السختياني-رحمه الله-(ت: ١٣١ هـ)** أنه قال: "دخلت المدينة والناس متوافرون القاسم بن محمد-رحمه الله-(ت: ١٠٧ هـ) وسليمان-رحمه الله-(ت: ١٠٧ هـ) وغيرهما فما رأيت أحدًا يختلف في تقديم أبي بكر وعمر وعثمان"[٥]

وتوقف في المفاضلة بين عثمان وعلي من غير أهل المدينة يحيى بن سعيد القطان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، من أهل البصرة وقد استغرب عبد الرحمن بن مهدي-رحمه الله-(ت: ١٩٨

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٧٣).

(٢) الفتاوى (٤/ ٤٢٦).

(٣) الجامع من المقدمات (١٧٤) وانظر حاشية المحقق رقم: (٣).

(٤) تدريب الراوي (٢/ ٢٢٣)، وانظر لوامع الأنوار (٢/ ٣٥٦).

(٥) السنة (ص: ٤٠٣).

هـ)، ذلك فقال ليحيى: "بمن تقتدي في هذا وأهل البصرة ليس هذا قولهم؟!"[١]

وذكر ابن حجر-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ) أن يحي القطان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)، تبع مالكا في التوقف[٢]، ولكن قد سبق قبل قليل قول الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) أن يحي أخذ التوقف عن سفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، ويحيى قد حكى هذا القول عن سفيان فقد أخرج الخلال أن يحي بن معين قال: "قال يحيي بن سعيد: كان رأي سفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ): أبو بكر وعمر ثم يقف، قال يحيى بن معين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ): "وهو رأي يحيى بن سعيد" [٣]كأنه يشير إلى أن ذلك منه موافقة سفيان فيما رواه عنه.والله أعلم.

والحاصل أن ما روي عن أئمة السلف من تقديم علي على عثمان أو التوقف فيهما قد رجعوا عنه واستقر مذهب أهل السنة على تفضيل عثمان ثم علي.

وهذا هو المذهب الحق الذي لا يجوز العدول عنه لثبوته بالأدلة الشرعية من السنة والإجماع وسبق بيانهما من حديث ابن عمر وإجماع الصحابة على تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وجميع ذلك ثابت صحيح كما تقدم، ولذلك قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "كل من قدم عليًا ثم عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[٤] وكذلك قال حماد بن زيد-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ) [٥] وروي نحو ذلك عن جماعة من الأئمة كسفيان الثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، والدارقطني-رحمه الله-(ت: ٣٨٥ هـ) وغيرهم.[٦]

---

(١) السنة للخلال (ص: ٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٦).

(٣) السنة (ص: ٣٧٣).

(٤) السنة للخلال ص ٣٩٢.

(٥) شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

(٦) انظر السنة للخلال ٣٧٠، و٣٩٢ والفتاوى ٤/ ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٨.

حتى إن الأئمة قد تكلموا في تبديع من يقدم علياً على عثمان على قولين.[(١)]

وروي عن بعضهم أنه قال: من قدم عليًا على عثمان فعليه لعنة الله، وبعضهم قال: فهو أحمق.[(٢)]

(١) انظر السنة للخلال هي ٣٨٠-٨٣٢، والفتاوى ٤/ ٤٢٦.

(٢) انظر شرح أصول الاعتقاد ٧/ ١٣٧٠.

[٥]-قال المصنف رحمه الله: وترحَّمَ على أصحاب رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- كبيرهم وصغيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم.

الشرح

المسألة الثالثة: الترحم على أصحاب النبي ﷺ

من أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامةَ قلوبهم تجاه أصحاب النبي ﷺ، وذلك لأنهم حَمَلة ميراث النبوة، فهم علماء هذه الأمة وخيرها وأبرُّها، كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: «مَن كان منكم مستنًّا، فليستنَّ بمَن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا يُؤمن عليه الفتنة.أولئك أصحاب محمد، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا؛ قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم»[(١)].

وقد عَلَّق شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا الأثر؛ فقال: «وقول عبد الله بن مسعود: «كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا»: كلامٌ جامع، بيَّن فيه حُسن قَصدهم، ونيَّاتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة، ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف...وهم أفضل الأمة الوسط الشهداء على الناس، الذين هداهم الله لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم؛ فليسوا مِن المغضوب عليهم الذين يتبعون أهواءهم، ولا من الضالين الجاهلين...بل لهم كمال العلم، وكمال القصد؛ إذ لو لم يكن كذلك للزم أن لا تكون هذه الأمةُ خيرَ الأمم، وأن لا يكونوا خيرَ الأمة، وكلاهما خلاف الكتاب والسُّنَّة.

وأيضًا فالاعتبار العقليُّ يدلُّ على ذلك؛ فإنَّ مَن تأمَّل أمة محمد ﷺ، وتأمل أحوال اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين-تبيَّن له مِن فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم في العلم النافع والعمل الصالح ما يضيق هذا الموضع عن بسطه.

والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار، ولهذا لا تجد أحدًا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه وعلى أمثاله، وتَجد مَن ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس.ولهذا لا يُوجد في أئمة الفقه الذين يُرجع إليهم رافضي، ولا في أئمة الحديث، ولا في أئمة الزهد والعبادة، ولا في الجيوش المؤيدة المنصورة جيش رافضي،

(١) أخرجه ابن عبد البرَّ في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤)، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوَّه مَن هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سِيرة محمودة مَن هو رافضي...»[(١)].

فالله جل وعلا قد اختار هؤلاء الصفوة لصحبة نبيه ﷺ، واختارهم لإقامة دينه؛ فحفظوا لنا القرآن وحفظوا سنة النبي عليه الصلاة والسَّلام، وما انحسروا في المدينة، وإنما جاهدوا في سبيل نشر هذا الدِّين في ربوع الأرض، وانطلقوا يُبَلِّغون دين الله، وقد بلغ الإسلام في عهدهم مبلغًا عظيمًا، حتى إن بعضهم تُوفي عند أسوار القسطنطينية؛ كأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، مع أنها لم تفتح إلا في زمن العثمانيين.

فالصحابة فازوا بخيرية الصحبة، فكان لهم السبق في الإيمان والفضل وجلالة القَدْر، وحمل ميراث النبوة وتبليغه، والجهاد في سبيله؛ فكانوا فرسانًا بالنهار رهبانًا بالليل.

ولذلك أهل السنة-والحمد لله-قلوبهم سليمة دائمًا من الغل أو الحقد والحسد تِجاه الصَّحب والآل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد زكَّى المهاجرين والأنصار ومَن جاءوا بعدهم مُستغفرين لهم؛ فقال جل وعلا: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحشر: ١٠].

وكذلك قلوب أهل السنة نقية تجاه حَمَلة ميراث النبوة من العلماء الصَّادقين والدُّعاة المخلصين والمقتفين للآثار النبي الأمين ﷺ؛ لأن النبي ﷺ قال: «العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا، وَرَّثوا العلم؛ فمَن أَخَذَه أَخَذَ بحظٍّ وافرٍ»[(٢)].

---

(١) منهاج السنة النبوية» (٢/ ٧٩-٨١).

(٢) أخرجه أبو داود) ٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢١٢).

وأمَّا أهل الباطل فديدنهم بُغض أصحاب النبي ﷺ وبُغض حملة شريعته؛ لأنهم مخالفون لهم، وهم مُبغضون ناقمون على مخالفيهم حتى ولو كانوا في ذات فِرقتهم؛ فقد يحكمون بكفرهم وتبديعهم وتفسيقهم؛ إذا خالفوا نهجهم ولو يسيرًا.

أمَّا أهل السنة فقلوبهم تلهج-دائمًا-بالثناء والترضي على أصحاب النبي ﷺ، «ويَقْبَلُونَ ما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ من فضائلِهِم ومَرَاتِبِهِم».

ومن ذلك ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله جل وعلا: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾، فقد أخبر الله-تعالى-في هذه الآية أنه رضي عن هؤلاء رضًا مطلقًا، ورَضي عمن بعدهم رضًا مقيدًا، وهو شرط اتباعهم بإحسان؛ قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عن السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل مَن أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض-أو سَبَّ-بَعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخَيرهم وأفضلهم-أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم-أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويسبونهم؛ عياذًا بالله من ذلك.وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن قدم الله ذكرهم ورفع شأنهم.

وأمَّا أهل السنة فإنهم يَترضون عنهم، ويَسبون مَن سَبَّه اللهُ ورسولُه، ويُوالون مَن يُوالي الله، ويُعادون مَن يعادي الله، وهم مُتَّبعون لا مُبتدعون، ويَقتدون ولا يَبتدئون، ولهذا هم حزبُ الله

المفلحون وعباده المؤمنون»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

والمراد بـ﴿**المؤمنين**﴾ في الآية: أصحاب النبي ﷺ؛ فتوعد الله مَن اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم، ووعد مُتبعهم بإحسان بالرِّضوان في قوله جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ**﴾.

وقد شهد لهم النبي ﷺ بأنهم في أعلى درجات الإيمان والفضل والمنزلة، فقال: «لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيدِه لو أنَّ أحدَكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه»[(٢)].

وهم في الفضل متفاوتون؛ فمن أنفق قبل الفتح (صُلح الحديبية) لا يستوي مع مَن أنفق بعده، وكذلك المهاجرون مُقَدَّمون على الأنصار، ويأتون في الفضل على مراتب؛ فأهل بدر، ثم أهل بيعة الرِّضوان، ثم من جاء بعدُ.

وقد جاء في فضل أهل بدر؛ قوله ﷺ: «لعلَّ اللهَ اطَّلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شِئتم، فقد وَجَبت لكم الجنة-أو-فقد غفرتُ لكم»[(٣)]، وقال الله-جل وعلا-عن أهل بيعة الرضوان: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: ١٨]، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ونشهد بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ منهم؛ فقد شهد ﷺ للعشرة؛ فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن

(١) تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ، ومسلم (٤٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٨٣) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[(١)].

وشهد ﷺ لثابت بن قيس بالجنة؛ فعن أنس بن مالك ﭬ أنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا مِن أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو، ما شأنُ ثابت؟ اشتكى؟».قال سعد: إنه لجاري، وما علمتُ له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أُنْزِلَت هذه الآية، ولقد علمتم أني مِن أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ، فأنا مِن أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو مِن أهلِ الجَنَّة»[(٢)].

وشهد ﷺ لعُكَّاشة بن محصن رضي الله عنه أنه من السَّبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ[(٣)].

وشهد ﷺ لبلالٍ بالجنة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال، حَدِّثني بأرجى عمل عملتَه في الإسلام؛ فإني سمعتُ دَفَّ نَعليك[(٤)] بين يدي في الجَنَّة!».قال: ما عملت عملًا أرجى عندي: أني لم أتطهر طهورًا-في ساعة ليل أو نهار-إلَّا صَلَّيت بذلك الطهور ما كُتِب لي أن أُصَلِّي»[(٥)].

وبشَّر ﷺ خديجة بنت خويلد ببيت في الجنة مِن قَصب؛ لا صخب، فيه ولا نصب[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٧٥) والترمذي (٣٧٤٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٩٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (١١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أي: حركة نعليه وصوتهما في الأرض.

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٩).

(٦) أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه. أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «أَنتِ زوجتي في الدنيا والآخرة»[(١)].

وشهد ﷺ لغيرهم من الصحابة.

فكلُّ مَن ثبت أنَّ النبي ﷺ قد شهد لهم بالجنة–فإننا نشهد لهم كذلك.

فلا شك أن الصحابة لهم قدم سبقٍ في الإسلام، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأنهم: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[(٢)]، فلو جاء أحد ممن بعدهم بمثل أحد ذهباً وأن لك هذا وأنفقته ما بلغت هذا المقدار من فضلهم، لم تبلغه لا المد ولا حتى النصيف مما أعطاهم الله سبحانه وتعالى.

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير الناس قرني»[(٣)]، فأعطاهم الخيرية، ونحن من جاء بعدهم ليس لنا إلا أن نترضى عليهم.

ربنا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، فهؤلاء الذين سبقونا بالإيمان وسبقونا بالفضل، وسبقونا بالنصرة، وسبقونا الذود عن حياض الإسلام، وكذلك هم نقلة لكتاب الله، وذلك كونهم دلونا لهذا الخير فلهم أُجورنا وأجر من عمل بهذا العمل إلى يوم القيامة، وكما قال بعض السلف: "من طعن في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمراده ليس أعيانهم[(٤)] " أعيانهم عند الله عز وجل قدرهم ومكانتهم ومنزلتهم.

لكن أراد هذا الطاعن أن يطعن في النقلة ليطعن في هذا الدين، هؤلاء هم النقلة هؤلاء هم

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٧٠٥٣).

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا، برقم (٣٦٧٣)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنه، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، برقم (٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والترمذي (٣٨٦١) وقال عقبه حديث حسن صحيح، وأحمد (١١٠٧٩).

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، برقم (٦٤٢٩)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم (٢٥٣٦)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢)، وأحمد (٣٥٨٣).

(٤) انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي صفحة (٤٩).

الحفظة الذين نقلوا لك كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا أنت طعنت في الناقل فإنما تقصد الطعن في المنقول، والمنقول ما هو؟ كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فإذا شُككت في الناقل فهذا التشكيك القصد منه التشكيك في المنقول، والمنقول هو كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

من جمع هذا القرآن؟ من حفظه وقدمه لهذه الأمة؟ أليسوا هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا شككت في عدالتهم وشككت في أمانتهم فعند ذلك ما بقي قيمة لكتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن صاحب السنة ليس لديه مشكلة مع القرآن، ولا مع السنة، فهو يؤمن بأن القرآن محفوظ، وأن القرآن كامل وليس فيه نقص وليس فيه تحريف، ويعرف أن الذين نقلوا وحفظوه عدول.

لكن عند أولئك الذين طعنوا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كل المشكلة، فعندهم مشكلة مع القرآن فهم يرون أن فيه حذفاً، ويرون أن فيه تحريفاً، ويرون أن وفيه زيادة إلى غير ذلك، فالمشكلة مشكلتهم هم.

فكما قال قائل لما سئل، لماذا أنت تحولت من عقيدة الرافضة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة؟ قال: لماذا لا أتحول وقد أصبحت والحمد لله مرتاحاً للقرآن أؤمن وأعتقد به، ومطمئن بأنه كامل؛ وأن نقلته عدول، وأصبحت والحمد لله آمن على ديني، لأنه إذا كان أولئك لا يستحقون الجنة فعقلاً كيف أستحقها، فإذا كان أبو بكر وعمر لا يستحقون الجنة فكيف أنا أستحق الجنة.

فلماذا لا أكون على عقيدة أهل السنة، والحمد لله أهل السنة ما عندهم أي إشكال مع أحد من الصحابة كلهم عدول، وكلهم على فضل، وكلهم على خير، وكلهم على منزلة وعلى مكانة، يترضون عليهم جميعاً، وتجد أن أسماءهم، وأسماء آبائهم، وأسماء أبنائهم، وأسماء إخوانهم، وأبناء عمومتهم تشمل جميع أسماء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دون تفريق.

فيتسمون بجميع أسماء الصحابة، لا نستثني منهم أحداً، فكل أسمائهم مقبولة لديهم ويفتخرون بذلك، فصاحب السنة بحمد الله تعالى ليس عنده أي غلٍ أو حقدٍ أو تحاملٍ على

أي أحد منهم بل الإقرار بالفضل والترضي والاعتراف بالقيمة والمنزلة والمكانة التي أعطاهم الله إياها، وكيف لا يكون ذلك والله تعالى قد زكاهم، ونبيه صلى الله عليه وسلم قد زكاهم، ألم يقل عز وجل: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[التوبة:١٠٠]، فالله رضي عنهم، ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾[الفتح:١٨].

قال الإمام الشعبي: «ولليهود والنصارى فضيلةٌ على الرَّافضة في خصلتين: سئل اليهود: مَن خير أهل مِلَّتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى.وسئلت النصارى، فقالوا: أصحاب عيسى.وسئلت الرافضة: مَن شَرُّ أهل مِلتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد.أَمَرَهم بالاستغفار لهم فشَتَموهم»[(١)].

فهذا والله من الخذلان، ولكن حقيقة طعن هؤلاء إنما هو الطعن في الدين، فأرادوا الطعن في الدين من خلال الطعن في النقلة الذين نقلوا لك هذا الدين.

فاعرف لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حقهم، وقدرهم، وهذا الذي عمل به أهل السنة، ودونوه جملة وتفصيلا، ولذلك ذكروا من فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جملة، وذكروا من فضائل أعيانهم واحداً واحدا، فكيف ينقم من ينقم على أبي بكر، هل لأنه من صدق النبي صلى الله عليه وسلم، أو لأنه هاجر معه، أو لأنه وقف تلك المواقف في خدمة الإسلام، وكيف من ينقم من ينقم على عمر رضي الله عنه وهو الذي-بعد فضل الله عز وجل- انتشر الإسلام على يديه شرقاً وغرباً وبلغت الفتوحات في عهده ما لم تبلغه في زمنٍ من الأزمان.

فقلوب أهل السنة سليمة سالمة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نحفظ لهم الحق ونحفظ لهم الفضل، ونحفظ لهم القدر، ونترضى عليهم ونترحم عليهم، ونعرف أن فضلهم على هذه الأمة لا يمكن أن يوازيه شيء.

هذه العقيدة السليمة الصافية ليست العقيدة التي تصب حقداً وغلاً على أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٢٤٩، ٢٥٠)، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

[الصلاة خلف البر والفاجر]

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: حكم الصلاة خلف الفساق.

المسألة الثانية: الصلاة خلف المبتدع.



[٦]-قال المصنف-رحمه الله-: "وصلَّى العيدين وعرفات والجماعات مع كلِّ إمامٍ برٍّ أو فاجرٍ".

الشرح

المسألة الأولى: حكم الصلاة خلف الفساق.

عند أهل السنة أنه يصلى خلف كل بر وفاجر، هذا هو الصواب، فأنت تصلي خلف الأمراء وتجاهد معهم وإن كانوا أهل معاصي، وتصلي خلف أئمة المساجد وإن كان فيهم معصية.

وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقًا ظالما.

قال النووي:"وأما صلاة ابن عمر خلف الحجاج بن يوسف فثابتة في صحيح البخاري".[(١)]

روى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَالِمٍ قَالَ: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ"أَنْ لَا يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ فِي الْحَجِّ"، فَجَاءَ ابْنُ عُمَرَ-رضي الله عنه-وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الْحَجَّاجِ فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ، فَقَالَ:"مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟"، فَقَالَ:"الرَّوَاحَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ"، قَالَ:"هَذِهِ السَّاعَةَ؟!"، قَالَ:"نَعَمْ"، قَالَ:"فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أُفِيضَ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أَخْرُجُ"، فَنَزَلَ حَتَّى خَرَجَ الْحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي، فَقُلْتُ:"إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَاقْصُرْ الْخُطْبَةَ وَعَجِّلْ الْوُقُوفَ"، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ:"صَدَقَ".[(٢)]

قال ابن حجر:"وَفِيهِ: صِحَّةُ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْفَاسِقِ".[(٣)].

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن عُمَيْرِ بن هَانِئٍ قال: شَهدت ابن عمر والحجاج مُحَاصِرٌ ابن الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء".[(٤)].

(١) المجموع (٤/ ٢٢٢)، وكذا ابن الملقن في البدر المنير (٤/ ٥٢٠)، والحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/ ٤٣).

(٢) صحيح البخاري رقم (١٦٦٠)

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٥١٢).

(٤) المصنف (٢/ ١٥٢) قال ابن حجر: "إسناده صحيح".المطالب العالية (٣/ ٧٠٢).

وفي صـحيح البخاري أيضًـا، أن النبي–ﷺ–قال: (يصـلون لكم، فإن أصـابوا فلكم ولهم، وأن أخطأوا فلكم وعليهم).[١]

وقد كان الصحابة–رضوان الله عليهم–يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢]، وكان قد يشرب الخمر وصـلى مرة الصـبح أربعاً وجلده عثمان بن عفان على ذلك[٣]، فمثل هذه الأمور أهل السـنة وأصحاب النبي–ﷺ–لنا فيهم الأسوة والقدوة، فهم أسوتنا وقدوتنا.

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري (٢/ ٣٢٩).

(٢) الحديث رواه أحمد (١/ ٤٥٠) (٤٢٩٨، والطبراني (٩/ ٢٩٩) (٩٥٢٠).قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٣٢٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله ثقات، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦/ ١٤٦).

(٣) رواه أحمد (١/ ١٤٤) (١٢٢٩)، والبيهقي (٨/ ٣١٨) (١٧٩٨٥).قال شعيب الأرناؤوط محقق (المسند): إسناده صحيح على شرط مسلم.

المسألة الثانية: الصلاة خلف المبتدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهماً بالإلحاد وداعياً إلى الضلال؛.[١]

وسار التابعون ومن تبعهم بإحسان من أئمة السلف على هذا، فقرروه قولاً وفعلاً، فمن ذلك:

ما جاء عن الأعمش رحمه الله أنه قال: "كان كبار أصحاب عبد الله –يعني ابن مسعود– يصلون الجمعة مع المختار ويحتسبون بها"[٢]

وقد كان أبو وائل–رحمه الله–يصلي الجمعة مع المختار بن أبي عبيد[٣] .

وعن الحسن–رحمه الله–أنه سئل عن الصلاة خلف صاحب البدعة، فقال الحسن: "صل خلفه، وعليه بدعته"[٤]

وعن الحكم بن عطية–رحمه الله–أنه قال: سألت الحسن وقلت: رجل من الخوارج يؤمنا، أنصلي خلفه؟ قال: "نعم، قد أم الناس من هو شر منه"[٥]

وعن ابن وضاح–رحمه الله–: قال: سألت الحارث بن مسكين: هل ندع الصلاة خلف أهل البدع؟ فقال: "أما الجمعة خاصة فلا، وأما غيرها من الصلاة فنعم"[٦]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "وأما الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع، وخلف أهل الفجور، ففيه نزاع مشهور وتفصيل ليس هذا موضع بسطه.

ولكن أوسط الأقوال في هؤلاء أن تقديم الواحد من هؤلاء في الإمامة، لا يجوز مع القدرة

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في (المصنف (١/ ٤٧٥) برقم (٥٤٩٧)، وابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ٢٨٤) برقم: (٢١٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف) (١/ ٤٧٥) برقم: (٥٤٩٧)، وَعَبَد الرزاق في المصنف (٢/ ٣٨٦) برقم: (٣٧٩٨).

(٤) صحيح البخاري كتاب الأذان (٥٦) وقال: باب إمامة المفتون والمبتدع. وَعَلَّقَ قَوْل الحسن: (صلِّ وعليه بِدْعَتُهُ).

(٥) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ٢٨٤) برقم: (٢١١).

(٦) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص: ٢٨٤) برقم: (٢١٢).

على غيره، فإن من كان مظهرًا للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك، وأقل مراتب الإنكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته، ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية، فإن الداعية أظهر المنكر فاستحق الإنكار عليه، بخلاف الساكت فإنه بمنزلة من أسر بالذنب، فهذا لا ينكر عليه في الظاهر، فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضـر إلا صـاحبها، ولكن إذا أعلن فلم تنكر ضــرت العامة، ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم، وتوكل ســرائرهم إلى الله تعالى بخلاف من أظهر الكفر"[١]

يقول شـيخ الإسـلام ابن تيمية–رحمه الله–: "وَلَوْ عَلِمَ الْمَأْمُومُ أَنَّ الإِمَامَ مُبْتَدِعٌ يَدْعُو إلَى بِدْعَتِهِ، أَوْ فَاسِـقٌ ظَاهِرُ الْفِسْـقِ، وَهُوَ الإِمَامُ الرَّاتِبُ الَّذِي لا تُمْكِنُ الصَّـلاةُ إلا خَلْفَهُ، كَإِمَامِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، وَالإِمَامِ فِي صَـــلاةِ الْحَجِّ بِعَرَفَةَ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَـــلِّي خَلْفَهُ عِنْدَ عَامَّةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَحْمَد وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلِهَذَا قَالُوا فِي الْعَقَائِدِ: إنَّهُ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَ خَلْفَ كُلِّ إمَامٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا.

وَكَذَلِكَ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَرْيَةِ إلا إمَامٌ وَاحِدٌ، فَإِنَّهَا تُصَلَّى خَلْفَهُ الْجَمَاعَاتُ؛ فَإِنَّ الصَّلاةَ فِي جَمَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الإِمَامُ فَاسِقًا.هَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ: أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمَا، بَلْ الْجَمَاعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الأَعْيَانِ فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِ أَحْمَد.

وَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الإِمَامِ الْفَاجِرِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ..

وَالصَّـحِيحُ أَنَّهُ يُصَـلِّيهَا وَلا يُعِيدُهَا؛ فَإِنَّ الصَّـحَابَةَ كَانُوا يُصَـلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الأَئِمَّةِ الْفُجَّارِ وَلا يُعِيدُونَ، كَمَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَـــلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ، وَابْنُ مَسْـــعُودٍ وَغَيْرُهُ يُصَـلُّونَ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَكَانَ يَشْـرَبُ الْخَمْرَ؛ حَتَّى إنَّهُ صَـلَّى بِهِمْ مَرَّةً الصُّـبْحَ أَرْبَعًا، ثُمَّ قَـالَ: أَزِيـدُكُمْ؟ فَقَـالَ ابْنُ مَسْـــعُودٍ: مَـا زِلْنَـا مَعَـك مُنْذُ الْيَوْمَ فِي زِيَادَةٍ !! وَلِهَذَا رَفَعُوهُ إلَى عُثْمَانَ...

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٢)

وَالْفَاسِقُ وَالْمُبْتَدِعُ صَلاتُهُ فِي نَفْسِهِ صَحِيحَةٌ؛ فَإِذَا صَلَّى الْمَأْمُومُ خَلْفَهُ لَمْ تَبْطُلْ صَلاتُهُ، لَكِنْ إنَّمَا كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ لأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ، وَمِنْ ذَلِكَ [يعني: ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً أَوْ فُجُورًا لا يُرَتَّبُ إمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْزِيرَ حَتَّى يَتُوبَ فَإِذَا أَمْكَنَ هَجْرُهُ حَتَّى يَتُوبَ كَانَ حَسَنًا وَإِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ وَصَلَّى خَلْفَ غَيْرِهِ أُثِرَ ذَلِكَ حَتَّى يَتُوبَ أَوْ يُعْزَلَ أَوْ يَنْتَهِيَ النَّاسُ عَنْ مِثْلِ ذَنْبِهِ.فَمِثْلُ هَذَا إذَا تَرَكَ الصَّلاةَ خَلْفَهُ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ يَفُتْ الْمَأْمُومَ جُمُعَةٌ وَلا جَمَاعَةٌ.وَأَمَّا إذَا كَانَ تَرَكَ الصَّلاةَ يَفُوتُ الْمَأْمُومَ الْجُمُعَةُ وَالْجَمَاعَةُ فَهُنَا لا يَتْرُكُ الصَّلاةَ خَلْفَهُمْ إلا مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِلصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

وَكَذَلِكَ إذَا كَانَ الإِمَامُ قَدْ رَتَّبَهُ وُلاةُ الأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي تَرْكِ الصَّلاةِ خَلْفَهُ مَصْلَحَةٌ، فَهُنَا لَيْسَ عَلَيْهِ تَرْكُ الصَّلاةِ خَلْفَهُ، بَلْ الصَّلاةُ خَلْفَ الإِمَامِ الأَفْضَلِ أَفْضَلُ"[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين، ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاوياً وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وإذا كان قادراً على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه، وإن قدر أن يمنع من أظهر البدع والفجور منعه.

وإن لم يقدر على ذلك فالصلاة خلف الأعلم بكتاب الله وسنة نبيه والأسبق إلى طاعة الله ورسوله أفضل، كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-في الحديث الصحيح: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا سواء فأقدمهم هجره، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً)[2]

وإن كان في هجره لمظهر البدعة والفجور مصلحة راجحة هجره، كما هجر النبي-صلى

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٩).

الله عليه وسـلم-الثلاثة الذين خُلِّفُوا حتى تاب الله عليهم، وأما إذا وُلِّي غيره بغير إذنه، وليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية كان تفويت هذه الجمعة والجماعة جهلًا وضلالًا، وكان قد رَدَّ بدعة ببدعة"[١]

وخلاصـة القول: أن أكثر العلماء يرون جواز الصـلاة خلف المبتدع على التفصـيل الذي قدمناه، ومنهم من منعها وأبطلها وقال بوجوب إعادتها، وممن رجح صـحة الصـلاة: الإمام البخاري وابن حجر وابن تيمية، ومن المعاصرين الشيخ ابن باز-رحمه الله-وهو يفصل بين من كانت بدعته شركية كفرية وبين من ليس كذلك فيقول: "تصح الصلاة خلف المبتدع وخلف المسبل إزاره وغيرهما من العصـاة في أصـح قولي العلماء، ما لم تكن البدعة مكفرة لصـاحبها، فإن كانت مكفرة له كالجهمي ونحوه ممن بدعتهم تخرجهم عن دائرة الإسـلام، فلا تصـح الصـلاة خلفهم، ولكن يجب على المسـئولين أن يختاروا للإمامة من هو سـليم من البدعة والفسـق، مرضـي السـيرة؛ لأن الإمامة أمانة عظيمة، القائم بها قدوة للمسـلمين، فلا يجوز أن يتولاها أهل البدع والفسق مع القدرة على تولية غيرهم".

والعلماء ذكروا تفاصـيل كثيرة تتعلق بالتفريق بين الصـلوات العادية وبين صـلاة الجمعة والعيدين ويوم عرفة، والتفريق بين من كان مسـتور الحال ومن هو مجاهر بفسـقه أو بدعته، وبين من بدعته مكفرة وبين من هو دون ذلك، وبين من كان هذا المسـجد هو الوحيد في ذلك المكان وبين من بإمكانه أن يصـلي في مسـجد غيره إلى غير ذلك من التفاصـيل التي يصعب إيرادها في مثل هذا الشرح.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٦).



[القرآن كلام الله غير مخلوق]

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

المسألة الثانية: الأقوال في كلام. الله.

المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن وأنه كلام الله.

أولًا: إثبات صفة الكلام لله–عز وجل–.

ثانيًا: أن الله–عز وجل–لم يزل متكلمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.

ثالثًا: القرآن كلام الله

رابعًا: القرآن غير مخلوق.

خامسًا: منه بدأ وإليه يعود.

سادسًا: أن الله يتكلم بحرف صوت مسموعين.

سابعًا: أن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد–صلى الله عليه وسلم–.



[٧]- قال المصنف-رحمه الله-: "والقرآنُ كلامُ اللهِ وتنزيله، ليس بمخلوق".

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أهمية صفة الكلام.

هذه مسألة من كبريات مسائلِ باب الصفات؛ فأكبرُ مسألتين في باب الأسماء والصفات ركَّز عليها أعداءُ الإسلام تركيزاً شديداً

- مسألةُ العلو.
- ومسألةُ الكلام.

لأنهم إذا أبطلوا كونَ القرآن كلام الله أبطلوا حقيقةَ الوحي،

وإذا أبطلوا علوَّ الله تعالى أبطلوا وجوده،

فهذه غايتهم وهدفهم الذي يريدون أن يصلوا إليه.

ذلك لأن أعظم ركيزتين تقوم عليهما المبادئ الفلسفية لدى الفلاسفة هما:

١. أن العلمَ مصدره الإنسان.وفي هذا تكذيب للوحي.

٢. وأن المعلومات والعلوم محصورةٌ في المحسوس المشاهَد.وفي هذا إنكار للغيب وأعظم الغيب هو الله.

فتسلَّط أعداءُ الله على باب الصفات من أجلِ أن يشكِّكُوا في كلامِ الله وذلك بإنكارهم بأن يكون القرآن كلامُ الله حقيقة.

وأن يشكِّكُوا في وجودِ الله بإنكارهم لعلو الله عز وجل.

فلذلك وقفوا وقفةً خبيثة، وهجموا هجمةً شرسة ضد هاتين الصفتين، فإذا كنا نقول إنهم يزعمون أن العلوم مصدرها الإنسان، ونحن نقول إن العلم الشرعي مصدره الوحي فلمَّا هؤلاء يلغونَ أن الله تكلم حقيقة، ويشكَّكُون في أن هناك وحي وقالوا: هذه عبارة محمد؛ أو عبارة جبريل، وأن الله ما تكلم حقيقة.لأنهم إذا أسقطوا الوحي وقطعوا عليك طريق الوحي فسيتساوى قولُ محمد مع قولِ أي بشرٍ من الناس.

صفة الكلام تأتي–من حيث الأهمية–مع صفة العُلو لله سبحانه وتعالى؛ لذلك اهتم بهما أئمة السلف، وأكدوا على ثُبوتهما لله تعالى حقيقة، وأوردوا في ذلك أدلة كثيرة.

وبالنسبة لصفة الكلام التي هي موضوع حديثنا هنا فإن علماء أهل السنة بينوا الحق في

هذه المسألة ووقفوا موقفاً عظيماً صلباً حتى إنه كما هو معلوم في زمن فتنةَ القولِ بخلقِ القرآن، فقام المأمون وهو كان من المعتزلة ويتبنَّى قول المعتزلة، فعذَّب مَن عذَّب من العلماء وفصَلَهم عن وظائفهم وسجنهم وقام بتعذيبهم لأجلِ أن يرفعَ هذا الشعار؛ أن القرآنَ مخلوق وأنه ليس كلامُ الله حقيقة.

فدفع أهل السنة شبهات المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومَن دَار في فَلَكهم القائلين بأنَّ الله خلق القرآن في غيره، وردوا كذلك على الكلَّابية الذين قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله، وردوا–أيضًا–على الأشاعرة الذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله.

فالمعطلة أرادوا بقولهم هذا: إسقاط قيمة الوحي؛ ليصبح لدى الناس خلل في اتباع الوحي، فأهل السنة يؤمنون بأن أول مصدر للتشريع هو وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ، أي: كلامه بحروفه ومعانيه، وأن الله تعالى قاله بحرف وصوت.

وأوَّل مَن عُرف أنه قال: مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان.

وأول مَن عُرف أنه قال: هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، (ت: ٢٤١ هـ)، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول؛ فمنهم مَن قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرَّبِّ، ومعنى القرآن كله والتوراة والإنجيل وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يَتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به، بل هو مخلوق خلقه في غيره.

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار؛ فإنَّه مِن المعلوم بصريح العقل أن معنى (آية الكرسي) ليس معنى (آية الدَّيْن)، ولا معنى ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: الآية: ١]، معنى ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد: الآية: ١]؛ فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة وخطابه لملائكته وحسابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه؟!

ومنهم مَن قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يَزل ولا يزال موصوفًا بها.

وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل ولا يزال يقول: يا نوح، يا إبراهيم، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين، ولم

يقل أحدٌ من السلف: إنَّ هذا القرآن عبارة عن كلام الله، ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم أو غير مخلوق، فضلًا عن أن يقول: إن صوتي به قديم أو غير مخلوق؛ بل كانوا يقولون بما دلَّ عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يَقرءونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مَخلوق"[١]

وأما المعتزلة والجهمية فقالوا: القرآن كلام الله مخلوق؛ فهم أضافوا الكلام إلى الله من باب إضافة الوصف على حد قولهم: (ناقة الله).

ومن المتفلسفة مَن يزعم أن المعاني والحروف تأليفه؛ لكنها فاضت عليه كما يفيض العلم على غيره من العلماء.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٠١، ٣٠٢).

المسألة الثانية: الأقوال في كلام الله.[١].

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "مسألة كلام الله تعالى، والناس فيها مضطربون، وقد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال: وعامة الكتب المصنفة في الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها إلا بعض هذه الأقوال إذ لم يعرفوا غير ما ذكروه، فمنهم من يذكر قولين، ومنهم من يذكر ثلاثة، ومنهم من يذكر أربعة، ومنهم من يذكر خمسة، وأكثرهم لا يعرفون قول السلف.

- **أحدها**: قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض: إما من العقل الفعال عند بعضهم، وإما من غيره.

وهذا قول الصابئة والمتفلسفة الموافقين لهم كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم كأصحاب وحدة الوجود.وفي كلام صاحب الكتب "المضنون بها على غير أهلها" (بل "المضنون الكبير والمضنون الصغير") ورسالة "مشكاة الأنوار" وأمثاله ما قد يشار به إلى هذا، وهو في غير ذلك من كتبه يقول ضد هذا، لكن كلامه يوافق هؤلاء تارة وتارة يخالفه، وآخر أمره استقر على مخالفتهم ومطالعة الأحاديث النبوية.

وثانيها: قول من يقول: إنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه.

---

(١) لخص شارح العقيدة الطحاوية أقوال المخالفين في صفة الكلام فقال: "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال: **أحدها**: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة. **وثانيها**: أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه، وهذا قول المعتزلة. **وثالثها**: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبريه كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره. **ورابعها**: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث. **وخامسها**: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما، وهذا قول الكرامية وغيرهم. **وسادسها**: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل إليه الرازي في المطالب العالية. **وسابعها**: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي. **وثامنها**: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول أبي المعالي ومن تبعه. **وتاسعها**: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة". شرح العقيدة الطحاوية ١/ ١٧٢-١٧٤.

وهذا قول هذا الإمامي وأمثاله من الرافضة المتأخرين، والزيدية، والمعتزلة، والجهمية.

وثالثها: قول من يقول: إنه معنى واحد قديم قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة.

وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره.

ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل.

وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث.ذكره الأشعري في " المقالات " عن طائفة.وهو الذي يذكر عن السالمية ونحوهم.وهؤلاء

قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من القارئ، أو هي بعض الصوت المسموع من القارئ.

وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، قالوا: هذا مخالف لضرورة العقل.

وخامسها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات لكن تكلم به بعد أن لم يكن متكلما، وكلامه حادث في ذاته كما أن فعله حادث في ذاته بعد أن لم يكن متكلما ولا فاعلا.وهذا قول الكرامية وغيرهم.

وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة.وهؤلاء منهم من يقول: هو حادث وليس بمحدث، ومنهم من يقول: بل هو محدث أيضا.وقد ذكر القولين الأشعري عنهم في "المقالات" وذكر الخلاف بين أبي معاذ التومني وبين زهير الأثري.والكرامية يقولون: حادث لا محدث.

وسادسها: قول من يقول: إنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، م وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديما.

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وسابعها: قول من يقول: كلامه يرجع إلى ما يحدث من علمه وإرادته القائم بذاته.ثم من هؤلاء من يقول: لم يزل ذاك حادثا في ذاته، كما يقوله أبو البركات صاحب "المعتبر" وغيره،

ومنهم من لا يقول بذلك، وأبو عبد الله الرازي يقول بهذا القول في مثل " المطالب العالية ".

وثامنها: قول من يقول: كلامه يتضمن معنى قائما بذاته وهو ما خلقه في غيره.ثم من هؤلاء من يقول في ذلك المعنى بقول ابن كلاب، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

ومنهم من يقول بقول المتفلسفة وهذا قول طائفة من الملاحدة الباطنية متشيعهم ومتصوفيهم.

وتاسعها: قول من يقول: كلام الله مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.وهذا قول أبي المعالي ومن اتبعه من متأخري الأشعرية".[١]

وفصل ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) هذه الأقوال فقال: "فصل: اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى،

[مذهب الاتحادية]

فذهب الاتحادية القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله: نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش، وأضداده كله غير كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ...سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله، وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة.

أحدهما: إنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجودا لكان إما داخل العالم وإما خارجا عنه،

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٥٨-٣٦٣).

وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائما بنفسه، فإما أن يكون مباينا للعالم أو محايثا له، إما داخلا فيه وإما خارجا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مباينا له ولا حالا فيه، إذ هو عينه، والشيء لا ينافي نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده وبالحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه، لا داخل العالم ولا خارجا، ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه، فرارا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة.ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما.

أحدهما: أن يكون ساريا فيه حالا فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج، فيكون وجوده سبحانه وجودا عقليا، إذ لو كان موجودا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنا عنه أو حالا فيه، كلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم، فله حينئذ كل اسم حسن قبيح، وكل صفة كمال ونقص، وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

[مذهب الفلاسفة المتأخرين]

المذهب الثاني: مذهب الفلاسفة المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، لهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور وقوة التخييل وقوة التعبير، فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له في الخارج، وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية، قالوا وربما قويت هذه القوة على إسماع

ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج.

فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته وأنبيائه ورسله، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه، وهو القائم بنفسه المباين العالي فوق سماواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

[مذهب المعتزلة]

المذهب الثالث: مذهب الجهمية لصفات الرب تعالى أن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته، فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في فروعه، قال الأشعري في كتاب المقالات: اختلفت المعتزلة في كلام الله، هل هو جسم أو ليس بجسم، وفي خلقه على ستة أقاويل:

فالفرقة الأولى: منهم يزعمون أن كلام الله جسم، وأنه مخلوق، وأنه لا شيء إلا جسم.

والفرقة الثانية: زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة؛ لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة وأن كلام الخالق جسم، وأن ذلك الجسم صوت متقطع مؤلف مسموع، وهو فعل الله وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه، وأحال النظام أن يكون كلام الله في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد، وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه.

والفرقة الثالثة: من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق لله وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه قال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال.

والفرقة الرابعة: يزعمون أن كلام الله عز وجل عرض وأنه مخلوق وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد، وزعموا أن المكان الذي خلقه الله تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين.

والفرقة الخامسة: أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم

منهما يفعله الأحياء وقسم منهما يفعله الأموات، ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلا للأحياء، والقرآن مفعول وهو عرض، ومحال أن يكون الله فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه، إذ سمع من الشجرة، فهو فعل لها حيث سمع، فهو فعل المحل الذي حل فيه.

والفرقة السادسة: يزعمون أن كلام الله عرض مخلوق، وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافي.

واختلفت المعتزلة في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى إنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يعدم بعد ذلك، وهذا المذهب هو من فروع الأصل الباطل المخالف لجميع كتب الله ورسله، ولصريح المعقول والفطر، من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه ونفي قيام الأفعال به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته، فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه، يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته، إذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهي ولوازمها وذلك ينفي حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن الله سبحانه ليس برب العالم ولا إله، فضلا عن أن يكون لا رب غيره ولا إله سواه.

[مذهب الكلابية]

المذهب الرابع: مذهب الكلابية، أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، وهو أربع معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب، وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلا

للحوادث، فهي مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو غير مخلوق.

[مذهب الأشعري]

المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء ولا عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا، وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، وأنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنا وتوراة وإنجيلا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة، ويجوز أن يرى ويشم، ويذاق ويلمس، ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة من الرائي، وأنه يرى حقيقة وليس مقابلا للرائي.

هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام.

والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق، ومن عداهم أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته إرادته ومشيئته.

[مذهب الكرامية]

المذهب السادس: مذهب الكرامية، وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلما، كما يقوله سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد

أن لم يكن فاعلا، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاما وفعلا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لهما أولا، فرارا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعون أبطلوا حقيقة الكلام والفعل، وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائما بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولا لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئا خارجا عنهما، فهم لم يثبتوا له كلاما ولا فعلا وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلما بعد أن لم يكن متكلما، كما جعله خصومهم فاعلا بعد أن لم يكن فاعلا.

[مذهب السالمية] (١)

المذهب السابع: مذهب السالمية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، وسور وآيات سمعه جبرائيل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة وبغير واسطة ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.

والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها، وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل، والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها.

---

(١) "جماعة ينسبون إِلَى مَذْهَب أبي الحسن مُحَمَّد بن أَحمد بن سالم السالمي فِي الْأُصُول يُقَال لَهُم السالمية وَهُوَ مَذْهَب مَشْهُور بِالْبَصْرَة وسوادها"اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ٩٣).

وقال الذهبي عن أبي الحسن البصري هذا: "وَلَهُ أَصْحَابٌ يُسَمَّوْنَ السَّالِمِيَّة، هجرهُمُ النَّاسُ لأَلْفَاظِ هُجنَةٍ أطلقُوهَا وَذَكَرُوهَا ... وَمَاتَ ابْنُ سَالِمٍ وَقَدْ قَاربَ التِّسْعِيْنَ سَنَةَ بضع وَخَمْسِيْنَ وَثَلاَثِ مِائَةٍ" – سير أعلام النبلاء – ط الرسالة (١٦/ ٢٧٣).



المسألة الثالثة: قول أهل السنة في القرآن و أنه كلام الله

صفة الكلام من الصفات التي لها تشعبات كثيرة متعددة يحسن عند عرضها أن يكون العرض لها مفصلًا بحسب تلك التفريعات التي سأضع لها عناوين جانبية مما يساعد من جهة على التعرف على قول أهل السنة بشكل أدق، والتعرف على أقوال المخالفين حين عرضها في تلك الجزئيات من جهة أخرى.

أولًا: إثبات صفة الكلام لله-عزوجل-.

يثبت أتباع الرسل صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتوا له سائر الصفات، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيامها بغير الموصوف بها كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم به دون المحل، قالوا والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وإرادته قائما به، لا يعقل غير هذا، وأما ما كان موجودا بدون قدرته ومشيئته وإن سمع منه فإنه ليس بكلام له، وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع، قالوا: ولو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثم صفة كلام البتة، ولو كان عاجزا عن الكلام في الأزل لم يصر قادرا عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدا لها بالكلية.

وكذلك إثبات قدم عين كل فرد من أنواع الكلام وبقائه أزلا وأبدا واقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة وقد دلت النصوص النبوية أنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يسمع، وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقا، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قاله بنفسه: ﴿**المص**﴾ [الأعراف: الآية: ١]، ﴿**حم عسق**﴾ [الشورى: الآية: ١]، ﴿**كهيعص**﴾ [مريم: الآية: ١].

وأن القرآن جميعه، حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديما، وهو المعنى وبعضه مخلوق، وهو الكلمات والحروف، ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبرائيل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل عن رب

العالمين.

فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء، كما يقول أهل الزيغ والاعتداء، فكتاب الله عندهم غير كلامه، كتابه مخلوق وكلامه غير مخلوق، والقرآن إن أريد به الكتاب كان مخلوقا، وإن أريد به الكلام كان غير مخلوق، وعندهم أن الذي قال السلف هو غير مخلوق هو عين القائم بالنفس وأما ما جاء به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق، وهو عبارة عن ذلك المعنى، وعندهم أن الله تعالى لم يكلم موسى، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أن يسمع منه كلمة واحدة، وما يقرؤه القارئون ويتلوه التالون فهو عبارة عن ذلك المعنى، وفرعوا على هذا الأصل فروعا: منها: أن كلام الله لا يتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه، ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.

ومنها: أن هذا الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

ومنها: أنه لا يقال إن الله تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى صفة أزلية لا يتعلق بالمشيئة.

ومنها: أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول والتنزيل لا حقيقة لشيء منها عندهم.

ومنها: أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزء له البتة.

ومنها: أن معنى الأمر هو معنى النهي، ومعنى الخبر والاستخبار، وكل ذلك معنى واحد بالعين.

ومنها: أن نفس التوراة هي نفس القرآن ونفس الإنجيل والزبور، والاختلاف في التأويلات فقط.

ومنها: أن هذا القرآن العربي تأليف جبرائيل أو محمد أو مخلوق خلقه الله تعالى في اللوح المحفوظ، فنزل به جبرائيل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم.

ومنها: أن ذلك العين القديم يجور أن تتعلق به الإدراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم

ويذاق ويلمس إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعا وعقلا وفطرة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [النحل: الآية: ٤٠] ، وقوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: الآية: ٨٢] فإذا: تخلص الفعل للاستقبال (وأن) كذلك (ونقول) فعل دال على الحال والاستقبال (وكن) حرفان يسبق أحدهما الآخر، فالذي اقتضته هذه الآية هو الذي في صريح العقول والفطر.

وكذلك قوله: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً**﴾ [الإسراء: الآية: ١٦] الآية، سواء كان الأمر هاهنا أمر تكوين أو أمر تشريع فهو موجود بعد أن لم يكن، وكذلك قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١١] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] الآيات كلها، فكم من برهان يدل على أن التكلم هو الخطاب وقع في ذلك الوقت.

وكذلك قوله: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ**﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، والذي ناداه هو الذي قال له: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ [طه: الآية: ١٤]، وكذلك قوله: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ**﴾ [القصص: الآية: ٦٢]، وقوله: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ [سبأ: الآية: ٤٠] وقوله: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ**﴾ [ق: الآية: ٣٠] الآية، ومحال أن يقول سبحانه لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قبل خلقها ووجودها.

وتأمل نصوص القرآن من أوله إلى آخره ونصوص السنة، ولا سيما أحاديث الشفاعة

وحديث المعراج وغيرها، كقوله:" (**أتدرون ماذا قال ربكم الليلة**).[١]، وقوله: " (**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة**).[٢]، وقوله: " (**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حاجب**).[٣].

وقد أخبر الصادق المصدوق أنه يكلم ملائكته في الدنيا فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي، ويكلمهم يوم القيامة، ويكلم أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين يومئذ ويكلم أهل الجنة في الجنة ويسلم عليهم في منازلهم، وأنه كل ليلة يقول: (**من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يقرض غير عديم ولا ظلوم**).[٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحا**).[٥]، ومعلوم أنه في ذلك الوقت كلمه وقال له: تمن علي.

إلى أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر، وأوضح من كل واضح، فكم جهد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل على المجاز.

هب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟ ولا تستبعد قولنا أكثر

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه أبو داود (٩٢٤) واللفظ له، والنسائي (١٢٢١) باختلاف يسير. وأخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٧٥٢٢) مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦) باختلاف يسير.

(٤) أخرجه البخاري (١١٤٥) بنحوه، ومسلم (٧٥٨) باختلاف يسير.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٠١٠) واللفظ له، وابن ماجه (١٩٠) باختلاف يسير، وأحمد (١٤٨٨١) مختصراً.

من ثلاث آلاف، فكل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه الإخبار عما قال الله تعالى أو يقول، وكل أثر فيه ذلك، إذا استقرئت زادت على هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله لموسى، وأحاديث تكلمه عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداء، وأحاديث تكليم كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجاز لا حقيقة له، سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر، وكانت أشجار الأرض أقلاما يكتب بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك، وأنك لك الخلق والأمر، فأنت الخالق حقيقة".[(١)]

قال ابنُ تَيميَّةَ–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الرب تعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته، فيمتنع أن يزول عنه شيء من صفات كماله، ويمتنع أن يصير ناقصا بعد كماله. وهذا الأصل عليه قول السلف وأهل السنة: أنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم يزل قادرا، ولم يزل موصوفا بصفات الكمال، ولا يزال كذلك".[(٢)]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ولا نزاع بين العلماء أن كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله، ولا يباينه كلامه، ولا شيء من صفاته، بل ليس صفة شيء من موصوف تباين موصوفها وتنتقل عنه إلى غيره. فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه، وينتقل إلى غيره".[(٣)]

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٩٤-٥٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٥).

صفة ذات وفعل".[1]

فصفة الكلام صفة ذاتية فعلية [2].فكلام الله عز وجل باعتبار أصله ونوعه: صفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده: صفة فعل".[3]

وقال السعدي–رحمه الله–(ت: ١٣٧٦ هـ): "يصفونه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات الذاتية؛ كالحياة الكاملة، والسمع والبصر، وكمال القدرة، والعظمة والكبرياء، والمجد والجلال والجمال، والحمد المطلق، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته؛ كالرحمة، والرضا، والسخط، والكلام، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء، وكلماته لا تنفد، ولا تبيد".[4]

أ–الأدلة من القرآن.

وقد أثبت الله الكلام لنفسه، خلافًا لما يعتقده الضالون،

١ – قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣].

٢ – وقالَ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: الآية: ١٦٤].

٣ – وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

٤ – وقال تعالى: ﴿**وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى.إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: الآيات: ١٣ – ١٤].

٥ – وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [القصص: الآية: ٣٠].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ١٣١٨).

(٢) "الصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمى: صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى: صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك: صفة الكلام"يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥).

(٣) يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥)

(٤) القول السديد (ص: ٨). يُنظر: القواعد المثلى، لابن عثيمين (ص: ٢٥).

٦ – وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: الآية: ٤٠].

– وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

٨ – وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: الآية: ١١٥].

٩ – وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ﴾ [الفتح: الآية: ١٥].

١٠ – وقال تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٧٥].

١١ – وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: الآية: ٦].

وأمَّا الأدلَّةُ على حِرْمانِ أقوامٍ من تكليمِ الله لهم، فمنها:

١ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: الآيات: ١٧٤ – ١٧٥].

٢ – وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧].

والآيات في ذلك كثيرةٌ جدًا.

ب–الأدلة من السنة.

١– **حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–

قال: (احتجّ آدمُ وموسى، فقالَ له موسى: يا آدم، أنتَ أبونا، خَيَّبْتنا وأخرَجْتَنا من الجنَّة، قال له آدم: يا موسى، اصطفاكَ الله بكلامِهِ، وخَطَّ لكَ [التوراةَ] بيدِهِ، أتلومُني على أمْرٍ قدَّرهُ الله عليَّ قبلَ أن يخلقَني بأربعينَ سنةً؟ فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى –ثلاثًا–).(١)

٢- **حديث جابر بن عبد الله–رضي الله عنه–(ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)**، قال: "كانَ النبيُّ–صلى الله عليه وسلم–يَعْرِضُ نفسَه على الناس بالموقفِ فيقول: (**هلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُني إلى قومِهِ؟ فإنَّ قريشًا قدْ مَنعوني أن أبلِّغَ كلامَ رَبِّي عَزَّ وجلَّ**).الحديث.(٢).

٣ – **حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "فضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِه".(٣)

٤ –**حديث أبي أمامةَ–رضي الله عنه–(ت: ٨١ أو ٨٦ هـ)** أنَّ رجلًا أتى النبيَّ–صلى الله عليه وسلم–قال: يا نبيَّ الله، أنبيًّا كانَ آدمُ؟ قالَ: (**نَعَمْ، مُكَلَّمًا**).قَالَ: كم بينَه وبينَ نُوحٍ؟ قالَ: (**عَشرةُ قُرون**).(٤)

٥ –**حديث النعمان بن بشير–رضي الله عنه–(ت: ٦٥ هـ)**، عن النبي –صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٦٠)، (٩/ ٣٨٨)، (١١/ ٥٤٨–٥٤٩)، ومسلم رقم: (١٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٠)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجة (٢٠١)، والدارمي (٣٣٥٧)، والنسائي في "الكبرى" –كما في "تحفة الأشراف" (٢/ ١٧٥)–، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٨٦، ٢٠٥)، وعثمان الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٢٨٤)، والحاكم (٢/ ٦١٢ – ٦١٣)، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" رقم (٢١٧)، واللالكائي في "السنة" رقم (٥٥٤، ٥٥٥)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص: ١٠٠)، و"الأسماء والصفات" (ص: ١٨٧)، و"دلائل النبوة" (٢/ ٤١٣)، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني في "الحجة" (ق ٤٨/ أ–ب) من طرق عن إسرائيل: حدثنا عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

(٣) أخرجه عثمان الدارميُّ في "الرَّدِّ على الجَهْميَّة" رقم (٢٨٧، ٣٤٠)، واللالكائي رقم (٥٥٧)، والترمذي رقم (٢٩٢٦)، والدارمي رقم (٣٣٥٩)..

(٤) أخرجه الدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٢٩٩)، وابن حبان رقم (٢٠٨٥–موارد)، والطبراني في "الكبير" (٨/ ١٣٩–١٤٠)، و"الأوسط" رقم (٤٠٥)، والحاكم (٢/ ٢٦٢)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص: ٢٠٦)، وابن عساكر (٢/ ٣٢٥/ ب)، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"وأقرّه الذهبي، وابن كثير في "البداية والنهاية" (١/ ١٠١). وقال الهيثمي في "المجمع" (١/ ١٩٦) و (٨/ ٢١٠): "رجاله رجال الصحيح" زاد في الموضع الثاني: "غير أحمد بن خُليد الحلبي وهو ثقة"

وسلم- قال: (إنَّ الله كَتَبَ كتابًا قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفَي عام، فأنزلَ منه آيتين ختمَ بِهما سورةَ البقرةِ، فلا تقْرآنِ في "دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقرَبُها شَيْطانٌ).(١)

٦-**حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (**يَقبِضُ الله الأرضَ، ويَطْوِي السَّماواتِ بيمينه، ثمَّ يقول: أنا المَلِكُ؛ أَينَ مُلوكُ الأرضِ؟ " وفي لفظ: "يَقبِضُّ الله الأرضَ يوم القيامة** ...).(٢)

٧- **وحديث عَدِيّ بنِ حاتِمٍ-رضي الله عنهما-(ت: ٦٦ أو ٦٩ هـ)**، قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-:

(ما مِنْكمْ من أحَدٍ إلا سيكلِّمُهُ الله، ليسَ بينَه وبينَه تُرْجُمانٌ، فينظُرُ أيْمَنَ منه فلا يَرى إلاَّ ما قدَّم، وينظُرُ بينَ يدَيْهِ فَلَا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلقاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تَمْرةٍ).

وفي لَفْظٍ: **(ما مِنْكُمْ من أحْدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ليسَ بينه وبينَه تُرْجُمانٌ ولا حِجَابٌ يَحْجُبُه).**(٣)

وبوَّب البخاري في «صحيحه» على ذلك فقال: «باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة»(٤)، وقال لأهل النار: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: الآية: ١٠٨].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٤)، والترمذي رقم (٢٨٨٢)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٩٦٧)، والدارمي رقم (٢٢٩٠)، وابن حبان رقم (١٧٢٦ - موارد)، والحاكم ١/ ٥٦٢ أو البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص: ٢٣١ – ٢٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥١) و (١١/ ٣٧٢) و (١٣/ ٣٦٧)، ومسلم رقم (٢٧٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٦)، والبخاري (١١/ ٤٠٠) و (١٣/ ٤٢٣، ٤٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٠٣-٧٠٤).

(٤) «صحيح البخاري» (٩/ ١٥١).

ثانيًا: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء.

قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته على قولين،

فقالت طائفة: كلامه بغير مشيئته واختياره، ثم انقسم هؤلاء أربع فرق،

١–قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو.

٢–وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم، وهو قول الكلابية ومن تبعهم، وانقسم هؤلاء فريقين،

فرقة قالت: هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذا الأربعة، وفرقة قالت: بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض.

وفرقة قالت: كلامه هو هذه الحروف والأصوات، خلقها خارجة عن ذاته، فصار بها متكلما، وهذا قول المعتزلة وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم.

٣–وفرقة قالت: يتكلم بقدرته ومشيئته كلاما قائما بذاته سبحانه كما يقول به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلما بعد أن لم يكن متكلما كما قاله من لم يصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلا بعد أن لم يكن، فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية.

٤–وفرقة قالت: يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه، كما يقوله طوائف الاتحادية.

وقال أهل الحديث والسنة: إنه لم يزل سبحانه متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتجدد له هذه الصفة، بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، وليس متحدا بهم ولا حالا فيهم".[١]

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٧–٥٢٨).

قال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "بل نقول: إن الله لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام.ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا، ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة".(١)

وقال عبد المغني المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٠٠ هـ): "مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب".(٢)

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-(ت: ٧٩٢ هـ): "والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى؛ فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك ...كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف".(٣)

قال عبد الباقي المواهبي الحنبلي-رحمه الله-(ت ١٠٧١ هـ): "قال الأئمة: إن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته، بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء، فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لم يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته، أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له".(٤)

---

(١) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص: ١٣٩).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (١/ ١٣٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٩٢).

(٤) كتاب العين والأثر في في عقائد أهل الأثر (ص: ٦٨).

ثالثًا: القرآن كلام الله.

من أركان الإيمان السِّتة: الإيمانُ بالكُتُبِ التي أنزلها اللهُ، كما دلَّ على ذلك قولُه سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: الآية: ١٣٦]، وكذلك جاء في حديث جبريل عليه السلام، وفيه: (الإيمان)، قال: (**أن تُؤمن باللهِ، ومَلائكتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخِر، وتُؤمن بالقَدَرِ؛ خَيْرِه وشَرِّه**).[١]

ومن الإيمانِ بالكتب: الإيمانُ بِأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ.

والقرآنُ في الأصل: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ [القيامة: ١٧]، أي: قراءته، فهو مَصدر على وزن فُعلان -بالضم- كالغُفران والشُّكران.[٢]

وفي الاصطلاح هو: «كلام الله المنَزَّل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، المعجز بلفظه ومعناه، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس".[٣]

والقرآنُ كلامُ الله، وهو صِفَةٌ مِن صِفَاتِهِ عز وجل؛ قال تَعَالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: الآية:٦]، وروي عن **جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-(ت: ما بين ٧٣ إلى ٧٧ هـ)** أنه قَالَ: "كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفسَهُ فِي المَوْسِمِ؛ فَيَقُولُ: (**أَلَا رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ لِأُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**).[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨) من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما-.

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ١٢٩)، ومناهل العرفان للزرقاني (١/ ٧).

(٣) انظر: مناهل العرفان (١/ ١٠-١٣)، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان (ص: ٢٠-٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، والحاكم (٢/ ٦٦٩) وصححه، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-، وقال في «المجمع» (٦/ ٣٥): «رجاله ثقات"

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "إنَّ سلفَ الأمَّةِ وأئمَّتَها كانوا على الإيمان الذي بعثَ الله به نبيَّه-صلى الله عليه وسلم-، يصِفون الله بما وصَف به نفسَه، وبما وصَفَه به رسولُهُ من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ويقولون: إنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، ويصفونَ الله بما وصفَ به نفسَهُ، من التكليمِ، والمناجاة، والمناداةِ، وما جاءت به السُّنَنُ والآثارُ موافقةً لكتاب الله تعالى".[1]

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥١٨).

رابعًا: القرآن غير مخلوق.[١].

الذِي عَلَيهِ إِجماعُ السَّلفِ الصَّالحِ مِنَ الصَّحابةِ-رضي الله عنهم-وَالتَّابعِينَ لَهم بِإحسَانٍ: أَنَّ القرانَ كلامُ اللهِ غَيرُ مَخلوقٍ؛ حُرُوفه وَمَعَانيه، مُنَزَّلٌ مِن عِندِ اللهِ؛ نَزَلَ بِهِ جِبريلُ عليه السلام إِلَى نَبِيّنَا ﷺ.فكلامُ الله تعالى صفةٌ من صفاتهِ غيرُ مَخلوقٍ كسائر صِفاتِه، سَواء كان القرآن العربيَّ، أوِ التَّوراةَ العِبريَّةَ، أو غيرَ ذلك من كلامِهِ تعالى، ممَّا وقَعَ من كلامِهِ، وممَّا لَم يقع بَعْدُ.

ولَقَدْ كانَ السَّلفُ في صَدْرِ الإِسلام في غِنًى عن إطلاقِ لفظِ (غير مخلوق) لأنَّه كانَ من المسَلَّمِ عندهم أنَّ كلامَ الله صفةٌ مِن صفاتِهِ، وصفاتُهُ غيرُ مَخلوقةٍ، حتى ظَهَرت الجَهمِيةُ، فنفَتْ صفةَ الكلامِ عن الله تعالى، لكنْ لما كانَ هذا القولُ منكَراً شَنيعاً، تَنفرُ منه قلوبُ الناسِ، وتقشَعِرُّ منه جلودُهم، ويرفُضُهُ إيمانُهُمْ، أبدَلوهُ بقَوْلِهم: كلامُ الله مَخْلوقٌ، فتظاهَروا بإثباتِ الكلامِ، وأبطلُوهُ بقولهم: مخلوقٌ.

فلمَّا كانَ حقيقةُ قَوْلِهم إبطالَ صفةِ الكلامِ وتَعطيلَها قابَلهم السَّلَفُ برفْضِ هذهِ البدعةِ وإنكارِها، والتَّشديدِ عليهم في ذلكَ، بل وتكفيرِهم، لأنَّ حقيقةَ قولهم الكفرُ، لِما تضمَّنَ من تكذيبِ القرآنِ، وإثبات النَّقْصِ للرَّحمنِ، فقالَ السَّلَفُ حينئذٍ: (كلامُ الله -كالقرآن وغيره- غيرُ مخلوقٍ).

ولَقَدْ كانَتْ لهذه العقيدةُ مبنيَّةً على أسُسٍ متينةٍ وقَواعدَ عظيمةٍ من الكتابِ والسُّنَّةِ، والمعقولِ الصَّريحِ، ونُصوصِ السَّلَفِ وكَلامِهم، خِلافًا لما يحسَبُه الجاهلونَ.

---

(١) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

الأدلة من القرآن الكريم:

١ - قالَ الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤].

والاحتجاجُ بهذه الآيةِ من وَجْهَيْن:

الأول: أنَّه تعالى فرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ، وهما صِفَتان من صِفاتِهِ، أضافَهما إلى نفسهِ، أمَّا الخَلْقُ فَفِعْلُهُ، وأمَّا الأَمرُ فقولُهُ، والأصْلُ في المتعاطفين التَّغايُرُ إلاَّ إذا قامَتِ القرينةُ على عَدم إرادَة ذَلكَ، وهنا قد قامتِ القرائنُ على توكيدِ الفَرْقِ بَيْنَهُما، ومنها الوجهُ الآتي.

والثاني: أنَّ الخَلقَ إنَّما يكونُ بالأمْرِ، كَما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس: الآية: ٨٢].

فقوله تعالى: ﴿**كُنْ**﴾ هو أمْرُهُ، فلو كانَ مَخْلوقاً لاحتاجَ خلقُهُ إلى أمْرٍ، والأمْرُ إلى أمرٍ، إلى ما لا نِهاية، وهذا باطلٌ.

وقد احَتجَّ الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) على الجَهْمِيَّة المعْتزلةِ بهذه الآية.

قال-رحمه الله-: "قلتُ: قال الله: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، ففرَّقَ بين الخَلْقِ والأمْرِ".(١)

وقال لهم: "قال الله: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللهِ** ...﴾ [النحل: الآية: ١] فأمْرُهُ كلامُه واستطاعَتُهُ ليسَ بمخلوقٍ، فلا تَضْرِبوا كِتابَ الله بعضَهُ ببعضٍ".(٢)

وقالَ فيما كتَبَهُ للمتوكِّلِ حينَ سألَهُ عن مَسألةِ القرآنِ: "وقَدْ قالَ الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ...﴾ [التوبة: الآية: ٦]، وقَالَ: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فَأخبَرَ بالخَلْقِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿**والأمْرُ**﴾، فأخبرَ أنَّ

---

(١) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٥٣) عن أحمد.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٥٤) عنه.

الأمرَ غَيْرُ مَخلوقٍ".[1]

وقد سبَقَ الإمامَ أحمد إلى هذا الاحتجاج شيخُه الإمامُ **سفيانُ بن عُيَيْنَةَ الهِلاليُّ–الحافظُ الثِّقَةُ الحُجَّةُ–(ت: ١٩٨ هـ)**، فقالَ رَحِمه الله: "ما يَقولُ هذا الدُّوَيْبَّةُ؟ " –يعني بشرًا المريسِيّ–.

قالوا: يا أبا محمَّدٍ، يزعُمُ أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ،

فقالَ: "كَذَبَ، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤]، فالخَلْقُ خَلْقُ الله تبارك وتعالى، والأمْرُ القرآنُ".[2]

قال الحافظُ هبةُ الله ابنُ الطَّبَرِيّ–رحمه الله–(ت: ٤١٨ هـ)، عقبَ هذا: "وكذلكَ قالَ أحمدُ بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، ونُعَيْمُ بن حمَّادٍ (ت: ٢٢٨ هـ)، ومحمَّدُ بن يحيى الذُّهْليُّ (ت: ٢٥٨ هـ)، وعَبْدُ السَّلام بن عاصمٍ الرازيُّ، وأحمدُ بن سِنانٍ الواسطيُّ (ت: ٢٥٦ هـ)، وأبو حاتِمٍ الرازيُّ (ت: ٢٧٧ هـ)".[3]

٢ – وقالَ تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ**﴾ [الرحمن: الآيات: ١ – ٣].

ففرَّقَ تعالى بينَ عِلمهِ وخَلْقِهِ، فالقرآنُ عِلْمُهُ، والإنسانُ خلقُهُ، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ.

قالَ تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤٠].

وقالَ تعالى: ﴿...**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٤٥].

وقالَ تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**

(١) رواه صالح ابنه في "المحنة" روايته (ص: ١٢٠–١٢١).

(٢) رواه الآجري في "الشريعة" (ص: ٨٠)، وابن الطبري في "السنة" رقم (٣٥٨) والخطيب في "تاريخ بغداد" (٩/ ٨٨–٨٩) بسند جيد عنه.

(٣) ابن الطبري في "السنة" رقم (٣٥٨).

مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: الآية: ٣٧].

فسمَّى الله تعالى القرآنَ عِلْماً، إذْ هو الذي جاءَه مِنْ رَبِّهِ؟ وهو الذي عَلَّمهُ الله تعالى إيَّاه -صلى الله عليه وسلم-، وعِلْمُهُ تعالى غيرُ مَخلوقٍ، إذ لو كانَ مخلوقًا لاتَّصَفَ تعالى بِضدِّهِ قبلَ الخَلْقِ، تعالى الله عن ذلك وتنزَّه وتقدَّس.

وبهذا احتجَّ **الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)**، على الجَهْمية فيما كتبَهُ للمتوكِّل في مسألة القرآنِ.

قالَ-رحمه الله-: "قالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾، فَأخبرَ تَعالى أنَّ القرآنَ مِنْ عِلْمِهِ" ثمَّ احتجَّ بالآياتِ الثلاثِ المذكوراتِ، ثمَّ قال: "فالقرآنُ من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليلٌ على أنَّ الذي جاءَه -صلى الله عليه وسلم- هو القرآنُ، لقولِهِ: ﴿**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]".[1]

وقالَ-رحِمَه الله-في حكايةِ مُناظرتِهِ للجَهْميةِ في مَجْلس المعتصِم: "قالَ لي عبدُ الرَّحمن القزّازُ[2]: كانَ اللهُ ولا قرآنَ، قلتُ له: فكانَ الله ولا عِلْم! فأمْسَكَ، ولَوْ زعَمَ أنَّ اللهَ كانَ ولا عِلْم لكفَرَ باللهِ".[3]

وقيلَ له-رحِمَه الله-: قومٌ يقولونَ: إذا قال الرَّجُلُ: كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، يقولون: مَنْ إمامُكَ في هذا؟ ومِنْ أيْنَ قلتَ: ليس بمخلوقٍ؟ قال:

"الحجَّة قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾ [البقرة: الآية: ١٢٠]، فما جاءَه غيرُ القرآن".

قال: "القرآنُ من عِلْمِ الله، وعلمُ الله ليسَ بمخلوقٍ، والقُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ، ومثلُ

(١) رواه صالح في "المحنة" (ص: ١٢١)، وعبد الله في "السنة" رقم (١٠٧) عن أبيهما به.

(٢) أحدُ مناظِري الإمام بحضرة المعتصم.

(٣) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٤٥)، عنه.

هذا في القرآنِ كثيرٌ". [١]

وقالَ رحِمَه الله: "القُرآنُ علمٌ مِنْ عِلمِ الله، فمَنْ زعَمَ أنَّ عِلمَ الله مخلوقٌ فهو كافرٌ". [٢]

٣ – وقالَ تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف: الآية: ١٠٩].

وقالَ تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان: الآية: ٢٧].

فأخبرَ تعالى –وقولُهُ الحَقُّ– أنَّ كَلِماتِهِ غيرُ مُتَناهِيَةٍ، فَلو أنَّ البحارَ التي خَلَقَ الله كانتْ مِدادًا تُكْتَبُ به، والشَّجَرَ الذي خلقَ الله أقلاماً تُخَطُّ بِهِ، لَنَفِدَ مِدادُ البُحورِ، وَلَفَنِيَت الأقْلامُ، ولم تَفْنَ كَلِماتُ الله.

وإنَّمَا في هذه الإبانةُ عن عَظَمَةِ كَلَامِهِ تعالى، وأنَّه وَصْفُهُ وَعِلْمُهُ، وهذا لا يُقاسُ بالكلامِ المخلوقِ الفاني، إذ لَوْ كان مخلوقًا لَفَنِيَ من قبلِ أنْ يَفنى بَحْرٌ من البُحورِ، ولكنَّ الله تعالى إنَّما كتَبَ الفناءَ على المخلوقِ لا عَلَى نفسِهِ وصفَتِهِ.

٤ – أسماءُ الله تعالى في القُرآنِ، كـ (الله، الرحمن، الرحيم، السميع، العليم، الغفور، الكريم ...) وغيرها من أسمائِهِ الحُسْنى، وهي من كلامِهِ، إذ هو الذي سَمَّى بها نفسَه، بألفاظِها وَمَعانِيها.

وقد ساوى الله تعالى بين تَسبيحِ نَفْسِهِ وتَسبيحِ أسمائِهِ، فقال تعالى: ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٢]، وقال: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى: الآية: ١]، وقال: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٤، ٩٦ والحاقة: الآية: ٥٢].

وساوى تعالى بين دُعائِهِ بنفسهِ ودُعائِهِ بأسمائِهِ، فقال: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٥] وقال: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ**

---

(١) رواه صالح في "المحنة" (ص: ٦٩)، عنه.

(٢) رواه ابن هانئ في "المسائل" (٢/ ١٥٣، ١٥٤)، عنه.

﴿الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: الآية: ١١٠] وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية: ١٨٠].

وكذلك ساوى تعالى بين ذِكْرِهِ بنفسهِ وذِكْرِهِ بأسمائِهِ، فقالَ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: الآية: ٢٠٥] وقالَ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: الآية: ٢٥].

وهذا التَّسبيحُ والدُّعاءُ والذِّكْرُ إنْ كانَ يَقَعُ لِمخلوقٍ كان كُفْراً بالله.

فإنْ قيلَ: إنَّ كلامَه تعالى مَخلوقٌ، كانتْ أسماؤُهُ داخِلةً في ذلكَ، ومَنْ زعَمَ ذلك فقَدْ كَفَرَ لِما ذكرنا، ولأنَّ معنى ذلكَ أنَّ الله تعالى لم تكن لَه الأسماءُ الحُسنى قبل خَلْقِ كلامِهِ، ولَكانَ الحالفُ باسْمٍ من أسمائِهِ مُشْرِكاً لأنه حلَفَ بمَخلوقٍ، والمخلوقُ غيرُ الخالقِ، وقد قالَ النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: **(مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشركَ)**.[1]

وبهذه الحُجَّةِ احتجَّ جماعةٌ من السَّلفِ والأئمَّةِ على كَوْنِ القرآنِ غيرَ مخلوقٍ، منهم:

١) **الإمام الحُجَّة سُفيان بن سَعيد الثوريّ -رحمه الله- (ت: ١٦١ هـ).**

قال: "مَنْ قالَ: إنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٢] مخلوقٌ، فهو كافِر".[2]

٢) **ناصرُ السُّنَّة أبو عبد الله محمَّد بن إدريسَ الشَّافعي -رحمه الله- (ت: ٢٠٤ هـ).**

قال: "مَنْ حَلَفَ باسمٍ مِن أسماءِ الله فحنَثَ فعليه الكفَّارة، لأنَّ اسمَ الله غيرُ مَخلوقٍ، ومن حلَفَ بالكعبةِ، أو بالصَّفا والمرْوةِ، فليسَ عليه الكفَّارةُ، لأنَّهُ مَخلوقٌ، وذاكَ غيرُ مَخْلوقٍ".[3]

٣) **إمامُ أهل السُّنَّة أحمدُ بن حَنبل -رحمه الله- (ت: ٢٤١ هـ).**

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٤٩٠٤، ٦٠٧٢)، وأبو داود رقم (٣٢٥١)، والترمذي رقم (١٥٣٥)، وابن حِبّان رقم (١١٧٧-موارد)، والحاكم (١/ ١٨) و (٤/ ٢٩٧)، وآخرون من حديث عبد الله بن عمر به. وحسّنه الترمذي، وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي.

(٢) أخرجه عبد الله في "السنة" رقم (١٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "آداب الشافعي" (ص: ١٩٣)، وأبو نعيم (٩/ ١١٣)، والبيهقي في "السنن" (١٠/ ٢٨) و"الأسماء والصفات" (ص: ٢٥٥ - ٢٥٦)، و"المناقب" (١/ ٤٠٥) بإسناد صحيح.

قال: "مَنْ قالَ: القرآن مخلوق فهو عندنا كافرٌ، لأنَّ القُرآن من عِلْمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه أسماءُ الله عَزَّ وَجَلَّ".(١)

وقالَ: "وأسماءُ الله في القُرْآنِ، والقُرْآنُ من عِلْمِ الله، فمَنْ زَعَمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومن زعَمَ أنَّ أسْمَاءَ الله مخلوقةٌ فقدْ كَفَرَ".(٢)

وذَكَرَ له رَجُلٌ أنَّ رَجُلاً قالَ: إنَّ أسماءَ الله مخلوقةٌ، والقرآنُ مخلوقٌ، فقال أحمدُ: "كُفْرٌ بَيِّنٌ".(٣)

وقالَ: "أسْماءُ الله في القرآنِ، والقرآنُ من عِلْم الله، وعِلْمُ الله ليس بمخلوقٍ، والقرآنُ كلامُ الله ليسَ بمخلوقٍ على كلِّ وجهٍ، وعلى كلِّ جهةٍ، وعلى أيِّ حالٍ".(٤)

وكما أنَّه تعالى لا يوصَف بصفةٍ مخلوقةٍ، فلا يسمَّى باسم مَخلوقٍ.

٥ - أخبرَ تعالى عن تَنزيلِهِ منه وإضافتهِ إليهِ، كما قالَ: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [السجدة: الآية: ٢]، وقالَ: ﴿**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [الأنعام: الآية: ١١٤]، وقال: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [النحل: الآية: ١٠٢]، ولَمْ يُضِف شيئًا ممَّا أنزلَه إلى نفسِه غير كلامِهِ(٥)، ممَّا دَلَّ على الاختصاصِ بمَعنى، فليسَ هو كإنزالِ المطَرِ والحديد وغير ذلك، فإنَّ هذه الأشياءَ أخبرَ عن إنزالِها، لكنَّه لم يُضِفْها إلى نفسِهِ، بخِلافِ كلامِهِ تعالى، والكلامُ صِفَةٌ، والصِّفَةُ إنَّما تُضافُ إلى مَن اتَّصَفَ بها لا إلى غيرِهِ، فلو كانت مخلوقةً لفارقت الخالقَ، ولم تصلحْ وَصْفاً له، لأنَّه تعالى غَنِيٌّ عن خَلقِهِ، لا يَتَّصفُ بشيءٍ منه.

---

(١) رواه ابنه عبد الله في "السنة" (١/ ١٠٢).

(٢) رواه ابنه صالح في "المحنة" (ص: ٥٢، ٦٦ – ٦٧).

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٢)، عنه.

(٤) رواه ابنه صالح في "المحنة" (ص: ٦٩).

(٥) انظر: "مجموع الفتاوى": (١٢/ ٢٤٧، ٢٩٧).

الأدلة السنة:

١ - **حديث خَوْلَةَ بنت حَكيم السُّلميَّة-رضي الله عنها-**، قالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم-يقول:

(مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أعوذُ بِكَلِماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حتَّى يرتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلكَ).(١)

وحديثُ أبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)، قالَ: جاء رجلٌ إلى النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رَسُولَ الله، ما لَقِيتُ مِنْ عَقْربٍ لَدَغَتْني البارحةَ، قال:

(أما لَو قُلْتَ حين أمْسَيْتَ: أعوذ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم تَضُرَّكَ).(٢)

وفي سياق آخرَ عنه قال: قال النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-:

(مَنْ قالَ إذَا أمْسى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أعوذُ بكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تلكَ اللَّيْلة).

قال: فكان أهلُنا قد تعلَّمُوها، فكانوا يقولونَها، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم، فلم تَجِدْ لها وَجَعاً".(٣)

وحَديثُ عبد الله بن عباسٍ-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)، أنَّ رَسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-كانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وحُسَيْنًا، يقولُ:

"أعيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ".

وكانَ يقولُ: **"كانَ إبْراهيمُ أبي يُعَوِّذُ بهما إسْماعيلَ وإسحاقَ".**(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٧، ٤٠٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٠)، والترمذي رقم (٣٤٣٧)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٦٠، ٥٦١) وابن ماجة رقم (٣٥٤٧) من حديث سعد بن أبي وقاص عن خولة به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح غريب".

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٥١)، وأحمد (٢/ ٣٧٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٨١)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٨٥ - ٥٨٩، ٥٩١ - ٥٩٢) وابن ماجة رقم (٣٥١٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٥٩٠).

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢١١٢، ٢٤٣٤)، والبخاري (٦/ ٤٠٨)، وأبو داود رقم (٤٧٣٧)، والترمذي رقم (٢٠٦٠)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (١٠٠٦، ١٠٠٧)، وابن ماجة رقم (٣٥٢٥)، من طريق منصور بن المعتمر عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"..

فأثبتَ النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– بما ذكَرْناهُ عنه شرعيَّةَ الاستعاذةِ بكلماتِ الله، فلو كانَتْ كلماتُهُ مخلوقةً لكانت الاستعاذةُ بها شِرْكًا، لأنَّها استعاذةٌ بمَخلوقٍ، ومن المعلوم أنَّ الاستعاذةَ بغير الله تعالى وأسمائِهِ وصفاتِهِ شِرْكٌ، فكيفَ يَصِحُّ أن يُعلِّمَ النَّبيّ–صلى الله عليه وسلم–أمَّتَه ما هو شركٌ ظاهرٌ، وهو الذي جاءهم بالتَّوحيدِ الخالصِ؟

فدلَّ هذا على أنَّ كلماتِ الله تعالى غيرُ مخلوقةٍ.

وقالَ نُعَيْمُ بن حمَّاد (شيخُ البخاري، ومن أئمَّة السُّنَّة): "لا يُستعاذُ بالمخلوقِ، ولا بكلامِ العباد والجنّ والإنسِ والملائكةِ".

وقال البخاري عَقِبهُ: "وفي هذا دَليلٌ أنَّ كلامَ الله غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ سواه خَلْقٌ" [١]. ثمَّ احتجَّ البخاريُّ لذلك بما ذكرنا.

واعترضَ بعضُ أهل البدَعِ على هذه الحُجَّة بقوله –صلى الله عليه وسلم–: **"اللَّهمَّ أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ، وبمُعافاتِك من عُقوبَتِك** ..." الحديث [٢]، فقالوا: فاستعاذَ النبي –

---

(١) "خلق أفعال العباد" ص: ١٤٣.

(٢) حديث صحيح. مرويٌّ من حديث عائشة وعلي، رضي الله عنهما.

أما حديث عائشة، فأخرجه أحمد (٦/ ٥٨، ٢٠١)، ومسلم رقم (٤٨٦)، وأبو داود رقم (٨٧٩)، والنسائي (١/ ١٠٢ و ٢/ ٢١٠)، وابن ماجة رقم (٣٨٤١) من طريق عُبَيْد الله ابن عمر عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فَقَدْتُ رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– ليلة من الفراش، فالتمسْتُهُ، فوقَعتْ يَدِي على بطنِ قَدَمَيْه وهو في المسجد، وهما منصوبتان (زاد في بعض الطرق: وهو ساجد) وهو يقولُ: (اللَّهمَّ أعوذُ برضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك).

وأخرجه مالك (١/ ٢١٤)، والترمذي رقم (٣٤٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٢٢)، عن يحيى ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن عائشة بنحوه.

قلت: وهذا سند منقطع، محمد بن إبراهيم لم يسمَع من عائشةَ، وقد حسَّن الترمذي هذه الطريق لمجيء الحديث من غير هذا الوجه عن عائشة.

وللحديث طريق ثالثة.

أخرجها النسائي ٨/ ٢٨٣ – ٢٨٤ من حديث مسروق بن الأجدع عن عائشة به نحوه.

قلت: لكن إسناده ضعيف، لحال العلاء بن هلال أحد رجال الإسناد فإنَّه منكر الحديث جداً.

=

صلى الله عليه وسلم–بالرِّضا والمعافاة وهما مَخلوقان.

والجوابُ: أن هذا الاعتراضَ من فاسدِ الفهْم الذي أدخلَه عليهم الشيطانُ–لعنه الله– وذلك أنَّهم حَسِبوا أنَّ الرِّضا والمعافاةَ من خَلْقه تعالى، جَرْياً على سُنَّتِهم في أنَّ الله تعالى لا يقوم به اختيارٌ ولا مَشيئة، والرِّضا والمعافاةُ إنَّما يتعلَّقان بالمشيئةِ، وكلُّ ما تعلَّقَ بالمشيئة فهو مخلوقٌ.

وهذا الأصل الفاسِدُ جرَّهم إلى الوقوع في تعطيل جميعِ الصفاتِ الاختيارية، كالرِّضا، والغَضبِ، والرَّحْمةِ، والرَّأفةِ، والحُبِّ، والبُغْضِ، والإِنْعام، والانتقامِ، وغيرِها مَما يتعلَّقُ بمشيئتهِ تعالى واختياره.

والحَقُّ الأبلجُ الذي يبهَرُ أبصارَ أهلِ البِدَع أنَّه تعالى تقومُ به الصِّفاتُ الاختياريةُ، والاستعاذة بالرِّضا والمعافاةِ، استعاذةٌ بصفته تعالى، إذ رضاهُ تعالى صفتهُ التي يرضى بها عمَّنْ شاءَ من عبادهِ، ومعافاتُهُ صفَتُهُ التي يُعافي بها من شاءَ من عبادِهِ، والمخلوق إنَّما هو العافيةُ الموجودةُ في الناس، والتي كانت بمعافاتِهِ تبارك وتعالى، فتأمَّل هذا رحِمَكَ الله ترشَد إن شاءَ الله.

٢ – **حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (**فَضْلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفَضْلِ الله على سائرِ خلقِهِ**).(١)

تضمَّن هذا الحديث إثباتَ عقيدةِ السَّلَفِ (القرآن كلام الله غيرُ مخلوق) وذلك من وجهين:

الأوَّل: التفريق بين كلام الله وما سِواه من الكلام، والكلامُ إما كلامُ الله الذي هو صفته،

أما حديث علي رضي الله عنه. فأخرجه أحمد رقم (٧٥١، ٩٥٧)، وأبو داود رقم (١٤٢٧)، والترمذي رقم == (٣٥٦٦)، والنسائي (٣/ ٢٤٨ – ٢٤٩)، وابن ماجة رقم (١١٧٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن هشام بن عمرو عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عليّ أنَّ النَّبيَّ –صلى الله عليه وسلم– كان يقولُ في آخر وترِهِ: (اللَّهم إنِّي أعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ، لا أحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيْتَ على نفسِكَ).

قال الترمذي: "حديث حسنٌ غريبٌ من حديث عليّ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث حماد بن سلمة".

قلت: إسناده صحيح، وهشام هذا هو الفَزاري معروف برواية هذا الحديث، وهو ثقة.

وقد رواه عن عليّ أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن عَبْدٍ القاري.

أخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٨٩١، ٨٩٢).

وإسناده منقطع، إبراهيم عن علي مرسل.

(١) أخرجه عثمان الدارمي في " الرد على الجهمية " رقم: (٢٨٧، ٣٤٠)، واللالكائي رقم: (٥٥٧).

أو الكلامُ المخلوق الذي يقَعُ من خلقِهِ، فأضافَ ما كانَ صفةً لله إلى الله، وعمَّمَ ما سِواهُ، ليشمَلَ كلَّ كلام سوى ما أضافه إلى الله، ولو كان الجميعُ مَخْلوقاً لِما كانت هناك حاجة إلى التفريق.

والثاني: جعلَ الفَرْقَ بينَ كلام الله وكلام غيره كالفَرْقِ بينَ ذاتِ الله وذاتِ غيره، فجعلَ كلامَه مساوياً لذاتِهِ، وكَلامَ المخلوقِ مساوياً لذات المخلوقِ، ولو كان كلامُهُ مخلوقاً لم يساوِهِ بذاتِهِ، فإنَّ الله تعالى ليسَ يُساويه شيءٌ غيرُ صفاتِهِ وأسمائِهِ.

وقد احتجَّ بهذا الإمام عثمان بن سعيد الدَّارِمِيُّ في "الردِّ على الجهمية" فقال بعدَما ذكَر الأحاديثَ في هذا المعنى:

"ففي هذه الأحاديث بيانُ أنَّ القرآنَ غير مخلوقٍ, لأنَّه ليس شيءٌ من المخلوقينَ من التفاوت في فَضْلِ ما بينهما كما بين الله وبينَ خلقِهِ في الفَضْلِ, لأنَّ فَضْلَ ما بين المخلوقين يُسْتَدْرَك، ولا يُسْتدرَكُ فَضْلُ الله على خلقِهِ، ولا يُحْصِيهِ أحَدٌ، وكذلك فَضْلُ كلامِهِ على كلام المخلوقين، ولو كانَ مخلوقاً لم يكن فضْلُ ما بينَه وبين سائر الكلام كفضْلِ الله على خلقهِ، ولا كَعُشْرِ عُشْرِ جُزْءٍ من ألفِ ألفِ جُزْءٍ، ولا قريباً فافْهَموه، فإنَّه ليسَ كمثله شيءٌ, فليسَ كَكَلامِهِ كلامٌ، ولن يُؤْتى بمثلِهِ أبداً".[١]

(١) "الرد على الجهمية" (ص: ١٦٢–١٦٣).

الأدلة من المعقول الصريح:

وذلك من وجهين:

الأول: أنَّ كلامَ الله إنْ كانَ مخلوقاً، فلا يخلو من أحَدِ حالَيْن:

الأولى: أنْ يكونَ مخلوقاً قائماً بذاتِ الله.

والثانية: أنْ يكونَ منفصلاً عن الله بائناً عنه.

وكلا الحالين باطلٌ، بل كفرٌ شنيعٌ.

أمّا الأولى فيَلزَمُ منها أن يقوم المخلوقُ بالخالقِ، وهو باطلٌ في قولِ أهلِ السُّنَّةِ، وعامَّةِ أهلِ البِدَعِ، فإنَّ الله تعالى مُستغنٍ عن خلقهِ من جميع الوجوهِ.

وأمّا الثانية فيلزَمُ تعطيلُ صفَةِ الكلام للباري تعالى، إذْ أنَّ الصفةَ إنَّما تقومُ بالموصوف -كما سبق تقريرةُ- لا تقومُ بسِواه، فإنْ قامَتْ بغير الموصوف كانت وصفاً لمن قامتْ به، وهذا معناه أنَّ الرَّبَّ تعالى غيرُ متكلّمٍ، وهو كفرٌ بَيِّنٌ، كما بَيَّنا الدلالةَ عليه.

والثاني: علمتَ أنَّ الصفةَ لا تقومُ بنفسِها، فإن كانتْ صفةً للخالق قامت به، وإن كانتْ صفةً للمخلوقِ قامتْ به ولا بدَّ، فالحركةُ، والسُّكونُ، والقيامُ، والقعودُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والحياةُ، وغيرُها من الصِّفاتِ، إن أضيفت لشيءٍ كانت وصفاً لهُ، وهي تابعةٌ لمن قامَتْ به، فهذه صفاتٌ تُضاف للمخلوقِ، فهي صفات له حيث أضيفتْ له، ومنها ما يُضافُ إلى الخالق، كالقُدْرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ وغيرِ ذلك، فهي صفاتٌ له حيثُ أضيفت له، وحيثُ أضيفت للمخلوقِ فهي مخلوقةٌ، وحيثُ أضيفت للخالقِ فهي غير مخلوقةٍ.

فصفةُ الكلامِ كغيرها من الصِّفاتِ، لا بدَّ أن تقومَ بمَحَلٍّ، فإذا قامت بمَحَلٍّ كانت صفةً لذلك المحَلِّ، لا صفةً لغيرِه، فإنْ هى أضيفت إلى الخالق تعالى فهيَ صفتُهُ، وإنْ أضيفتْ إلى غيرِهِ فهي صفةٌ لذلك الغيرِ، وصفةُ الخالقِ غير مخلوقةٍ كنفسهِ، وصفةُ المخلوقِ مخلوقةٌ كنفسهِ.

فلمَّا أضافَ الله لنفسه كلاماً، ووصَفَ نفسَهُ به، كان كلامُهُ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه تابعٌ لنفسِهِ، ونفسُهُ تعالى غيرُ مخلوقةٍ، والكلامُ في الصِّفات فَرْعٌ عن الكلامِ في الذاتِ.

فإنْ قيلَ: هو مخلوقٌ، قُلْنَا: إذاً يتنزَّهُ الله عن الاتّصافِ بمخلوقٍ، وأنتم تنزهونه تعالى بزَعْمِكُمْ

عن قيام الحوادث به، فحيثُ نزّهتم ربَّكم تعالى عن ذلك فإنَّه يلزمُكُم أن لا تضيفوا إليه كلاماً، وبهذا تكذّبون السَّمْعَ والعقل الشاهِدَيْنِ على أنَّ لله تعالى صفةَ الكلام، كما قدْ بيَّناه فيما مضى.

لكنَّهم أبَوُا الإقرار بأنَّ كلامَ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ بأدهى ممَّا سبَقَ من الباطل، فقالوا: نُثْبِتُ أنَّ الله متكلمٌ بكلامٍ قائمٍ في غيرِهِ، فكلَّم الله تعالى موسى بكلامٍ مَخَلوقٍ قائمٍ بالشَّجَرة، لا بهِ تعالى، فنحن نزَّهناه عن قيام الحوادث بهِ.

قُلْنا: جعلتُمُ الكلامَ إذاً صفةً للمَحَلِّ الذي قامَ به، وهو على قولِكم الشَّجَرةُ، فكانت الشجرةُ بهذا هي القائلةُ لموسى: ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [القصص: الآية: ٣٠]، فانتفى حينئذ الفرقُ بين قولِ الشَّجرةِ وقول فرعونَ اللَّعين: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]؛ لأنَّ كلامَ الشجرةِ صفَتُها لا صفةُ الله، وكلامَ فرعونَ صفتُهُ، وكلٌّ ادَّعى الربوبيَّة، فلم يكن موسى إذاً مِحقّاً في إنكارِهِ قولَ فرعونَ وقبولِهِ قولَ الشجرةِ.

سُبحان الله! كم تجُرُّ البدعُ على أهلِها من المحاذير؟

تأمَّل رحِمَكَ الله لهذا الكُفْرَ الصُّراح، الَّذي أوقعَ أهلَه فيه الابتداعُ المشِينُ، وعدَمُ الرِّضا والتَّسليم لحَقائق التَّنزيلِ، واستبدالُ الوحي الشريفِ بزُبالاتِ الأذْهانِ التي تُصَرِّفها الأهواءُ كيف شاءَت.

ولقد كانتْ هذه الحجَّةُ العَقْليَّة ممَّا احتَجَّ به الإمامُ أحمدُ-رحمه الله-على الجَهْميةِ المعتزلةِ حين ناظرَهم بحضْرَة المعتصِم، قال-رحمه الله-:

"وهذه قصَّةُ موسى، قال الله في كتابِهِ حكاهُ عن نفسهِ: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى**﴾ [النساء: الآية: ١٦٤]، فأثبتَ الله الكلامَ لموسى كرامةً منه لموسى، ثمَّ قالَ بعدَ كلامهِ له ﴿**تَكْلِيمًا**﴾ تأكيداً للكلامِ، قالَ الله تعالى: يَا مُوسَى ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾ [طه: الآية: ١٤]، وَتُنْكرونَ هذا، فتكونُ هذه الياءُ تَرِدُ على غير الله، ويكونُ مخلوقٌ يدَّعِي الرُّبوبية؟! ألَا هو الله

عَزَّ وجَلَّ". [١].

وكذا احتجَّ بهذه الحُجَّة من أئمَّة السَّلَفِ

الثِّقةُ المأمونُ أبو أيوب سليمانُ بن داودَ الهاشميُّ-رحمه الله-(ت: ٢١٩ هـ)، فقال:

"مَنْ قالَ: القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، وإن كانَ القرآنُ مخلوقاً كما زعمها فَلِمَ صارَ فرعونُ أولى بأنْ يُخَلَّدَ في النَّارِ، إذْ قالَ: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾ [النازعات: الآية: ٢٤]، وزعَموا أنَّ هذا مخلوقٌ، والذي قال: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾ [طه: الآية: ١٤]، هذا أيضاً قد ادّعى ما ادّعى فرعونُ، فَلِمَ صارَ فرعونُ أولي بأن يُخَلَّدَ في النَّارِ من هذا، وكلاهُما مخلوقٌ؟ ".

قال البُخاريُّ-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ): فأخْبِرَ بذلكَ أبو عُبَيْد [٢] فاستحسَنه وأعجَبه. [٣]

(١) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٥٢)، عنه.

(٢) أبو عُبَيد هو القاسم بن سلاَّم-رحمه الله-(ت: ٢٢٤ هـ) لغويُّ أهلِ الحديث.

(٣) "خلق أفعال العباد" رقم (٥٩) عن سليمان به.

كلام أئمة السلف في إثبات هذه العقيدة:

١-عمرو بن في دينار-رحمه الله-(ت: مابين: ١٢٥إلى ١٢٩ هـ) (من خيار أئمَّةِ التَّابعينَ):

قال: "أدركتُ أصحابَ النَّبي-صلى الله عليه وسلم-فَمَن دونَهم منذ سبعينَ سنة، يقولون: الله الخالقُ، وما سِواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خَرجَ وإليه يعودُ".(١)

٢-قال إسحاقُ بن راهوَيْهِ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ):

"وقد أدْرَكَ عَمْرُو بن دينارٍ أجلّةَ أصحابِ رسولِ الله-صلى الله عليه وسلم-، من البَدْريينَ، والمهاجِرينَ، والأنصار، مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيدٍ الخُدْري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وعبد الله بن الزبير، وأجلّة التابعين، وعلى هذا مضى صدرُ هذه الأمَّةِ".(٢)

٣-جَعفر بن محمَّد بن عليّ بن الحُسَين المَعروف بـ "الصادق"-رحمه الله-(ت: ١٤٨ هـ) (إمامٌ ثقةٌ سُنِّيٌّ):

قال معاويةُ بن عمَّارٍ الدُّهْنِيُّ-رحمه الله-(ت: ١٧٥ هـ): قلْتُ لجَعْفر -يعني ابنَ محمد- إنَّهم يسألون عن القرآنِ: مخلوقٌ هو؟ قال:

"ليس بخالِقٍ ولا مَخلوقٍ، ولكنَّه كلامُ الله".(٣).

٤-مالك بن أنس-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ) (إمام دار الهجرة):

قال عبد الله بن نافع-رحمه الله-(ت: ١٨٦ هـ): كان مالكٌ يقول: "كلَّم الله موسى -

(١) أخرجه الدارمي في " الردّ على الجهمية" رقم (٣٤٤) و"النقض على المريسي" (ص: ١١٦)، والبيهقي في "السنن" (١٠/ ٢٠٥).

(٢) قول إسحاق هذا زاده البيهقي في "السنن" ١٠/ ٢٠٥ و"الأسماء والصفات" (ص: ٢٤٥)، عقب قول عمرو بن دينار، وسنده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (١٠٩) والدارمي في "الرد على الجهمية" رقم (٣٤٥) و"النقض على المريسي" (ص: ١١٦)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٣٢-١٣٤) وأبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٥)، والآجري في "الشريعة" (ص: ٧٧)، البيهقي في "الأسماء" (ص: ٢٤٦-٢٤٧)، و"الاعتقاد" (ص: ١٠٧)، من طريق معاوية به.

صلى الله عليه وسلم- " ويقول: "القرآنُ كلامُ الله" ويستفظِع قولَ من يقول: القرآن مخلوق.[(١)].

٥-سفيان بن عُيَيْنَة-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ) (إمامٌ حُجَّةٌ):

سئل عن القرآن؟ فقال: "كلامُ الله، وليس بمخلوقٍ".[(٢)].

٦-عبد الله بن المبارك-رحمه الله-(ت: ١٨١ هـ) (ذاكَ العَلَم):

قال: "القرآنُ كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ، ليسَ بخالقٍ ولا مَخلوقٍ".[(٣)].

٧-أبو عبد الله الشَّافعيُّ الإمامُ-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ):

قالَ الرَّبيعُ بن سُلَيْمان-رحمه الله-(ت: ٢٧٠ هـ) صاحبهُ وتلميذُهُ حاكياً المناظرةَ التي جَرَتْ بينَهُ وبينَ حفْصٍ الفَرْدِ في القرآن:

فسألَ الشَّافعيَّ، فاحتجَّ عليه الشافعيُّ وطالَت فيه المناظرةُ، فأقامَ الشَّافعيُّ الحُجَّةَ عليهِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، وكفَّر حَفْصاً الفَرْدَ.

قال الرَّبِيعُ:

فلقيتُ حفْصاً الفَرْدَ في المجلسِ بَعْدُ، فقال: أرادَ الشَّافعيُّ قَتْلي.[(٤)]

٨-وكيعُ بن الجرَّاح-رحمه الله-(ت: ١٩٧ هـ) (أحدُ كبارِ الحُفَّاظ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله عزَّ وجَلَّ ليسَ بالمخلوقِ".[(٥)]

٩- يحيى بن سعيد القطَّان-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ) (رأسٌ في الحَديثِ وعِلَلِهِ):

قال الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ): قالَ لي يحيى بن سعيدٍ:

"كيف يصْنَعونَ بـ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١]؟ كيف يَصْنَعونَ بهذه الآية: ﴿**إِنِّي**

---

(١) رواه صالح بن أحمد في "المحنة" (ص: ٦٦)، بسند صحيح عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٥)، بسند جيد عنه.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٤٤) وسنده صحيح، وكذا رواه اللالكائي رقم (٤٢٦).

(٤) رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في "آداب الشافعي" (ص: ١٩٤-١٩٥)، وسنده صحيح..

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٥١) بسند صحيح.

أَنَا اللَّهُ﴾؟ يكونُ مخلوقاً؟ ".[١]

١٠-يزيد بن هارون-رحمه الله-(ت: ٢٠٦ هـ) (من كبار أئمَّةِ الحَديثِ):

قال: "مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ".[٢]

١١-عبد الله بن إدريس-رحمه الله-(ت: ١٩٢ هـ) (ثقةٌ ثَبْتٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ومنَ الله، وما كانَ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ فليسَ بمخلوقٍ".[٣]

١٢-أبو الوليد الطَّيالِسي: هشامُ بن عبد الملك-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ) (ثِقَةٌ حافِظٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ".[٤]

١٣-سليمان بن حَرْبٍ-رحمه الله-(ت: ٢٢٤ هـ) (ثقَةٌ جَبَلٌ صاحبُ سُنَّة):

قال عباسُ بن عبد العظيم-رحمه الله-(ت: ٢٤٦ هـ)، -وكان ثِقَةً- سمعتُ سُليمانَ بن حَرْبٍ قال:

"القرآنُ ليسَ بمَخلوقٍ".

فقلت له: إنَّكَ كنتَ لا تقولُ هذا، فما بَدا لكَ؟

قالَ: "استَخْرَجْتُهُ من كتاب الله عَز وجَل: ﴿**لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ**﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧] فالكلام والنظرُ واحدٌ".[٥]

١٤-الإمام أحمدُ بن حَنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) إمام أهل السُّنَّة:

النَّقْلُ عنه في ذلك متواترٌ، والناقلونَ عنه لا يُحصيهم العدُّ، وكَفى ما كان منه في المِحْنَةِ مع

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٥٧) بسند صحيح. وكذا أخرجه البخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٣٠) عن الطيالسي نحوه.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٨)، بسند صحيح.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦١) بسند صحيح.

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٦)، بسند صحيح.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٩) عن عباس عنه به.

الجهميةِ المعتزلةِ القائلين بخلقِ القرآن، وقد تقدَّم ذكرُ بعضِ النقلِ عنه، وسيأتي بعض ذلك متناثِراً.

وممَّا يَحْسُنُ ذكرُهُ هنا ما قالَه الإمام أحمدُ جواباً لسؤالِ المتوكّلِ عن مسألة القرآنِ:

"وقد رُوِيَ عن غير واحدٍ مِمَّن مَضى من سَلَفِنا رحمهم الله أنَّهم كانوا يقولون: القرآنُ كلام الله عَزَّ وجَلَّ، وليس بمخلوقٍ، وهو الذي أذْهَبُ إلَيهِ، ولسْتُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أرى الكلامَ في شَيْءٍ من هذا، إلاَّ ما كانَ في كتابِ الله عَزَّ وجَلَّ، أو في حديثٍ عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، أو عن أصحابِهِ، أو عنِ التابعينَ، فأمَّا غير ذلك فإنَّ الكلامَ فيه غيرُ مَحْمودٍ". [١]

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقولُ:

"لم يَزَل الله –عَزَّ وَجَلَّ– متكلِّماً، والقرآنُ كلامُ الله –عَزَّ وَجَلَّ– غيرُ مخلوقٍ، وعلى كلِّ جِهَةٍ، ولا يوصَفُ الله بشَيْءٍ أكثرَ ممَّا وصَفَ به نَفْسَهُ –عَزَّ وَجَلَّ–". [٢]

١٥ –يحيى بن مَعين–رحمه الله–(ت: ٢٣٣ هـ) (إمامُ الجَرْحِ والتَّعديلِ) وأبو خيثمة زُهَيْر بن حَرْب–رحمه الله–(ت: ٢٧٩ هـ) (حافظٌ إمامٌ ناقِدٌ):

قالا: "القرآنُ كلام الله –عَزَّ وَجَلَّ–، وهو غيرُ مَخْلوقٍ". [٣]

١٦–أبو بكر بن أبي شَيْبَة–رحمه الله–(ت: ٢٣٥ هـ) (حافظٌ إمامٌ مُصَنِّفٌ):

قال له رجُلٌ من أصحابِهِ: القرآنُ كَلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ، فقال أبو بكر:

"مَنْ لَمْ يَقُلْ هذا فهو ضالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ". [٤]

١٧–عثمان بن أبي شَيْبَةَ–رحمه الله–(ت: ٢٣٩ هـ) (ثِقَةٌ حافِظٌ):

قال: "القرآنُ كلامُ الله وليسَ بمَخلوقٍ". [٥]

---

(١) رواه صالح في "المحنة" (ص: ١٢٢)، وعبد الله في "السنة" رقم (١٠٨) عن أبيهما.

(٢) رواه حنبل في "المحنة" (ص: ٦٨)، وانظر (ص: ٧٤).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٧٣) بسند صحيح، وانظر "تاريخ يحيى" رواية الدوري (٣/ ٣٣٥).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٢) عنه به.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (١٦٣) عنه به.

١٨-**جماعةٌ من شُيوخ أبي داودَ السِّجِستاني صاحب "السُّنن"**:

قال أبو داود-رحمه الله-(ت: ٢٧٥ هـ):

سمعتُ إسحاقَ بن إبراهيمَ بن راهُوَيهِ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ)، وهَنَّادَ بن السَّريّ-رحمه الله-(ت: ٢٤٣ هـ)، وعبدَ الأعلى بنَ حمَّادٍ-رحمه الله-(ت: ٢٣٧ هـ)، وعُبيدَ الله بن عُمَر بنِ مَيسرةَ القواريريَّ-رحمه الله-(ت: ٢٣٥ هـ)، وحكِيم بن سيفٍ الرَّقيَّ-رحمه الله-(ت: ٢٣٥ هـ)، وأيوبَ بن محمَّدٍ-رحمه الله-(ت: ٢٤٦ هـ)، وسَوّارَ بنَ عبد الله-رحمه الله-(ت: ٢٤٥ هـ)، والرَّبيعَ بن سليمان-رحمه الله-(ت: ٢٧٠ هـ)-صاحبَ الشَّافعيّ-، وعبدَ الوهّابِ بن الحَكَم-رحمه الله-(ت: ٢٥١ هـ)، ومحمَّدَ بن الصَبّاح بنِ سُفيانَ-رحمه الله-(ت: ٢٤٠ هـ)، وعُثمانَ بن أبي شَيْبَة-رحمه الله-(ت: ٢٣٩ هـ)، ومحمَّدَ بنَ بَكّارِ بنِ الرَّيَّانِ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ)، وأحمدَ بن جَوَّاس الحَنفيَّ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ)، ووَهْبَ بن بَقِيَّةَ-رحمه الله-(ت: ٢٣٩ هـ)، ومَن لا أحْصيهم من عُلمائِنا، كلُّ هؤلاءِ سَمِعْتُهم يقولونَ:

"القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ بمَخلوقٍ".

وبعضهُم [قال: "القرآنُ] غيرُ مخلوقٍ".(١)

قلتُ: وجميعُ هؤلاءِ الشيوخِ من أئمَّة الحديثِ، وكلُّهم ثِقاتٌ، سِوى حَكيم بن سَيْف فإنَّه صالحٌ لا بأس به.

١٩-**عليُّ بن المديني-رحمه الله-(ت: ٢٣٤ هـ)** (صَيْرفيّ الحَديثِ وأهلِه).

قال محمَّدُ بن عثمانَ بن أبي شَيْبة-رحمه الله-(ت: ٢٩٧ هـ): سمعتُ عليَّ بن المدِيني يقولُ قبلَ أن يموت بشَهرين:

(١) "المسائل" لأبي داود (ص: ٢٦٦).

"القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".[(١)]

٢٠-**أبو يعقوب البُويْطيّ-رحمه الله-(ت: ٢٣١ هـ)** (تلميذُ الشافعي وخرّيجُهُ):

قال:"مَنْ قالَ: القرآنُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ".[(٢)]

٢١-**المُزَنيُّ: إسماعيل بن يحيى-رحمه الله-(ت: ٢٦٤ هـ)** (إمامٌ فَقيهٌ، من أخَصّ أصحابِ الشافعي به):

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قالَ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فهو كافرٌ".[(٣)]

٢٢-**البخاريّ: محمَّد بن إسماعيل-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ)** (إمامُ المحدّثين):

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ".[(٤)].

٢٣-**أبو حاتِم-رحمه الله-(ت: ٢٧٧ هـ) وأبو زُرْعَة-رحمه الله-(ت: ٢٨٩ هـ)** الرّازيانِ (عالمانِ حافظانِ، من كبارِ أئمَّةِ الحديثِ):

قال عبدُ الرَّحمن بن أبي حاتِم-رحمه الله-(ت: ٣٢٧ هـ):

سألتُ أبي وأبا زُرْعةَ عن مَذاهبِ أهل السُّنَّة في أصولِ الدّينِ، وما أدركا عليه العلماءَ في جميع الأمصارِ، وما يَعْتَقِدان من ذلك؟

فقالا: "أدْرَكْنَا العُلَماءَ في جَميع الأمصار: حِجازاً، وعِراقاً، وشاماً، ويَمَناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قولٌ وعَمَلٌ يَزيدُ وينقصُ، والقرآنُ كلامُ الله غير مخلوقٍ بجميع جهاتِهِ".[(٥)]

فهؤلاءِ بِضْعةٌ وثلاثونَ من الأئمَّةِ، قد سمِّيناهم، عامَّتهم ممَّن يُقْتَدى بهم، وجميعهم من أهلِ القُرونِ المفَضَّلَة التي هي خيرُ القرون.

---

(١) أخرجه ابن الطبري في "السنة" رقم (٤٥٣) والخطيب في "تاريخ بغداد" (١١/ ٤٧٢)، بسند صحيح، وانظر "مسائل ابن أبي شيبة لابن المديني" (ص: ١١٣).

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٨)، بسند صحيح عنه.

(٣) رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص: ٢٥٢)، بسند صحيح، ورواه هو وابن الطبري بإسنادين آخرين عنه.

(٤) "خلق أفعال العباد" (ص: ٣٧).

(٥) أخرجه ابن الطبري في "السنة" (١/ ١٧٦)، بسند صحيح.

٢٤-قال الإِمام أبو عثمانَ الصابونيُّ-رحمه الله-(ت: ٤٤٩ هـ):

"ويشهَد أصحابُ الحديث، ويعتقدونَ: أنَّ القرآنَ كلام الله وكتابُه، وخِطابُه، ووحيُهُ، وتنزيلُهُ، غيرُ مخلوقٍ، ومَنْ قالَ بِخَلْقِهِ واعتقدَه فهو كافرٌ عندهم".[(١)]

ولو أرَدْنا استيعاب ما بلَغنا من أقوالهم في إثباتِ هذه العقيدةِ (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ) لاحتاجَ ذلك إلى تصنيفٍ مُستقلٍّ.

وقد ساقَ الإمامُ أبو القاسِم هبةُ الله بن الحَسَن الطَّبَريُّ اللَّالكائي-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ) في كتابه العَظيم (شرحِ أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) أو (كتاب السنة) القولَ بذلك عن خَمْسِ مِئَةٍ وخَمسينَ نَفْساً من علماءِ الأمَّةِ وسَلَفِها، كلُّهُم يقولونَ: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال: مخلوقٌ، فهو كافرٌ".

قال-رحمه الله-: "فهؤلاء خَمْسُ مِئَةٍ وخمسونَ نَفْساً أو أكثر، من التَّابعينَ، وأتباع التَّابعينَ، والأئمةِ المرْضيينَ، سوى الصحابة الخيّرين، على اختلاف الأعصارِ، ومُضِيّ السّنين والأعوامِ، وفيهم نحوٌ من مِئة إمامٍ، ممَّن أخذَ الناسُ بقَوْلهم، وتَديَّنوا بمَذاهبهم، ولو اشتغلتُ بنقلِ قولِ المحَدِّثينَ لبلَغتْ أسماؤهم ألوفاً كثيرةً".[(٢)].

وفيما ذُكر كفايةٌ لإثباتِ الحَقِّ البيّن الصَّريحِ الذي أطبقَ على اعتقادهِ سادةُ علماءِ الأمَّة، فهو إجماعُ أهلِ السُّنَّة الَّذي لا يقعُ فيهِ امتراءٌ، والله أعلم.

(١) "رسالته في السُّنَّة" (ص: ٦).

(٢) كتاب "السنة" رقم (٤٩٣).

مسألة القائلين بالتوقف.

أما مَسْألة السُّكوتُ عن القولِ: القرآنُ مَخلوقٌ، أو غيرُ مَخلوقٍ، والاكتفاء بالقول: إنَّه كلامُ الله.

فقد سُئِلَ الإِمامُ أحمدُ–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): هَلْ لهم رُخْصَةً أنْ يقولَ الرجلُ: القرآن كلام الله تعالى ثمَّ يَسْكت؟ فقالَ: "ولِمَ يسكُت؟ لولا ما وقَعَ فيه الناس كان يسَعُهُ السُّكوتُ، ولكن حيثُ تكلَّموا فيما تكلَّموا لأيِّ شيءٍ لا يتكلَّمون؟ ".[(١)]

قال الحافظ أبو بكر الآجُريُّ–رحمه الله–(ت: ٣٦٠ هـ):"معنى قول أحمدَ بن حنبل في هذا المعنى، يقول: لم يختلفْ أهلُ الإيمان أنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ، فلمَّا جاءَ جَهْمٌ فأحْدَثَ الكُفْرَ بقولِهِ: إنَّ القرآن مخلوقٌ، لم يسَع العلماءَ إلاَّ الرَّدُّ عليه بأنَّ القرآنَ كلامُ الله عَزَّ وجَلَّ غيرُ مخلوقٍ بلا شكٍّ ولا تَوقُّفٍ فيهِ، فمَنْ لم يَقُلْ: غيرُ مخلوقٍ، سُمِّيَ واقفيّاً شاكاً في دينه".[(٢)]

وقال أحمدُ أيضاً: "كنا نرى السُّكوتَ عن هذا قبلَ أن يخوضَ فيه هؤلاء، فلمَّا أظهروهُ لم نَجِدْ بُدّاً من مُخالفتهم والرَّدِّ عليهم".[(٣)]

والأئمةُ جميعاً على إنكارِ مَسْلَكِ هؤلاءِ، والتَّشديد عليهم، وتَبْدِيعهم، وأبو عبد الله أحمد بن حنبل أشدُّهم إنكاراً.

قال أبو داود السِّجِستانيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٧٥ هـ): سمعتُ أحمدَ ذَكَرَ رَجُلينِ كانا وَقَفا في القرآنِ، ودَعَوَا إليه، فجعَلَ يَدعو علَيْهما، وقالَ لي: هذا لأحدِهما فِتْنةٌ، وجعَلَ يذكرهما بالمكْروهِ.[(٤)]

وقالَ: رأيتُ أحمدَ سلَّمَ عليه رجلُ من أهْلِ بغداد ممَّن وقَفَ–فيما بلَغني–فقال: "اغْرُبْ، لا أرَيَنَّكَ تَجِيءُ إلى بابي–في كلام غَليظ–" ولَمْ يرُدَّ عليه السَّلامَ، وقالَ لَهُ:

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٣–٢٦٤)، ومن طريقه: الآجري (ص: ٨٧)، وإسماعيل بن الفضل (ق ١١٤/أ).

(٢) "الشريعة" للآجري (ص: ٨٧).

(٣) ذكره عنه عثمان الدارمي في "النقض على المريسي" (ص: ١١٠).

(٤) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٤) ومن طريقه الآجري (ص: ٨٧).

"ما أحوَجَكَ إلى أنْ يُصْنَعَ بك ما صنعَ عُمَرُ بصَبِيغٍ".

قال أبو داودَ: فهَّمَني بصَبيغ بعضُ ولَد أحمدَ - [فدخَلَ بيتَه وردَّ البابَ].[١]

وقالَ أبو طالب: سألتُ أبا عبد الله عمَّن أمسكَ، فقال: لا أقولُ ليسَ هو مخلوقاً، إذا لَقِيَني بالطريقِ وسلَّمَ عليَّ، أسَلِّمُ عليه؟

قال: "لا تُسَلِّمْ عليه، ولا تكلِّمْهُ، كيفَ يعرفُه الناسُ إذا سلَّمتَ عليْهِ؟ وكيفَ يعرفُ هو أنَّك مُنكرٌ عليه، فإذا لَمْ تُسَلِّم عليه عَرَفَ الذّلَّ، وعرفَ أنك أنكرتَ عليه، وعرفهُ النَّاسُ".[٢]

وقال أبو داودَ: سمعتُ أحمدَ وقيلَ له: ما تَرى في الصَّلاةِ خَلْفَ من يقولُ في القرآنِ: كلامُ الله، ويَقِفُ؟ قال: "يُعْجِبُني أنْ يُجْفَوا".[٣]

وقال الإمامُ أحمدُ -رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "افترقَت الجَهميَّةُ على ثَلَاثِ فِرَق: فِرْقَةٍ قالوا: القرآنُ مخلوقٌ، وفرقةٍ قالوا: كلامُ الله وتسْكُتُ، وفرقةٍ قالوا: لفظُنا بالقرآنِ مخلوقٌ".[٤]

ومقالاتُ الإمام أحمدَ فيهم كثيرةٌ مُستفيضةٌ، وكذا عن غيرِه من أئمَّةِ السُّنَّة، فمِنْ ذلك:

١ - قال مُهَنّا أبو عبد الله السُّلَميّ -رحمه الله-(ت: ٢٦٠ هـ تقريبًا) (وكان من خيار أصحاب أحمد):

سألتُ أحمدَ بن حنبل بعدَ ما أُخْرِجَ من السِّجنِ بسنتين: ما تقول في القرآنِ؟ فقَالَ: "كلامُ الله غيرُ مخلوق" وقال: "مَن رَوى عنّي غيرَ هذا القولَ فهو مُبْطِل" قلتُ له: إنَّ بعضَ مَن ذكَرَ عنك أنَّك قلتَ له: هو كلام الله، لا مَخلوق ولا غيرُ مخلوق، ولكن هو كلام الله، فقال أحمد:

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٤)، ومن طريقه: الآجري (ص: ٨٧). وصَبيغ هذا بصريٌّ قَدِم على عُمَر فكان يجادل في متشابه القرآن، فجلَده عمر -رضي الله عنه- لذلك، وقصته صحيحة مشهورة، رويت موصولةً بسند صحيح عند ابن عساكر (٨/ ١١٧) وغيره، ورويت مرسلةً من وجوه متعددة..

(٢) رواه الآجري (ص: ٨٨)، بسند صحيح.

(٣) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٤).

(٤) رواه صالح في "المحنة" (ص ٧٢) عن أبيه به.

"أبْطَلَ، ما قلتُ هذا، ولكنَّه هو كلامُ الله غير مخلوقٍ".[(١)]

٢ - **وقالَ سلَمةُ بن شَبيب-رحمه الله-(ت: ٢٤٦ هـ)**: دخلتُ على أحمد بن حنبل فقلتُ: ما تقول فيمن يقول: القرآن كلامُ الله؟ فقال أحمد: "مَنْ لم يَقُلْ: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو كافرٌ".

ثمَّ قالَ: "لا تَشُكَّنَّ في كُفْرِهم، فإنَّ مَن لم يَقُلِ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق فهو يقول: مخلوقٌ، ومَن قال: هو مخلوقٌ، فهو كافر بالله عزَّ وجَلَّ".

قال سلمَةُ: وقلتُ لأحمدَ: الواقفة كفّارٌ؟ فقال:"كفّارٌ".[(٢)]

٣ - **وقال عبد الله بن أحمدَ-رحمه الله-(ت: ٢٩٠ هـ)**: سمعتُ أبي -وسُئلَ عن الواقفة- فقال أبي:

"مَن كانَ يُخاصِمُ ويُعرَفُ بالكلام فهو جَهْميٌّ، ومن لم يُعرَف بالكلام يُجانَب حتى يَرْجِعَ، ومَن لم يكن له عِلمٌ يَسأل".[(٣)]

وقالَ مرَّةً في الواقِفَةِ:"هُمْ شَرٌّ مِن الجهميَّةِ".[(٤)]

قلتُ: لخَفاءِ أمرِهم.

٤ - **وقال إسحاقُ بن راهُوَيْهِ-رحمه الله-(ت: ٢٣٨ هـ)** (الإمامُ الفقيهُ الحافِظُ):

"مَنْ قالَ: لا أقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ، فهو جَهميٌّ".[(٥)]

٥ - **وقال قُتَيبةُ بن سعيد-رحمه الله-(ت: ٢٤٠ هـ)** (وهو ثِقَةٌ ثَبْتُ حافِظٌ):

"هؤلاءِ -يعني الواقفة- شَرٌّ مِنْهم، ممَّن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ".[(٦)]

---

(١) رواه عبد الله في "السنة" رقم (٥٢٩) عن مهنّا عن أحمد.

(٢) رواه ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" (ص: ١٥٧)، بسند جيد.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (٢٢٣).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" رقم (٢٢٥).

(٥) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٧٠)، ومن طريقه الآجري في "الشريعة" (ص: ٨٨).

(٦) رواه أبو داود في "المسائل" (ص:٢٧٠) ومن طريقه الآجري (ص: ٨٨).

٦ - وقال الحافظُ الإمامُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ-رحمه الله-(ت: ٢٢٧ هـ):

"مَن لم يَعْقِدْ قلبَه على أنَّ القرآنَ ليسَ بمخلوقٍ فهو خارجٌ من الإِسلام".(١)

٧ - وقال عثمانُ بن أبي شيبة-رحمه الله-(ت: ٢٣٩ هـ) (ثِقَةٌ حافِظٌ):

"هؤلاء الذين يقولونَ: كلامُ الله ويسكُتونَ، شَرٌّ من هؤلاء -يعني ممن قالَ: القرآنُ مخلوقٌ".(٢)

٨ - **وقال أبو داودَ: سألتُ أحمدَ بن صالح المِصْريَّ-رحمه الله-(ت: ٢٤٨ هـ)** (الحافظ الإِمام) عمَّن يقول: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوقٌ، ولا غيرُ مخلوقٍ؟ قال: "لهذا شاّكٌّ".(٣)

٩ - وقال أبو خَيْثَمة-رحمه الله-(ت: ٢٧٩ هـ) (ثِقَةٌ حافِظٌ) -وسأل يَحيى بن مَعِين-رحمه الله-(ت: ٢٣٣ هـ)، فقال:

إِنَّهم يقولون: إِنّكَ تقولُ: القرآنُ كلامُ الله، وتَسْكُت، ولا تقولُ: مخلوقٌ، ولا غيرُ مَخلوقٍ، قال: "لا" فعاوَدتهُ، فقال: "مَعاذَ الله، القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوقٍ، ومَن قالَ غير لهذا فعليه لعنةُ الله".(٤)

١٠ - وقالَ أبو حاتِمٍ-رحمه الله-(ت: ٢٧٧ هـ)، وأبو زُرْعةَ-رحمه الله-(ت: ٢٨٩ هـ) الرّازيان الحافظان:

"ومَن شَكَّ في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فوقَفَ شاكّاً فيه، يقولُ: لا أدْري، مَخْلوقٌ أو غير مَخلوقٍ، فهو جَهميّ، ومَن وقَفَ جاهلاً عُلِّمَ، ويُبَدّعَ ولَم يُكَفَّر".(٥)

وكذا ذكَر الإِمامُ هِبَةُ الله ابنُ الطَّبريّ-رحمه الله-(ت: ٤١٨ هـ) نَحوَ ما ذُكِرَ من الإِنكار

---

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٦)، بسند صحيح.

(٢) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٧١)، ومن طريقه الآجري (ص: ٨٨).

(٣) رواه أبو داود (ص: ٢٧١)، وعنه الآجري (ص: ٨٨).

(٤) رواه ابن الطبري في "السنة" رقم (٤٥٦) بسند صحيح.

(٥) رواه ابن الطبري (١/ ١٧٨) بسند صحيح.

عن نَحْوِ مِئَةٍ من المحدِّثينَ والفُقَهاء.[١] .[٢]

(١) كتاب "السنة" (٢/ ٣٢٣-٣٢٩).

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

خامسًا: مسألة أنه منه بدأ وإليه يعود.[(١)]

الجانب الأول: (منه بدأ).

يَعْتَقِدُ السَّلَفُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى، منه خرجَ وبدأ، تكلَّمَ به بحُروفِهِ ومَعانيهِ، فأسْمَعَهُ جبريلَ عليه السَّلام، ونَزل به جبريلُ على قلبِ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، وهو هذا اللِّسانُ العربيُّ المبينُ، النّازلُ بلغةِ قُرَيْشٍ.

الأدلة على ذلك:

وهذا مُبَيَّن في غيرِ مَوْضع من كتاب الله تعالى، فمِنْ ذلك:

١ - قولُه تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: الآية: ١].

٢ - وقولُه -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى**﴾ [طه: الآية: ٤].

٣ - وقولُه تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ [النمل: الآية: ٦].

٤ - وقولُه تعالى: ﴿**الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ [السجدة: الآيات: ١ - ٣].

٥ - وقولُه جلَّ وَعَلا: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...**﴾ [الزمر: الآيات: ١ - ٢].

٦ - وقولُه تعالى: ﴿**حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [فصّلت: الآيات: ١ - ٤].

٧ - وقولُه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: الآيات: ٤١ - ٤٢].

فأخبرَ تعالى في هذه الآيات وما يشبَهُها أنَّ القرآنَ العربيَّ الذي هو كلامهُ، إنَّما هو تنزيلُه،

(١) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

نَزلَ منهُ، فمنه بدَأ وَخَرَجَ لا مِنْ سِواه.

٨ – وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: الآيات: ١٠١ – ١٠٣].

فأنبأ تعالى في هذه الآياتِ أنَّ القرآنَ العربيَّ نزَلَ به رُوحُ القُدُس منه، ورُوحُ القُدُس هو جبريلُ عليه السَّلام، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٧].

فليسَ هو كلامَ محمَّدٍ –صلى الله عليه وسلم–كما زعَمَ الكفَّارُ– ولا كلامَ جبريلَ عليه السَّلام –كما زعمَه بعضُ أهلِ البِدَع– وإنَّما هو كلامُ الله تعالى، منه بدأ وخَرَجَ، وهو الذي أنزلَه بواسطةِ رسولهِ الملَك جبريلَ، فمن قال غير هذا فقَدْ كَفَرَ، لأنَّه كذَّبَ الله في قولِهِ، وجَحَدَ ما أنبأتْ به رسلُه، وإنِ ادّعى الإسلامَ وانتسبَ إليه، فالإسلامُ يَبْرأ منه.

والله تعالى لم يُضِف شيئاً ممَّا أنزله إلى نفسِهِ غيرَ كلامِهِ، وذلك لأنَّه صفتُهُ.

تنبيه:

ويجب أن يُعلَمَ أنَّه ليسَ معنى قولهم (منه خَرَجَ) أنَّ صفةَ الكلام فارَقَتْهُ تعالى، وحلَّتْ في غيرِهِ، وأنَّ ما تكلَّم به نُسِبَ إلى غيرِه، وصارَ وصفاً لذلك الغَيْر –كما قد وَسْوَسَ به بعضُ أهل البدَع–فإنَّ هذا المعنى لا يُعقَل في حَقّ الإنسانِ المخلوقِ الضَّعيفِ، إذا تكلَّمَ بكلام تزولُ عنهُ صفةُ الكَلام بذلك وتفارقُه إلى غيرِهِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ لم يمكِنْه الكلامُ إلاَّ مرّةً واحدةً، فإذا تكلَّمَ هذه المرَّة فارقَتْهُ صفتُهُ، لأنَّ الكلامَ خرَجَ منه وفارقَهُ، وبمفارقته زالتْ عنه الصّفة ولَحِقَتْ غيرَهُ، هذا كلامٌ لا يقوله مَن يَدري ما يقولُ، فإنَّ مَنْ وُصِفَ بالكلام على هذا المعنى موصوفٌ بالعَجْز عنه، وهو غيرُ متصوَّرٍ في حقّ الناطق المخلوق على ضَعْفه، فكيف تصوَّرَهُ هؤلاء الضُّلاَّلُ في حقّ الله الذي ليسَ كمثلهِ شيءٌ، فإنَّه تعالى وصفَ نفسَه بأنَّه متكلمٌ بكلامٍ

متعلقٍ بمَشيئتهِ وقُدْرتهِ، يُسْمِعُه من شاءَ من خلقهِ، متى شاءَ، وأنَّ كلماتِهِ تعالى لا تَنْفَدُ، ومن كان هذا وصْفُهُ لم تفارقْهُ صفَتُهُ بتكلّمهِ مرَّةً أو مرَّاتٍ، وكانَ كلُّ ما تكلَّمَ به منسوباً إليه لا إلى غيرِهِ.

قالَ الإمام الحافظُ أبو الوليد الطَّيالِسيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٢٧ هـ): "القُرْآنُ كلامُ الله ليسَ ببائنٍ من الله".(١)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وإنَّ قولَ السَّلَف: (منه بدأ) لم يُريدوا به أنه فارقَ ذاتَهُ، وحَلَّ في غيره، فإنَّ كلامَ المخلوقِ، بل وسائرَ صفاتهِ لا تفارقُه وتَنْتَقِلُ إلى غيرِهِ، فكيفَ يجوزُ أنْ يفارقَ ذاتَ الله كلامُه أو غيرُهُ من صفاتِهِ".(٢)

قالَ الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ **[التوبة: الآية: ٦]** فالَّذي يسمَعُهُ المشْرك المستجيرُ من القارئ إنَّما هو كلامُ الله المضافُ إليه لا إلى غيرِهِ، فلو أن كلامَه بانَ منه وفارقَه لَما صَحَّتْ إضافَتُهُ إليه إضافةَ الصِّفَةِ إلى الموصوفِ.

وهذا الكلامُ بعَيْنِهِ هو الذي في مَصاحفِ المسلمينَ بلا شَكٍّ ولا ريبٍ، خِلافاً لِلَّفظيةِ من الأشعريةِ وغيرِهم القائلينَ بأنَّ ما في المصاحفِ دلالةٌ على كلام الله، وليسَ هو كلامَ الله، وقد قالَ الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الواقعة: الآيات: ٧٧–٨٠]، فأبان أنَّ كلامَه الذي هو وحيُهُ وتنزيلُهُ يكونُ في الكتاب المكنونِ، فكذلك كونُه في المصاحفِ، ونحنُ لا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ هذا العربيَّ المنزَلَ، وهو الذي سمَّاه الله تعالى كلامَه.

وقَدْ قالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–: «لا تُسافِروا بالقرآن إلى أرْضِ العَدُوّ، فإنِّي أخافُ

(١) رواه أبو داود في "المسائل" (ص: ٢٦٦)، بسند صحيح عنه.

(٢) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٢٧٤)، وانظر: (١٢/ ٥١٧– ٥١٨، ٥٥٠، ٥٦١).

أن ينالَهُ العدوُّ».[(١)]

ولا خِلافَ في أنَّ النَّهيَ عن السَّفر بالقرآن، إنَّما هو النَّهْيُ عن السَّفَرِ بالمصاحفِ، لأنَّ القرآنَ إنَّما يكونُ فيها، وهي التي تُحْمَلُ وتُنْقَلُ، ولا نعلَمُ القرآنَ إلاَّ كلامَ الله المنزَلَ على الحقيقةِ.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وممَّا كانَ أحمدُ أنكرَه من قولِ الجهميَّةِ قولُ من زعَمَ أنَّ القرآنَ ليسَ في الصُّدورِ، ولا في المصاحفِ".[(٢)]

الجانب الثاني: (إليه يعود)

وقد اختلف العلماء في تفسير معنى قوله: وإليه يعود.

القول الأول: وقد تأوَّلَهُ بعضُ أهلِ السُّنَّة بعَودِ تلاوته وقراءته التي هي كَسْبُ العبدِ.

وهذا المعنى حَق، فإنَّه تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: الآية: ١٠]

القول الثاني: يعود إليه نسبة.

أي أنه يعود إلى الله تعالى وصفا، فهو الموصوف به سبحانه وتعالى لا يوصف به أحد سوى الرب سبحانه وتعالى.

قال ابن النجار الفتوحي–رحمه الله–(ت ٩٧٢ هـ): "قال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن منه.وقد جاء في الأحاديث والآثار "أنه منه بدأ، ومنه خرج، وإليه يعود" نصا منه، ومن غيره عليه.

ومعنى ذلك: أنه هو المتكلم به، أو الذي يخرج منه، ولا يقتضي ذلك أنه يباينه وانتقل

(١) أخرجه مالك (٢/ ٤٤٦)، والشافعي رقم (١١٤٩، ١١٥٠)، وأحمد رقم (٤٥٠٧، ٤٥٢٥، ٤٥٧٦، ٥١٧٠، ٥٢٩٣)، والبخاري (٦/ ١٣٣)، ومسلم رقم (١٨٦٩)، وأبو داود رقم (٢٦١٠)، والنسائي في "فضائل القرآن" –من "الكبرى"– رقم (٨٥)، وابن ماجة رقم (٢٨٧٩، ٢٨٨٠)، من طرق عن نافع عن ابن عمر به مرفوعًا.

وتابع نافعاً عليه عبد الله بن دينار، أخرجه أحمد رقم (٦١٢٤) وابن أبي داود في "المصاحف" (ص: ١٨٣) بسند صحيح عنه.

وكذا تابعه سالم عن أبيه، أخرجه ابن أبي داود (ص: ١٧٩ – ١٨٠)، بسند صالح في المتابعات.

(٢) المصدر: كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله بن يوسف الجديع.

عنه.[١]

وقال: ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله.[٢]

قال أحمد: منه بدأ وإليه يعود.[٣]

وقال: منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه.[٤]

وقال تارة: منه خرج، وهو المتكلم به، وإليه يعود، وهو القرآن".[٥]

القول الثالث: يُسرى به من الأرض في آخر الزمان، كما روي في بعض الآثار أنه إذا لم يعمل الناس بالقرآن، أي: أطبقت الأرض على عدم العمل به، ينزه الله كتابه فيرفعه من صدور الناس ومن مدادهم.

وبهذا جاء الخبرُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وغيرِه من أصحابه.

فأمَّا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

١-**عن حذيفة بن اليمان (ت: ٣٦ هـ)، وأبي هريرة-(ت: ٥٧ هـ)-رضي الله عنهما-**، قالا: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (يسرى على كتاب الله ليلا، فيصبح الناس ليس في الأرض ولا في جوف مسلم منه آية).[٦]

٢ - عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه قال:

(يسرى على كتاب الله عز وجل فيرفع إلى السماء؛ فلا يصبح في الأرض آية من القرآن

---

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٥٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ٣٥).

(٢) ينظر: مسائل الإمام أحمد (ص: ٢٦٦).

(٣) ينظر: فتاوى ابن تيمية (٢/ ٥١٧).

(٤) ينظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة (٢/ ٥١٨).

(٥) ينظر: الفتوحي، شرح الكوكب المنير شرح مختصر التحرير (٢/ ٨٨).

(٦) أورده الديلمي في الفردوس (٥/ ٤٨٨) (٨٨٤٨) عن أبي هريرة. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ، وابن مردويه.

ولا من التوراة والإنجيل ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو).[(١)]

ومما ورد من الآثار [(٢)]:

١-وعن شَدَّاد بن مَعْقِل-رحمه الله-أنَّ عبد الله بن مسعودٍ-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال:

"لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآنُ من بين أظْهُرِكُمْ".

قال: قلتُ: يا أبا عبد الرَّحمن! كيفَ يُنْتَزَعُ وقد أثْبَتْنَاهُ في صُدورِنا، وأثبتناهُ في مَصاحِفنا؟

قالَ: "يُسْرى عليهِ في ليلةٍ، فلا يَبقى في قَلْبِ عَبْدٍ منه، ولا مُصحَفٍ منه شَيْءٌ، ويُصْبِحُ الناسُ فُقَراءَ كالبَهائم".

ثمَّ قرأ عبد الله: ﴿**وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٨٦]".[(٣)]

٢-عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، من طريق زر بن حبيش- قال: "ليسرين على القرآن في ليلة، فلا تترك آية في قلب رجل ولا مصحف إلا رفعت".[(٤)]

٣-عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود- قال: "اقرءوا القرآن قبل أن يرفع، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع.قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الناس؟ قال: يعدى عليه ليلا فيرفع من

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم: (٨٥٤٤)، وقال الإمام الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الإمام مسلم.

(٢) كما ورد عن ابن مسعود-رضي الله عنه-، موقوفًا، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥٣٤)، والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم (٣٨١، ٣٨٢)، وسعيد بن منصور في السنن (٢/ ٣٣٥)، وابن جرير الطبري في التفسير (١٥/ ١٥٨)، والبيهقي في السنن (٦/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٨) وصحَّحه، وأخرجه الطبراني (٨٧٠٠)، وله طُرُقٌ مرفوعةٌ وموقوفةٌ، ذَكَرَ تخريجَها الشوكانيُّ في فتح القدير (٣/ ٣٥٨ - ٣٥٩).

(٤) أخرجه يحيى بن سلام (١/ ١٦١). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي داود في المصاحف.

صدورهم، فيصبحون فيقولون: لكأنا كنا نعلم شيئا.ثم يقعون في الشعر".[(١)]

٤-**عن حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)**، من طريق ربعي بن حراش- قال: "يوشك أن يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة، فيبيتون ليلة ويصبحون وقد أسري بالقرآن وما قبله من كتاب، حتى ينتزع من قلب شيخ كبير وعجوز كبيرة، فلا يعرفون وقت صلاة ولا صيام ولا نسك، حتى يقول القائل منهم: إنا سمعنا الناس يقولون: لا إله إلا الله.فنحن نقول: لا إله إلا الله".[(٢)]

٥-**عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، من طريق أبي حازم- قال: "يسرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء، فلا يبقى في الأرض آية من القرآن ولا من التوراة والإنجيل والزبور، فينزع من قلوب الرجال، فيصبحون في الضلالة، لا يدرون ما هم فيه".[(٣)]

٦-**عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-(ت: ٦٥ هـ)**، قال: "لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل، له دوي حول العرش كدوي النحل، يقول: أتلى ولا يعمل بي".[(٤)]

٧-**عن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-(ت: ٤٠ هـ)**: "يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف.ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق.وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ وإليه يعود".[(٥)]

٨-**عن عكرمة-رحمه الله-(ت: ١٠٥ هـ) قال: كان ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، في جنازة، فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: "اللهم رب القرآن اغفر

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (١/ ٤٠٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٦). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤) عزاه السيوطي إلى محمد بن نصر في كتاب الصلاة.

(٥) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٥٤)، عن علي رضي الله عنه موقوفًا.

له.فوثب إليه ابن عباس فقال: "مه، القرآن منه" زاد الصهبي في حديثه فقال ابن عباس: "القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود".(١)

٩-**عن شمر بن عطية-رحمه الله-(ت: في ولاية خالد القسري)**، قال: "يسرى على القران في ليلة، فيقوم المتهجدون في ساعاتهم فلا يقدرون على شيء، فيفزعون إلى مصاحفهم فلا يقدرون عليها، فيخرج بعضهم إلى بعض فيلتقون، فيخبر بعضهم بعضا بما قد لقوا".(٢)

١٠-**عن عمرو بن دينار-رحمه الله-(ت: ١٢٦ هـ)**، يقول: "أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود".(٣)

١١- **سفيان الثَّوْري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)**.

قال: "القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخلوقٍ، منه بَدَأ وإليه يعودُ، مَنْ قال غيرَ هذا فهو كُفْرٌ".

١٢- **أبو بكر بن عيَّاش (ت: ١٩٣ هـ)**.

قال: "القرآنُ كلامُ الله، ألقاه إلى جبرائيلَ، وألقاهُ جِبرائيلُ إلى محمَّدٍ -صلى الله عليه وسلم-، منه بدَأ، وإليه يعودُ".(٤)

١٣-**سفيان بن عُيَيْنَة-رحمه الله-(ت: ١٩٨ هـ)**.

سأله رجُلٌ: يا أبا محمَّدٍ، ما تقولُ في القرآنِ؟ فقال: "كَلامُ الله، مِنْهُ خَرجَ وإليه يَعودُ".

١٤- **الإمام أحمدُ بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)**.

قال: "لقيتُ الرِّجالَ، والعُلَماءَ، والفُقَهاءَ، بمكَّةَ، والمدينةِ، والكُوفةِ، والبَصْرةِ، والشامِ، والثُّغورِ، وخُراسانَ، فرأيتُهم على السُّنَّة والجَماعَة، وسألتُ عنها -يعني هذه اللفظة- الفُقَهاءَ؟

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٥٦).

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي داود، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٦٠). وذكر الحافظ ضياء الدين المقدسي في "اختصاص القرآن" فقرة [٦] عشرة أنفس من الصحابة أدركهم عمرو بن دينار فيهم: عبد الله بن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.

(٤) جميع هذه الآثار الأربعة صحيحة، انظر تخريجها في التعليق على "اختصاص القرآن" وأثر عمرو قد سبق ذكره.

فكلٌّ يقولُ: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مَخْلوق، منه بدَأ، وإليه يعودُ".[(١)]

وقالَ: "لم يَزَلِ الله عالماً متكلّماً، نعبُدُ الله لصِفاتهِ، غير محدودَةٍ ولا مَعلومةٍ إلّا بما وصَفَ به نفسه، ونردُّ القرآن إلى عالمهِ تبارك وتعالى، إلى الله، فهو أعلَمُ به، منه بَدَأ وإليه يَعودُ".[(٢)]

١٥- أبو جعفر أحمد بن سِنان الواسطي (ت: ٢٥٦ هـ).

قال: "مَن زَعَمَ أنَّ القرآنَ شَيْئَين أو أنَّ القرآنَ حِكايةٌ، فهو والله الذي لا إله إلاَّ هو، زِنديقٌ كافرٌ بالله، هذا القُرْآنُ هو القُرآنُ الذي أنزله الله على لسانِ جبريلَ على محمَّد -صلى الله عليه وسلم-، لا يغيَّر ولا يُبَدَّل: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: الآية: ٤٢]، كما قالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِه** ...﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨]، ولو أنَّ رجلاً حلفَ لا يتكلَّمُ اليومَ، ثمَّ قرأ القرآنَ، أو صلَّى وقرأ القرآنَ، أو سلَّمَ في الصَّلاةِ، لم يحنَثْ، لا يُقاسُ بكَلام الله شَيْءٌ، القرآنُ كلامُ الله، منه بَدَأ وإليه يَعودُ، ليس من الله تعالى شَيْءٌ مخلوقٌ، ولا صِفاتُهُ، ولا أسماؤُهُ، ولا عِلْمُهُ".[(٣)]

وقال ابن قدامة-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ): "من كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود".[(٤)]

ونقلَ ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)، اتّفاقَ السَّلَفِ والأئمَّةِ على ذلك في غيرِ موضع من كلامه.[(٥)]

فبهذا يظهرُ لكَ معنى قولِ من قال من السَّلَفِ: "القرآنُ كلامُ الله، مُنْزَلٌ غيرُ مَخْلوقٍ، منه

(١) ذكر هذا النص الحافظ الضياء في "اختصاص القرآن" عن المرّوذى عن أحمد، فقرة (٩).

(٢) رواه حنبل فى "المحنة" (ص: ٤٥)، عنه به.

(٣) أخرجه الضياء في "اختصاص القرآن" رقم (١٦).

(٤) لمعة الاعتقاد (ص: ١٨).

(٥) انظر: "مجموع الفتاوى": (٦/ ٥٢٨)، (١٢/ ١٦٤).

بدّأ وإليه يَعودُ".

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فقالوا: (منه بدأ) ردّاً على الجَهْميةِ الذين يقولون: بدأ من غيرِهِ، ومقصودُهُم أنَّه هو المتكلِّمُ به، كما قالَ تعالى: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: الآية: ١]، وقالَ تعالى: ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي** ...﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وأمثال ذلك".(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأمَّا (إليه يَعودُ) فإنه يُسْرى به في آخِرِ الزَّمانِ، من المِصاحفِ والصُّدور، فلا يبقى في الصُّدور منه كلمةٌ، ولا في المصاحف منه حرفٌ".(٢)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وَالَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ: أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَإِنَّمَا قَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ» لِأَنَّ الجَهْمِيَّة–مِن المعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ–كَانُوا يَقُولُونَ: إنَّهُ خَلَقَ الكَلَامَ فِي المحَلِّ.فَقَالَ السَّلَفُ: «مِنْهُ بَدَأَ».أَيْ: هُوَ المتَكَلِّمُ بِهِ؛ فَمِنْهُ بَدَأَ، لَا مِنْ بَعْضِ المخْلُوقَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ [الزمر: الآية:١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة: الآية: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [سبأ: الآية: ٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ**﴾ [النحل: الآية: ١٠٢].

وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: «إلَيْهِ يَعُودُ»: أَنَّهُ يُرْفَعُ مِن الصُّدُورِ وَالمصَاحِفِ؛ فَلَا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ آيَةٌ وَلَا مِنْهُ حَرْفٌ، كَمَا جَاءَ فِي عِدَّةِ آثارٍ".(٣)

---

(١) "درء التعارض" (٢/ ١١٣).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٣/ ١٧٤–١٧٥)، عن المناظرة في الواسطية.

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٨، ٥٢٩).

سادسًا: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت مسموعين.(١)

أولًا: إثبات الحرف.

ومن اعتقادِ السَّلَف في كلامِ الله تعالى أنَّ كلامَه جَلَّ وعَزَّ مؤلَّفٌ من الحُروفِ، إنْ شاءَ جَعَلَها عَربيَّةً، وإن شاءَ جعَلَها عِبْرانِيَّةً، وإن شاء جَعَلها غيرَ ذلك، فهو المتكلّمُ بحُروفِ القرآنِ، والتَّوراةِ، والإنجيلِ، وغيرِها من كلامِهِ.

قالَ تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: الآية: ٤].

وقال تعالى: ﴿الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) ممن ألف في مسألة الحرف والصوت:

١- : رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد لعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني-رحمه الله-(ت: ٤٣٨ هـ).

٢-رسالة عبيد الله السجزي (ت: ٤٤٤ هـ)، إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، وهي رسالة مطبوعة.

٣-كتب أبو يعلى-رحمه الله-(ت: ٤٥٨ هـ)، جزءا سماه ايضاح البيان في مسألة القرآن، وهو مفقود، وهذا الكتاب نقل منه شيخ الإسلام في عدة مواطن من كتبه انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص ٣٢، مجموع الفتاوى ٦/ ١٥٨، درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٧٤.

٤-كما ألف ابن عقيل (ت: ٥١٣ هـ)، كتابا في مسألة الحرف والصوت وقد طبع بعنوان جزء في الأصول أصول الدين مسألة القرآن أو الرد على الأشاعرة العزال وإثبات الحرف والصوت في كلام الكبير المتعال

أما ابن قدامه-رحمه الله-(ت: ٦٢٠ هـ)، فله ثلاثة كتب لهذا الغرض وهي مطبوعة:

٥-الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم.

٦-والبرهان في بيان القرآن.

٧-وكتاب حكاية المناظرة في القرآن.

٨-كما جمع محمد بن عبد الواحد المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٤٣ هـ) جزء في الأحاديث الواردة في هذه المسألة سماه جزء أحاديث الحرف والصوت وهو مفقود.

٩-كتاب "غاية المرام في مسألة الكلام" للشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الأرموي الشافعي. وقد طبعت رسالة بعنوان "جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات" ونسبت للنووي، ولكن جاء في (ص: ٦٩) عبارة: "وهذا الذي ذكرناه جميعه من كلام الشيخ أبي العباس الأرموي-رحمه الله-"

١٠-كتاب طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف تأليف الشيخ أبي العباس أحمد ابن يحيى الحنبلي-رحمه الله-(ت: ٩٤٨ هـ) وهو مطبوع..

بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: الآيات:١ - ٤].

فأخْبَرَ تعالى أنه أنْزَل الكُتُبَ: القرآنَ، والتَّوراةَ والإنجيلَ، وإنَّما ذلك بلُغاتِ الرُّسل الذين أنْزَل عَلَيهم، وبلُغات أقوامِهم، لأجْلِ أن تقومَ الحُجَّةُ عليهم به، إذ لوكانَ بغيرِ لُغتهم ما فَقِهُوهُ.

قال تعالى: **﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [يوسف: الآيات: ١ - ٢]

وقالَ تعالى: **﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾** [الزخرف: الآيات: ١ - ٤]

وقالَ تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾** [النحل: الآية: ١٠٣].

وقالَ جَلَّ وَعَزَّ **﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾** [الشعراء: الآيات: ١٩٢ - ١٩٩]

وقالَ تعالى: **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

وقالَ سُبحانه: **﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾** [فصلت: الآيات: ١ - ٤].

وقالَ تعالى: **﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...﴾** [فصلت: الآية: ٤٤].

فأخبرَ تعالى أنَّ القرآنَ الذي نزلَ به جِبريلُ عليه السَّلامُ منهُ تبارك وتعالى وحيُهُ وتنزيلُهُ، وهو هذا القرآنُ العربيُّ الذي أنْزلَ على محمَّد -صلى الله عليه وسلم- بلغةِ قومِهِ، ليفقَهوهُ ويَعْقِلُوهُ

ويعْلَمُوهُ.

وقولُه: ﴿**لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ أي: بلغةِ العربِ.

فالله تعالى تكلَّمَ به كذلك، بحروفِهِ العربيَّةِ، كالألفِ والباءِ والتَّاءِ، ليسَ شَيْءٌ من ذلك قولَ أحَدٍ سِواهُ، وإنّما بلَّغَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ عنه، وبلَّغَهُ محمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- عن جِبريل، وهو الذي أعجزَ الكفَّارَ أنْ يأتوا بمثلِه، بَلْ تحدَّى الله تعالى الإنسَ والجنَّ أنْ يأتوا بمثلِهِ، كما قالَ تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٨٨].

فكونُهُ مؤلّفًا من الحُروفِ ظاهرٌ لا يَحْتاجُ إلى استدلالٍ، إذْ أنَّ كُلَّ أحَدٍ يعلَم أنَّ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ آيةٌ، وهي أربَعُ كَلِمَاتٍ، كلُّ كلمةٍ مؤلَّفةٌ من حَرْفيْنِ أو أكثر، وهي كَلِماتٌ عَرَبيَّةٌ، وحروفٌ عربيَّةٌ.

ولكنَّ بعضَ أهْلِ البدَعِ نازعَ في إطلاقِ لفظِ (الحَرْف) وأنَّه يَحتاجُ إطلاقُهُ إلى دليلٍ.

وهذا المنازع لا يَخْلو من أحَدِ حالَيْنِ:

إمّا أنْ يكونَ مُكابِرًا -كما هي سِمَة أهلِ البِدَعِ-.

وإمَّا أنْ يكونَ غَبيّاً جاهلًا.

وذلك أنَّ كُلَّ أحَدٍ يُبصرُ (آلَمَ.آلمر.كهيعص.حم.طه.يس) لا يخطرُ ببالِهِ غيرُ أنَّها حُروفٌ، وليسَ لها تسميةٌ إلاَّ هذهِ.

ونحن معَ ذلك نزيدُهُ حُجَجاً على صِحَّةِ إطلاقِ لهذه التَّسْميةِ من السُّنَّة وآثارِ السَّلَفِ، لنكْسِرَ أنفَ كِبْرِهِ، أو نَمْحُو جَهْلَ فِكْرِهِ، فمِنْ ذلك:

١ - **حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، قال: بينَما جِبريلُ قاعِدٌ عندَ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- سَمِعَ نقيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فرفَعَ رأسَه فقال:

(هذا بابٌ منَ السَّماءِ فُتِحَ اليومَ لم يُفْتَح قطّ إلاَّ اليوم، فَنَزَلَ منه مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلاَّ اليَوْم، فسَلَّمَ وقالَ: أبْشِرْ بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهُما

نبيٌّ قبلَكَ: فاتحةِ الكتابِ، وخَواتيمِ سُورَةِ البقرَةِ، لَنْ تَقْرَأ بحَرْفٍ منهما إلاَّ أعْطِيتَه).[١]

٢ - **حديث عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**، قال:

(تعلَّموا القرآنَ، فإنَّه يُكْتَبُ بكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسناتٍ، ويُكَفَّرُ به عَشْرُ سيِّئاتٍ، أمَا إني لا أقول: ﴿الم﴾ ولكن أقولُ: ألفٌ عَشْرٌ، ولامٌ عَشْرٌ، وميمٌ عَشْرٌ).[٢]

٣ - **وقول ابن عبَّاس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ):**

"ما يمنَعُ أحدَكُم إذا رَجَعَ من سُوقِهِ، أو منْ حاجَتِهِ، إلى أهْلِهِ، أنْ يَقْرأ القرآنَ فيكونَ لَه بكلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ".[٣]

٤ - **وقالَ شُعَيْبُ بن الحَبْحاب–رحمه الله–(ت: ١٣٠ أو ١٣١ هـ)** (ثِقَةٌ منْ صِغار التَّابعينَ):

كانَ أبو العاليةِ–رحمه الله–(ت: ٩٠ هـ)، إذا قَرَأَ عنده رَجُلٌ لم يَقُلْ: ليس كما يَقرأ، وإنَّما يَقولُ: أمَّا أنا فأقرأ كَذا وكَذا، قال: فذكَرْتُ ذلك لإبراهيمَ النَّخَعيِّ، فقالَ: أرى صاحِبَك قَدْ سَمِعَ: "أنَّ مَنْ كَفَرَ بحَرْفٍ منهُ، فقد كَفَرَ به كُلِّه".[٤]

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦١).

(٣) رواه ابن المبارك في "الزهد" رقم (٨٠٧) وسنده جيد.

(٤) رواه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥١٣-٥١٤)، وابن جرير في "التفسير" رقم (٥٦) وسنده صحيح.

مسألة الفرق بين الحروف التي يتكلم بها الله، والحروف التي يتكلم بها المخلوق.

الأول: الفَرْقُ بين الحُروفِ التي يتكلَّمُ الله بها، والحُروفِ التي يتكلَّمُ بها المخلوق.

تنازع الناسُ في حُروف المعجم: هَلْ هي مخلوقةٌ؟ أو غيرُ مخلوقة؟

وليس في تحقيق ذلك كبيرُ فائدةٍ، وليس فيه نصٌّ عن معصومٍ يُصار إليه، وإنَّما يَجِبُ الكَفُّ عن إطلاقِ القَوْلِ بالخَلْقِ لئلاَّ يتوهّم متوهّمٌ أنَّ الحروفَ التي تكلَّم الله بها مخلوقةٌ.

وذكرَ ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) في غير مَوْضِع أنَّ الإمامَ أحمدَ–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، أنكرَ الإطلاقَ، لأنَّهُ مَسْلَكٌ إلى البِدْعَةِ، وإلى القَوْلِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ.[(١)]

وكما يُمْنَع مِن إطلاق القَوْلِ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ، يُمْنَع أيضاً إطلاقُ القَوْل بأنَّ الحُروفَ غيرُ مخلوقةٍ، لئلا يتوهَّمَ متوهِّم أنَّ الحُروفَ التي هي مَباني كَلام الناس غيرُ مخلوقةٍ، والذي يجرُّ إلى القول بأنَّ ما يتكلَّمُ به العبادُ مِن كلام أنفُسهم هو نفسُه كلامُ الله، فيتحقَّقُ حينئذ للمَلاحِدَة كابن عربي الطائي وأمثاله صِحَّةُ قولِهم:

وكلُّ كَلامٍ في الوجودِ كلامُهُ ...سَواء علينا نَثْرُه ونِظامُهُ

وهذا القولُ من أفحَش الباطِل، وأكفَر الكُفْرِ، إذ مَعْناه أنَّ كلَّ ما تلفِظُ به الخَلائق من الصِّدْق والكَذِبِ، والزُّورِ، والبُهْتان، وألفاظِ الخَنا والفُجور والكُفْر، كلامُ الله.

وحينئذ لا يتميَّزُ حَقٌّ من باطلٍ، ولا صِدْقٌ من كَذبٍ ولا كفرٌ من إيمانٍ.

وإنَّما الحَقُّ والصَّوابُ أن يُقالَ:

إنَّ الحَرْفَ المجرَّد الَّذي هو جزءٌ من اللفظ، مثل: (ز) من كلمة: (زيد) لا يُقالُ فيه مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، لأنَّ الحرْفَ المجرَّدَ ليس كَلاماً، وإنَّما يقَع الكلام فيما ألّفَ من الحروفِ فأفادَ مَعنًى، ككلمةِ (زيد) اسمُ عَلَمٍ مَعْروفٌ.[(٢)]

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٤١، ٨٤–٨٥، ٤٤٢).

(٢) فإن اعترض معترض بقوله تعالى: (الم)، (الر)، (ص)، (ن)، وما يشبهها مما جاء في أوائل بعض السور، وقال: إنَّها حروف، ونطلق أنَّها غيرُ مخلوقة لأنَّها كلام الله، فالجواب: أنَّ هذه ليست حروفاً مجردة، كحروف كلمة (زيد) وغيرها من الكلام المؤلف، وإنَّما هي أسماء =

والكلامُ المؤلَّفُ من الحُروف الذي يُفيد معنًى يُفَصَّل فيه: فإنْ كانَ كلاماً لله تعالى كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان كلاماً للعبد يُنْشِئُهُ من تِلقاء نفسهِ، ولا يُريدُ به قِراءةَ كلام الله فهو مَخلوقٌ، فقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا** ....﴾ [الأحزاب: الآية: ٣٧] غيرُ مخلوق، وقولك: (جاءَني زيدٌ فأكرمتُهُ) مخلوقٌ، لأنَّ الأوَّل كلامُ الله تعالى نظمه وحروفه، والثانيَ كلامُكَ نظمه وحروفه.

ولو قالَ قائلٌ: (محمَّدٌ رسولُ الله) أو: (ألف، لام، ميم) لم يصحّ فيه إطلاق أنَّه مخلوقٌ، أو غيرُ مخلوق، حتى يُسْتَفْصَل منه، فإنْ أرادَ بِهِ قِراءةَ كلامِ اللهِ كانَ غيرَ مخلوقٍ، وإنْ كان أنشأهُ مبتدِئاً مِن نفسهِ، أو يُبَلِّغُهُ عن غيرهِ، وهو من إنشاءِ ذلكَ الغيرِ سِوى الله تعالى، كانَ مخلوقاً.

وقد سألَ **الحافظُ الثِّقَةُ أحمدُ بن الحَسن الترمذيُّ-رحمه الله-(ت: غير معروف)** الإمامَ أحمَدَ فقال:

قلتُ لأحمدَ بن حنبل: إنَّ الناسَ قد وقَعوا في أمرِ القرآنِ، فكيف أقولُ؟

قال: "أليسَ أنت مخلوق؟ ".

قلتُ: نعَمْ.

قال: "فكلامُكَ منك مخلوقٌ؟ ".

قلت: نعم.

قال: "أوَلَيسَ القرآنُ من كلامِ اللهِ؟ ".

قلت: نعم.

قال: "وكلامُ اللهِ؟ ".

قلت: نعم.

للحروف، ألا ترى أنَّك تقرؤها: (ألف، لام، ميم ...)؟ فلو كان حرفاً مجرداً لقلت: (أ. لْ. مْ) فهي على ما تُلْفَظ وتُسْمَع لا على ما تُكْتب وترسم، وقد نقل شيخ الإسلام أنَّ الخليل بن أحمد -إمام العربية- سأل == أصحابَه: كيف تنطقون بالزاء مِن (زيد)؟ قالوا: نقول: (زا) قال: جئتم بالاسم، وإنَّما يقال: (زه) - "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٤٤٨).

قال: "فيكون من الله شيءٌ مَخلوق؟ ".[(١)]

فتأمَّل هذا القولَ الموجَز فإنَّه من أسَدِّ الكلام وأحسَنِهِ، فرَّق الإمامُ أحمدُ فيه بَيْنَ كلامِ الله وكلامِ المخلوق، بأنَّ كلامَ الله هو الذي قالَه مبتدئاً، وكلامَ المخلوق هو الذي قالَه مبتدئاً، فلمَّا كان كلامُ الله ابتدأ منه كانَ غيرَ مخلوقٍ، لأنَّه ليسَ من الله شيءٌ مخلوق، ولما كانَ كلامُ المخلوقِ ابتدأ منه -بمعنى أنه هو الذي أنشَأه- كانَ مخلوقاً، لأنَّ العبدَ بأفعاله جميعاً مخلوقٌ.

ثانيًا: إثبات الصوت.

أ- حد الصوت.

قال المرداوي: "وحد الصوت: ما يتحقق سماعه، فكل متحقق سماعه صوت، وكل ما لا يتأتى سماعه البتة ليس بصوت، وحجة الحد كونه مطردًا منعكسًا.

وقول من قال: إن الصوت هو الخارج من هواء بين جرمين، فغير صحيح، لأنه يوجد سماع الصوت من غير ذلك، كتسليم الأحجار، وتسبيح الطعام والجبال، وشهادة الأيدي والأرجل، وحنين الجذع،

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء: الآية: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**﴾ [ق: الآية: ٣٠]، وما لشيء من ذلك منخرق بين جرمين".[(٢)]

ب-الأدلة على إثبات الصوت

وأمَّا كلامُهُ تعالى بصَوْتٍ، فقد قامت الدَّلائلُ القَواطِعُ على إثباتِهِ، وهو كسائِرِ صفاتِهِ تعالي، كلما أنَّها لا تَشْبَهُ صفاتِ المخلوقينَ، فصوتُهُ تعالى لا يشبَهُ أصواتَهم، وقياسُ الخالِقِ على المخلوقِ تَشْبيهٌ، والله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: الآية: ١١]، في ذاتِهِ، وجَميعِ صفاتِهِ.

---

(١) رواه اللالكائي في "السُّنَّة" رقم (٤٥١) بسند صحيح.

(٢) التحرير شرح التحبير (٣/ ١٣٤٦-١٣٤٥).

والأدلَّةُ على إثباتِ كلامِ الله تعالى بصَوْتٍ كثيرةٌ، منها:

أولًا: الأدلة من القرآن:

١ – تكليمُهُ تعالى لموسى عليه السَّلام، فإنَّه قالَ له: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ**﴾ [طه: الآية: ١٣].

فَدَلَّ هذا على أنَّهُ سَمِعٍ كلامَ الله تعالى، ولا يُسْمَعُ إلاَّ الصَّوْتُ، وربُّنا تعالى قَدْ خاطَبَنا باللِّسانِ العَربِيّ الذي نفْهَمُهُ، وليسَ فيه سَماعٌ يحصَل من غير صَوْتٍ.(١)

وسبق أنْ بيّنّا أنَّ كلامَ الله لموسى كانَ أعلى درجاتِ التَّكليمِ، وليس هو من جنسْ الإلهاماتِ، وإنَّما هو كلامٌ مسموعٌ بالآذانِ.

وقد **قالَ عبد الله بن أحمَدَ بن حَنْبل–(ت: ٢٩٠ هـ)**: سألْتُ أبي رحمه الله عن قومٍ يقولونَ: لما كلَّمَ الله موسى لم يتكلَّمْ بصَوْتٍ؟ فقال أبي:

"بَلَى، إنَّ ربَّكَ–عَزَّ وَجَلَّ–تَكَلَّمَ بصَوْتٍ، هذه الأحاديثُ نَرْويها كما جاءت".(٢)

واحتجَّ لذلكَ بحديث ابن مَسعودٍ الآتي.

وقالَ الإمام أبو بكر المَرُّوذِيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٧٥ هـ) صاحبُ الإمام أحمَدَ: سمعتُ أبا عبد الله –يعني أحمَدَ– وقيل له: إنَّ عبْدَ الوهّاب قَدْ تكلَّم وقالَ: مَنْ زعَمَ أنَّ الله كلَّمَ موسى بلا صَوْتٍ فهو جَهميٌّ عدُوُّ الله وعدوُّ الإِسلام، فتبسَّمَ أبو عبد الله وقال: "ما أحسَنَ ما قال، عافاه الله".(٣)

وقال عبدُ الله بن أحمَدَ–رحمه الله–(ت: ٢٩٠ هـ) أيضًا: قلتُ لأبي: إنَّ ههُنا مَنْ يقولُ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصوْتٍ، فقال: "يا بُنيَّ، هؤلاء جَهْميَّةٌ زنادِقَةٌ، إنَّما يَدوُرونَ على التَّعطيل" وذكرَ

(١) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٩٣).

(٢) رواه عبد الله في "السنة" رقم (٥٣٣) عنه.

(٣) رواه الخلاّل عن المرّوزي به –كما في "درء التعارض (٢/ ٣٨ – ٣٩).

الآثارَ في خِلاف قَوْلهم.[١]

٢ – إخبارُه تعالى عن ندائِهِ لموسى عليه السَّلام، ولعبادِهِ يومَ القيامةِ.

وذلك في عدَّةِ مَواضِعَ مِن كتابِهِ، منها:

قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ [النازعات: الآيات: ١٥، ١٦]

وقوله تعالى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ [مريم: الآية: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ**﴾ [طه: الآية: ١١].

وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: الآية: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ [القصص: الآيات: ٦٢، ٧٤].

والنِّداءُ: **قال الجوهَريّ–رحمه الله–(ت: ٣٩٣ هـ)**: "الصَّوْتُ، وقد يُضَمّ، مثل: الدُّعاء، والرُّغاء، وناداه مُناداةً، ونِداءً، أي: صاحَ به".[٢]

وفي "اللسان": النِّداءُ –ممدودٌ– الدُّعاءُ بأرفَع الصَّوْت، وقد نادَيْتُه.[٣]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "والنِّداء في لغة العَرَب: هو صوتٌ رَفيعٌ، لا يُطلَق النِّداء على ما ليسَ بصوتٍ، لا حَقيقةً ولا مَجازًا".[٤]

وما قالَه ابن تيمية مُوافِق لِما ذكر عن أهلِ اللغةِ من أنَّ النداءَ الصَّوتُ الرَّفيعُ.

فإذا عُلِمَ هذا ثَبَتَ أنَّ الله تعالى نادى موسى بصَوْتٍ، ويُنادِي بصَوتٍ عبادَه يومَ القيامةِ.

ثانيًا: الأدلة من السنة.

---

(١) ذكر هذا النَّص شيخ الإسلام –كما في "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٣٦٨)–ونسبه إلى "كتاب السنة" لعبد الله، ولم أقف عليه فيه، فلعله وقع له في نسخة.

(٢) "الصحاح" مادة (ندا). نِداءً" (٣٠). (٢).

(٣) "اللسان" مادة (ندي).

(٤) "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٣١).

١- **حديثُ عبد الله بن أنَيسٍ-رضي الله عنه-(ت: ٥٤ هـ)**، قال: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

(يَحْشُرُ الله العبادَ -أو الناسَ- عُراةً غُرْلًا بُهْمًا".

قلنا: ما بُهْماً؟ قال:

"ليسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، فَيُناديهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ -أحسَبُه قالَ: كما يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ-: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ ...). الحديث.[١]

وهذا الحديثُ صَريحٌ في إثْباتِ كلام الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، وقَد احْتجَّ به على ذلك **إمامُ أهل الحديث محمَّدُ بن إسماعيل البُخاريُّ-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ)**، فقال:

"وإنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينادي بِصَوْتٍ، يَسْمَعُه مَنْ بَعُدَ كما يَسْمَعه من قَرُبَ، فليسَ هذا لغير الله جَلَّ ذكرُه، وفي هذا دليلٌ أنَّ صوتَ الله لا يشبَهُ أصواتَ الخَلْقِ، لأنَّ صوتَ الله جلَّ ذكرُهُ يُسْمَع من بُعْدٍ كما يُسْمَع من قُرْبٍ ..." ثُمَّ أسنَدَ الحديثَ.[٢]

٢- **حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، أنَّ نبيَّ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **(إذا قَضى الله الأمرَ في السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بأجْنِحَتِها خُضْعانًا لقولِهِ، كأنَّه سلْسِلةٌ على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّعَ عن قُلوبِهم قالوا: ماذا قالَ).**[٣]

ولقد أبى بعضُ أهل البدع الاحتجاجَ بهذا الحديث على إثبات الصوت لله تعالى، وأوَّلَه بأنَّه من مَجاز الحذف، والتقدير: يأمر من ينادي.

- وهذا باطلٌ من أوجهٍ:

الأول: أنَّ الأصلَ في الإطلاق الحقيقة، وهذا ربَّما وافقنا فيه المبتدع في مواضع أُخرى.

والثاني: أنَّ التقدير إنَّما يُصار إله في أحد حالين:

---

(١) أخرجه البخاري معلقا بصيغة التمريض مختصراً قبل حديث (٧٤٨١)، وأخرجه موصولًا أحمد (١٦٠٤٢) مطولا باختلاف يسير.

(٢) "خلق أفعال العباد" (ص: ١٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

- دلالة القرينة.

- عدم استقامة السياق.

وكلاهما منتفٍ هُنا، فلا قرينةَ تدعو إلى هذا التقدير سِوى التنزيه في دعوى المبتدع، وهو عندنا غير مُنتفٍ، وشأنها كسائر صفات الباري تعالى، نُثْبِتُها مع التنزيه.

وأمَّا السياق فهو مستقيمُ لا اضطرابَ فيه، ويؤكّده الوجهُ الآتي.

والثالث: أنَّه خُروجٌ عن الظاهر بغير برهان، بلْ إنَّ البرهانَ ضِدُّه، ألا تَراه قال: "أنا المِلِكُ، أنا الديّان ..."؟ فهل يُناسبُ أن يكون هذا كلاماً لغير الله مِن مَلَكٍ أو غيرِه؟ ربُّكُم؟ قالوا للَّذي قال: الحَقَّ، وهو العليُّ الكبيرُ".[١]

وفي لفظ: (**إنَّ الله إذا قضى أمْراً في السَّماءِ، ضَرَبتِ الملائكةُ بأجْنِحتِها جَميعاً، ولقولهِ صَوْتٌ كصَوْتِ السِّلْسِلةِ على الصَّفا الصَّفوانِ، فذلكَ قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [سبأ: الآية: ٢٣]).[٢]

ووجه الاستدلال بهذا اللَّفظ ظاهرٌ، وذلكَ أنَّ قولَه: "ولقوله صوتٌ كصوتِ السِّلْسِلَة" صَريحٌ في أنَّ قولَه تعالى وكلامَه يكون بصوتٍ.

وأمَّا اللفظُ الأوَّل فإنَّ الضَّميرَ في قوله: "كأنَّه سِلْسِلة" عائدٌ إلى أقرب مذكورٍ، وهو قوله: "لقولِه" فقوله: "سِلْسِلَة على صَفْوان" تضمَّنَ إثباتَ الصَّوتِ للمُخْبَرِ عنه الذي هو القولُ، فيظهرُ بهذا إثباتُ قولِهِ تعالى وكلامِهِ بصَوْتٍ.

ولكنَّ بعضَ أهل البِدَع أبَوْا ذلك من أجْلِ أنْ يُبْطلوا تَكَلُّمَ الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ، فقالوا: الضَّميرُ في قوله: "كأنَّه" عائدٌ على أجنحةِ الملائكةِ، فالصَّوتُ صَوْتُ أجْنِحةِ الملائكةِ.

ولهذا ظاهرُ البُطلانِ لوَجهين:

الأول: أنَّ الضَّميرَ في الأصْل يعودُ إلى أقرَب مذكورٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨٠، ٥٣٧) و (١٣/ ٤٥٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في "التفسير" (٢٢/ ٩١).

والثاني: أنَّه ضميرُ مذكَّرٍ، ولو كان عائداً على أجنحةِ الملائكة لكانَ مؤنَّثاً.

فإن قيلَ: هذان الوجهان تصرفهُما القَرائن!

قلنا: نعَمْ، إن وُجِدتْ، لكنَّها هنا مُنْتفية، يؤكِّدُ نفْيَها اللَّفظُ الثاني لحَديث أبي هُرَيْرَة كما تَراه.

والحديثُ مِمَّا احتجَّ به البخاريُّ -رحمه الله- (ت: ٢٥٦ هـ)، لإِثباتِ تَكَلُّم الرَّبِّ تعالى بصَوْتٍ.(١)

٣- **حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- (ت: ٣٢ هـ)** قال:

"إنَّ الله إذا تكلَّمَ بالوَحْي، سَمِعَ أهلُ السماواتِ للسَّماءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسلةِ على الصَّفا، فيُصْعَقونَ، فلا يزالونَ كذلك حتى يأتيَهم جِبريلُ، فإذا جاءَهم جِبْريلُ فُزِّعَ عن قُلوبِهم، قال: فيقولونَ: يا جبريلُ، ماذَا قالَ رَبُّكَ؟ قال: الحَقَّ".(٢)

وفي لفظٍ عن عبد الله قال:

"إذا تكلَّمَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالوحْيِ سَمِعَ صوتَهُ أهلُ السَّماءِ، فَيَخِرّونَ سُجْداً ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: سُكِّنَ عنْ قُلُوبِهم -نادى أهلُ السَّماءِ: ﴿**مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ** ...﴾ [سبأ: الآية: ٢٣]، قال: كَذا وكَذا".(٣)

وهذا الحديث مما احتجّ به الإمامُ أحمد لإثبات كلام الربّ تعالى بصوتٍ.

قال ابنُه عبد الله، قال أبي رحمه الله:

"**حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- (ت: ٣٢ هـ)**: إذا تكلَّم الله عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ له صَوْتٌ كَجَرِّ السِّلْسِلة على الصَّفْوان".

قال أبي: "وهذا الجهمية تُنْكِرُهُ".

---

(١) "خلق أفعال العباد" (ص: ١٥١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في "التوحيد" (ص: ١٤٦، ١٤٧)، وابن جرير (٢٢/ ٩٠)، وعبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٧) والبيهقي في "الأسماء والصفات".

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٦) والخَلاَّل -كما في "درء التعارض" (٢/ ٣٨)، عن الإمام أحمد.

وقال أبي: هؤلاء كُفَّارٌ، يُريدونَ أن يُمَوِّهوا على النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يتكلَّمْ فهو كافرٌ، إلاَّ أنَّا نروي هذه الأحاديث كما جاءَت". (١)

ثالثًا: أقوال العلماء في إثبات الصوت.

قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ)، في إثبات الصوت: "وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره.

قال أبو عبد الله: وفي هذا دليل على أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوته جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يَصعقوا". (٢)

وقال الحافظُ أبو نَصْرٍ السِّجْزيُّ–رحمه الله–(ت: ٤٤٤ هـ): "وليسَ في وجود الصَّوْتِ من الله تعالى تَشبيهٌ بمَنْ يوجَد الصَّوْتُ منه من الخَلْق، كما لَم يكنْ في إثباتِ الكلامِ له تشبيهٌ بمَنْ له كلامٌ من خلقِهِ". (٣)

وقال الإمام ابن قدامة–رحمه الله–(ت: ٦٢٠ هـ): "ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [النساء: الآية: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿**يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٤] وقال سبحانه: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: الآية: ٥١] وقال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى - إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ**

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في "السُّنَّة" رقم (٥٣٤)، ونحوه روى الخلاَّلُ عن يعقوب بن بختان –أحد الثقات من أصحاب أحمد–عن أحمد–كما في "درء التعارض" (٢/ ٣٨).

(٢) "خلق أفعال العباد"، للبخاري، (ص: ١٤٩).

(٣) "درء تعارض العقل والنقل" (٢/ ٩٣).

الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: الآية: ١١ - ١٢] وقال سبحانه: **﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾** [طه: الآية: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ): " إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء "، روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: (**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**)، رواه الأئمة واستشهد به البخاري".(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "واستفاضت الأثار عن النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، والصَّحابةِ، والتابعين، ومَن بعدَهم من أئمَّةِ السُّنَّة، أنَّه سبحانه يُنادي بصَوْتٍ، نادى موسى، ويُنادي عِبادَه يومَ القيامةِ بصَوْتٍ، ويتكلَّمُ بالوحي بصَوتٍ، ولم يُنْقَل عن أحدٍ من السَّلَفِ أنه قال: إنَّ الله يتكلَّمُ بلا صَوْتٍ، أو بِلا حَرْفٍ، ولا أنَّهُ أنْكَرَ أنْ يَتَكَلَّمَ الله بصَوْتٍ، أو بحَرْفٍ".(٢)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وليسَ في الأئمَّة والسَّلَف من قالَ: إنَّ الله لا يتكلَّمُ بصَوْتٍ، بل قَدْ ثبَتَ عن غير واحدٍ من السَّلَفِ والأئمَّة أنَّ الله يتكلَّمُ بصَوْتٍ، وجاءَ ذلك في آثارٍ مشهورةٍ عن السَّلَفِ والأئمَّةِ، وكانَ السَّلَفُ والأئمةُ يذكرونَ الآثارَ التي فيها ذكرُ تَكلُّمِ الله بالصَّوْتِ ولا يُنْكِرُها منهم أحدٌ".(٣)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): " قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم: إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقا.ولا يقولون إنه صار

(١) "لمعة الاعتقاد" (ص: ١٥). "خلق أفعال العباد"، للبخاري، (ص: ١٤٩).
(٢) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ٣٠٤ – ٣٠٥).
(٣) "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٢٧، وانظر: ٢٤٤).



متكلما بعد أن لم يكن متكلما ".[١]

وقال ابن أبي العز الحنفي-رحمه الله-(ت: ٧٩٢ هـ): " أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".[٢]

الأقوال في مسألة الصوت.

والذين قالوا: إن الله يتكلم بصوت أربع فرق:

فرقة قالت: يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه، وهم المعتزلة.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال، وهم السالمية والاقترانية.

وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم حادث في ذاته بعد أن لم يكن، وهم الكرامية.

وقال أهل السنة والحديث: لم يزل الله متكلما بصوته إذا شاء.

والذين قالوا: لا يتكلم بصوت فرقتان:

١-أصحاب الفيض،

٢-والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس".[٣]

أصل الخلاف في مسألة الصوت:

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أول ما ظهر إنكار أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة، فإنه لما ظهرت الجهمية المعطلة في إمارة أبي العباس المأمون (ت: ٢١٨ هـ)، وأدخلته في آرائها بعد أن كانوا أذلاء مقموعين، وهؤلاء كان عندهم أن الله لا يتكلم أصلا بحرف، ولا صوت ولا معنى ولا يرى، ولا هو مستو على عرشه، ولا علم ولا حياة

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٢/ ١٧٣).

(٢) "شرح الطحاوية" (١/ ١٧٤).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٨-٥٢٩).

ولا إرادة ولا حكمة تقوم به فلما وقعت المحنة وثبت الله خلفاء الرسل وورثة الأنبياء على ما ورثوه عن الأنبياء والمرسلين، وعلموا أن باطل أولئك هو نفاق مشتق من أقوال المشركين والصابئين الذين هم أعداء الرسول وسوس الملك، وظهر للأمة سوء مذاهب الجهمية وما فيها من التعطيل ظهر حينئذ عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري (ت: ٢٤١ هـ) وأثبت الصفات موافقة لأهل السنة، ونفى عنها الخلق ردا على الجهمية والمعتزلة، ولم يفهم لنفي الخلق عنها معنى إلا كونها قديمة قائمة بذاته سبحانه، فأثبت قدم العلم والسمع والبصر والكلام وغيرها، ورأى أن القديم لا يتصور أن يكون حروفا وأصواتا لما فيها من التعاقب وسبق بعضها بعضا، فجعل كلام الله القديم الذي ليس بمخلوق هو مجرد معنى أو معان محصورة، وسلك طريقة خالف فيها المعتزلة، ولم يوافق فيها أهل الحديث في كل ما هم عليه، فلزم من ذلك أن يقول إن الله لم يتكلم بصوت وحرف وتبعه طائفة من الناس.

وأنكر ذلك الإمام أحمد وأصحابه كلهم، والبخاري صاحب الصحيح، فقال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة: قلت لأبي: يا أبت إن قوما يقولون إن الله لم يتكلم بصوت، فقال: يا بني هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس، بلى تكلم بصوت". (١)

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٥-٥٢٦).

مسألة الصوت المسموع من القارئ.

الصَّوْتُ المسموعُ من القارئ وهو يتلو كلامَ الله، هو صَوْتُ القارئ، لا صَوْت الله تعالى، كما نصَّ عليه الأئمَّةُ كأحمدَ وغيرِهِ.(١)

وذلكَ أنَّ صوتَ العبْدِ إنَّما هو فعلُه القائمُ به، وأفعاله جميعاً مضافة إليه مخلوقةٌ كخَلقهِ، لكنَّ المسموعَ بصَوْتهِ، الذي نطَقَ به لسانُهُ، وتحرَّكتْ به شفَتاهُ، كلامُ الله تعالى.

والدَّليلُ على ذلكَ قولُ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم-: "زيِّنوا القرآنَ بأصواتِكم".(٢)

فأضافَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- الأصواتَ إلى القُرّاء، لأنَّها اكْتِسابُهُمْ وفعلُهُمْ، وفرَّقَ بينها وبينَ القرآن الذي هو كلامُ الله ووحيُهُ وتنزيلُهُ، الذي لا يكونُ من التالي سِوى قراءتِه وأدائِه وتبليغهِ.

فالقرآنُ كلامُ الله مُضافٌ إليه تعالى لأنَّه منهُ، لا يُضافُ للتالي لأنَّه أدّاه بصَوتِهِ وحَرَكَتهِ، شأن كلّ كلامٍ سواه يُبلِّغهُ الواحدُ مِنَّا، فإنَّهُ إنَّما يُضافُ إلى مَن قالَه مُبتدئاً.

فقولُكَ: "إنَّمَا الأعمالُ بالنّياتِ، وإنَّما لكلّ امرئٍ ما نَوى" (٣) تُبلّغُه أنتَ بصَوْتِكَ وحَرَكَتِكَ، وليسَ لك من نظْمِهِ شيْءٌ، إنَّما هو كلامُ النَّبي -صلى الله عليه وسلم- بلفظِهِ ومعناه، ولو قلتَ: هو كَلامي، لكذّبكَ مَن يسمَعُك، إذ ليسَ لك من ذلك إلاَّ التبليغُ والأداءُ.

فكذلكَ كلامُ الله تعالى إذا تلاه التالي، وقرأه القارئ.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ...﴾ [التوبة: الآية: ٦] فأضافَ الكلام إلى نفسِهِ، لأنَّه هو الذي ابتدأ نَظْمَهُ بحُروفِهِ ومعانيهِ، يسمَعُه المشرك بأذُنَيْهِ بصَوْتِ القارئ، فإنَّه إنَّما يسمَع كلامَ الله مِنَ القارئ.

---

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام في "درء التعارض" (٢/ ٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤)، وأبو داود رقم (١٤٦٨)، والنَّسائي (٢/ ١٧٩)، وفي "فضائل القرآن" -من "الكبرى"- رقم (٧٥)، وابن ماجة رقم (١٣٤٢)، والبخاري في "خلق أفعال العباد" رقم (٢٥٠ - ٢٥٤، ٢٥٦) والدارمي رقم (٣٥٠٣)، وابن حبان رقم (٧٣٧)، والحاكم (١/ ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤. ٥٧٥).

(٣) خرجه الشيخان في "صحيحيهما" من حديث عمر رضي الله عنه.

سابعًا: أن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد-صلى الله عليه وسلم-.

وقالَ ابن تيمية رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وَمَذْهَبُ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَخَلَفِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ سَمِعَهُ مِن اللَّهِ عز وجل".(١)

يؤمنُ أهل السنة بأن القرآن كلامُ الله عز وجل، منه بدأ وإليه يعود، وأن هذا كلام الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعين وأن الله سبحانه وتعالى أسمعه جبريل، وجبريل أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الكلام هو كلام الله عز وجل.

ومذهب أئمَّة الحديث والسنَّة: أن الله تعالى لم يَزل متكلِّمًا، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وهو يتكلَّمُ بصوت يُسمَع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا.

ثم قال: "الآثار مُتواترة عنهم–أي: عن الصحابة والتابعين–بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله، ولما ظهر مَن قال: إنه مخلوق، قالوا ردًّا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مُفترى، كما ظنه بعض الناس؛ فإن أحدًا من المسلمين لم يَقل: إنه مفترى، بل هذا كفر ظاهر يَعلمه كل مسلم، وإنَّما قالوا: إنه مخلوق خلقه الله في غيره، فرَدَّ السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنفوا في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: «منه بدأ وإليه يعود».

ونصوصُ القرآن واضحة بأنه كلامه سبحانه وتعالى ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ**﴾ [التوبة: الآية:٦] فهذا الكلام كلامه سبحانه وتعالى، منه بدأ، تكلم به حقيقةً، ونثبتُ صفة الكلام لله عز وجل كما أثبتها لنفسه وكما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن الله سبحانه وتعالى لكلامه صوت كما جاءَ في النصوص، وأنه بحرف وصوت مسموعين، وأنه سبحانه وتعالى يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى، وأن القرآن كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق.

فالقرآن كلام الله، ليس ككلام البشر، وقد توعَّد الله من وصَف القرآن بأنه ككلام البشر،

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٣).

توعَّده بالنار فقال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: الآيات: ٢٥، ٢٦]، فإن كان كلام البشر مخلوقًا لهم، فكلام الله ليس مخلوقًا له، إنما هو صفةٌ من صفاته سبحانه.

الأقوال في سماع كلام الله

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "واختلفت الفرق هل يسمع كلام الله على الحقيقة؟

فقالت فرقة: لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما يسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم،

وقالت بقية الطوائف، بل يسمع كلامه حقيقة، ثم اختلفوا

فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من الله، وهذا قول الاتحادية،

وقالت فرقة: بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم يسمع كلام الله منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة.

وقال أهل السنة والحديث يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبرائيل وغيره، وكما يكلم عباده يوم القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبرائيل تبليغا عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل: المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن الله فهو كلامه غير مخلوق،

وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل، فإن سألت عن الصوت الذي روي به كلام الله فهو مخلوق،

وإن سألت عن الكلام المؤدى بالصوت فهو غير مخلوق".[١]

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٥٢٨).

مسألة: هل اللفظ بالقرآن مخلوق أو لا؟

وهل يجوز أن يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؟

واللفظ يأتي بمعنى: التلفظ، ويأتي بمعنى الملفوظ؛ هل هو الملفوظ الخارج، أو حركة اللسان التلفظ؟

فمعلوم أنه إن أريد الأول وهو التلفظ: فالتلفظ من أفعال العبد، وأفعال العباد مخلوقة.

وإن عُني باللفظ الملفوظ فالملفوظ هو القرآن.

لهذا صارت الكلمة محتملة، واستعمال المحتملات في العقيدة بدعة؛ فإنه لا يجوز أن تستعمل مثل هذه العبارة التي قد تحتمل شيئًا آخر؛ فيفهم الناس منها فهمًا غير سليم.

ولهذا كان **الإمام أحمد**-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ) يقول: "مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع أيضًا"؛ لأنها تحتمل هذه وهذه، وقد سكت السلف عن الإطلاق؛ لأنَّ الألفاظ المحتملة فيما يتصل بذات الله جل وعلا أو صفاته أو أفعاله أو أمور العقيدة والغيبيات لا يجوز استعمالها، وينهى عنها.

وقال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أئمة أهل السنة وأهل الحديث من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن أو صوته به أو غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن- غير مخلوقة، ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره، وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في (كتاب السنة)، ومن المشهور في (كتاب صريح السنة) لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر عنه، لما ذكر الكلام في أبواب السنة قال: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفاء والغناء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: ﴿**حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: الآية: ٦] ، ممن يسمع؟! **قال ابن جرير**-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ): وسمعت جماعة من أصحابنا -لا أحفظ أسماءهم- يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي،

ومن قال: غير مخلوق، فهو مبتدع.قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع"(١)

ولهذا **قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ)**:

وَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّبْيِينِ فَالْ *** إِطْلَاقُ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الوُجُودَ وَخَبَّطَا الـ *** أَذْهَانَ وَالآرَاءَ كُلَّ زَمَانِ"(٢)

وقد رأي الإمام أحمد وبعض الأئمة أنه لا يُقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق؛ لأن الكلام هنا محتمل، فعندما يقول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فهل يقصد به القرآن الذي هو كلام الله تعالى، أو يقصد فعل المخلوق؟

فإن قال: اللفظ بالقرآن غير مخلوق، فقد لا يقصد هنا كلام الله تعالى، وإنما يقصد كلامه هو، وهذا خطأ؛ لأن نطق الإنسان مخلوق، فالمسألة تكون محتملة، فمن هذا الباب باب منع الإمام أحمد والأئمة من أهل السنة أن يُقال: لفظي القرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ لأن هذا اللفظ محتمل.

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني–رحمه الله–(ت: ٥٣٥ هـ): "وأول من قال باللفظ، وقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة: حسين الكرابيسي (ت: ٢٥٦ هـ).فبدعه أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار...." ثم سمّى طائفة كثيرة من علماء الأمصار، ثم قال: "فمذهبهم ومذهب أهل السنة جميعاً أن القرآن كلام الله آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في جميع أحواله، حيث قرئ وكتب وسمع"(٣)

بينما ينص الإمام البخاري وبعض أهل السنة على أن اللفظ بالقرآن الذي هو نطق الإنسان مخلوق، فإذًا فَصَّلوا وبيَّنوا أنه إذا قصد النطق فهذا مخلوق، وإذا قصد الأصل الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى الملفوظ، فهذا غير مخلوق.

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢٢-٤٢٣).

(٢) انظر: «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم.

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٠).

وحدثت في هذه المسألة فتنة للبخاري، أثارها عليه شيخه محمد بن يحيى الذهلي–رحمه الله–(ت: ٢٥٨ هـ)، ودافع عنه ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ) في كتابه «الصواعق»، وقال: «إن البخاري في هذه المسألة أقعد وبيَّن ووضَّح وفصَّل في هذه المسألة، وتشنيع الذهلي عليه هذا من باب الغيرة والحسد الذي بين الشيخ وتلميذه؛ لأن البخاريَّ تفوق عليه.

فالمسألة محل خلاف، مثل مسألة الاسم والمسمَّى؛ لأن المخرج فيهما واحد؛ لأن كِلا المسألتين تعودان إلى صفة الكلام، والكلام: صفة من صفات الله سبحانه وتعالى غير مخلوق، وبناء على ذلك ترتَّب خلاف في مسألة اللفظ وفي مسألة الاسم والمسمى؛ لأن أسماء الله تعالى من كلامه، والقرآن من كلامه عز وجل، فحصل خلاف في هذه المسألة بناءً على ذلك.

أصل النزاع في المسألة:

مسألة خلق القرآن حدثت في زمن محنة الجهمية والفتنة المشهورة فهي وليدة هذه الفتنة ومنها نشأ النزاع فيها هل الإيمان مخلوق أم لا؟

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ) لما سئل: هل الإيمان مخلوق أم غير مخلوق؟

"فالجواب أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين، وقد جرت بها أمور يطول وصفها هنا، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة.

صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ، فصاروا يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة، وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون فيه نفس كلام الله الذي نقرؤه بأصواتنا وحركاتنا.

وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة.

فرد الإمام أحمد على الطائفتين وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.وتكلم الناس حينئذ بالإيمان فقالت طائفة: الإيمان مخلوق وأدرجوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان مثل (قول لا إله إلا الله)، فصار مقتضى قولهم إن هذه الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها، فبدع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها: قول لا إله إلا الله».[(١)] أفيكون قول لا إله إلا الله مخلوقا؟

ومراده أن من قال: إن ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله.وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله".[(٢)]

وقال رحمه الله: "وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد (بالإيمان)؟ أتريد شيئا من صفات الله وكلامه، كقول (لا إله إلا الله) و(إيمانه) الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق.أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل، وقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات إذا فصل فيها الخطاب، ظهر الخطأ من الصواب.

والواجب على الخلق أن ما أثبته الكتاب والسنة أثبتوه، وما نفاه الكتاب والسنة نفوه، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات استفصلوا فيه قول القائل: فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله، فقد أصاب، ومن نفى ما نفاه الله ورسوله فقد أصاب، ومن أثبت ما نفاه الله أو نفى ما أثبته الله فقد لبس دين الحق بالباطل، فيجب أن يفصل ما في كلامه من حق أو باطل، فيتبع الحق ويترك الباطل، وكل من خالف الكتاب والسنة فإنه مخالف أيضا لصريح المعقول، فإن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، كما أن المنقول عن الأنبياء عليهم السلام لا يخالف بعضه بعضا، ولكن كثيرا من الناس يظن تناقض ذلك، وهؤلاء من الذين اختلفوا في الكتاب ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ **[البقرة الآية: ١٧٦]**، **ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم**

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٥).

عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا".[١]

قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "من قال: الإيمان مخلوق كفر، ومن قال: غير مخلوق ابتدع.فقيل: بالوقف مطلقا، وقيل: أقواله قديمة وأفعاله مخلوقة.

قال ابن حمدان-رحمه الله-(ت: ٦٩٥ هـ) في نهاية المبتدئين: وهو أصح، ونقله عن ابن أبي موسى وغيره.ونقل الإمام الحافظ ابن رجب-رحمه الله-(ت: ٧٩٥ هـ) في طبقات الأصحاب في ترجمة الحافظ عبد الغني المقدسي-رحمه الله-(ت: ٦٠٠ هـ)، ما لفظه قال: روي عن إمامنا أحمد-رضي الله عنه-(ت: ٢٤١ هـ)، أنه قال: من قال: الإيمان مخلوق فهو كافر، ومن قال: قديم فهو مبتدع.

قال الحافظ عبد الغني-رحمه الله-(ت: ٦٠٠ هـ): "وإنما كفر من قال بخلقه؛ لأن الصلاة من الإيمان، وهي تشتمل على قراءة وتسبيح وذكر الله-عز وجل-ومن قال بخلق ذلك كفر، وتشتمل على قيام وقعود وحركة وسكون ومن قال بقدم ذلك ابتدع.انتهى بحروفه، والله-تعالى-الموفق".[٢]

قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل ولم يزل به متكلما".[٣]

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر".[٤]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وأما مسألة تكلم العباد بالقرآن فقد

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٤٦).

(٣) نقله عنه الأشعري في كتاب الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٨٨)

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٢١٤).

اشتبهت على كثير من الناس،

فقالت طائفة: إن الله يخلق كلامه عند تلاوة كل تال، فيجري كلامه المخلوق على لسان التالي، وفعل التالي هو حركة اللسان فقط وهي القراءة: فالقراءة صنع العبد عندهم، والمقروء صنع الله وخلقه، فالمسموع عندهم مخلوق بين صنعين: صنع الرب وصنع العبد، وهذا قول أبي هذيل والإسكافي وأصحابه.

وقالت فرقة أخرى: إن العبد هو المحدث لأفعاله وتلاوته، والله تعالى خلقه في مكان واحد لا ينتقل عنه ولا يفارقه إلى غيره، فهذا المسموع هو صنع التالي ألفاظه وتلاوته، وهذا قول أكثر البغداديين من المعتزلة، وقول جعفر بن حرب.

وقالت فرقة: إن القرآن لم يخلقه الله تعالى في الحقيقة ولا هو فعله، فإنه عرض وهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلا لله، قالوا فهو فعل المحل الذي قام به، وهذا قول معمر وأصحابه من المعتزلة.

وقالت فرقة: إن الله سبحانه خلق كلامه في اللوح المحفوظ ثم مكن جبرائيل أن يأخذه منه نقلا ويعلمه رسوله صلى الله عليه وسلم، فجبرائيل إذا نطق به كان نطقه بمنزلة من يقرأ كتاب غيره، لكن الحروف والأصوات في الحقيقة لجبرائيل لم تقم بذات الرب حروف القرآن ولا ألفاظه، ولا سمعه جبرائيل من الله تعالى، وإنما نزل به من المحل الذي خلق فيه، وهذا قول كثير من الكلابية، فعندهم أن المسموع قول الرسول الملكي حقيقة سمعه منه الرسول البشري فأداه كما سمعه، فالرسول الملكي ناقل لما في اللوح المحفوظ غير سامع له من الله، والرسول البشري ناقل له عن جبرائيل قوله وألفاظه.

ومن هؤلاء من يقول: بل الله تعالى ألهم جبرائيل معانيه، فعبر عنها جبرائيل بعبارته، فهذه الألفاظ كلام جبرائيل في الحقيقة لا كلام الله.

ومنهم من يقول: جبرائيل علم رسول الله نص معانيه وألقاها في روعه، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشأ ألفاظها وعبر بها من عنده دلالة على ذلك المعنى الذي

ألقاه إليه الملك، فالقرآن العربي على قولهم قول محمد–صلى الله عليه وسلم–أو قول جبرائيل–عليه السلام–، وهذا قول من لا نسميهم لشهرتهم، وإن حرفوا العبارة وزينوا له الألفاظ، فهو قولهم الذي يناظرون عليه ويكفرون من خالفهم فيه يقولون فيه: قال أهل الحق كذا، وقالت سائر فرق أهل الزيغ بخلافه.

وقالت فرقة أخرى: بل لسان التالي مظهر للكلام القديم، فيسمع منه عند التلاوة كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، فلسان التالي كالشجرة محل ومظهر للكلام، فإذا قال التالي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية: ٢] كان المسموع كله حروفه وأصواته غير كلام الله القائم به من غير حلول في القارئ ولا اتحاد به، كما أن الله سبحانه لم يحل في الشجرة ولا اتحد بها، وسمع موسى كلامه منها.

واختلفت هذه الفرقة في الصوت الذي يسمع من القارئ على قولين:

أحدهما: إنه عين صوت الله بالقرآن ظهر عند تلاوة التالي، فكانت التلاوة مظهرة له.

وقالت فرقة أخرى منهم: ما لا بد منه من الصوت في الأداء ولا يتأدى الكلام بدونه، فهو الصوت القديم، وما زاد عليه من قوة الاعتماد والرفع فمحدث.

قالوا: وقد اقترن القديم بالمحدث على وجه معسر التمييز بينهما جدا، فلما ورد عليهم أن الحس شاهد بأن هذا الصوت موجود بعد أن كان معدوما ومعدوما بعد وجوده وهذا مستحيل على القديم، أجابوا بأن الذي وجد بعد عدمه ثم عدم بعد وجوده هو ظهور الصوت القديم لا نفسه، فالمحدث وقع على الإدراك لا على المدرك، كما إذا سمع كلامه سبحانه منه بعد أن لم يسمع، ثم عدم السمع فالحدوث واقع على السمع لا على المسموع، وهذا قول جماعة ممن ينسب إلى الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ).

وأصحابه المتقدمون بريئون من هذا المذهب المخالف للحس والعقل والفطرة، ونصوص أحمد إنما تدل على خلافه، فقد نص في رواية جماعة من أصحابه على أن الصوت صوت

العبد، فقال في قول النبي-صلى الله عليه وسلم- **(ليس منا من لم يتغن بالقرآن)**.(١)، قال يجهر به ويحسنه بصوته ما استطاع، وقد نص على ذلك الأئمة كالبخاري وغيره.

قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ) في صحيحه: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(الماهر بالقرآن مع الكرام البررة)**.(٢)، **(وزينوا القرآن بأصواتكم)**.(٣) ثم احتج بحديث **أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ هـ)**، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- **(ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)**.(٤) ، فأضاف الصوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ ثم ساق حديث **البراء-رضي الله عنه-(ت: ٧٢ هـ)**، **(أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون، ما سمعت صوتا أحسن منه)**.(٥)، فأضاف الصوت إليه ثم ذكر حديث **ابن عباس-رضي الله عنهما-(ت: ٦٨ هـ)**، **(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان متواريا بمكة وكان يرفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن جاء به، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾** [الإسراء: الآية: ١١٠]).(٦) ثم قال: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز تراقيهم، وذكر في الباب حديث **أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)** **(يخرج أناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم)**.(٧)، ومعلوم أن المراد التلاوة والأداء وما قام بهم من الأصوات، وأنها لم تجاوز حناجرهم، وكان البخاري قد امتحن بهذه الفرقة، فتجرد للرد عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) بلفظ مقارب، ومسلم (٧٩٨) باختلاف يسير.

(٣) رواه الإمام أحمد (٤/ ٨٣)، وأبو داود (١٤٦٨)، وابن ماجه (١٣٤٢)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وصححه ابن حبان (٣/ ٢٥) (٧٤٩)، والحاكم (١/ ٥٧١). وعلقه البخاري قبل حديث (٧٥٤٤) كلهم من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" (١٣٢٥) وقال: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير عبدالرحمن بن عوسجة وهو ثقة.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٧٩٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦) باختلاف يسير.

(٧) أخرجه البخاري (٧٥٦٢).

وبالغ في ذلك في كتاب (خلق أفعال العباد) فإنه بناه على ذلك وأن أصوات العباد من أفعالهم أو متولدة عن أفعالهم فهي من أفعالهم، فالصوت صوت العبد حقيقة، والكلام كلام الله حقيقة، أداه العبد بصوته كما يؤدي كلام الرسول وغيره بصوته، فالعبد مخلوق وصفاته مخلوقة وأفعاله مخلوقة وصوته وتلاوته مخلوقة، والمتلو المؤدى بالصوت غير مخلوق.

واحتج البخاري في الصحيح في (خلق أفعال العباد) على ذلك بنصوص التبليغ، كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة: الآية: ٦٧] وقوله: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾ [الشورى: الآية: ٤٨] وقوله: ﴿**لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي**﴾ [الأعراف: الآية: ٧٩] وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين ضل فيهما أهل الزيغ:

أحدهما: أن الرسول ليس له من الكلام إلا مجرد تبليغه، فلو كان هو قد أنشأ ألفاظه لم يكن مبلغا، بل منشئا مبتدئا، ولا تعقل الأمم كلها من التبليغ سوى تأدية كلام الغير بألفاظه ومعانيه ولهذا يضاف الكلام إلى المبلغ عنه لا إلى المبلغ.

وأيضا فالتبليغ والبلاغ هو الإيصال، وهو معدى من بلغ إذا وصل، والإيصال حقيقة أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إياه غيره، فله مجرد إيصاله.

الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ وهو مأمور به مقدور له، وتبليغه هو تلاوته بصوت نفسه، فلو كان الصوت والتلاوة وصوت المتكلم به أزليا وتلاوته لم يكن فعلا مأمورا به مضافا إلى المأمور، وبالجملة فالتبليغ هو صوت المبلغ القائم به.

قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ): باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: الآية: ٦٧]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " (بلغوا عني ولو آية وليبلغ الشاهد الغائب وأن الوحي قد انقطع).[(١)]، فتأمل مقصوده بقوله: وإن الوحي قد انقطع فلو كانت أصواتنا بالقرآن هي نفس الصوت القديم الذي تكلم الله تعالى به لم يكن الوحي قد انقطع، بل هو متصل ما دامت

---

(١) خلق أفعال العباد (ص: ٨٨).

أصوات العباد مسموعة بالتلاوة، فالقائلون إن هذا الصوت القديم ظهر عند تلاوة التالي، وهو الصوت الذي أوحى الله به الوحي إلى رسوله، وهو غير منقطع لزمه لزوما بينا أن الوحي متصل غير منقطع.

قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): في كتاب (خلق أفعال العباد) ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب أن يكون الرجل خفت الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله سبحانه ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله تعالى.

قال أبو عبد الله: وفي الدليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق؛ لأن صوت الله يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى جبرائيل الملائكة لم يصعقوا، ثم ساق في الباب أحاديث تكلم الله بالصوت محتجا بها.[١]

قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): وقد كتب النبي–صلى الله عليه وسلم–كتابا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم)[٢].فقرأه ترجمان قيصر على قيصر وأصحابه، ولا يشك في قراءة الكفار أهل الكتاب أنها أعمالهم، وأما المقروء فهو كلام العليم المنان ليس بخلق، فمن حلف بأصوات قيصر أو بنداء المشركين الذين يقرون بالله لم تكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي–صلى الله عليه وسلم– (لا تحلفوا بغير الله).[٣].وليس للعبد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها المرة بعد المرة، وإن حلف فلا يمين عليه لقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٢].[٤]

قال البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): وقال النبي–صلى الله عليه وسلم–: (بينا أنا

---

(١) خلق أفعال العباد (ص: ٩٨).

(٢) خلق أفعال العباد (ص: ٩٨).

(٣) خلق أفعال العباد (ص: ٩٨).

(٤) خلق أفعال العباد (ص: ١٠٢).

في الجنة سمعت صوت رجل بالقرآن) [١].فبين أن الصوت غير القرآن.

قلت: ونظيره إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن.

قال أبو عبد الله: ويقال له صفة الله وكلامه، وعلمه وأسمائه وعزه وقدرته بائنة من الله أم لا، وقولك وكلامك بائن من الله أم لا.

قال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ**﴾ [النجم: الآيات: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ**﴾ [نوح: الآية: ١] والإنذار من نوح وهو نذير مبين يأمرهم بطاعة الله، وأما الغفران فإنه من الله يقول ﴿**يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ [نوح: الآية: ٤] ، ثم قال: ﴿**رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا**﴾ [نوح: الآية: ٥] فذكر الدعاء سرا وعلانية من نوح، وقال ابن مسعود-رضي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، قال النبي صلى الله عليه وسلم لقوم كانوا يقرءون القرآن فيجهرون به (**خلطتم علي القرآن يقول علت أصواتكم صوتي**)[٢]، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفع بعضهم على بعض صوته، ولم ينه عن القرآن ولا عن كلام الله.

قال البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ): واعتل بعضهم فقال حتى يسمع كلام الله، قيل له إنما قال حتى يسمع كلام الله لا كلامك ونغمتك وصوتك، إن الله فضل موسى بكلامه، ولو كان يسمع الخلق كلهم كلام الله كما سمع موسى لم يكن لموسى عليك فضل، ومعنى هذا أن هذا الصوت المسموع من القارئ لو كان هو الصوت الذي سمعه موسى لكان كل من سمع القرآن بمنزلة موسى في ذلك". [٣]

(١) خلق أفعال العباد (ص: ١٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في "القراءة خلف الإمام " (٢٥٤)، وفي خلق أفعال العباد (ص: ١١١).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٥٠٣-٥٠٨.

[الإيمانُ قولٌ وعَملٌ ونيَّة مع إصابةِ السُّنَّة]

وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الإيمان.

المسألة الثانية: شرح عبارة قول وعمل ونية.

المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

المسألة الرابعة: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان.

المسألة السادسة: مسألة الاستثناء في الإيمان.

المسألة السابعة: المسائل المتعلقة بهذا الباب



[٨]–قال المصنف–رحمه الله–: "والإيمانُ قولٌ وعَملٌ ونيَّة مع إصابةِ السُّنَّة".

الشرح

المسألة الأولى: تعريف الإيمان

شرح قول المصنف: "والإيمان".

هذه المسألة يوردها العلماء ضمن مسائل الأسماء، ويحسن تناول هذه المسألة من خلال الجوانب الآتية:

الجانب الأول: الجانب اللغوي.

أ-المعنى اللغوي لكلمة "آمن":

الإيمان مصدر آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن

أ-فيرى جمع من أهل اللغة أن الإيمان في اللغة معناه: التصـــديق وقد حكوا الإجماع على ذلك قال الأزهري-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): "واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق"[(١)].

واستدلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، فقالوا: معناه ما أنت بمصدق لنا. [(٢)]

٢-أما علماء السلف[(٣)] فيقولون إن الإيمان يأتي في اللغة لمعنيين هما:

أ-بمعنى صدق به وذلك إذا عدي بالباء كما في قوله تعالى ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...**﴾ [البقرة: الآية: ٢٨٥]، أي صدق الرسول. [(٤)]

ب-وبمعنى أقر له وذلك إذا عدي باللام كما في قوله تعالى ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ**﴾ [العنكبوت: الآية: ٦].

وقد اعترض السلف على حصر بعض أهل اللغة لمعنى الإيمان بالتصديق فقط وقالوا: "إن

---

(١) تهذيب اللغة (٥/ ٥١٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة آمن (١٣/ ٢٣).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٤٣).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٤٢٥).

الإيمان وإن كان يتضـــمن التصـــديق فليس هو مجرد التصـــديق، وإنما هو الإقرار[(١)] والطمأنينة أيضا"[(٢)] واستدل السلف لقولهم بالأمور التالية:

: إن الترادف التام ممتنع بين التصديق والإيمان من عدة وجوه،

١-إن كلمة آمن تتعدى بالباء وباللام وقد تقدم التمثيل لذلك.

-أما كلمة "صـــدق" فلا تتعدى باللام فلا يقال "صـــدق له" إنما يقال "صـــدق به" فهي تتعدى بالباء وبنفسها فيقال صدقه.

٢-إن كلمة آمن تتضمن ثلاثة معان هي: الأمن، والتصديق، والأمانة.

-أما كلمة صدق فلا تتضمن معنى الأمن والأمانة.

٣-إن لفظ الإيمان لا يســـتعمل إلا في الخبر عن الغائب لأن فيه أصـــل معنى الأمن والائتمان وهذا إنما يكون في الخبر عن الغائب، فلا يقال لمن قال طلعت الشـــمس آمنا له وإنما يقال صدقناه ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له إلا في الخبر عن الغائب.

---

(١) الإقرار: متضـــمن لمعنيين هما: قول القلب الذي هو التصـــديق. وعمل القلب الذي هو الانقياد. مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (ص: ٥١٩).

ومن الأقوال الواردة في تفسير الإيمان بمعنى الطمأنينة ما يلي:

يقول الفيروزآبادي-رحمه الله-(ت: ٨١٧ هـ): "آمَنَ بِهِ: صَدَّقَهُ، وبهِ: وثِقَ بِهِ وأَمِنَ عليهِ"القاموس المحيط، (١/ ٧٨).

وقال الراغب الأصـفهاني-رحمه الله-(ت: ٥٠٢ هـ): "الإيمان: هو التصـديق بالقلب، والإقرار باللسـان، والعمل بالأركان... وأصـل الكلمة من الأمن الذي هو الطمأنينة"المفردات في غريب القرآن، (ص: ٢٤).

وقال الفيومي-رحمه الله-(ت: ٧٧٠ هـ): "آمن به: صدقه، وبه: وثق به واطمأن إليه"المصباح المنير، (١/ ٢٩).

وقال الجوهري-رحمه الله-(ت: ٣٩٣ هـ): "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"الصحاح في اللغة، (١/ ٧٨).

وقال الأزهري-رحمه الله-(ت: ٣٧٠ هـ): "آمن يؤمن إيماناً: صدق، والطمأنينة التي تصحب التصديق"تهذيب اللغة، (١/ ١٣٤).

وقال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "الإيمان في اللغة هو التصديق والاطمئنان"الكشاف، (١/ ٢٥).

وقال الزبيدي-رحمه الله-(ت: ١٢٠٥ هـ): "الإيمان: التصـــديق... وهو مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة." تاج العروس، (١/ ٢٥).

قال نشوان الحميري-رحمه الله-(ت: ٥٧٣ هـ): "آمن به: صدقه، وأمن به: وثق به واطمأن إليه"شمس العلوم، (١/ ٧٨).

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي-رحمه الله-(ت: ١٧٤ هـ): "الإيمان: التصديق بالقلب، والاطمئنان"العين، (١/ ٢٥).

-أما لفظ التصديق فيستعمل في كل مخبر عن مشاهد أو غيب، فمن قال السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

٤-إن لفظ الإيمان ضـــده الكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب فقط، بل هو أعم منه، إذ يمكن أن يكون مخالفة ومعاداة بلا تكذيب ومع ذلك يســمى كفرا كما لو قال شــخص: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، فهذا كفر أعظم.

-أما لفظ التصديق ضده التكذيب فقط.

وبهذا يتبين عدم الترادف التام بين اللفظين، وأن الإيمان ليس التصـــديق فقط(١) كما أن الكفر ليس التكذيب فقط.

ثانيًا: من المعلوم أن كلام الله وشرعه إنما هو خبر وأمر.

فالخبر: يستوجب تصديق الخبر.

والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه: الخضوع والانقياد للأمر، وإن لم يفعل المأمور به.

فإذا قوبل الخبر بالتصـــديق، والأمر بالانقياد، فقد حصـــل أصـــل الإيمان في القلب وهو "الطمأنينة والإقرار" فإن اشـتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصـل إذا اسـتقر في القلب التصـديق والانقياد. فلو فُسِّـر الإيمان بالتصـديق فقط، كما قال أهل اللغة، فإن التصديق إنما يعرض للجزء الأول من الشرع فقط الذي هو الخبر، ولا يعرض للجزء الثاني وهو الأمر، لأن الأمر ليس فيه تصديق من حيث هو أمر.

ومن المعلوم أن إبليس لم يكفر بسبب عدم تصديقه، فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة فصـار كافرا، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: الآية: ٣٤]، فسماه الله كافرا وسلب عنه وصف الإيمان لاستكباره وعدم انقياده لأمر الله له بالسجود لآدم.

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٨٠-٣٨١).

لازم القول بأن الإيمان مجرد التصديق فقط.

وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون مما لم يصدر عنه تكذيب أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر فيتحيرون.

ومثل هؤلاء القوم لو أنهم هُدوا لما هُدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل أعني في الأصل قولا في القلب، وعملا في القلب، فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته- وكلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره-فيصدق القلب أخباره تصديقا يوجب حالا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو من نوع الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنا إلا بمجموع الأمرين فمتى ترك الانقياد كان مستكبرا فصار من الكافرين وإن كان مصدقا، لأن الكفر أعم من التكذيب، فالكفر يكون تكذيبا وجهلا، ويكون استكبارا وظلما، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب، ولهذا كان كفر من يعلم مثل اليهود ونحوهم من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل مثل النصارى ونحوهم ضلالا وهو "الجهل" ألا ترى أن نفرا من اليهود جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي، ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق.

ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرا وأمرا، فإنه يحتاج إلى مقام ثان، وهو تصديق خبر الله وانقياده لأمر الله، فإذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله" فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره والانقياد لأمره. "وأشهد أن محمدا رسول الله" تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله.

فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار.

فلما كان التصديق لا بد منه في كلا الشهادتين-وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول-ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان وغفل عن أن الأصل الآخر لا بد منه وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول، ظاهرا وباطنا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن

يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله سبحانه كإبليس"[١]

ثالثًا: ما اســـتدل به أهل اللغة على أن معنى الإيمان في قوله تعالى ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾ [يوسف: الآية: ١٧]، هو التصديق غير مسلم.

إذ يرى علماء السلف أن تفسيرها بــ "أقررت" أقرب من تفسيرها بــ " صدقت " وذلك لأن لفظ "آمن" متى عُدّي باللام يكون بمعنى "أقر" وليس بمعنى "صــدق"، إذ لا يكون بمعنى صدق إلا إذا عُدّي بالباء أو بنفسه.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق، والطمأنينة، كما يقول العرب: أمن الرجل أمانة وأمناً: إذا صار ذا أمن"[٢]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فإن الإيمان في لغة العرب مأخوذ من الأمن الذي هو الطمأنينة، كما قال أهل العلم باللغة"[٣]

وقال أيضًا: "وأصل الإيمان في اللغة: التصديق والطمأنينة"[٤]

الجانب الثاني: المعنى الشرعي للإيمان:

تتحدد دلالة اسم "الإيمان" في الشرع بحسب سياق الكلام الذي تستعمل فيه هذه اللفظة فلفظ "الإيمان" إما أن يستعمل:

أ–مطلقا: أي يذكر مطلقا عن لفظ "العمل" و"الإسلام".

٢–أو مقيدا: فتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يقرن بالإسلام.

الحال الأول: فإذا اســتعمل مطلقا: "فجميع ما يحبه الله ورســوله من أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، يدخل في مسمى الإيمان عند عامة السلف والأئمة–من الصحابة والتابعين وتابعيهم–الذين يجعلون الإيمان قولا وعملا، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصــية، ويدخلون جميع

(١) الصارم المسلول (ص: ٥١٩–٥٢٠) بتصرف.

(٢) كتاب الإيمان، (ص: ٢٢) بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى، (٧/ ٦٣٣). بتصرف.

(٤) مجموع الفتاوى، (٧/ ٦٤٢). بتصرف.

الطاعات–فرضها ونفلها–في مسماه"[١]

ويلاحظ هنا أن لفظ "الإيمان" على هذا الاستعمال يكون مرادفا للفظ "العبادة" والعبادة كما هو معروف هي: اســـم جامع لكل ما يحبه الله ويرضـــاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

ومن اســتعمال الشــارع للفظ الإيمان بهذا المعنى ما جاء في الصــحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان). [٢]

فالإيمان في هذا الحديث شمل جميع أمور الدين بما في ذلك أمور الإســـلام. ومن هذا الاستعمال أيضًا ما جاء في حديث عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ): أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي–صـــلى الله عليه وســـلم–أمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: (أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟، قالوا: الله ورســـوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم خمس...). الحديث [٣]

فلفظ الإيمان اســـتعمل في الحديث مطلقا فدخل فيه الأمور الظاهرة مع أنها من أمور الإسلام كما جاء في حديث جبريل المشهور.

قال الطحاوي–رحمه الله–(ت: ٣٢١ هـ): "الإيمان والإســـلام هما دين الله تعالى، وكل

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الدين. انظر: فتح الباري (١/ ٥١) (ح: ٩)، وأخرجه مسلم–واللفظ له–كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (١/ ٤٦).

(٣) أخرجه البخاري في صـــحيحه واللفظ له: كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان. انظر: فتح الباري (١/ ١٢٩) (ح: ٥٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه (١/ ٣٥-٣٦).

منهما إذا ذكر منفردًا دخل فيه الآخر"[١]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فإن الإســــلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإســــلام؛ فإذا اجتمعا كان الإســــلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[٢]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "الإسلام إذا أطلق شمل الدين كله، وإذا اجتمع مع الإيمان افترقا، فيكون الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[٣]

قال النووي-رحمه الله-(ت: ٦٧٦ هـ): "الإســــلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام. فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[٤]

قال ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-(ت: ٨٥٢ هـ): "إذا ذكر الإسـلام وحده دخل فيه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإســــلام. وإذا اجتمعا افترقا، فيكون الإيمان هو التصديق القلبي والإسلام هو الأعمال الظاهرة"[٥]

قال الشــاطبي-رحمه الله-(ت: ٥٩٠ هـ): "إذا أطلق لفظ الإســلام شمل الدين كله، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه، فكان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[٦]

قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "الإســــلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان، وكذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام؛ فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصه"[٧]

قال البيضـاوي-رحمه الله-(ت: ٦٨٥ أو ٦٩١ هـ): "إذا أطلق لفظ الإسـلام وحده شمل

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص: ٥٥).
(٢) مجموع الفتاوى، (٧/ ٦٢١).
(٣) مدارج السالكين، (١/ ٣٣٧).
(٤) شرح صحيح مسلم، (١/ ١٤٦).
(٥) فتح الباري، (١/ ٩٠).
(٦) الموافقات، (١/ ١٠٦).
(٧) الجامع لأحكام القرآن، (١/ ١١٨).

الدين كله من اعتقادات وأعمال، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"(١)

قال السـعدي-رحمه الله-(ت: ١٣٧٦ هـ): "إذا ذكر الإسـلام وحده شمل كل ما يتعلق بالدين من تصديق بالقلب وأعمال الجوارح، وإذا قرن بالإيمان تميز عنه"(٢)

الحال الثاني: وأما إذا استعمل اسم الإيمان مقيدا: كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: الآية: ٦٣].

وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-في حديث جبريل المشهور: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره). (٣)

فهنا قد يقال: إنه متناول لذلك وإن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام كقوله تعالى: ﴿**وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [الأحزاب: الآية: ٧].

وقد يقال إن دلالة الاسم تنوعت بالإفراد والاقتران كلفظ الفقير والمسكين، فإن أحدهما إذا أفرد تناول الآخر، وإذا جمع بينهما كانا صنفين: كما في آية الصدقة، ولا ريب أن فروع الإيمان مع أصوله كالمعطوفين، وهي مع جميعه كالبعض مع الكل"(٤)

قلت: إن القول بأن عطف ذلك عليه من باب عطف الخاص على العام ينطبق على الآية وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [البقرة: الآية: ٧٧]، وقوله

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١/ ١١٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (١/ ٩٥).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١/ ٢٩). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل بلفظ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث"انظر: فتح الباري (١/ ١١٤)، (ح: ٥٠).

(٤) الفتاوى (٧/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: الآية: ٦٣]..

والقول بأن دلالة الاســـم تنوعت بالإفراد والاقتران ينطبق على حديث جبريل حيث ذكر الإســـلام والإيمان فأصـــبح كل واحد منهما يختص بأمور معينة فالإســـلام اختص بالأمور الظاهرية، والإيمان اختص بالأمور الاعتقادية الباطنية.

"فلفظ الإسلام والإيمان إذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما، ودخوله فيه تضـمنا أظهر، وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراد الآخر، وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة أشكلت على كثير من الناس"(١)

خلاصة القول:

إن اسم الإيمان إذا أفرد: تناول جميع أمور الدين الظاهرة والباطنة كما في حديث الشعب.

وإذا اقترن اسم الإيمان مع الإسلام دل الإيمان على الأمور الباطنة ودل الإسلام على أمور الدين الظاهرة كما في حديث جبريل.

وإذا اقترن العمل مع الإيمان: فهو من باب عطف الخاص على العام (٢) كما في قوله

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٧ -٦٤٨).

(٢) قال شـارح الطحاوية: "اعلم أن عطف الشـيء على الشـيء يقتضـي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشـتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

١-أعلاها: أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءا منه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: الآية: ٣]، وهذا هو الغالب.

٢-ويليه: أن يكون منهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُـــوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: الآية: ٩٢].

٣-الثالث: عطف بعض الشـيء عليه كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُـــلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: الآية: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: الآية: ٧]، وفي مثل هذا وجهان: أحدهما: أن يكون داخلا في الأول، فيكون مذكورا مرتين. والثاني: أن عطفه عليه يقتضـــي أنه ليس داخلا فيه هنا وإن كان داخلا فيه منفردا كما قيل في لفظ "الفقراء والمســـاكين" ونحوهما، تتنوع

=

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية: ٧٧].

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الإيمان والإسـلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فالإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام، وكذلك الإسلام إذا أطلق دخل فيه الإيمان"[(١)]

٢. قال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "الإسلام هو الاستسلام والانقياد، والإيمان تصديق وإقرار، فإذا اجتمعا كان الإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة"[(٢)]

٣. قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "الإسـلام هو الاستسـلام والانقياد الظاهري، والإيمان هو التصـديق القلبي، فإذا اجتمعا كان لكل واحد منهما معنى يخصـه، وإذا افترقا دل أحدهما على الآخر"[(٣)]

٤. قال ابن حجر العســقلاني–رحمه الله–(ت: ٨٥٢ هـ): "الإســلام والإيمان يجتمعان ويفترقـان، فـإذا اجتمعـا في الـذكر افترقـا في المعنى، وإذا انفرد أحـدهمـا في الـذكر دخـل فيـه الآخر"[(٤)]

٥. قال الشـــاطبي–رحمه الله–(ت: ٥٩٠ هـ): "الإســـلام في الظاهر هو الاســـتســـلام للأحكام، والإيمان في الباطن هو التصديق والإقرار"[(٥)]

٦. قال الفيروزآبادي–رحمه الله–(ت: ٨١٧ هـ): "الإسـلام هو الانقياد الظاهر للأحكام الشرعية، والإيمان هو التصديق الباطني"[(٦)]

دلالته بالإفراد والاقتران.

٤–الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: الآية: ٣]"شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٨٧–٣٨٨).

(١) مجموع الفتاوى، (٧/ ٦٢١).

(٢) مدارج السالكين، (١/ ٣٣٧).

(٣) شرح صحيح مسلم، (١/ ١٤٦).

(٤) فتح الباري، (١/ ٩٠).

(٥) الموافقات، (١/ ١٠٦).

(٦) بصائر ذوي التمييز، (١/ ٣٤).

المسألة الثانية: دخول العمل في مسمى الإيمان

شرح قول المصنف: "قولٌ وعملٌ ونية".

تنوعت عبارات السلف في تعريف الإيمان:

١-فتارة يقولون: الإيمان قول وعمل.

٢-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية.

٣-وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية واتباع سنة.[١]

٤- وتارة يقولون: "قول وعمل ومعرفة"كما ذكر المصنف هنا.

٥- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللســـــان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[٢].

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ) -بعد أن أورد التعريفات الثلاثة الأول-: "وكل هذا صحيح"[٣] وعلل ذلك بقوله[٤]:

"فمن قال إن الإيمان قول وعمل فمرداه قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح".

وقول اللسان وعمل الجوارح معروفان.

وأما المقصود من قول القلب: فهو إقراره ومعرفته وتصديقه.

وأما عمله: فهو انقياده لما صدق به.

ومن عبر عن الإيمان بهذا التعريف ليس مراده كل قول أو عمل وإنما المراد ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال.

كما أن تعبير بعض الســـــلف بهذه العبارة في تعريف الإيمان إنما جاء في معرض الرد على

(١) هذه التعريفات الثلاثة أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان. انظر (ص: ١٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٢).

(٣) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ١٦٢).

(٤) كلام شيخ الإسلام نقلته بتصرف من كتابه الإيمان (ص: ١٦٢-١٦٣).

المرجئة.[١] الذين جعلوه قولا فقط، فقال بعض السلف ردا عليهم: بل قول وعمل.[٢]

وأما من عرفه بقوله هو قول وعمل ونية، فمقصـــوده بزيادة لفظ "ونية": أن القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان.

وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك.[٣]

وأما من عرفه بأنه قول وعمل ونية واتباع سـنة، فقد زاد لفظة "واتباع سـنة" لأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة.[٤]

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وقد سـئل **سـهل بن عبد الله التسـتري–رحمه الله–(ت: ٢٨٣ هـ)** عن الإيمان ما هو؟، فقال: قول وعمل ونية واتباع سنة.

لأن الإيمان إذا كان قولا بلا عمل فهو كفر.

وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق.

وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة"[٥]

وأجمع التعاريف الواردة وأشملها هو: أن الإيمان قول اللسـان واعتقاد بالجنان وعمل الجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) المرجئة هم الذين أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان وهم خمس طوائف سيأتي ذكرهم.

(٢) قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

١–فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعا.

٢–وقيل: بل مســـماه اللفظ، والمعنى ليس جزء مســـماه، بل هو مدلول مســـماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين الى السنة، وهو قول النحاة لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ.

٣–وقيل: مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

٤–وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين"كتاب الإيمان (ص: ١٦٢).

(٣) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

(٤) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

(٥) كتاب الإيمان (ص: ١٦٣).

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن قول غيرهم من الفرق. [(١)]

ولهذا كان هذا التعريف هو أجمع التعاريف الواردة عن السلف وأكثرها دقة في بيان قولهم.

فإن الناظر إلى هذا الإنســـان باعتبار ما يجب عليه تجاه ما أخبر الله به وما أمر الله تعالى به؛ فنصـوص الشـرع لا تخرج عن أمرين: إما أخبارٌ وإما أوامر، فالأخبار حقها التصـديق بأن تُصـدق بها، والأوامر حقها أن تعمل بها، كما جاء في الحديث "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن نهيٍ فانتهوا"[(٢)]

فأنت مأمور بأن تتبع، وأن تعمل بهذه الأوامر بحســـب ما يأتي من حكمٍ عليها، فهذه الأمور أي الوحي تأتي لهذا الإنســـان، وأول ما تأتي إليه في باطنه؛ لأنه لابد وأن يعلم أن الصـــلاة مثلاً ركنٌ من أركان الإســـلام، ثم إذا جئت إلى الصـــلاة تجد أن منها فرائض ومنها نوافل، ثم أن هذه النوافل منها سنن رواتب ومنها غير ذلك، فهذا أول ما يقابله بالعلم.

فإذاً هذا الإيمان سيخاطب هذا الباطن في الإنسان، وأول ما يخاطب أن يصدق بما أخبر

---

(١) الذين خالفوا السلف في مسمى الإيمان هم:

أ-المرجئة بطوائفهم الخمس:

١-الجهمية: وقالوا الإيمان هو معرفة القلب فقط: أى المعرفة الفطرية التي هي المعرفة بربوبية الله.

٢-الأشاعرة: وقالوا الإيمان هو التصديق فقط أي التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله.

٣-الماتريدية: وقولهم في الإيمان مثل قول الأشاعرة.

٤-الكرامية: قالوا الإيمان قول باللسان فقط.

٥-مرجئة الأحناف (أو مرجئة الفقهاء) قالوا: الإيمان قول باللسـان وتصـديق بالجنان. وهو قول الكلابية. وكل هذه الطوائف الخمسـة أخرجت العمل عن الإيمان.

ب-الخوارج: قالوا الإيمان قول واعتقاد وعمل، ولكنهم يكفرون من أخل بشـيء من هذه الثلاثة ويقولون بأنه كافر في الدنيا وفي الآخرة خالد في النار.

ج-المعتزلة: وقالوا بقول الخوارج إلا أنهم يقولون إنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين بمعنى أنه ليس بمؤمن ولا كافر، واتفقوا معهم في باقي الأمور.

انظر تفاصـيل هذه الأقوال: في كتاب الإيمان لابن تيمية، والجزء السـابع من مجموع الفتاوى، وشـرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٧٣-٣٩٢) وكتاب النبوات (ص: ١٩٩).

(٢) رواه البخاري (٤/ ٤٢٢) ومسلم (٧/ ٩١) وأحمد (٢/ ٢٥٨).

الله به.

والثاني: أن ينقاد لأمر الله، فلابد أن يحصل الانقياد والتسليم لأوامر الله، فليس لك حق الاعتراض أن تقول: لا بدل خمس صلوات نجعلها ثلاثة أو نجعلها ستة، فهي خمس صلوات في اليوم الليلة لابد من أدائها في أوقاتها، فأصبح عليه أن يصدق وعليه أن ينقاد.

ومعلوم أن هنا ثلاثة أحوال:

القلب، والقلب يشمل أمرين:

يشمل جانب العلم، ويشمل جانب الإرادة هذا القلب.

والجانب الثاني: جانب اللسان.

والجانب الثالث: جانب الجوارح.

فهناك قول القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل اللسان، وهناك عمل الجوارح فهذه خمسة، فإذا جئت إلى قول القلب فهذا هو العلم الذي هو التصديق فعليه أن يعلم هذه الأشياء ويصدق بها، هذا الواجب الأول على القلب، والقلب هو الباطن، والباطن مجموع الأمرين وهذه هي العقيدة.

لذلك قال المصنف: "الإيمان قولٌ وعمل"، فالقول هنا هو العلم والتصديق، تعلم وتصدق، هذا واجبٌ على الإنسان لكي يكون مؤمناً، وهذا وحده لا يكفي فلو قال قائل: أنا أعلم أن الصلوات خمس وهي كذا وكذا وهيئتها كذا لكن لن أصلي، فهو بهذا لا يكون مؤمناً إذ لابد من الجانب الثاني.

والجانب الثاني: هو انقياد القلب، فهذه الإرادة لابد أن تنقاد لهذه الأخبار وهذه الأوامر، ولذلك يأتي عمل القلب، والقلب أعماله كثيرة، منها مثلاً الإخلاص، والمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والخشية، والتقوى، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر التقوى قال: (**التقوى هاهنا التقوى هاهنا التقوى هاهنا وأشار بيده على صدره**). [1]،

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥)، وأحمد (٧٦٧٠).

فهذه أعمال القلوب، وهي التي تنطلق إلى سائر الجوارح

وأما قول اللسـان وعمل اللسـان، فقول اللسـان جعله العلماء النطق بالشـهادتين لأن هذا هو الفيصـل بين الإسـلام والكفر، (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**).[1]، فأول ما يدخل الإنسـان في الإسـلام يُطالب بعد تطهره يطالب بالنطق بالشهادتين، فهذا يسميه العلماء: قول اللسان، فجعلوه في النطق بالشهادتين.

وأما عمل اللسان: فمنه قراءة القرآن وتلاوته، وذكر الله عز وجل، والتسبيح، والتهليل هذا كله عمل اللسان.

وأما أعمال الجوارح، فمنها الركوع والسـجود والصـوم والجهاد وغض البصـر وغيرها فهذه أعمال الجوارح، وهذا بكله هو الذي يُسمى إيماناً عند أهل السنة.

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٥).

[٩]-قال المصنف رحمه الله: والإيمانُ يزيدُ وينقُصُ بالقلبِ والجوارح.

الشرح

المسألة الثالثة: زيادة الإيمان ونقصانه.

هل السنة يؤمنون أن الإيمان يزيد وينقص، ومن الأدلة على ذلك:

أولًا: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه من القرآن. (١)

لقد جاء في كتاب الله عز وجل نصوص كثيرة تدل على زيادة الإيمان ونقصانه وأن أهله متفاضلون فيه بعضهم أكمل إيماناً من بعض، فمنهم السابق بالخيرات، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه، منهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم، ليسوا في الدين سواء في مرتبة واحدة، بل فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وقبل الشروع في ذكر هذه الأدلة القرآنية الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه أودّ التنبيه على نقطة هامة، وهي:

أن كل دليل دلّ على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، وكذا العكس، فما دل على نقصان الإيمان فهو يدل على زيادته، فالآيات التي أوردها هنا وظاهرها الدلالة على زيادة الإيمان فقط، فهي تدل على نقص الإيمان باللزوم، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

ولهذا فإنا نجد أهل العلم كثيراً ما يستشهدون بأدلة زيادة الإيمان على نقصانه وكذا العكس للأسباب المتقدمة، وتأمل-مثالاً على ذلك-صنيع البخاري في صحيحه فقد أورد بعض الآيات المصرحة بزيادة الإيمان في باب زيادة الإيمان ونقصانه مستدلاً بها على الزيادة والنقصان معاً.

قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "إن كان قبل زيادته-أي الإيمان-تاماً فكما يزيد كذا ينقص"(٢)

فمن الأدلة:

(١) المصدر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للدكتور عبد الرزاق البدر (ص: ٣٥)

(٢) رواه الخلال في السنة (٢/ ٦٨٨، ح: ١٠٣٠).

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية: ١٧٣].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: الآية: ٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: الآية: ١٢٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٢].
- وقوله تعالى :﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: الآية: ٤].
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ [المدثر: الآية: ٣١].
- وقوله تعالى :﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد: الآية: ١٧].

ثانياً: الأدلة من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

- حديث **أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**). (١)
- حديث **أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٧ أو ٥٨ هـ)**، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله**

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩، ١٠/ ٣٠، ١٢/ ٥٨، ١٢/ ١٤ فتح)، ومسلم (٢/ ٤١ نووي).

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان). [١]

ففي هذا الحديث "بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، فالاسـم يتعلق ببعضـها كما يتعلق-بكلها، والحقيقة تقتضـي جميع شـعبها وتسـتوفي جملة أجزائها، كالصـلاة الشـرعية لها شـعب وأجزاء، والاسـم يتعلق ببعضـها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها"[٢]

وهذه الشعب متفاوتة ليست على درجة واحدة في الفضل، بل بعضها أفضل من بعض، كما هو ظاهر لفظ الحديث في قوله: "أعلاها "وقوله: "أدناها"، فشعب الإيمان منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كشـعبة الشـهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً منها ما يقرب من شعبة الشهادتين، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى"[٣]

وقال ابن ســـعدي-رحمة الله-(ت: ١٣٧ هـ) -بعد ذكره لحديث أبي هريرة-: "وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب، واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا كثيرًا، فمن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد خالف الحس، مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى"[٤]

- حديث **أنس بن مالك-رضي الله عنه-(ت: ٩٠ وقيل ٩٣ هـ)**، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: **(لا إيمان لمن لا أمانة له)**. [٥]

فهذا الحديث دليل على أن من لا أمانة له، فقد نقص فيه شيء من واجبات هذا الدين،

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥١ فتح) ومسلم (٢/ ٦ نووي) وهذا لفظ مسلم.

(٢) معالم السنن للخطابي (٧/ ٤٤،٤٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٣٢٢).

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص: ١٤).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ١١) وفي الإيمان (ص: ٥)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٠٨ الإحسان)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥)؛ وقال البغوي: "هذا حديث حسن"؛ وصححه الألباني في تحقيقه للإيمان لابن أبي شيبة.

فيذهب عنه كمال الإيمان الواجب وتمامه، ويكون بذلك مؤمناً ناقص الإيمان. (١)

يوضح الاستدلال بهذا الحديث ويبينه ما جاء **عن عروة بن الزبير–رحمه الله–(ت: ٩٤ هـ)**، أنه قال: "ما نقصـــت أمانة عبد قط إلا نقص إيمانه"(٢)، فنقص الأمانة في العبد دليل على نقص الإيمان وضعفه فيه

- ولهذا لما سئل الإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) مرة عن نقصان الإيمان احتج بهذا، قال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله وسئل عن نقص الإيمان فقال: حدثنا وكيع عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "ما انتقصت أمانة رجل إلا نقص إيمانه"(٣).

- حديث **أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–(ت: ٧٤ هـ)**، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**. (٤)

فبين النبي–صـــلى الله عليه وســلم–في هذا الحديث مراتب إنكار المنكر، وأنه حســب الاســتطاعة فإما أن يغير باليد أو باللســـان أو بالقلب، بمعنى يكرهه بقلبه، وهذه المراتب الثلاث للإنكار يقوم بها المكلف على قدر استطاعته، ولا شـك أن المرتبة الأخيرة باستطاعة جميع المكلفين، فمن رأى المنكر ولم يكرهه بقلبه وهو يعلم أنه منكر فإن هذا يكون علامة على ضعف إيمانه.

وقد احتج بهذا الحديث على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه النسائيُ–رحمه الله–(٣٠٣ هـ)، في سننه فبوب له بـ"باب تفاضل أهل الإيمان"(٥).

(١) انظر الفتاوى (١١/ ٦٥٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ١٢)، وفي الإيمان (ص: ٦)، وعبد الله في السنة (١/ ٣٦٨) والخلال في السنة (ق: ١٥٩/ ب) والآجري في الشريعة (ص: ١١٨) والبيهقي في الشعب (١/ ١٩٧)، وابن بطة في الإبانة (برقم:١١٤١).

(٣) رواه الخلال في السنة (برقم: ٧٨٩)، والآجري في الشريعة (ص: ١١٨)، وابن بطة في الإبانة (برقم: ١١٤٨).

(٤) رواه مسلم (٢/ ٢٢ نووي).

(٥) سنن النسائي (٨/ ١١).

وابن منده-رحمه الله-(ت: ٣٩٦ هـ) في كتابه الإيمان فقال: "ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللســـان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص"(١) ثم ذكر حديث أبي سعيد-رضي الله عنه-.

وبوب له النووي في شرحه لمسلم بـــ "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص..."(٢).

ثانيًا: أقوال السلف الصالح في زيادة الإيمان ونقصانه(٣)

جاء عن السلف الصالح آثار كثيرة قرروا فيها ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-من حجج ودلالات على زيادة الإيمان ونقصانه، فبينوا رحمهم الله أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وكثرة العبادة والمداومة عليها، وينقص باللهو والغفلة والمعصية والتقصير في فعل الطاعة، بل لقد حكى إجماعهم واتفاقهم على ذلك غير واحد من أهل العلم.

عن عمير بن حبيب الخطمي-رضـــي الله عنه-قال: "الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصـــانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وســـبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيعنا ونسينا، فذلك نقصانه"(٤)

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وأقدم من روي عنه زيادة الإيمان ونقصـــانه من الصحابة عمير بن حبيب الخطمي"(٥)

وعن أبي الدرداء عويمر الأنصـــاري-رضـــي الله عنه-(ت: ٣٢ هـ)، أنه قال: "الإيمان

(١) الإيمان لابن منده (٢/ ٣٤١).
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ٢١) وانظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣/ ٣٤٣).
(٣) المصدر: ت: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ١٠٦ ـ ١٠٧).
(٤) رواه عبدا لله بن أحمد في الســـنة (١/ ٣٣٠) (٦٨٠)، والآجري في الشـــريعة (ص: ١٠٨)، والخطابي في الغنية (ص: ٤٥)، وأبو أحمد الحاكم في شعار أصحاب الحديث (ص: ٨).
(٥) تهذيب السنن (٧/ ٥٦).

يزداد وينقص"(١)

وروي عنه رضـــي الله عنه أنه قال: "من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه"(٢)

وعن علقمـة بن قيس النخعي-رحمـه الله-(ت: ٦٢ هـ)، أنـه كـان يقـول لأصحابه: "امشوا بنا نزدد إيمانا"(٣)

١٢ - وكتب عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-(ت: ١٠١ هـ)، إلى عدي بن عدي-رحمه الله-(ت: ١٢٠ هـ)، -أحد عماله على الجزيرة-: "أما بعد: فإن للإيمان حدودًا وشـــرائع وفرائض، من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان".

علقه البخاري-رحمه الله-(ت: ٢٥٦ هـ) في كتاب الإيمان من صـــحيحه (٤)، وقال ابن حجر مبينا ســبب ذكر البخاري له: "والغرض من هذا الأثر أن عمر بن عبد العزيز كان ممن يقول بأن الإيمان يزيد وينقص، حيث قال: استكمل ولم يستكمل" (٥).

قال الإمام الأوزاعي-رحمه الله-(ت: ١٥٧ هـ): "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٦)

قال الإمام مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ): "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة

(١) رواه ابن ماجه بعد حديث رقم: (٧٢)، والبيهقي في الشعب (١/ ٧٦) (٥٤). وقال الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه: ضعيف.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٤٩) (١١٤٠)، وذكره شيخ الإسلام في كتاب الإيمان (ص: ٢١١). وإسناده ضعيف لإبهام شيخ حريز.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١١/ ٢٥) وفي الإيمان (ص: ٣٤) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٩٩) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٧٧) (٥٧). وحسن الألباني إسناده في الإيمان لابن أبي شيبة.

(٤) البخاري معلقا بصيغة الجزم قبل حديث (٨)، ووصله ابن أبي شيبة (١١/ ٤٨)، وفي (الإيمان) (ص: ٤٥) والبيهقي في (شعب الإيمان) (١/ ١٩٧) والبغوي في (شرح السنة) (١/ ٤٠). قال ابن الملقن في شرح البخاري (٢/ ٤٤٠): إسناده صحيح.

(٥) فتح الباري (١/ ٤٧)..

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٥١).

وينقص بالمعصية"(١)

قال يحي بن سعيد القطان–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ): "ما أدركت أحداً من أصحابنا، إلا على سنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص(٢).

قال الإمام الشـــافعي (ت: ٢٠٤ هـ): "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(٣)

وقال الإمام عبد الرزاق الصـــنعاني–رحمه الله–(ت: ٢١١ هـ): "لقيت اثنين وســتين شيخًا،... فذكر عددًا منهم ثم قال: كلهم يقولون: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٤)

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام–رحمه الله–(ت: ٢٢٤ هـ): "هذه تسـمية من كان يقول الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص،... فسمى أكثر من مائة وثلاثين رجلًا من أهل العلم من الصـــحابة وغيرهم.. ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا"(٥)

قال الإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(٦).

وقال إمام أهل الســـنة والجماعة أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "أجمع ســبعون رجلاً من التابعين وأئمة المســلمين وفقهاء الأمصــار على أن الســنة التي توفي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، (٩/ ٢٣٨).

(٢) رواه ابن هاني في مسائل الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) وذكر نحوه الذهبي في السير (٩/ ١٧٩) في ترجمة يحي بن سعيد.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٤٩).

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥/ ٩٥٨ ح: ١٧٣٧).

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨١٤ برقم: ١١١٧) وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان (ص: ٢٩٣-٢٩٥).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، (٤/ ٧٥٠).

بالمعصية"(١)

وقال أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ): "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصـار فما رأيت أحدًا يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص"(٢)

وقال الإمام البخاري–رحمه الله–(ت: ٢٥٦ هـ) في صـحيحه: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٣)

وقال عبد الله بن المبارك–رحمه الله–(ت: ١٨١ هـ): "الإيمان قول وعمل، والإيمان يتفاضل"(٤)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وبعضـهم أي: السـلف عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل. فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت، ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته"(٥)

وعن **محمد بن أبان–رحمه الله–(ت: ٢٤٤ أو ٢٤٥ هـ)**، قال قلت **لعبد الرحمن بن مهدي–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)**: الإيمان قول وعمل؟ قال: نعم. قلت: يزيد وينقص؟ قال يتفاضل كلمة أحسن من كلمة"(٦)

---

(١) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٢٨) وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/ ١٣٠) بلفظ أجمع تسعون...إلخ.

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦) وعزواه للالكائي في السنة، وصححا إسناده، قلت: وهو في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي "المطبوع" (٥/ ٨٨٩ رقم: ١٥٩٧) بنحوه، وليس فيه "ويزيد وينقص"، فلعل هذه اللفظة سقطت من المطبوع، أو أن الحافظ والزبيدي اطلعا على نسخة اشتملت على ما حكياه.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٤) رواه عبد الله في السنة (١/ ٣١٦) (٦٣١)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٦١) (١٧٤٦).

(٥) الفتاوى (٧/ ٥٠٦).

(٦) السنة (٣/ ٥٨٠) (١٠٠٥).

المسألة الر ابعة: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

أولًا: الأقوال في المسألة عمومًا

اختلف الناس في مسألة مسمى الإيمان:

فهناك من قال: "إن الإيمان قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص"[(١)].

وهناك من قال: "إن الإيمان قول واعتقاد وعمل لكن لا يزيد ولا ينقص"[(٢)].

وهناك من قال: "إن الإيمان هو المعرفة"[(٣)].

وهناك من قال: "إن الإيمان قول اللسان"[(٤)].

وهناك من قال: "إن الإيمان هو التصديق"[(٥)].

وهناك من قال: "إن الإيمان هو التصديق والقول"[(٦)].

هذه جملة أقوال، والمسألة تحتاج إلى شيءٍ من البيان والتوضيح والبسط.

ثانيًا: الأقوال المخالفة لقول أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

القول الأول: قول من قال الإيمان يزيد وتوقف في النقصان.

جاء عن **الإمام مالك**–رحمه الله–(ت: **١٧٩ هـ**) في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه روايتان، قال في إحداهما: إن الإيمان يزيد أما النقصان فتوقف فيه وطلب من السائل أن يكف عن السؤال عنه، لأنه لم يجد عليه دليلاً من كتاب الله.

أما الرواية الأخرى: فقد جاءت عنه من طرق متعددة صحيحة، قال فيها: إن الإيمان

(١) انظر كتاب الإيمان للقاسم بن سلام صفحة (١٠) و (٤٤).

(٢) انظر كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صفحة (٤٣)، وكتاب الملل والنحل، الجزء الأول، صفحة (١٤١).

(٣) انظر كتاب السنة لعبد الله بن أحمد الجزء الأول صفحة (٣٠٥).

(٤) انظر كتاب الإيمان لابن تيمية صفحة (٣٠٣)، وكتاب الرَّوضُ البَاسمْ في الذِّبِّ عَنْ سُنَّةِ أبي القَاسِمِ الجزء الأول، صفحة (٢٤٠).

(٥) انظر كتاب رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت صفحة (٢٧٣).

(٦) انظر كتاب الفقه الأكبر صفحة (٥٥)، وكتاب لوامع الأنوار البهية الجزء الأول، صفحة (٤١٦).

يزيد وينقص، كقول أهل السنة والجماعة سواء[١].

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصـــان عليه. لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القران، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك"[٢]

القول الثاني: قول من قال الإيمان يزيد ولا ينقص.

وهذا قول طائفة من الأشـــــاعرة، رواية **عن أبي حنيفة-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ)**، والغسانية، النجارية، الإباضية.

أما قول الطائفة من الأشـاعرة: فقد أشـار إليه البغدادي في "أصـول الدين" فقال: "وأما من قال: إنه التصـديق [٣] بالقلب فقد منعوا من النقصـان فيه، واختلفوا في زيادته فمنهم من منعها ومنهم من أجازها"[٤]

وأما الرواية عن أبي حنيفة-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ): أن الإيمان يزيد ولا ينقص، فقد ذكرها غير واحد ممن كتب في المقالات، من طريق غسان وغيره عن أبي حنيفة-رحمه الله-.

قال الأشـعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ): "فأما غســان وأكثر أصـحاب أبي حنيفة فإنهم يحكون عن أســـلافهم أن الإيمان هو الإقرار والمحبة لله والتعظيم لـه والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه وأنه يزيد ولا ينقص"[٥].

وقال الزبيدي-رحمه الله-(ت: ١٢٠٥ هـ): "وحكى غسـان وجماعة من أصـحاب أبي حنيفة أنه يزيد ولا ينقص"[٦]

---

(١) انظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ٢٧٧-٢٩٠) وقد ناقش هذا القول بالتفصيل.

(٢) الفتاوى (٧/ ٥٠٦).

(٣) القول بأن الإيمان هو التصديق هو قول الأشاعرة.

(٤) أصول الدين (ص: ٢٥٢).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ١٣٩).

(٦) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦).

وأما الغسـانية: فقد ذكر **البغدادي**–رحمه الله–(ت: **٤٢٩ هـ**) عن الغسـانية، وهم أتباع غسـان المرجئ أن من أقوالهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، ثم قال: "وزعم غسـان هذا في كتابه أن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة"(١)

وأما النجارية: فلهم أصـول باطلة جانبوا فيها الحق وفارقوه منها: قولهم إن الإيمان يزيد ولا ينقص، وقد حكى ذلك عنهم غير واحد ممن كتب في مقالات الفرق كالأشعري والإسفرايني والبغدادي وغيرهم. (٢)

وأما الأباضـــيه: فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن حميد الســـالمي (ت: ١٣٣٢ هـ) من الأباضـية في كتابه مشـارق أنوار العقول: "الإيمان بالمعنى الشـرعي الذي هو أداء الواجبات مطلقاً ليس ينقص نظراً إلى إيمان كل مؤمن، فإنه في ذاته غير متفاوت بالنســبة إلى إيمان غيره"(٣)

القول الثالث: قول من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

لقد قال بهذا القول طوائف كثيرة من أهل الكلام والإرجاء، والتجهم، وممن نسـب له هذا القول:

أبو حنيفة وأصحابه:

لقد اشتهر عن الإمام أبي حنيفة–رحمه الله تعالى وغفر له–أنه يقول بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، واسـتفاض هذا عنه، بحيث لا يدع مجالاً للشـك أو التردد في نسـبته إليه، ويمكن أن أبرز أهم الأسباب المؤكدة لصحة نسبة هذا القول إليه في النقاط التالية:

١–إن عامة كتب الفرق والمقالات تنســب هذا القول إليه، كالمقالات لأبي الحســن

---

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٠٣). وانظر: انظر مقالات الإسـلاميين للأشـعري (ص: ١٣٩)، والتبصـير في الدين للإسـفراييني (ص: ٩٨)، والفرق بين الفرق للبغدادي (ص: ٢٠٣).

(٢) انظر مقالات الإســلاميين (ص: ١٣٦) والتبصــير في الدين (ص: ١٠١)، والفرق بين الفرق (ص: ٢٠٨) والفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥٤٦).

(٣) مشارق الأنوار (ص: ٣٥–٣٦).

الأشعري، والفَرْق بين الفِرَق للبغدادي، والمِلَلْ والنِحَلْ للشهرستاني، وغيرها. [١]

٢-إن الكتب المؤلفة في العقيدة والمنسوبة إلى أبي حنيفة رحمه الله تذكر هذا القول، كالفقه الأكبر، وكتاب العالم والمتعلم، والوسيطين الصغير والكبير والوصية ورسالته إلى البتي. [٢]

وهذه الكتب إن لم يصح نسبتها جميعاً إليه، فلا بد أن يصح نسبة بعضها أو واحد منها على أقل تقدير إليه، وعلى كل إن لم يصح لا هذا ولا ذاك فإن هذه الكتب مطبوعة متداولة، وقد احتفى بها الأحناف شـرحاً ونشـراً ونقلاً، فهي عند عامتهم مسـلم بما فيها، وقد شـرح بعضها شروح مطولة عديدة، ونقل منها نقولٌ متكاثرة، واعتمد على ما فيها من عقائد. [٣]

وممن قال بهذا القول: الجهمية.

ومن مقولاتهم الفاسـدة وآرائهم المنحرفة زعمهم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضـل أهله فيه.

قال الأشـعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ): "وزعمت الجهمية أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه"[٤]

وقال الشـهرسـتاني-رحمه الله-(٥٤٨ هـ): "قال أي الجهم: والإيمان لا يتبعض أي لا ينقسـم إلى عقد وقول وعمل، قال: ولا يتفاضـل أهله فيه، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل"[٥]

وجهم وأتباعه إنما قالوا بهذا القول لأن الإيمان عندهم مجرد التصـديق، فمن صـدق بقلبه فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن تكلم بالكفر، وسـب الله ورسـوله صـلى الله عليه وسـلم وسخر بالدين، وأحل المحرمات، وفعل غير ذلك من الأمور التي هي كفر بواح.

(١) المقالات (ص: ١٣٩)، الفَرْق بين الفِرَق (ص: ٢٠٣)، ونقله عنه الزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٦٥)، الملل والنحل (١/ ١٤١).
(٢) انظر: فيض الباري للكشميري (١/ ٥٩).
(٣) انظر كتاب زيادة الإيمان ونقصانه (ص: ٣١٨-٣١٩).
(٤) المقالات (ص: ١٣٢).
(٥) الملل والنحل (١/ ٨٨).

والتصديق عندهم يتساوى فيه العباد، ولا يقبل الزيادة والنقصان فهو إما أن يعدم وإما أن يوجد، ولا يقبل التبعض، فإذا ذهب بعضه ذهب كله، ولا يتفاضل الناس فيه، فإيمان الملائكة والأنبياء والصديقين وإيمان فساق الأمة وأهل الخنا والفجور سواء"(١)

وممن قال بهذا القول: الخوارج والمعتزلة:

ذهبت الخوارج والمعتزلة مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان من حيث إنه شامل للأعمال والأقوال والاعتقادات، إلا أنهم فارقوا أهل السـنة والجماعة بقولهم إن الإيمان كل واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، وأنه لا يقبل التبعض.

ومن هنا كان الإخلال بالأعمال وارتكاب الكبائر عندهم مخرجاً من الإيمان كلية، على خلاف بينهم في تسميته كافراً، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعاً أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم. (٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينًا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء"(٣)

وأصل غلط هؤلاء ومنشأ ضلالهم كما **قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**: "أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقًا للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: "الإيمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة، ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القولين ووافقتهم المرجئة والجهمية على أن الإيمان يزول كله بزوال شيء منه، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٨٢).

(٢) انظر الفتاوى (٧/ ٢٢٣، ٢٥٧) وشرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: ١٣٧).

(٣) الفتاوى (١٣/ ٤٨).

وقالوا إن إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والمؤمنين"(١)

فهذه الشبهة هي التي أفسدت على هؤلاء قولهم، بل وعلى جميع المرجئة، كما قال شيخ الإسلام: "وإنما أوقع هؤلاء كلهم أي المرجئة بأقسامهم–ما أوقع الخوارج والمعتزلة في ظنهم أن الإيمان لا يتبعض، بل إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يتبعض وأنه ينقص ولا يزول جميعه"(٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وجماع شبهتهم في ذلك أن الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة فإنه إذا زال بعضها لم تبق عشرة، وكذلك الأجسام كالسكنجبين(٣) إذا زال أحد جزئيه خرج عن كونه سكنجبين، قالوا فإذا كان الإيمان مركبًا من أقوال وأعمال ظاهرة وباطنة لزم زواله بزوال بعضها"(٤)

وممن قال بهذا القول: الأشاعرة والماتريدية:

لقد ذهب جمهور الأشاعرة وجميع الماتريدية إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لشبه عقلية وأدلة نظرية، وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان يزيد وينقص"(٥)

قال الزبيدي–رحمه الله–(ت: ١٢٠٥ هـ): "وقال أبو حنيفة وأصحابه لا يزيد الإيمان ولا ينقص واختاره أبو منصور الماتريدي ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير"(٦)

وقال ابن أبي شريف الحنفي–رحمه الله–(ت: ٩٠٦ هـ): "وهذا القول–أي أن الإيمان

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٣٧، ١٣٨)، وانظر الفتاوى (٧/ ٤٠٤).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٤٣، ١٤٤).

(٣) السكنجبين: شراب مركب من حامض وحلوا–معرب–فارسيته: سركا انكبين انظر المعجم الوسيط (١/ ٤٤٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١١).

(٥) انظر شرح مسلم للنووي (١/ ١٤٨)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ٤٦)، وعمدة القاري للعيني (١/ ١٣٦) وتحفة القاري "للكاندهلوي" (ص: ٤٤) مجموع "شروح البخاري" (١/ ١١٢)، النبراس شرح العقائد (ص: ٤٠٢)، المسامرة شرح المسايرة (ص: ٣٦٧)، أصول الدين للبغدادي (ص: ٢٥٢)، وأصول الدين للبزدوي (ص: ١٥٣)، والاقتصاد للغزالي (ص: ٢٠٨)، والمواقف للإيجي (ص: ٣٨٨)، والإنصاف للباقلاني (ص: ٨٦)، والإرشاد للجويني (ص: ٣٣٥) وغيرها.

(٦) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٥٦).

لا يزيد ولا ينقص-اختاره من الأشـــاعرة أمام الحرمين وجمع كثير، وذهب عامتهم أي أكثر الأشاعرة إلى زيادته ونقصانه"(١)

وقال الفرهاري-رحمه الله-(ت: ١٢٣٩ هـ): "مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله والمتكلمين من أهل السنة أنه لا يزيد ولا ينقص"(٢).

فالماتريدية لهم قول واحد في المســألة وهو أن الإيمان غير قابل للزيادة والنقصـــان، وأما الأشـــاعرة فلهم في المســألة قولان: فجمهورهم على أنه لا يقبل الزيادة والنقصـــان، وذهب بعضهم إلى أنه يقبلهما، والأشاعرة يعرفون الإيمان بأنه التصديق وحده، فلا يدخل فيه القول والعمل، فبحثهم هنا هو في التصديق هل يقبل الزيادة والنقصان أو لا؟

فالذين قالوا لا يزيد ولا ينقص فبناء على أن الإيمان هو التصـــديق اليقيني الغير قابل للتفاوت، فإن نقص فنقصه شك وكفر، ولشبه أخرى.

ومن قال منهم يزيد وينقص فللقطع بأن تصديق آحاد الأمة ليس كتصديق النبي صلى الله عليه وسلم، واختاره النووي وعزاه التفتازاني في شـرح العقائد لبعض المحققين وقال في المواقف إنه الحق(٣)

(١) المسامرة (ص: ٣٦٧).

(٢) النبراس شرح العقائد (ص: ٤٠٢).

(٣) انظر شـرح مسلم للنووي (١/ ١٤٢) وشـرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص: ١٢٦) والمواقف للأيجي (ص: ٣٨٨) وانظر إرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١١٢) ضمن مجموع شروح البخاري.

المسألة الخامسة: ثمرة الخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

فمســـائل الأسماء لها تناول معين لدى الفرق، ومســـائل الأحكام لها تناول معين لدى الفرق، وهذه مسائل يطول شرحها لكن لعل ما أشرنا إليه يُبين ما مدى صفاء عقيدة أهل الســـنة وأن والإيمان عندهم قولٌ واعتقادٌ وعمل يزيد وينقص، زيادته بالطاعات ونقصـــانه بالمعاصي.

وزيادة الإيمان ونقصـــانه أمر يراه الإنســـان من نفســـه، فقد يكون حاله اليوم من الإيمان أحســـن من حاله في الأمس، أو قد يكون حاله في الأمس أحســـن من حاله في هذا اليوم، فالإيمان فيه زيادة ونقص، فيزيد إلى ما شـــاء الله، وينقص أحياناً حتى يزول هذا الإيمان ولا يبقى منه شيء، ويُصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافرا.

والقول إن الإيمان يزيد وينقص في اعتقاد أهل الســـنة والجماعة، يترتب عليه أمور كثيرة في مسائل الأحكام، فهذه المسألة مرتبطة بمسألتين:

الأولى: حكم مرتكب الكبيرة.

فالقول بزيادة الإيمان ونقصانه له تعلق بمسألة حكم مرتكب الكبيرة، فأهل السنة لا يرون تكفير مرتكب الكبيرة دون الشـرك الأكبر، ويقولون إن صـاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسـق بمعصيته فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية.

والمسألة الثانية: مسألة مراتب الدين.

أي ما يتعلق بدخول الإنســـان إلى هذا الدين متى ينتقل في مراتب الدين؛ لأن مراتب الدين ثلاثة: الإســـلام، الإيمان، الإحســـان، فهي عبارة عن ثلاث دوائر أول دائرة فيه هي الإســـلام، ثم هناك دائرة أضـــيق منها هي الإيمان، ويعني هذا الضـــيق أن من هو مؤمن هو مسـلم، ولكن ليس بالضـرورة من كان مسـلماً أن يكون مؤمنا، ثم تأتي الدائرة الأضـيق هي دائرة الإحسان؛ لأن الإحسان فحواه ومعناه أن تُتقن الظاهر والباطن.

فعندما أقول أحســـنت بمعنى أتقنت فالإحســـان إتقان الظاهر والباطن، فإذا أُتقن الظاهر والباطن فهذه مرتبة عليا، فكل مسـلم مؤمن مسـلم، ولكن ليس كل مؤمن محسـن، قد يكون

محسن وقد لا يكون محسنا، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

كما أنه مرتبط بتفاضـــل الناس في إيمانهم وتفاضـــل درجاتهم في الآخرة إلى غير ذلك من المسائل ذات الصلة.

المسألة السادسة: مسألة الاستثناء في الإيمان.

أ‌-الاستثناء في اللغة:

بمعنى المنع والصرف، وأصل الاستثناء مأخوذ من الثني، وهو ردُّ الشيء بعضه على بعض. والثني العطف، وكل شيء عطفته فقد ثنيته؛ كما يطلق الثني على تكرير الشّيء مرّتين، أو جعلُه شيئين متواليين أو متباينين، ومن ذلك عدد الاثنين. والاستثناء يشمل أمرين:

١ . الاستثناء الوضعي، وهو الذي يكون بأداة الاستثناء، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [العصر: الآيات: ٢-٣]

٢ . الاستثناء العرفي، وهو ما لم يكن بأداة الاستثناء، بل يكون الموجود كلمة الشرط، كما جاء في قوله تعالى: ﴿...**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلاَ يَسْتَثْنُونَ ***﴾ [القلم: الآيات: ١٧-١٨]؛ أي: لا يقولون: إن شاء الله. [(١)]. ومنه قول القائل: لأفعلن كذا إن شاء الله، أو: أنا مؤمن إن شاء الله"[(٢)].

ب‌-تعريف الشرعي للاستثناء في الإيمان:

الاســـتثناء في الإيمان هو: أن يُعَلِّق الشـــخص إيمانه على ما لا يدل على الجزم والقطع بكمال الإيمان؛ كأن يعلقه على مشـيئة الله، فيقول: أنا مؤمن إن شــاء الله، أو: مؤمن أرجو، ونحو ذلك، فلا يقطع بكمال الإيمان لنفسه. [(٣)]

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الاستثناء أن يقول: أنا مؤمن إن شـاء الله، أو مؤمن أرجو، أو آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسـله، أو إن كنت تريد الإيمان الذي يعصـم دمي فنعم، وإن كنت تريد ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنفال:

(١) انظر: تفسير البغوي (١٩٥/٨) [دار طيبة، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣٩١/١) [دار الجيل، ط٢]، ولسان العرب (١١٥/١٤ ـــ ١٢٥) [دار صادر، ط١]، والكليات للكفوي (٩١)، وبدائع الصنائع للكاساني (١٥٣/٣ . ١٥٤) [دار الكتاب العربي، ط٢].

(٣) انظر: بيان اللجنة الدائمة للإفتاء، فتوى رقم (٢١٤٣٦)، صادرة بتاريخ (١٤٢١/٤/٨هـ)..

الآية: ٢] فالله أعلم"[١].

وقال ابن أبي العز–رحمه الله–(ت: ٧٩٢ هـ): "الاستثناء في الإيمان،... هو: أن يقول أي: الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله" [٢].

ج–العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي للاستثناء في الإيمان مندرج تحت عموم المعنى اللغوي للثني، وهو الرجوع والتكرار، فبعد أن أقر القائل لنفسه بالإيمان بقوله: "أنا مؤمن"، انثنى ورجع ليعلق ذلك الإقرار بأمر آخر، وهو مشيئة الله، فيقول: "إن شاء الله".

وهذا مندرج تحت المعنى الثاني من المعاني اللغوية، وهو الاستثناء العرفي الذي يعلق فيه الأمر على مشيئة الله بغير أداة الاستثناء.

حكم الاستثناء في الإيمان عند أهل السُّنَّة[٣]:

الاستثناء في الإيمان له حالتان:

الحالة الأولى: إذا أريد كمال الإيمان: يكون الاستثناء مشروعًا.

وذلك لما يلي:

١ ـ أن الإيمان الكامل يشمل فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه، ولا يدعي أحد أنه جاء بذلك كله على التمام والكمال.

٢ ـ أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله، والإنسان لا يدري؛ أتقبل الله منه أم لا، فلذلك صح له أن يستثني.

٣ ـ البعد عن تزكية النفس.

٤ ــ أن الإيمان الكامل يقتضي دخول الجنة، والإنسان لا يدري بما يختم له. [٤]، فيستثني

(١) مجموع الفتاوى (٧/٦٦٦).

(٢) شرح الطحاوية (٣٩٥)، وانظر: السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٧) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٣) هذا المبحث مستفاد من موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة مبحث (الاستثناء في الإيمان).

(٤) انظر حول التعليل بعدم العلم بالخاتمة: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٤٢).

لعدم العلم بالعاقبة.[(١)]

الحالة الثانية: إن أريد أصل الإيمان، فلا يخلو ذلك من حالتين:

١ ـ إن كان الاستثناء على جهة الشك: فإنه لا يجوز. سئل الإمام أحمد رحمه الله: يستثنى في الإيمان؟ قال: "نعم، أقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أستثني على اليقين لا على الشك"[(٢)]

٢ ـ وأما إن كان الاستثناء من باب أنه يجوز في الأمور المتحققة المتيقنة ذكر مشيئة الرب، لا على جهة الشـــك في أصـــل الإيمان، بل لأن الأمور كلها إنما تكون بمشـــيئة الرب؛ فإن الاستثناء جائز.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما جواز إطلاق القول بأني مؤمن، فيصـــح إذا عنى أصـــل الإيمان دون كماله، والدخول فيه دون تمامه"[(٣)]

وقال: "ولهذا كان الصـــحيح أنه يجوز أن يقال: أنا مؤمن، بلا اســـتثناء، إذا أراد ذلك. يعني: أصل الإيمان، لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه... فعلم أن أحمد وغيره من السلف كانوا يجزمون ولا يشكون في وجود ما في القلب من الإيمان في هذه الحال، ويجعلون الاستثناء عائدًا إلى الإيمان المطلق المتضمن فعل المأمور، ويحتجون أيضًا بجواز الاستثناء فيما لا يشك فيه، وهذا مأخذ ثان وإن كنا لا نشك فيما في قلوبنا من الإيمان"[(٤)]

الأدلة:

(١) انظر حول التعليل بعدم العلم بالعاقبة: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٨٩)، وحول هذا الوجه وبقية الوجوه انظر: الشرح والإبانة (المسمى بالإبانة الصغرى) لابن بطة (١٧٩ ـ ١٨١) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٣هـ]، والرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لابن الحنبلي (٢/٨١٤ ـ ٨١٥) [مجموعة التحف النفائس الدولية، ط١، ١٤٢٠هـ]، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٣/٧٨١ ـ ٧٩٢) [دار أضواء السلف، ط١]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٩٦)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٩٨) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٢) السُّنَّة للخلاّل (٣/٥٩٦) [دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ]..

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٦٦٩)..

(٤) المصدر نفسه (٧/٤٤٩ . ٤٥٠)..

أ ـــ جزم المرء بالإيمان الكامل لنفسه هو من تزكية النفس، ومما يدل على مشروعية البعد عن تزكية النفس ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿**فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النجم: الآية: ٣٢].

٢ ــ وقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: الآية: ٤٩].

وليس هناك تزكية للنفس أعظم من الشهادة لها بالإيمان الكامل.

٣ ـــ ويشهد لهذا ما جاء **عن ابن مسعود–رضي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)** عندما قال رجل عنده: "أنا مؤمن"، فقال له ابن مسعود: "أفأنت من أهل الجنة؟" قال: "أرجو"، قال ابن مسعود: "أفلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى"[(١)]

٤ ـ الإجماع، فإن الاستثناء في الإيمان ـ إذا أريد به كماله ـ هو مذهب جماهير السلف، بل هم مجمعون على مشروعيته في هذه الحال.[(٢)]

يقول **يحيى بن سعيد القطان–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ)**: "ما أدركت أحدًا من أصحابنا إلا على الاستثناء"[(٣)]

ب ــ ومما يدل على أن الإيمان إذا أريد به أصله فإن الإنسان لا يستثني باعتبار الشك في الأصل ما يلي: قوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: الآية: ١٣٦].

فأمر المؤمنين بالإقرار بالإيمان، ولم يذكر الاستثناء؛ لأن ما ذكر في الآية هي أصول

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الإيمان (٣٥) [مكتبة المعارف، ط١]، والآجري في الشريعة (٢/٦٦٥) [دار الوطن، ط٢].

(٢) انظر: السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٧)، والإبانة لابن بطة (٢/٨٧٣) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ]، وشعب الإيمان للبيهقي (١/٢١٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٣٨، ٤٣٩، ٥٠٥، ٦٦٦). وقد عدد اللالكائي أسماء من روي عنهم الاستثناء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، كما في: شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٥/١٠٤٧).

(٣) رواه الخلال في السُّنَّة (٣/٥٩٥).

الإيمان، فهي مما يجب أن يجزم الإنسان به لنفسه من دون شك.

ج ـــــ ومما يدل على أن الاســـتثناء يجوز في الأمور المتحققة المتيقنة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: الآية: ٢٧]، فذكر الله الاستثناء، مع أن دخولهم للمسجد الحرام شيء مستيقن. (١)

أقوال العلماء

عن **عبد الله بن مســعود–رضــي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)**، قال: "ومن لم يعلم من يؤمن بالله حقاً فلا يقول: أنا مؤمن حقاً، ولكن ليقل: أرجو أن أكون مؤمناً"(٢)

عن أبي الدرداء–رضـــي الله عنه–(ت: ٣٢ هـ)، قال: "اللهم اغفر لي ظلمي وكفري" فقال له قائل: يا أبا الدرداء، هذا كفر؟ قال: "نعم، كل من عصى الله فقد كفر"(٣)

عن عائشـــة–رضـــي الله عنها–(ت: ٥٧ هـ)، قالت: "لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا مؤمن، ولكن ليقل: أرجو أن أكون من المؤمنين"(٤)

عن ســـعيد بن جبير–رحمه الله–(ت: ٩٥ هـ)، قال: "إن الإيمان يزيد وينقص، فليقل أحدكم: أنا مؤمن إن شاء الله"(٥)

عن مجاهـد–رحمـه الله–(ت: ١٠٤ هـ)، قـال: "الإيمـان قول وعمـل يزيـد وينقص، ولا ينبغي لأحد أن يقول: أنا مؤمن حقاً"(٦)

عن مكحول–رحمـه الله–(ت: ١١٣ أو ١١٤ هـ)، قـال: "الإيمـان قول وعمـل يزيـد

---

(١) انظر: الإيمان لأبي عبيد (٣٨ ـ ٣٩)، والسُّنَّة للخلال (٣/٥٩٤)، مجموع الفتاوى (٣/٢٨٩) و(٧/٤٢٩ ـ ٤٦٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٤ ـ ٤٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١١هـ].

(٢) "صحيح البخاري"، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس"

(٣) "مصنف ابن أبي شيبة"، ج ٧، ص ٦٤.

(٤) "التمهيد" لابن عبد البر، ج ٩، ص ٢٣٩.

(٥) "الإبانة الكبرى" لابن بطة، ج ٢، ص ٨٤٥.

(٦) "مصنف ابن أبي شيبة"، ج ٦، ص ١٢٧.

وينقص، ولا ينبغي لأحد أن يقول: أنا مؤمن حقاً، ولكن ليقل: أرجو أن أكون مؤمناً"[(١)]

عن الحســن البصــري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، قال: "لا أقول إنني مؤمن حقاً، ولا كافر حقاً، ولكني أرجو أن أكون من المؤمنين وأخاف أن أكون من الكافرين"[(٢)]

وسأل رجل الحسـن البصـري–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ)، فقال: يا أبا سـعيد، أمؤمن أنت؟ فقال له: "الإيمان إيمانان:

فإن كنت تسـألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة والنار والبعث والحسـاب: فأنا به مؤمن.

وإن كنت تسـألني عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّـلَاةَ وَمِمَّـا رَزَقْـنَـاهُـمْ يُـنـفِـقُـونَ * أُولَـئِـكَ هُـمُ الْـمُـؤْمِـنُـونَ حَـقًّـا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** *﴾ [الأنفال: الآيات ٢–٤] فوالله ما أدري أنا منهم أم لا"[(٣)]

عن الإمام الأوزاعي–رحمه الله–(ت: ١٥٧ هـ)، قال: "من قال أنا مؤمن حقاً فهو من الكاذبين، ومن قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكافرين، ومن قال أنا مؤمن إن شـاء الله فقد وفق"[(٤)]

عن سـفيان الثوري–رحمه الله–(ت: ١٦١ هـ)، قال: "من قال أنا مؤمن حقاً فهو من الكاذبين، ومن قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكافرين، ومن قال أنا مؤمن إن شـاء الله فقد وفق"[(٥)]

(١) "التمهيد" لابن عبد البر، ج ٩، ص ٢٤٢.
(٢) "الإبانة الكبرى" لابن بطة، ج ٢، ص ٨٤٤.
(٣) تفسير القرطبي (٣٦٧/٧) [دار الشعب].
(٤) "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ج ٧، ص ١٢٠.
(٥) "الإبانة الكبرى" لابن بطة، ج ٢، ص ٨٤٨..

عن الليث بن ســـعد-رحمه الله-(ت: ١٧٥ هـ)، قال: "لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا مؤمن حقاً، ولكن ليقل: أرجو أن أكون من المؤمنين"[١]

عن الإمام مالك بن أنس-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، قال: "الاستثناء في الإيمان ليس بشك، ولكنه من التواضع والورع"[٢]

عن الإمام الشـــافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)، قال: "من اســـتثنى في إيمانه فقد أصاب، ومن لم يستثن لم يخطئ"[٣]

عن الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، قال: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقول أنا مؤمن حقاً، ولكن يقول: أرجو أن أكون مؤمناً"[٤]

وقال الآجري-رحمه الله-(ت: ٣٦٠ هـ): "من صـــفة أهل الحق، ممن ذكرنا من أهل العلم الاستثناء في الإيمان، لا على جهة الشك ــــ نعوذ بالله من الشك في الإيمان ــــ ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا: أمؤمن أنت؟ قال: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والجنة والنار وأشباه هذا، فالناطق بهذا والمصدق بقلبه مؤمن، وإنما الاســـتثناء في الإيمان، لا يدرى أهو ممن يســـتوجب ما نعت الله به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا؟ هذا طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان، عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق في القلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان"[٥].

قال الإمام ابن تيمية-رحمه الله-: "من قال: أنا مؤمن إن شـــاء الله، يخرج به عن دعوى الإيمان المطلق، كما أن من قال: أنا عالم إن شـاء الله، كان أدباً مع الله؛ لأن العلم المطلق هو

(١) "مصنف ابن أبي شيبة"، ج ٦، ص ١٢٨.
(٢) "التمهيد" لابن عبد البر، ج ٩، ص ٢٣٨.
(٣) "السنن الكبرى" للبيهقي، ج ٦، ص ٣٧٠.
(٤) "السنة" للخلال، ج ١، ص ٢٨٨.
(٥) الشريعة للآجري (٢/٦٥٦ - ٦٥٧).

ما لا يدخله شك ولا نقص، وكذلك الإيمان المطلق"[١].

قال الذهبي-رحمه الله-(ت: ٧٤٨ هـ): "الاســـتثناء في الإيمان ليس بشـــك، ولكنه من التواضع والورع"[٢]

(١) "مجموع الفتاوى"، ج ٧، ص ٣٥٢.

(٢) "سير أعلام النبلاء"، ج ٧، ص ١٢١.

المسألة السابعة: المسائل المتعلقة بهذا الباب

المسألة الأولى: حكم قول الرجل لغيره: أمؤمن أنت؟

لقد أنكر السـلف سـؤال الرجل لغيره: أمؤمن أنت، بل عدُّوا ذلك السـؤال من البدع والتعمق والتكلف، والإيمان القائم بالإنسان علمه عند الله، فمن شهد لنفسه بالإيمان لم تكن شهادته موجبة له أن يدخل الجنة، كما أن من لم يشهد لنفسه بالإيمان الكامل لم يكن تركه لتلك الشهادة موجبًا له أن لا يدخلها. [(١)]

قال إبراهيم النخعي–رحمه الله–(ت: ٩٦ هـ): "سـؤال الرجلِ الرجلَ: أمؤمن أنت؟ بدعة"[(٢)]

وقيل للإمام أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ): "إذا سـألني الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: سؤاله إياك بدعة، لا يشك في إيمانك، أو قال: لا نشك في إيماننا"[(٣)].

وقال سفيان بن عيينة–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ): "إذا سئل أمؤمن أنت؟ إن شاء لم يجبه، ويقول: سؤالك إياي بدعة، ولا أشك في إيماني"[(٤)].

ووجه كراهة السـلف لهذا السـؤال: أنه قد جاء من قِبَل المرجئة؛ فقد سـأل رجلٌ الإمامَ أحمد–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ)، فقال له: "قيل لي: أمؤمن أنت؟" قلت: نعم، هل عليَّ في ذلك شيء؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر؟ فغضب الإمام أحمد، وقال: هذا كلام الإرجاء، وقال الله عزّ وجل: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية: ١٠٦]، من هؤلاء؟ ثم قال أحمد: أليس الإيمان قولاً وعملاً؟ قال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول؟ قال: نعم، قال: فجئنا بالعمل؟ قال: لا. قال: فكيف تعيب أن يقول: "إن شـاء الله»

---

(١) انظر: الشريعة للآجري (٢/٦٧٣ ـ ٦٧٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/٣٨) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/١٤١)، والآجري في الشريعة (٢/٦٧١).

(٣) انظر: السُّنَّة للخلال (٣/٦٠١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٤٨).

(٤) السُّنَّة للخلال (٣/٥٩٧)، وانظر: الشريعة للآجري (٢/٦٧٣ ـ ٦٧٤)، الإبانة لابن بطة (٢/٨٨٣).

ويستثني؟"[(١)].

المسألة الثانية: في حكم من قال: «أنا مؤمن إن شاء الله» على جهة الشك:

حسب ما تقدم من تفصيل، فإن من استثنى قاصدًا الشك ففيه تفصيل:

أ= إن قصـــد الشـــك في أصـــل الإيمان، فهذا محرم، وقد يخرج به صـــاحبه عن الديانة.

ب- وإن كان قاصدًا الشك في كمال الإيمان، فالاستثناء هنا مشروع، وتقدم تفصيل ذلك وبيان علته.[(٢)].

المسألة الثالثة: في حكم من قال: "أنا مؤمن كامل الإيمان" ولم يستثن:

من أثبت لنفســه كمال الإيمان بدون اســتثناء فقد وقع في المحظور، ويخشــى عليه الإثم لوقوعه في تزكية النفس المنهي عنها في قوله تعالى: ﴿**فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النجم: الآية: ٣٢]"[(٣)].

قال الإمام أحمد-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ): "لا نجد بدًّا من الاســتثناء؛ لأنه إذا قال: "أنا مؤمن" فقد جاء بالقول، فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول"[(٤)].

وقال الإمام أبو عبيد القاســم بن ســلاّم-رحمه الله-(ت: ٢٢٤ هـ): "وكذلك نرى مذهب الفقهاء الذين كانوا يتسمون بهذا الاسم ـ يعني: الإيمان ـ بلا استثناء، فيقولون: نحن مؤمنون... إنما هو عندنا منهم على الدخول في الإيمان، لا على الاســتكمال... فأما على مذهب من قال: «كإيمان الملائكة والنبيين» فمعاذ الله، ليس هذا طريق العلماء"[(٥)].

وقال الإمام ابن بطة العكبري-رحمه الله-(ت: ٣٨٧ هـ): "فهذه ســبيل المؤمنين، وطريق العقلاء من العلماء، لزوم الاستثناء والخوف والرجاء، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله،

---

(١) السُّنَّة للخلال (٣/٥٩٧)، وانظر: الشريعة للآجري (٢/٦٧٣ ـ ٦٧٤)، الإبانة لابن بطة (٢/٨٨٣)

(٢) انظر: السُّنَّة للخلال (٣/٥٩٦) [دار الراية، ط١، ١٤١٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٦٦٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٦٦٩).

(٤) رواه الخلال في السُّنَّة (٣/٦٠١).

(٥) الإيمان لأبي عبيد (٤٠ ـ ٤١).

ولا كيف أعمالهم، أمقبولة هي أم مردودة... فهل يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجزم أن أعماله الصالحة من أفعال الخير وأعمال البر كلها مرضيَّة، وعنده زكيَّة، ولديه مقبولة؟! هذا لا يقدر على حتمه وجزمه إلا جاهل مغتر بالله، نعوذ بالله من الغرة بالله، والإصـــرار على معصية الله"(١).

المسألة الرابعة: الاستثناء في الإسلام:

المشــهور عند أهل السُّــنَّة والجماعة؛ كالإمام أحمد بن حنبل وغيره هو عدم الاســتثناء في الإســلام فيقول أحدهم: أنا مســلم ولا يســتثني، هذا هو الأصــل عندهم في هذه المســألة، بخلاف الإيمان، فالغالب عندهم فيه الاستثناء كما تقدم. (٢).

سئل الإمام أحمد بن حنبل–رحمه الله–(ت: ٢٤١ هـ) عن الاستثناء في الإيمان، فقال: "نحن نذهب إلى الاستثناء"، فقيل له: فأما إذا قال: أنا مسلم فلا يستثني؟ فقال: "لا يستثني إذا قال: أنا مســلم، قال الزهري: نرى الإســلام الكلمة، والإيمان العمل"(٣).. إلا أن الإمام أحمد قد تعددت عنه الروايات في ذلك:

فالرواية الأولى: منع الاستثناء في الإسلام، وهي الرواية المشهورة عنه. (٤)

ومما يستدل به على ذلك:

١ ــــ أن نصوص الشريعة قد دلَّت على الشهادة للنفس بالإسلام بدون ذكر الاستثناء، ومن ذلك:

ــــ قوله: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات: الآية:

(١) الإبانة لابن بطة (٢/٨٧٢ - ٨٧٣).

(٢) انظر: الفرقان بين الحق والباطل ضـــمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٤٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والتحبير شـــرح التحرير للمرداوي (٢/٥٣١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ]، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٤٣٨) [مؤسسة الخافقين، ط٢].

(٣) الشرح والإبانة (المسمى بالإبانة الصغرى) لابن بطة (٢/٨٧٦).

(٤) الإيمان لابن منده (١/٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـــ]، والسُّنَّة للخلال (٣/٦٠٤)، والإبانة الصغرى لابن بطة (٢/٨٧٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤٣) و(١٣/٤٣).

١٤]، **قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)**: "وهذه الآية ـ يعني: آية الحجرات السالفة ـــــ مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على أنه يُســـتثنى في الإيمان دون الإســـلام... **قال الميموني–رحمه الله–(ت: ٢٧٤ هـ)**: سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في: أنا مؤمن إن شاء الله، فقال: أقول: مؤمن إن شاء الله، وأقول: مسلم ولا أستثني، قال: قلت لأحمد: تُفَرِّق بين الإسلام والايمان؟ فقال لي: نعم، فقلت له: بأيِّ شيء تحتج؟ قال لي: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾ [الحجرات: الآية: ١٤]"[١]

٢ ـــ أن كل من نطق بالشهادتين صار مسلمًا، متميزًا عن سائر الكافرين، تجري عليه أحكام المسلمين، وهذا أمر لا شك في تحققه عند جميع المسلمين، فجُزم به بلا استثناء. [٢]

والرواية الثانية: تجويز الاستثناء في الإسلام. [٣]

وليس بين هاتين الروايتين تعارض، وبيان ذلك:

أن الإسلام له إطلاقان عند الإمام أحمد:

الإطلاق الأول: أن يراد بالإســـلام: الكلمة. وهذا الإطلاق مشـــهور **عن ابن شـــهاب الزهري–رحمه الله–(ت: ١٢٣ أو ١٢٤ هـ)**. والمراد بالكلمة: الشهادتان. [٤]

وعليه؛ فـــ"يكون مراد الزهري أن المرء يُحكم بإسلامه ويسمى مسلمًا إذا تلفظ بالكلمة؛ أي: كلمة الشهادة، وأنه لا يسمى مؤمنًا إلا بالعمل، والعمل يشمل عمل القلب والجوارح... وأما الإســـلام المذكور في حديث جبريل فهو الشـــرعي الكامل المراد بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران:

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٢٥٣)..

(٢) انظر: الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤١٥)، زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق البدر (٤٩٥ ـــ ٤٩٦) [دار القلم والكتاب، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٤١٥).

(٤) انظر: عون المعبود للعظيم آبادي (١٢/٢٨٧) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٥م]، ومرقاة المفاتيح لعلي قاري (٧/٥٤٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

الآية: ٨٥]"[(١)]

وعلى هذا الإطلاق تحمل رواية المنع من الاســـتثناء في الإســـلام عند الإمام أحمد؛ لأن النطق بالشهادتين هو مما يجزم به كل مسلم ولا يجوز الشك فيه.

الإطلاق الثاني: أن يراد بالإسلام فعل الواجبات الظاهرة كلها كما أمر به الله.

فعلى هذا الإطلاق تحمل رواية جواز الاســتثناء، فيُســتَثنى في الإســلام كما يُســتثنى في الإيمان. [(٢)].

فالحاصل: أنه إن أريد أصل الإسلام، وهو النطق بالشهادتين: مُنِع الاستثناء.

وإن أريد كمال الإسلام، المتضمن لفعل الواجبات وترك المحرمات على ما أمر به الله جاز الاستثناء.

المسألة الخامسة: الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن:

الاستثناء في الماضي المعلوم المتيقن، مثل قولهم: هذه شجرة إن شاء الله، أو محمد رسول الله إن شاء الله، وأنه قد صلى بالأمس إن شاء الله، فهذا بدعة مخالفة للعقل والدين، ولم يكن عليه أحد من أهل الإسلام السابقين، وأئمة الدين، ولم يأت في الكتاب ولا السُّنَّة استثناء في الماضـــي، بل كل ما ورد فهو في المســـتقبل؛ كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَـــيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: الآيات: ٢٣-٢٤]. [(٣)]

المسألة السادسة: الاستثناء في الأعمال الصالحة:

الاستثناء في الأعمال الصالحة بحيث يقال: صليت إن شاء الله، وصمت إن شاء الله، وحججت إن شاء الله، القول فيها كالقول في الاستثناء في الإيمان؛ إذ هي أفراد الإيمان؛ فإن كان المقصـــد خوف التزكية، أو الخوف من عدم الإتيان بالعمل الصـــالح على وجه الكمال

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/٨١ ـ ٨٢) [دار المعرفة].

(٢) انظر حول هذا التفصـيل: الإيمان الكبير ضـمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٢٥٩، ٤١٥)، والتحبير شـرح التحرير للمرداوي (٢/٥٣١ ـ ٥٣٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٢١، ٤٢٥).

شـرع له الاسـتثناء، وإن كان المقصـد مجرد الإخبار عن العمل كأن يقول: صـليت وصـمت وحججت فلا يستثني.

قال ابن تيمية: "وخوف من خاف من السـلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على الوجه المأمور، وهذا أظهر الوجوه في اسـتثناء من اسـتثنى منه في الإيمان، وفي أعمال الإيمان؛ كقول أحدهم: أنا مؤمن إن شـاء الله، وصـليت إن شـاء الله؛ لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به، لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق"(١)

مذاهب المخالفين:

للمخالفين عدة أقوال في حكم الاستثناء في الإيمان:

القول الأول: القول بوجوب الاستثناء في الإيمان. وهو قول الكلابية (٢)وجمهور الأشاعرة. (٣) وعلّلوا ذلك بأمرين:

١ـــ أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسـان، وكذلك الكفر هو ما مات عليه الإنسـان، فالإنسـان إنما يكون عند الله مؤمنًا أو كافرًا باعتبار الموافاة، وما سـبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك فلا عبرة به.

٢ ـ البعد عن تزكية النفس بالشهادة لها بالإيمان. (٤)

وهم قد وافقوا السـلف في الاعتبار الثاني دون الاعتبار الأول، فإن الاعتبار الأول مبني على قولهم بنفي الصـفات الاختيارية عن الله، وهو ما يسـمونه بمنع حلول الحوادث، ومن ثم قالوا: إن الحب والبغض والسـخط والغضـب صـفات أزليه قديمة، فلا يكون الله مبغضًـا

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٤٩٦)..

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٨٩) (٧/٤٣٠)، والاستقامة لابن تيمية (١/١٥٠) [طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: أصـول الدين للبغدادي (٢٥٣) [دار زاهد القدسـي]، وشـرح المقاصـد للتفتازاني (٢٥٣) [دار المعارف النعمانية، ط١، ١٤٠١هـ].

(٤) انظر: الإرشاد للجويني (٣٣٦) [مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٢هـ].

لشخص ـ حال كفره ـ ثم يصير محبًّا له بعد إيمانه، بل لم يزل محبًّا له في الأزل إذا علم أنه يموت على الإيمان، ولم يزل مبغضًا له في الأزل إذا علم أنه يموت على الكفر.

ثم قرنوا مسـألة الاسـتثناء في الإيمان بهذا القول، وأوجبوه، بناء على أن الإنسـان لا يعلم على أي شيء يموت عليه، والإيمان هو ما يموت عليه المرء ويوافي به ربه.[١]

وهذا تناقض منهم؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان هو التصـــديق؛ لأنه في اللغة كذلك، ثم يقولون: الإيمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه، وجعلوا الاستثناء واجبًا لأجل ذلك، فهذا عدول منهم عن معنى الإيمان في اللغة إلى معنى آخر، فأبطلوا اسـتدلالهم اللغوي في بيان حد الإيمان.[٢]

القول الثاني: من يحرِّم الاسـتثناء في الإيمان. وهو قول المرجئة والجهمية [٣] والماتريدية [٤]، وبعض الأشاعرة [٥]، ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئًا واحدًا، وهو التصديق والإقرار.

قال عبد الرحمن بن مهدي–رحمه الله–(ت: ١٩٨ هـ): "أول الإرجاء ترك الاستثناء"[٦]

وعلّلوا التحريم بقولهم: إن الإيمان شيء واحد، والاستثناء يقتضي الشك، فإن من استثنى في إيمانه فهو شـاك، ومن تردد في تحقيق الإيمان لم يكن مؤمنًا، بل ذهب بعضـهم إلى تكفير من قال بالاستثناء.[٧]

---

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٤١٨/٧).

(٢) انظر: الإيمان لابن تيمية (١٣٧ ـ ١٣٨)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٣٧١/٣) [مكتبة الرشد، ط١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٢٩/٧).

(٤) انظر: التوحيد للماتريدي (٣٨٨) [دار الجامعات المصرية]، وتأويلات أهل السُنَّة (٢٦٥) [مطبعة الإرشاد، ١٤٠٤هـــ]، وبحر الكلام لأبي المعين النسفي (٤٠) [مطبعة الكردي، ١٩١١هـ].

(٥) انظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٣).

(٦) السُنَّة للخلال (٥٩٨/٣).

(٧) انظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٣)، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم المصري (٤٦/٢) [طبع سعيد كمبني، كراتشي]، وإتحاف السادة المتقين (٢٧٨/٢) [دار الفكر]، وكذلك: زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق العباد (٥١٩)، وانظر في الرد على هذا القول: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١/١٣).

وقولهم هذا في غاية البطلان، فإن الإيمان الشرعي يطلق على جميع الاعتقادات والأقوال والأعمال الشرعية، وليس شيئًا واحدًا (التصديق) كما زعمه هؤلاء، فالاستثناء راجع إلى تحقيق كمال الأقوال والأعمال، لا إلى أصل التصديق الذي لا شك فيه.

[الجهاد]

وفيه مسائلتان:

المسألة الأولى: قول أهل السنة في المسألة.

المسألة الثانية: قول المخالفين.

[١٠]- قال المصنف-رحمه الله-: "والجهادُ ماضٍ منذ بعثَ اللهُ محمدًا-صلى الله عليه وسلم-إلى آخرِ عِصابةٍ يقاتِلون الدَّجَّال لا يَضرُّهم جورُ جائرٍ".

الشرح

المسألة الأولى: قول أهل السنة في المسألة.

قال محمد بن أبي زمنين[١] –رحمه الله–:"ومن قول أهل السـنة أن الحج والجهاد مع كل بر أو فاجر من الســنة والحق، وقد فرض الله الحج فقال: ﴿**والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**﴾ [آل عمران: الآية: ٩٧]، وأعلمنا بفضل الجهاد في غير موضع من كتابه، وقد علم أحوال الولاة الذين لا يقوم الحج والجهاد إلا بهم، فلم يشـترط ولم يبين وما كان ربك نسيا"[٢].

وقال قوام السنة الأصفهاني: "والجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى آخر عصابة تقاتل الدجال"[٣]. كما قرر ذلك علي بن المديني[٤]، والطحاوية[٥]، وابن بطة[٦]، والصـابوني[٧]، وابن قدامة[٨]، وابن تيمية [٩]، وغيرهم.

وقد حكى محمد بن حبيب مفاسـد ترك الغزو مع أئمة الجور فقال: "سمعت أهل العلم يقولون: لا بأس بالجهاد مع الولاة، وإن لم يضـعوا الخمس موضـعه، وإن لم يوفوا بعهد إن عاهدوا، ولو عملوا ما عملوا، ولو جاز للناس ترك الغزو معهم بسوء حالهم لاستذل الإسلام، وتخيفت أطرافه، واستبيح حريمه، ولعلى الشرك وأهله"[١٠]

ويريد المصنف هنا أن يميز بين مذهب أهل السنة وبين قول الرافضة الذين عطلوا الجهاد،

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين الأندلسـي، شـيخ قرطبة، صـاحب جد وإخلاص، ومجانبة للأمراء، وله مصـنفات، توفي سـنة ٣٩٩هـ.انظر الديباج المذهب ٢/ ٢٣٢، وسير أعلام النبلاء ١٨٩/١٧.

(٢) أصول الدين لابن أبي زمنين ص ٢٨٨.

(٣) الحجة ٢/ ٢٩١.

(٤) انظر: أصول السنة للالكائي ١/ ١٩٧.

(٥) انظر شرح الطحاوية ٢/ ٥٥٥.

(٦) انظر الإبانة الصغرى ص ٢٧٨.

(٧) انظر: عقيدة السلف الصابوني ص ٢٩٤.

(٨) انظر لمعة الاعتقاد ص ٣٧.

(٩) انظر: مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٩٠، ٣٠/ ٣٨.

(١٠) أخرجه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٢٨٩.



وعطلوا صلاة الجمعة بدعوى أنها لا تصح إلا بعد خروج المهدي المنتظر على حد زعمهم.

المسألة الثانية: قول المخالفين

فشـيوخ الشـيعة يقولون:"إن صـلاة الجمعة لا تجب عليهم حتى يخرج مهديهم المزعوم من سردابه لكي يصلي بهم"[(١)].

وشـيوخ الشـيعة يقولون:"إن الجهاد قبل خروج المهدي المنتظر حرام كحرمة الميتة والدم ولحم الخنزير"[(٢)].

قال ابن تيمية رحمه الله:"ومن أصـول أهل السـنة والجماعة أنهم يصـلون الجمع والأعياد والجماعات-لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضـة وغيرهم-فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور صُلّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين".

قال ابن تيمية: "وَمَنْ أَنْكَرَ مَذْهَبَ الرَّوَافِضِ وَهُوَ لَا يُصَـلِّي الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ بَلْ يُكَفِّرُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ وَقَعَ فِي مِثْلِ مَذْهَبِ الرَّوَافِضِ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُمْ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ وَتَكْفِيرَ الْجُمْهُورِ"[(٣)]

فالرافضـة كانوا يقولون لا جهاد حتى يخرج الرضـا من آل محمد، فقد جاء في فروع الكافي عن أبي عبد الله جعفر الصـادق قال:"القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير"[(٤)]

وقد أحدث الخميني تغييرًا في المذهب الرافضـي، فقرر أن للولي الفقيه جميع ما للإمام من الوظائف والأعمال إلا البداءة بالجهاد فهو من وظائف المهدي، ثم تناقض الخميني فجعل الجهاد منوطًا بجيش جمهوريته.[(٥)]

---

(١) انظر مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة لمحمد جواد العاملي ج٢/ ٦٩ كتاب الصلاة.

(٢) انظر كتاب فروع الكافي ج٥ / ٧٨٧.

(٣) مجموع الفتاوى: ٢٣/ ٣٥٤.

(٤) الكافي ١/ ٣٣٤، وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٢١.

(٥) انظر: أصول الشيعة للقفاري: ٣/ ١١٧٢؛ المصدر: مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: ص: ٣٤.

أما الخوارج فيجمعون على وجوب الخروج على الإمام الجائر[١] فكيف يجاهدون معه؟ بل كانوا يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.[٢]

قال ابن حزم:"جميع فرق الضـــلالة لم يجر الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح الله بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفعوا للإسـلام راية، وما زالوا يسـعون في قلب نظام المسـلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين، أما الخوارج والشيعة فأمرهم في هذا أشهر من أن يتكلف ذكره"[٣]

(١) الفرق بين الفرق، ص ٧٣.

(٢) مسائل الفروع الواردة في مصنفات العقيدة: ص: ٣٤.

(٣) الفصل: ٥/ ٩٨.



[الإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير]

وفيه خمس مسائل

المسألة الأولى: فتنة القبر.

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه.

المسألة الثالثة: عذاب القبر ونعيمه يقع على الجسد والروح معًا.

المسألة الرابعة: المنكرون لعذاب القبر.

المسألة الخامسة: منكر ونكير.



[١١]- قال المصنف رحمه الله: "والإيمانُ بعذابِ القبرِ ومُنكرٍ ونكيرٍ".

الشرح

وفيه مسائل

المسألة الأولى: فتنة القبر.

الإنسانُ بمجرد موتِه يدخل فِي اليومِ الآخرِ بالنِّسبة له، وَلِهَذَا يُقَالُ: مَن مَاتَ قَامَت قِيَامَتُهُ.

وقد ذكر شيخُ الإسلامِ رحمه الله تعالى هُنَا مَسأَلَتَينِ عَظيمَتَينِ:

الأولى: فِتنَةُ القَبرِ،

والثانية: مَا يَكُونُ بَعدَ تِلكَ الفِتنَةِ مِن نَعِيمٍ أَو عَذَابٍ.

المسأَلَةُ الأُولى: فِتنَةُ القَبرِ:

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابن تيمِيَّة-رحمه الله تعالى-: "وَأَمَّا الفِتْنَةُ فِي القُبُورِ فَهِيَ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ لِلمَيِّتِ حِينَ يَسْأَلُهُ الملَكَانِ".(١)

وقَد رَوَت أَسمَاءُ بِنت أَبِي بَكر رضي الله عنهما أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْل فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ).(٢)

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كان يدعو في الصلاة: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم).(٣)

وعن عثمانَ بن عفَّان-رضي الله عنه-، قالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِن دَفنِ الميتِ وَقَفَ عليهِ، فَقَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ).(٤)

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤) ومسلم (٩٠٥).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٢) ومسلم (٥٨٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٦) (١٣٧٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥١١).

وَعَن أَبِي هُريرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يدعُو: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ). (١)

وعن البراءِ بنِ عَازب -رضي الله عنه-، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: (إِنَّ العَبدَ المؤمِنَ فِي قَبْرِهِ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جسَدِهِ؛ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِث فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ؛ فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ به...).

إِلَى أَن قَالَ فِي العَبدِ الكَافِرِ: (فتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاهْ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه، لَا أَدْرِي). (٢)

وَغَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ التي بَلَغَت مَبلَغَ التَّوَاتُرِ.

قال أحمد بن حنبل: "أصول السنة عندنا... الإيمان بعذاب القبر". (٣)

قال ابن قتيبة: "إن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على... الإيمان بعذاب القبر، لا يختلفون في هذه الأصول". (٤)

قال أبو الحسن الأشعري: "أجمعوا على أن عذاب القبر حق". (٥)

قال ابن بطة: "نحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا... ثم الإيمان بعذاب القبر". (٦)

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٦٣٠).

(٣) أصول السنة (ص: ١٤، ٣٠).

(٤) تأويل مختلف الحديث (ص: ٦٤).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (ص: ١٥٩).

(٦) الإبانة الصغرى (ص: ١٩١، ٢١٧).

٦- قال ابن بطال: (قال أبو بكر بن مجاهد: أجمع أهل السنة أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيوا فيها، ويسألوا فيها، ويثبت الله من أحب تثبيته منهم. وقال أبو عثمان بن الحداد: وإنما أنكر عذاب القبر بشر المريسي والأصم وضرار... قال القاضي أبو بكر بن الطيب وغيره: قد ورد القرآن بتصديق الأخبار الواردة في عذاب القبر، قال تعالى: النار يعرضون عليها غدوا وعشيا [غافر: ٤٦] ."(١)

قال ابن عبد البر: "أهل السنة والجماعة مصدقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم".(٢)

قال ابن بطال: "هذه الآثار تشهد للآثار التي في الباب قبل هذا، أن عذاب القبر حق على ما ذهب إليه أهل السنة، ألا ترى الرسول استعاذ بالله منه، وقد عصمه الله وطهره، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فينبغي لكل من علم أنه غير معصوم ولا مطهر أن يكثر التعوذ مما استعاذ منه نبيه؛ ففي أكرم الأكرمين أسوة. فإن قيل: فإذا أخبر الله نبيه أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما وجه استعاذته صلى الله عليه وسلم من شيء قد علم أنه قد أعيذ منه؟ فالجواب: أن في استعاذته صلى الله عليه وسلم من كل ما استعاذ منه إظهارا للافتقار إلى الله، وإقرارا بالنعم، واعترافا بما يتجدد من شكره عليها ما يكون كفا لها ألا ترى أنه كان يصلي حتى تتفطر قدماه، فيقال له: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: (أفلا أكون عبدا شكورًا) (٣) . فمن عظمت عليه نعم الله وجب عليه أن يتلقاها بعظيم الشكر، لا سيما أنبيائه وصفوته من خلقه الذين اختارهم، وخشية العباد لله على قدر علمهم به. وفي استعاذته مما أعيذ منه تعليم لأمته، وتنبيه لهم على الاقتداء به واتباع سنته وامتثال طريقته، والله أعلم".(٤)

(١) شرح صحيح البخاري (٣/ ٣٥٨).
(٢) الاستذكار (٢/ ٤٢١).
(٣) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
(٤) شرح صحيح البخاري (٣/ ٣٦٤).

قَالَ شَيخُ الإسلامِ ابنُ تيمِيَّة رحمه الله تعالى: "وَقَدْ تَوَاتَرَت الأَحَادِيثُ عَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم فِي هَذِهِ الفِتْنَةِ مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ رضي الله عنهم". (١)

وَقوله: (مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟) هَذِهِ الأسئلة الثلاثة الِتي تُوَجَّهُ للمَيّتِ فِي قَبرِهِ؛ قال العلَّامةُ ابنُ عُثَيمين-رحمه الله تعالى-: "يَعنِي: مَن رَبُّكَ الذِي خَلَقَكَ وَتعبدُهُ وَتَخصُّهُ بِالعِبَادَةِ؟ لِأَجلِ أَن تَنتَظِمَ هَذِهِ الكَلمةُ توحيد الربوبيَّةِ، وَتوحيد الألوهيَّةِ.

و(المرتاب): الشَّاكُّ والمنافقُ وشبههمَا، (فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ)، يعنِي: لم يَلجِ الإيمانُ قلبَهُ، وإنَّمَا كانَ يقولُ كما يقولُ النَّاسُ مِن غيرِ أن يَصِلَ الإيمانُ إلى قلبِهِ.

وَتَأَمَّل قولَهُ: (هاه هاه) كأنَّ شيئًا غَابَ عنهُ يريدُ أن يَتذكرَه، وَهَذا أشدُّ فِي التَّحَسُّرِ أن يتخيَّلَ أنَّهُ يَعْرِفُ الجوابَ، ولكن يُحالُ بينهُ وبينهُ، ويقولُ: «هاه هاه»، ثمَّ يقولُ: «سمعتُ الناسَ يقولونَ شيئًا فقلتُهُ»، وَلَا يقولُ: رَبِّيَ الله، وَلَا ديني الإسلام، وَلَا نَبِيّ محمَّد؛ لأَنَّهُ فِي الدُّنيا مُرتابٌ شاكٌّ.

هذا إِذَا سُئِلَ فِي قَبرِهِ وَصَارَ أحوج مَا يكونُ إِلَى الجَوَابِ الصَّوَابِ يَعجزُ، وَيَقولُ: (لَا أدري سَمِعتُ النَّاسَ يقولونَ شَيئًا فقلتُهُ).

إِذًا؛ إيمانُه قولٌ فَقَط". (٢)

وقولُ شيخِ الإسلامِ-رحمه الله تعالى-: (فَيُضرِبُ بِمرزَبَّةٍ مِن حديدٍ؛ فيصيحَ صحيةً يسمعهَا كُلُّ شيءٍ إِلَّا الإنسان، وَلَو سَمِعَها لصعقَ)-يُشير إلى حديث أنس عليه السلام وفيه: (وأمَّا المنافق والكافر فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنتُ أقول ما يقول

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «شرح الواسطِيَّة» (ص٤٨٠-٤٨٢).

الناس، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ويُضرب بمطارقَ من حديد ضربةً؛ فيَصِيحُ صَيحةً يَسْمَعُهَا مَن يَلِيهِ غَيرَ الثَّقَلينِ)[1]، والثَّقلان: هُم الإنسُ والجنُّ.

قالَ ابنُ عُثَيمين-رحمه الله تعالى-: (فيُضرب): يَعني الذِي لم يُجِب، سواء كانَ الكافرَ أو المنافقَ، والضارب لَهُ الملَكَانِ اللذانِ يَسألانِهِ.

والمرزبَّةُ: هِيَ مِطرقةٌ مِن حَدِيدٍ، وَقَد وَرَدَ فِي بعضِ الرواياتِ: أَنَّهُ لَوِ اجتَمَعَ عَلَيهَا أَهلُ مِنى مَا أَقَلُّوها، فَإِذَا ضُرِب يَصيح صيحةً يَسمعها كلُّ شيء إلا الإنسان، أي: صِياحًا مَسموعًا يَسمعه كلُّ شيء يكون حوله ممَّا يسمع صوته، وليس كلُّ شيء في أقطار الدُّنيا يَسمعه، وأحيانًا يتأثر به ما يسمعه كما مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بِأَقْبُر للمُشركين على بَغْلَتِه، فَحَادت به حتى كادت تُلقيه؛ لأنَّها سَمِعت أصواتَهم يُعَذَّبون.

قوله: (إلا الإنسان)، وقد سبق أنَّ في الحديث إلا الثَّقلين. يعني: أنه لا يَسمع هذا الصِّياح، وذلك لحكمٍ عظيمة منها:

أولًا: ما أشار إليه النبي-صلى الله عليه وسلم-بقوله: (لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ).[2]

ثانيًا: أنَّ في إخفاء ذلك سترًا للميت.

ثالثًا: أنَّ فيه عدم إزعاج لأهله؛ لأنَّ أهلَه إذا سَمعوا مَيِّتَهم يُعَذَّب ويَصيح لم يَسْتَقِرَّ لهم قَرَارٌ.

رابعًا: عدم تَخْجِيل أهله؛ لأنَّ النَّاس يقولون: هذا ولدُكم، هذا أبوكم، هذا أخوكم، وما أشبه ذلك.

خامسًا: أننا قد نَهْلِك؛ لأنَّها صيحة ليست هينة، بل صيحة قد تُوجب أن تسقط القلوب من مَعاليقها، فيموت الإنسان، أو يُغشى عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) من حديث أنس.

سادسًا: لو سَمِع النَّاسُ صُرَاخ هؤلاء المعَذَّبين لكان الإيمانُ بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة لا من باب الإيمان بالغيب، وحينئذ تَفُوت مصلحة الامتحان؛ لأنَّ النَّاس سوف يُؤمنون بما شاهدوه قطعًا، لكن إذا كان غائبًا عنهم ولم يعلموا به إلَّا عن طريق الخبر صار من باب الإيمان بالغيب". [١]

(١) «شرح الواسِطيَّة» (ص٤٨٢، ٤٨٣).

المسألة الثانية: الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه.

وقد دلَّ على سؤال القبر وما يكون فيه من نَعيم أو عذاب-بعض الآيات والسُّنَّة المتواترة وكذلك إجماع أهل السُّنَّة والجَمَاعَة.

أمَّا دلالة القرآن: فمنها:

- قوله تعالى في قصة آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب**﴾ [غافر: الآية: ٤٦].

قال الحافظ ابن كثير: "وهذه الآية أصلٌ كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور".[١]

وقال العلامة الفوزان: "هذا في البرزخ قبل الآخرة؛ يُعرضون على النَّار صباحًا ومساء إلى أن تقوم الساعة، وهذا دليلٌ على عذاب القبر، والعياذ بالله، ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: الآية: ٤٦] هذه ثلاثة عقوبات:

الأولى: أنَّ الله أغرقهم ومحاهم عن آخرهم في لحظة واحدة.

الثاني: أنَّهم يُعَذَّبون في البرزخ إلى أن تقوم الساعة.

الثَّالثة: أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يدخلون أشد العذاب، والعياذ بالله".[٢]

- ومنها: قوله تعالى: ﴿**سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ [التوبة: الآية:١٠١].

قال ابنُ تيمِيَّة: "قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِن العُلَمَاءِ: المرَّةُ الأُولَى فِي الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَةُ فِي البَرْزَخِ، ﴿**ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ فِي الآخِرَةِ".[٣]

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٤٦).

(٢) «شرح الأصول الثلاثة» (ص: ٥١)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٦).

● ومنها: وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: الآية: ٩٣].

وهذا خطابٌ لهم عند الَموت، وقد أخبر الملائكة -وهم الصادقون- أنَّهم حينئذ يُجزون عذاب الهون، ولو تأخَّر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا؛ لما صَحَّ أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾؛ فدل على أنَّ المراد به عذاب القبر(١).

وأمَّا السُّنَّة: فإنها متواترةٌ في ذلك، كما قال الحافظُ ابنُ رَجَب رحمه الله تعالى: "وقد تَوَاتَرَت الأحاديثُ في عذاب القبر".(٢)

وقال ابنُ أبي العِزِّ -رحمه الله تعالى-: "وقد تواترت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ في ثُبُوت عذاب القبر ونعيمه لِمَن كان أهلًا".(٣)

وأمَّا الإجماعُ:

● فقد قال ابن تيمِيَّة -رحمه الله تعالى-: "فَاعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا: أَنَّ الميّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ".(٤)

● وقال أيضًا: "العَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ".(٥)

● وقال ابن القيّم -رحمه الله تعالى-: "وَهَذَا كَمَا أنه مُقْتَضى السُّنَّة الصَّحِيحَة فَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَين أهل السُّنَّة.

(١) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» صالح الفوزان (ص ٢٧٥)، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
(٢) «أهوال القبور» (ص ٤٣).
(٣) «شرح الطَّحاوية» (ص ٣٩٩).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨٤).
(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨٢).

قَالَ المروزي: قَالَ أَبُو عبد الله: "عَذَاب القَبْر حقٌّ، لَا يُنكره إِلَّا ضالٌّ أَو مُضِلٌّ". (١)

(١) «الروح» (ص ٥٧).

المسألة الثالثة: عذاب القبرونعيمه يقع على الجسد والروح معًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضا تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم أو العذاب".(١)

وقال ابن القيم–رحمه الله–: وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة، ونحن نذكر لفظ جوابه فقال:

"بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن.

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى".(٢)

ويضرب العلماء مثالا لذلك الحلم في المنام فقد يرى الإنسان أنه ذهب وسافر وقد يشعر بسعادة وهو نائم وقد يشعر بحزن وأسى وهو في مكانه وهو في الدنيا فمن باب أولى أن تختلف في الحياة البرزخية وهي حياة تختلف كلية عن الحياة الدنيا أو الحياة في الآخرة.

قال النووي–رحمه الله–: "فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر، فالجواب: أن ذلك غير ممتنع بل له نظر في العادة وهو النائم، فإنه يجد لذة وآلاما لا نحس نحن شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذة وآلما

(١) الاختيارات الفقهية (ص: ٩٤).

(٢) "الروح" (ص: ٥١-٥٢).

لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرئيل يأتي النبي-صلى الله عليه وسلم-فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جلي".(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "والنائم يحصل له في منامه لذة وألم وذلك يحصل للروح والبدن حتى إنه يحصل له في منامه من يضربه فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنّه أُطْعِم شيئًا طيبًا فيصبح وطعمه في فمه، وهذا موجود، فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به والذي إلى جنبه لا يحس به حتى قد يصيح النائم من شدة الألم أو الفزع الذي يحصل له ويسمع اليقظان صياحه وقد يتكلم إما بقرآن وإما بذكر وإما بجواب واليقظان يسمع ذلك وهو نائم عينه مغمضة ولو خوطب لم يسمع: فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول أنه (يسمع قرع نعالهم)، وقال: (ما أنتم أسمع لما أقول منهم؟)،

والقلب يشبه القبر، ولهذا قال لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق: (ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا)، وفي لفظ: (قلوبهم وقبورهم نارًا)، وَفرّق بينهما في قوله: ﴿**بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [العاديات: الآيتان: ٩-١٠]، وهذا تقريب وتقرير لإمكان ذلك.

ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه، بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك، إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير ونحو ذلك مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم".(٢)

---

(١) "شرح مسلم" (٢٠١/١٧).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٧٥-٢٧٦).

المسألة الرابعة: المنكرون لعذاب القبر.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: "مذهب سائر المسلمين إثبات الثواب والعقاب في البرزخ – ما بين الموت إلى يوم القيامة – هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع".[(١)]

وقال أبو الحسن الأشعري وهو يذكر ما خالف فيه المعتزلة وأهل القدر نهج أهل السنة: وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين.[(٢)]

وقد خالف في ذلك الخوارج وضرار بن عمرو وبشر المريسي وجماعة من متأخرى المعتزلة، فقالوا بنفى عذاب القبر؛ وذلك بناء على قولهم أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب".[(٣)]

قال ابن حزم: "ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من الخوارج، وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك" .[(٤)]

وقد نسب أبو الحسن الأشعري نفي عذاب القبر إلى المعتزلة والخوارج،[(٥)]

كما نسبه البغدادي إلى الجهمية والضرارية،[(٦)]

ونسب الملطي إلى جهم بن صفوان إنكار عذاب القبر ومنكر ونكير.[(٧)]

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٦٢).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٤).

(٣) مقالات الإسلاميين (٢/ ١١٦)، ودراسات فى الفرق الإسلامية (ص: ١٧٣).

(٤) الفصل في الملل والنحل والأهواء (٤/ ٦٦).

(٥) المقالات (٢/ ١١٦).

(٦) أصول الدين (ص: ٢٤٥).

(٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص: ١٢٤).

والأرجح بالنسبة للمعتزلة أن جمهورهم على القول بعذاب القبر، كما حكى ذلك عنهم القاضي عبد الجبار، فقد ذكر: "فصل فى عذاب القب" وقال: "بأنه لا خلاف في ذلك بين الأمة، كما أنه قد بين أن ابن الراوندي هو الذي يشنع علي المعتزلة، ويدعى أنهم ينكرون عذاب القبر، ثم أورد الأدلة على إثباته من القرآن والسنة. [١]

وقال أيضًا ما نصه: "إنما أنكر ذلك أولًا: ضرار بن عمرو، لما كان من أصحاب واصل ظن ذلك مما أنكرته المعتزلة وليس الأمر كذلك، بل أكثر شيوخنا يقطعون بعذاب القبر، وإنما ينكرون قول جماعة سنن الجهلة إنهم يعذبون وهم موتى، ودليل العقل يمنع من ذلك. ا. هـ [٢]

كذلك فقد قال الزمخشرى عن سورة الملك: "وتسمى: الواقية، والمنجية، لأنها تقى وتنجي قارئها من عذاب القبر ". [٣]

شبهتهم

والمخالفون الذين خالفوا أهل السنة في هذا الأصل فنفوا القول بإثبات عذاب القبر قد جاء فساد تأصيلهم في أنهم قد حكموا العقل وردوا عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فقاسوا الأمور الغيبية على الأمور المشاهدة، وحكموا العقل فيما جاءت به النصوص في أن هذا يعقل، وأن هذا لا يعقل.

فتراهم لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنهم عقلانيون، فيسمون أدلة الشرع ظنية، فأما أدلة العقل عندهم فهي يقينية، وهم فى ذلك قد نسوا أو قل تناسوا أن عذاب القبر وفتنة القبر أمر غيبي، والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد؛ لأنها لا تدرك بالنظائر ولا تدركها العقول؛ بل تحار فيها العقول، فيجب الإيمان بها والتسليم على نحو ما جاء في الخبر الصادق في الوحي.

ومن شبهاتهم النفاة قالوا: إنا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب، وكذلك فإن الميت ربما تفترسه السباع وتأكله!!

(١) "شرح الأصول الخمسة " (ص: ٧٣٠).

(٢) "الاعتزال وطبقات المعتزلة " (ص: ١٦٧).

(٣) الكشاف (٤/ ٥٧٤) والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٣/ ٧١٢) تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف.

وجوابه:

أن هذا هوس؛ أما مشاهدة الشخص فهو مشاهدة لظواهر الجسم، والمدرك للعقاب جزء من القلب أو من الباطن كيف كان، وليس من ضرورة العذاب ظهور حركة في ظاهر البدن، بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره، ولو انتبه النائم وأخبر عن مشاهداته وآلامه ولذاته من لم يجر له عهد بالنوم لبادر إلى الإنكار اغترارا بسكون ظاهر جسمه.

فتعسا لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقرة بالاضافة إلى خلق السموات والأرض وما بينهما، مع ما فيهما من العجائب. (١)

ثم يقال لمن يشكل بعدم تحقق رؤية عذاب القبر بالبصر: أن الله – عزوجل – يبتلى عباده بالتكاليف الشرعية اختبارا وامتحانا لهم، وهذه التكاليف شاملة لباب العلم والعمل:

أ) ففي باب العمل:

يكلفهم بجملة من العبادات الشرعية، والتى منها ما يكون غير معلوم الحكمة، فيجمع لهم بين التكليف بالاستسلام وتكليف القيام بالعمل.

ب) وفي باب العلم:

فقد يختبر الله –تعالى –عباده بالإيمان بالغيبيات التى تتالت النصوص بإثباتها، فيظهر هنا من يؤمن بالغيب ممن هو منه في شك، إذ لو عاين العباد الغيبيات لزالت حكمه التكليف والإيمان بالغيب، ومن هذا الباب فقدا اقتضت الحكمة أن يكون عذاب القبر خفيًا؛ لأنه لو كان أمرًا ظاهرًا لما كان الإيمان به إيمان بالغيب، والإيمان النافع المنجي إنما هو الإيمان بالغيب.

لذا فقد كان أول ما مدح الله–تعالى–به أهل الإيمان فى كتابه أنهم يؤمنون بالغيب، فقد قال تعالى ﴿**الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: الآيات: ١ – ٣].

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالى (١١٨).

وأضف الي ذلك أنه قد اقتضت حكمة الله –تعالى–أن لا يكون عذاب القبر ظاهرا، إذ لو كان ظاهرا لما تدافن الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه). (١)

وأما قولهم بعدم حدوث عذاب القبر لمن أكله سبع أو حرق!!

فجوابه:

فذكر العذاب والحاقه بالقبر إنما خرج على الغالب فلا مفهوم له؛ فالمصلوب والمحروق والغريق ومن أكلته السباع لهم من عذاب البرزخ ونعيمه بحسب ما تقتضيه أعمالهم، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما.

وإلا فسيقال من باب الإلزام بعدم بعث من أكلته السباع أو حرق، ومثل هذا مما لم يقل به نفاة القول بعذاب القبر، فكما قيل فى قوله تعالى ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: الآية: ٥٢] أنه خرج على الغالب، مع إثبات البعث لمن لم يكن له مرقد، كالمحروق ومن أكلته السباع، فكذا يقال بإثبات عذاب القبر ونعيمه لمن لم يقبر.

وقد ورد في حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–، عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: (كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له). (٢)

قال ابن القيم: "ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦).

ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور". [(١)]

ويلخص ما سبق كلام بديع للسمعانى، لما ذكر أمور الغيب من عذاب القبر وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراط، قال-رحمه الله-: "وهذه أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فلله الحمد في ذلك والشكر، ومنه التوفيق، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به وصدقنا واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال تعالى في مثل هذا ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾.[الإسراء: الآية: ٨٥]". [(٢)]

* تنبيه وتصحيح:

قد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الله – سبحانه –يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، وقالوا بأن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب. [(٣)]

*وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك، وبين أن الأمر على خلاف ذلك، فقال رحمه الله: "ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه؛ بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم. وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير، ونحو ذلك.

---

(١) الروح (ص: ٥٨).

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث (ص: ٨٢).

(٣) الروح (ص: ٥٨).

مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم".[١]. [٢]

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٦).

(٢) المصدر: الأربعين العقدية لأيمن إسماعيل (٢/ ٨٨٥-٨٩٢).

المسألة الخامسة: منكر ونكير.

ومن الأحاديث الواردة في هذا: ما رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قبر الميت–أو قال: أحدكم–أتاه ملكان أســـودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير. فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورســـوله. أشـــهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورســـوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا...)[١].[٢]

وفي حديث أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عنه أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هذا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صـلى الله عليه وسـلم. فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فيقول: أَشْـهَدُ أَنَّهُ عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ...)[٣].

وهذه الأحاديث متلقاة عند أهل العلم بالقبول، قال ابن أبي عاصـم: وفي المسـاءلة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة توجب العلم، فنرغب إلى الله أن يثبتنا في قبورنا عند مســـألة منكر ونكير بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. انتهى[٤].

ومنكر ونكير هما ملكان جاء وصـفهما في السـنة بأنهما أسـودان أزرقان، يأتيان العبد في قبره فيقعدانه ويســألانه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم، فينعم في قبره. وأما الكافر فلا يحار جوابا، فيضرب بمرزبة من حديد يصيح منها صيحة يسمعها كل من يليه إلا الثقلين.

---

(١) رواه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في (السنة) (٨٦٤). قال الترمذي: حسن غريب. وحسنه ابن حجر في (هداية الرواة) (١/١١٥) –كما أشار إلى ذلك في المقدمة –. وكذلك الألباني في (صحيح سنن الترمذي).

(٢) المصدر: تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص٢٨٩.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٤) السنة: (ص٤١٩-٤٢٠).

وورد تســـمية الملكين في حديث أبي هريرة الذي عند الترمذي وغيره، وذكرهما يتقوى كما لا يخفى بالطريق التي عند الطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٢٩)، وفيها ابن لهيعة وموسى ابن جبير الحذاء، وهذا الأخير وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ويخالف، وفي ابن لهيعة كلام معروف، وباقي رجاله ثقات، فتسـمية الملكين حسـن بمجموع الطريقين، هذا بالإضـافة أن تسـميتهما وردت في أخبار أخرى مرسلة وموقوفة، وهي:

١-مرســـل عطاء بن أبي رباح: أخرجه الحارث بن أبي أســـامة في مســـنده (زوائده رقم٢٨١)، والآجري في الشـــريعة (رقم٨٦١-دار الوطن) والبيهقي في إثبات عـذاب القبر (رقم١٠٣) من طريق إبراهيم بن سـعد عن أبيه عن عطاء بن يسـار قال: قال رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "يا عمر كيف بك إذا أنت مت، فانطلق أهلك فقاسـوا لك ثلاثة أذرع وشـبر في ذراع وشـبر، ثم رجعوا إليك فغسـلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك حتى يضـعوك فيه، ثم يهيلوا عليه التراب، فإذا انصـرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصـف، وأبصـارهما مثل البرق الخاطف، فتلتلاك وثرثراك وهوّلاك، فكيف بك عند ذلك يا عمر ؟"، قال: يا رســـول الله ومعي عقلي؟، قال: "نعم"، قال: "إذا أكفيكهما."

٢-مرسـل عمرو بن دينار المكي: عند عبد الرزاق في المصـنف (٣/٥٨٢-٥٨٣) بسـند صحيح عنه، ولفظه نحو الذي قبله، وذكر تسمية الملكين عن عبيد بن عمير.

فلا شك أن مجموع هذه الطرق يعطي قوة لتسمية الملكين، والله أعلم.

وأما قول منكر ونكير فقد ورد ذكرهما عن الصـــحابة وأئمة الســـلف رضـــوان الله عليهم أجمعين. ومن ذلك:

ما أخرجه ابن أبي شـيبة والبيهقي من طريق غندر عن شـعبة عن يعلى بن عطاء عن تميم بن غيلان بن سلمة قال: (جاء رجل إلى أبي الدرداء وهو مريض)... إلى أن قال أبو الدرداء: (ثم جاءك ملكان أسودان أزرقان جعدان أسماؤهما منكر ونكير...)[١]

وقد ذكر جملة من أئمة السلف عبارة (منكر ونكير) وممن ذكره هذه العبارة:

قال الإمام أحمد بن حنبل: ".. وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسـأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه ومن نبيه، ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء وكيف أراد.."[٢].

وورد أن أبا عبيد القاسـم بن سـلام سـأل الإمام أحمد عنهما فقال: "هذه اللفظة (منكر ونكير) تقول هذا أو تقول ملكين؟، قال: نقول منكر ونكير وهما ملكان"[٣]

وقال أبوبكر الاسماعيلي: "ويؤمنون بمسـألة منكر ونكير على ما ثبت به الخبر عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم"[٤].

وقال أبي بكر بن أبي عاصم: "وفي المساءلة أخبار ثابتة والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر ونكير أخبار ثابتة توجب العلم."[٥]

وقال شيخ الاسلام: "إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما ينكره بعض أهل البدع كعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكالصراط والشفاعة" [٦].

---

(١) المصنف (٣/٥٣) (٧/١١٤)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (١/١٣٣)، وهذا اسناد رجاله ثقات، وتميم بن غيلان بن سلمة ترجمه البخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥٣)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/٤٤١)، وابن حبان في الثقات (٤/٨٦)، وهو ثقفي وروى عنه غير يعلى بن عطاء: ابن جريج وعبد العزيز بن أبي رواد، وما أحسبه سمع أبا الدرداء، والله أعلم.

(٢) أصول السنة (٣١).

(٣) طبقات ابي يعلى ١/٥٥.

(٤) اعتقاد أئمة الحديث (٧٠).

(٥) كتاب السنة (ص٤١٩-٤٢٠).

(٦) الأصفهانية (٢/٢١٤).

وقال الإمام الطحاوي: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً وســـؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه ..) [١].[٢]

وأما ما ورد في تفصـــيل صـــفة الملكين، وأن أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصواتهما مثل الرعد، ونحو ذلك أحاديث لا تصح.[٣]

وللناس في ســـؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة أقوال: الثالث: التوقف، وهو قول جماعة، منهم: أبو عمر بن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صـــلى الله عليه وســـلم، قال :(إن هذه الأمة تبتلى في قبورها)[٤]، منهم من يرويه: تُسأل[٥]، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم"[٦].[٧]

(١) العقيدة الطحاوية (٥٠).

(٢) وانظر في ذلك كلام البربهاري في السنة (٣٧)، وصديق حسن خان في قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٣٣)، وابن قدامة في لمعة الاعتقاد (٢٦)، ومرعي الكرمي في أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصـــفات والآيات المحكمات (٢١٣)، والكلاباذي في التعرف لمذهب أهل التصوف (٥٧)، وابن عساكر في تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (٣٠٥).

(٣) انظر السلسلة الضعيفة (٣٥٨٥).

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٥) رواه الطبري في (تفسيره) (١٦/٦٠٠-٦٠١) عن الربيع، وأبي قتادة، وغيرهما. وعزاه ابن عبد البر في (التمهيد) (٢٢/٢٥٤) لابن أبي شيبة، وقال: وقال ابن أبي شيبة: تُسأل في قبورها. ولم أجده في (مصنفه) إنما روى الحديث (٣/٥٠) كما في (صحيح مسلم) -حيث رواه مسلم من طريق ابن أبي شيبة أصلاً-(إن هذه الأمة تبتلى في قبورها.(...

(٦) انظر: (التمهيد) (٢٢/٢٥٣).

(٧) المصدر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ٢/٥٨١

[الحوض]

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة الشرعية على إثبات الحوض والكوثر.

المسألة الثانية: أقوال العلماء في إثبات الحوض والكوثر.

المسألة الثالثة: هل الحوض هو الكوثر؟

المسألة الرابعة: الذين أنكروا الحوض.

المسألة الخامسة: الذين يذادون عن حوضه يوم القيامة.

المسألة السادسة: ما جاء في الأخبار أن لكل نبي حوضا

[١٢]- قال المصنف-رحمه الله-: "والحوض".

الشرح

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الأدلة الشرعية على إثبات الحوض والكوثر.

هذا الحوضُ المورود الذي أَعطاه الله لنبيه محمد ﷺ، كما قال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

قال الإمامُ القرطبيُّ: "والصَّحيح: أنَّ للنبي ﷺ حَوْضَيْن:

أحدهما: في الموقف قبل الصِّراط.

والثَّاني: في الجَنَّة.

وكلاهما يُسَمَّى كوثرًا"(١)

وقد جاءت أحاديث كثيرة في وصفه؛ منها:

عن أبي عُبيدة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: الآية: ١]، فقالت: "نَهرٌ أُعطيه نَبِيُّكم-صلى الله عليه وسلم-؛ شاطئاه عليه دُرٌّ مُجَوَّف، آنيته كَعَدد النُّجوم"(٢)

وعن أنس-رضي الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قال: (بينما أنا أسيرُ في الجَنَّة إذ أنا بنهرٍ حافتاه قِباب الدُّرِّ المجَوَّف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاك رَبُّك، فإذا طِينُه-أو طِيبُه-مِسك أذفر). (٣)

ومن الأحاديث التي ورد فيها ذكر الحوض:

- عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"(٤).

---

(١) التذكرة (ص: ٣٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب ١٢. انظر: فتح الباري (٤/ ٩٩) ح ١٨٨٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة (٤/ ١٢٣).

- وقوله-صلى الله عليه وسلم-للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض).[(١)]

(١) انظر صحيح البخاري كتاب الجزية، بـــاب مَا أَقْطَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ البَحْرَيْنِ، وَمَا وَعَدَ مِنْ مَالِ البَحْرَيْنِ وَالجِزْيَةِ، وَلِمَنْ يُقْسَمُ الفَيْءُ وَالجِزْيَةُ، برقم (٣١٦٣)، ومسلم كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ برقم (١٠٥٩)، والإمام أحمد في المسند مسند المكثرين من الصحابة (١٣٣٤٧).

المسألة الثانية: أقوال العلماء في إثبات الحوض والكوثر.

روي عن الإمام سفيان بن عيينة في اعتقاده قوله: "السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر وتقديم أبي بكر وعمر والحوض والشفاعة والميزان والصراط والإيمان قول وعمل والقرآن كلام الله وعذاب القبر والبعث يوم القيامة ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم"(١)

وقال شيخُ الإسلامِ-رحمه الله تعالى-: "خَصَّ الله نَبيَّه صلى الله عليه وسلم أنَّه أعطاه الكوثر، وهو من الخير الكثير الذي آتاه اللهُ في الدُّنيا والآخرة؛ فمما أعطاه في الدُّنيا الهُدى والنَّصر والتأييد وقُرَّة العَين والنَّفس وشرح الصدر، ونَعَّم قلبَه بذكرِه وحُبِّه بحيث لا يُشبه نعيمُه نعيمَ الدُّنيا البتة، وأعطاه في الآخِرَة الوسيلةَ والمقامَ المحمودَ، وجعلَه أَوَّلَ مَن يُفتح له ولأمته باب الجنة، وأعطاه في الآخِرَة لواءَ الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة، إلى غير ذلك"(٢)

وقد حكم جمعٌ من أهل العلم بتواتر السُّنَّة في ذلك، قال ابن أبي العِزِّ: "الأحاديث الواردة في ذِكر الحوض تَبلغُ حَدَّ التواتر؛ رَوَاها من الصَّحابة بضعٌ وثلاثون صحابياًّ، ولقد استقصى طرقَها شيخُنا عمادُ الدِّين ابنُ كثير-تَغَمَّدَه اللهُ برحمتِه في آخر تاريخه الكبير"(٣)

---

(١) رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥٦)

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٢٧-٥٢٨)، بتصرف يسير.

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٢٢٧).

المسألة الثالثة: هل الحوض هو الكوثر؟

قيل في ذلك أن المراد بالكوثر هو الحوض، وقيل المراد بالكوثر هو الخير الكثير، تفسير الكوثر بالحوض والخير الكثير أو النهر الذي فيه الجنة لا تنافي بينها فقد جاءت كلها مبينة مفصلة عن النبي–صلى اللَّه عليه وسلم–في حديث أنس بن مالك–رضي اللَّه عنه–، قال: "قال: بينا رسول اللَّه–صلى اللَّه عليه وسلم–بين أظهرنا في المسجد إذ أغْفَى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسمًا قلنا ما أضحكك يا رسول اللَّه؟ قال: (لقد أنزلت علي آنفًا سورة فقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾. [الكوثر: الآيات: ١–٣])، ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟). قلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي–عز وجل–عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك). [١]

وقد ورد تفسير الكوثر: بالخير الكثير عن ابن عباس–رضي اللَّه عنهما–، وقيل لسعيد بن جبير رحمه اللَّه –الراوي عن ابن عباس–إن ناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه اللَّه إياه.

وقال ابن كثير–رحمه اللَّه–: "وتفسيره بالخير الكثير يعم النهر وغيره لأن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر ثم قال: وقد صح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أنه فسره بالنهر أيضًا"[٢]... والراجح –والله أعلم– هو التفريق بينهما، فإن الكوثر:

هو نهر في الجنة، أعطاه الله–تعالى–للنبي–صلى الله عليه وسلم–، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر: الآية: ١].

وعن أنس–رضي الله عنه–، قال: لما عرج بالنبي–صلى الله عليه وسلم –إلى السماء، قال: (أتيت على نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا

(١) رواه مسلم (٤٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير رحمه الله (٩/ ٣١٢–٣١٥) في تفسير سورة الكوثر.

الكوثر). [١]

وعن عبد الله بن عمر-رضى الله عنهما-، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج). [٢]

وأما الحوض: فإنه في العرصات خارج الجنة، يرده المسلمون قبل دخولهم الجنة، ويستمد الحوض مائه من نهرين من داخل الجنة، كما ورد عن أبي ذر-رضى الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال عن الحوض، (يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل). [٣]

فإن قيل: قد روى أنس-رضى الله عنه-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر: الآيات: ١-٣] ثم قال: (أتدرون ما الكوثر؟). فقلنا: "الله ورسوله أعلم"، قال: (فإنه نهر وعدنيه ربي-عز وجل-، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم). [٤]

فظاهر ذلك أن الكوثر هو نفسه حوض النبي-صلى الله عليه وسلم-.

فجوابه من وجهين:

١ - الأول: الكوثر نهر داخل الجنة، ويأتي وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه. [٥]

٢ - الثاني: أن حديث أنس-رضى الله عنه-، هذا قد ورد فيه تفسير الحوض بالكوثر على

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٦١) وقال: "حسن صحيح".

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٠) .

(٤) أخرجه مسلم (٤٠٠).

(٥) انظر فتح الباري (١١/ ٦٥٠)، وخصائص المصطفى بين الغلو والجفاء (ص: ٥٢).

المعنى اللغوي الذي هو الخير الكثير، وليس المعنى الاصطلاحي الذي هو الكوثر الذي هو نهر في الجنة، وهو المراد في حديث ابن عمر -رضى الله عنهما- السابق. [١]

(١) المصدر: كتاب الأربعون العقدية (٢/ ٢٠٠٣-٢٠٠٥).

المسألة الرابعة: الذين أنكروا الحوض والكوثر.

الذين أنكروا الحوض: هم طائفة قليلة من أهل البدع والضلال، وبعض فرق الخوارج، وبعض المعتزلة وتأولوه وَقَالُوا: لا يثبت للنبي–صلى الله عليه وسلم–حوض، وإنما هذا كناية عن الكرم والعطاء.

ونقل إنكار الحوض في أواخر عصر الصحابة، وكان عبيد الله بن زياد الأمير الأموي المعروف ينكر وجود الحوض ويرده، فكان الصحابة–رضي الله عنهم وأرضاهم–، يخبرونه بما سمعوا من النبي–صلى الله عليه وسلم–أن لنبي الله عليه السلام حوضًا، حتى إنه سأل أبا برزة الأسلمي–رضي الله عنه–: هل سمعت النبي–صلى الله عليه وسلم–يذكر الحوض؟ فقال أبو برزة–رضي الله عنه وأرضاه–: ما سمعته مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثًا، ولا أربعًا، ولا خمسًا، بل سمعته أكثر من ذلك، لا سقى الله من كذب به. يريد أن يخوف عبيد الله بن زياد. [١]

وروى حميد عن أنس قال: "دخلنا على عبيد الله بن زياد وهم يتذاكرون الحوض فقلت: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض، لقد تركت خلفي عجائز ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض محمد"[٢]

ثم أخبره ابن عمر وبعض الصحابة في هذا، وورد أنه قال: أشهد أن الحوض حق.

قال ابن كثير ردًا على من ينكر الحوض، قال رحمه الله: "ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي – سقانا الله منه يوم القيامة – من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة؛ وإن رغمت أنوف كثيرة من المبتدعة المعاندة المكابرة، القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: "من كذب بكرامة لم ينلها"[٣]

---

(١) أخرجه أبو دارد رقم (٤٧٤٩) في السنة باب في الحوض.

(٢) الكشف والبيان للثعالبي (سورة الكوثر: الآية: ١).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (ص: ٣١٣).

المسألة الخامسة: الذين يذادون عن حوضه يوم القيامة.

قال العلماء-رضي الله عنهم-: "إن ممن يذاد عن حوض النبي-صلى الله عليه وسلم- جنس المفترين على الله وعلى رسوله-صلى الله عليه وسلم-الكذب، المحدثين في الدين ما ليس منه من الخوارج والروافض والجهمية وسائر أصحاب الأهواء المخلة، والبدع المضلة، وكذا المسرفون من الظلمة المفرطون في الظلم والجور وطمس الحق، وكذا المتهتكون [(١)] في ارتكاب المناهي، والمعلنون في اقتراف المعاصي. . . "[(٢)]

ففي صحيح مسلم من حديث أنس-رضي الله عنه-: (هل تدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج [(٣)] العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي (فيقول) إنك لا تدري ما أحدث بعدك) [(٤)]

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:(ليردن على الحوض أقوام فيختلجون دوني فأقول ربي أصحابي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[(٥)]

وأخرج الإمام أحمد والطبراني والبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-يقول: "أنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح ويجاء بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب يا رب فيقال ما زالوا بعدك مرتدين على أعقابهم"[(٦)]

---

(١) المتهتكون: قال في القاموس: "ورجل منهتك، ومتهتك، ومستهتك: لا يبالي أن يهتك ستره. . . " والمعنى أنهم لا يبالون بالفضيحة (القاموس: هتك).

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ١٩٧)، والتذكرة للقرطبي (ص: ٣٦٧).

(٣) يختلج: أي يجتذب ويقتطع. النهاية (٢/ ٥٩).

(٤) رواه مسلم رقم (٤٠٠) في الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة.

(٥) مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا -صلى الله عليه وسلم- وصفاته (٤/ ١٧٩٧).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٥٧)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٣، ١٢/ ٧١)، وفي الأوسط (٣/ ٤١٦-٤١٧)، والبزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢١٠) رقم (١٥٣٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٦٤)، وفي إسناده عندهم ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجالهم ثقات.

وأخرج الحكيم [(١)] في نوادر الأصول عن عثمان بن مظعون رضي اللَّه عنه عن النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- أنه قال: "يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة"[(٢)]

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة-رضي اللَّه عنه-، أن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: (يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي -أو قال من أمتي- فَيُحَلأون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي (فيقول إنه) لا علم لك ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى). [(٣)]

وفي رواية: "فيجلون".

قال في جامع الأصول: "اختلجوا": استلبوا وأخذوا بسرعة."

وقوله: فيحلأون: يعني مبنيًا للمفعول: أي يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده، إذا كان بالحاء المهملة ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النفي عن الوطن وهو راجع إلى الطرد"[(٤)]

وفي رواية عند البخاري أن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم- قال: (بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم. قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار واللَّه. قلت: ما شأنهم؟. قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقهرى. ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم: هلم. قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار واللَّه. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل

---

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذي (٢/ ١٤٨).

(٢) ذكره القرطبي في التذكرة، وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث عثمان بن مظعون عن النبي-صلى اللَّه عليه وسلم- أنه قال في آخره: "يا عثمان لا ترغب عن سـنتي. . . " الحديث. قال: "وقد ذكرناه بكماله في آخر كتاب: قمع الحرص بالزهد والقناعة" انتهى. التذكرة (ص: ٣٦٨)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٩٩).

(٣) رواه البخاري (١١/ ٤٨٣) في الرقاق باب في الحوض، ومسلم رقم (٢٤٧) في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

(٤) جامع الأصول (١٠/ ٤٧١).

النعم)[1].[2]

وفي الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق–رضي الله عنهما–، قالت، قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (إني على الحوض انتظر من يرد عليّ منكم وسيؤخذ أُناس دوني فأقول يارب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم).[3]

ورواه الشيخان–أيضًا–من حديث أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–، وزاد: (فأقول سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي).[4]

قال القرطبي–رحمه الله–: "قال علماؤنا: كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون، ثم الطرد قد يكون في حال ويقربون بمد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد قال: وقد يقال إن أهل الكبائر يردون ويشربون وإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش"انتهى.[5]

فأهل البدع مطرودون عن حوض النبي–صلى الله عليه وسلم–، ومردودون عن الشرب منه والله أعلم.[6]

(١) همل النعم: النعم الهمل: الإبل الضالة والمعنى أن الناجي منها قليل كهمل النعم. جامع الأصول (١٠/ ٤٧١).

(٢) رواه البخاري (٦٥٨٧).

(٣) رواه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم رقم (٢٢٩٣).

(٤) رواه البخاري رقم (٦٥٨٤) ومسلم رقم (٢٢٩٠).

(٥) التذكرة للقرطبي (ص: ٣٦٧) باختصار، ولوامع الأنوار (٢/ ٢٠٠).

(٦) لوائح الأنوار السنية للسفاريني (٢/ ١٧٤-١٧٨).

المسألة السادسة: ما جاء في الأخبار أن لكل نبي حوضًا.

فأخرج الترمذي من حديث سمرة بن جندب-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن لكل نبي حوضًا ترده أمته وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة [١] وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة).[٢]

وورد في بعض الأخبار "أن لكل نبي حوضًا إلا صالحًا عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته"[٣]

---

(١) واردة: الجماعة ترد الماء. جامع الأصول (١٠/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه رقم (٢٤٤٣) كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض. وقال الترمذي: "هذا حديث غريب وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح"..

(٣) نسبه القرطبي في التذكرة: (٣٦٨) إلى البكرى المعروف بابن الواسطي. ومثل هذا الخبر لايثبت إلا بدليل صحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-. والله أعلم، وانظر: لوائح الأنوار السنية للسفاريني (٢/ ١٧٨)

[الشفاعة]

وفيها أربع مسائل:

المسألة الأولى: شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–:

المسألة الثانية: شفاعة الأنبياء –عليهم السلام–.

المسألة الثالثة: شفاعة الصديقين والشهداء والصالحين.

المسألة الرابعة: تفضل الله بعد ذلك على كثير فيمن يشاء ممن لم يشفع فيهم.

[١٣]- قال المصنف-رحمه الله-: "والشَّفاعة".

الشرح

المسألة الأولى: شفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم-:

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد جاء في إثبات الشفاعة أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغت حد التواتر، وصرحت هذه الأحاديث بأنه يدخل النار جملة من أهل الكبائر، من أهل التوحيد، مؤمنون موحدون، لكن دخلوا النار بذنوب ومعاص ارتكبوها ولم يتوبوا منها،

أنواع شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

لقد اختلف أهل العلم في عدد شفاعات النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة[١]، فبعضهم أوصلها إلى عشر شفاعات وهو الراجح إن شاء الله لما تدل عليه الأحاديث الصحيحة وتقوم عليه الأدلة وهي كما يلي:

الأولى: الشفاعة العظمى: وهي في فصل الموقف بعد دلالة الرسل عليه واعتذارهم عنها[٢]

الثانية: الشفاعة لمن يصبر على لأواء المدينة. [٣].

الثالثة: الشفاعة لمن يموت بالمدينة[٤].

الرابعة: الشفاعة في دخول الجنة بغير حساب ولا عقاب،[٥]

الخامسة: الشفاعة فيمن قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه[٦].

---

(١)غاية البيان شرح زبد ابن رسلان لمحمد الرملي الأنصاري (١٣).

(٢)أخرجه البخاري رقم: (٣١٦٢)، ورقم: (٤٤٣٥)، ومسلم رقم: (١٩٤)، واللفظ له.

(٣)أخرجه مسلم رقم: (١٣٧٧)، ومالك في الموطأ رقم: (١٥٦٩)، وأحمد رقم: (٦٠٠١).

(٤)أخرجه الترمذي رقم: (٣٩١٧) وحسنه، وابن ماجه رقم: (٣١١٢) ولفظه "فإني أشهد لمن مات بها "، وأحمد رقم: (٥٨١٨) ، وابن أبي شيبة رقم: (٣٢٤٢١)، وابن حبان رقم: (٣٧٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم: (٤١٨٥-٤١٨٦)، والهيثمي في موارد الظمآن رقم: (١٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: (٦٠١٥)، وفي صحيح الترمذي رقم: (٣٩١٧)، وفي صحيح الترغيب رقم: (١١٩٣ – ١١٩٧)، وفي السلسلة الصحيحة رقم: (٢٩٢).

(٥) أخرجه البخاري رقم: (٦١٠٧)، ورقم: (٥٣٧٨)، ورقم: (٥٤٢٠) ، ورقم: (٦١٧٥) ، ومسلم رقم: (٢٢٠).

(٦) أخرجه البخاري رقم: (٩٩)، ورقم: (٦٢٠١) ، وأحمد رقم: (٨٨٤٥).

السادسة: الشفاعة في أهل الكبائر من الأمة[١].

السابعة: الشفاعة في رفع الدرجات[٢].

الثامنة: الشفاعة في الخروج من النار[٣]

التاسعة: الشفاعة التي يجتمع فيها الله والنبيون والملائكة والمؤمنون[٤].

العاشرة: الشفاعة في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه[٥].

١)) أخرجه أبو داود رقم: (٤٧٣٩)، والترمذي رقم: (٢٤٣٥-٢٤٣٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم: (٤٧٣٩)، وفي صحيح سنن الترمذي رقم: (٢٤٣٥-٢٤٣٦)، وفي صحيح الجامع رقم: (٣٧١٤)، وفي صحيح الترغيب والترهيب رقم: (٣٦٤٩)، وفي ظلال الجنة رقم: (٨٣١).

(٢) أخرجه مسلم رقم: (٩٢٠)، وأبو داود رقم: (٣١١٨)، والنسائي في السنن الكبرى رقم: (٨٢٨).

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٦١٩٠)، ومسلم رقم: (١٩١-١٩٢).

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٧٠٠١)، ومسلم رقم: (١٨٣)،

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٧٠)، ورقم (٥٨٥٥)، ومسلم رقم (٢٠٩).

المسألة الثانية: شفاعة الأنبياء-عليهم السلام-.

وما من نبي إلا له شفاعة كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد-رضي الله عنه-، قال: (فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين). [(١)]

وفي المسند من حديث أبي سعيد مرفوعًا: "ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا، فيخرجونهم منها، قال: ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا أخرجه منها). [(٢)]

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (١١٠٩٦) قال الشيخ مقبل: "الحديث بهذا السند حسن" انظر الشفاعة للوادعي: (١/ ١١٩).

المسألة الثالثة: شفاعة الصديقين والشهداء والصالحين.

كذلك الصديقون يشفعون، الصديق: على وزن فِعِّيل، وهو من قوي تصديقه وإيمانه بالله، فأحرق بقوة تصديقه الشبهات والشهوات، وفي مقدمتهم الصديق الأكبر أبو بكر–رضي الله عنه–.

ودرجة الصديق أعلى من الشهداء، كما في حديث: (أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)[١]، فالترتيب مقصود.

ثم درجة الشهداء:

الشهيد: هو الذي بذل نفسه رخيصة في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، فإنه بذل أغلى ما يملك وهي نفسه التي بين جنبيه، فقاتل أعداء الله، لإعلاء كلمة الله.

ثم درجة الصالحين:

الصالحون: على تفاوتهم فيما بينهم،

١–منهم السابقون، وهي أعلى الدرجات، وهم الذين داوموا على الفرائض والنوافل، وتركوا المحرمات والمكروهات،

٢–ومنهم المقتصدون، وهم الذين اقتصروا على أداء الفرائض وترك المحرمات، ولم يفعلوا النوافل وقد يفعلون بعض المكروهات.

٣–ومنهم الظالمون لأنفسهم، والظالمون لأنفسهم موحدون مؤمنون، لكنهم قصروا في بعض الواجبات، أو فعلوا بعض المحرمات، فهؤلاء عندهم أصل الصلاح وأصل التقوى، فينفعهم هذا الصلاح والتقوى في عدم الخلود في النار، ولكنهم قد يدخلون النار ويعذبون، لكن في النهاية مآلهم إلى الجنة والسلامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

المسألة الرابعة: تفضل الله بعد ذلك على كثير فيمن يشاء ممن لم يشفع فيهم.

أي أن الله تعالى يتفضل بعد ذلك على من يشاء، فيخرج برحمته بقية أهل التوحيد الذين لم يشفع فيهم، كما جاء ذلك صريحا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ-أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ-فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ(١) ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ).(٢)

والله-عز وجل-قد خَصَّ هذه الأمة بفضائل كثيرة، ومنها مُضاعفة الأجر؛ فعن ابن عمر-رضي الله عنهما-، عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، قال: (إنَّما أجلُكم في أجلِ مَن خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنَّما مَثَلُكم ومَثَل اليهود والنصارى، كرجل استعمل عُمَّالًا، فقال: مَن يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فعملت النَّصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا، فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين، فغَضِبَت اليهودُ والنصارى، فقالوا: نحن أكثر عملًا وأقل عطاء! قال الله: هل ظلمتُكم مِن حَقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فإنَّه فَضلي أُعطيه مَن شِئْتُ).(٣)

فَمن نعمة الله علينا أن جعلنا من أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه-، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال: (نَحن الآخِرون السَّابقون يوم القيامة، بَيْدَ

(١) قال محمد فؤاد عبد الباقي: "منصوب على الحال وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها أشهرها الكسر ويقال فيها أيضا إضبارة قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة (فبثوا) معناه فرقوا"انظر مسلم في صحيحه (١/ ١٧٢)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٢)

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٩).

كلِّ أُمَّةٍ أُوتوا الكتاب مِن قبلنا، وأُوتينا مِن بعدهم، فهذا اليوم[١] الذي اختلفوا فيه، فغدًا لليهود، وبعدَ غدٍ للنَّصارى).[٢]

وأمة محمد–صلى الله عليه وسلم–هم أكثر أهل الجنة، فعن بريدة–رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (أهلُ الجنة عشرون ومائة صف؛ ثمانون منها مِن هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم).[٣]

وذلك لأن النبي–صلى الله عليه وسلم–أكثر الأنبياء أتباعًا؛ فعن ابن عباس–رضي الله عنهما–قال: (خرج علينا النبي–صلى الله عليه وسلم–يومًا فقال: (عُرِضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد، ورأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فرجوت أن تكون أُمَّتي، فقيل: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفق، فقيل: هؤلاء أُمَّتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب).[٤]

وهذا الفضل الذي أعطاه الله لنبيه الكريم–صلى الله عليه وسلم–في الدنيا والآخرة–هو خير عظيم وعميم على هذه الأمة المرحومة؛ فصارت مَهْدِيَّة في الدنيا، مَرحومة وأكثر أهل الجنة في الآخرة، وذلك فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء.

---

(١) أي: يوم الجمعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٦) ومسلم (٨٥٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٤٦)، وابن ماجه (٤٢٨٩)، والدارمي (٢٨٧٧)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٥٢) ومسلم (٢٢٠).

[الميزان]

وفيها سبع مسائل:

المسألة الأولى: معنى الميزان في اللغة.

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت الميزان

المسألة الثالثة: معنى الميزان في الشرع.

المسألة الرابعة: صفات الميزان.

المسـألة الخامسـة: خلاف العلماء في الميزان هل هو واحد أم متعدد؟

المسألة السادسة: الأقوال في الموزون.

المسألة السابعة: كيف وزن الأعمال.

[١٤]–قال المصنف–رحمه الله–: "والميزان".

الشرح

في هذا النص مسائل:

المسألة الأولى: معنى الميزان في اللغة: [١]

- **أصل الكلمة:**

أصله من مِوْزان؛ انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وجمعه موازين.

قال الجوهري-رحمه الله تعالى-: "... وأصله مِوْزانٌ، انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها... ووزنتُ الشيء وزنًا وزِنَة، ويقال: وَزَنْتُ فلانًا ووَزَنْتُ لفلان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ٣]، وهذا يزن درهمًا" [٢]

- **وزنها وتصاريفها:** الميزان مأخوذ من (وَزَنَ)، (يَزِن)، (وزنًا)، و(زِنَةً)، وأصله (مِوزَان) انقلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها فصار (ميزان)، ويتعدَّى باللام وبدونها.

قال ابن فارس-رحمه الله تعالى-: "الْوَاوُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ: بِنَاءٌ يَدُلُّ عَلَى تَعْدِيلٍ وَاسْتِقَامَةٍ: وَوَزَنْتُ الشَّيْءَ وَزْنًا، وَالزِّنَةُ قَدْرُ وَزْنِ الشَّيْءِ، وَالْأَصْلُ وَزْنَةٌ... وَهَذَا يُوَازِنُ ذَلِكَ، أَيْ: هُوَ مُحَاذِيهِ، وَوَزِينُ الرَّأْيِ: مُعْتَدِلُهُ، وَهُوَ رَاجِحُ الْوَزْنِ: إِذَا نَسَبُوهُ إِلَى رَجَاحَةِ الرَّأْيِ وَشِدَّةِ الْعَقْلِ" [٣]

- **معانيها:**

قال الليث: (الوزن ثقل شيء بشيء مثله) [٤].

والميزان: اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء، أو هو ما تُقَدَّرُ به الأشياء خفةً وثقلًا.

وقد أطلقت لفظة الوزن والميزان على عدة معان:

المعنى الأول: فهو يطلق ويراد به بيان قدر الشيء وقيمته، أو خسة الشيء وسقوطه، كما قال تعالى: فلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا [الكهف: الآية: ١٠٥].

قال ابن الأعرابي: العرب تقول: "ما لفلان عندنا وزن أي قدر؛ لخسته، ويقال: وزن الشيء

---

(١) المصدر: الحياة الآخرة للدكتور غالب العواجي (٢/ ١٠٨٣).

(٢) "الصحاح للجوهري، مادة: (وزن)، (٦/ ٢٢١٣).

(٣) "معجم مقاييس اللغة"؛ لأحمد بن فارس مادة: (و-ز-ن)، (٦/ ١٠٧).

(٤) لسان العرب (١٥/ ٢٠٦).

إذا قدره، وزن ثمر النخيل إذا خرصه"(١)

المعنى الثاني: أن الميزان يأتي في باب اللغة مرادًا به الميزان ذي الكفات.

المعنى الثالث: ويأتي مرادًا به العدل أيضًا.

المعنى الرابع: كما يأتي ويراد به الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.

ثم قال: وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ(٢).

وقال الراغب: الوزن معرفة قدر الشيء... والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان.(٣)

ثم ذكر بعض الآيات التي تدل على أنه يأتي مراداً به المعادلة في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال، مثل قوله تعالى: ﴿**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ [الشعراء: الآية: ١٨٢]، ﴿**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ**﴾ [الرحمن: الآية: ٩].

وأنه يأتي بمعنى العدل في محاسبة الناس، كما قال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧].

- **استعمالاتها:**

أما الميزان؛ فهو: "الآلة التي يوزن بها الأشياء" ويجمع على: موازين.

"وجائز أن يقال للميزان الواحد–بأوزانه وجميع آلته–الموازين، قال الله–عز وجل–: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧] يريد نضع الميزان ذا القسط. وسيأتي تفصيل هذا.

وجاء إطلاق الموازين على الأعمال:

(١) "تهذيب اللغة"؛ للأزهري، مادة: (و–ز–ن)، (١٣/ ١٧٥).

(٢)"تهذيب اللغة"؛ للأزهري، مادة: (و ز ن)، (١٣/ ١٧٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن"؛ للراغب الأصفهاني، (ص: ٨٦٨).

كما قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية: ٨]

قال الأزهري: "أراد والله أعلم-: فمن ثقلت أعماله التي هي حسناته"

وذكر الراغب: "أن مجيء الميزان على صيغة الجمع تارة، ومجيئه تارة أخرى بالإفراد فإنما هو باعتبار المحاسب والمحاسبين، فمجيئه بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسب، ومجيئه بالجمع اعتباراً بالمحاسبين"[١]

---

(١) الحياة الآخرة للدكتور غالب العواجي (٢/ ١٠٨٣).

المسألة الثانية: الأدلة على ثبوت الميزان.

أولاً: الأدلة من القرآن:

ومن أدلة الكتاب العزيز:

- وقوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ **[الأعراف: الآيتان: ٨-٩]**.
- **وقال-جل وعلا-: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾** [الأنبياء: الآية: ٤٧].
- وقال عز وجل: **﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾** [القارعة: الآيات: ٦-٩]، وغير ذلك.

ثانياً: الأدلة من السنة:

- عن أبي هريرة-رضي الله عنه-، أنَّ رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-قال: (كَلِمَتان خَفِيفتان على اللِّسان، ثَقِيلتان في المِيزان، حَبِيبتان إلى الرَّحمن: سُبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم).[1]
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّه لَيُؤتى بالرَّجل العَظيم السَّمين يوم القيامة لا يَزن عند الله جناح بَعُوضة، وقال: اقْرءوا إن شئتم: **﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: الآية: ١٠٥]).[2]
- وعن عبد الله بن عُمر-رضي الله عنهما-، أنَّ رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم-قال: (إنَّ الله سَيُخَلِّصُ رجلًا من أُمَّتي على رُءوس الخَلائق يوم القيامة، فَيَنْشُر عليه تِسعة وتِسعين سِجلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصر، ثُمَّ يقول له: أَتُنْكِر مِن هذا شيئًا؟ أَظَلَمَتك كَتَبَتي الحَافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَة؟ فيهيب الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤)

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

إنَّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلم عليك؛ فَتُخرج له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسولُ الله. فيقول: أَحْضِروه. فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السِّجلات؟ فيُقال: إنَّك لا تُظلم. قال: فَتُوضع السِّجلات في كِفَّة والبطاقة في كِفَّة، قال: فَطاشت السِّجلات، وثَقُلت البِطاقة، ولا يَثْقُل شيءٌ بِسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ). [١]

● وعن ابن مسعود-رضي الله عنه-: أنَّه كان يَجني سِوَاكًا من الأَرَاك، وكان دقيقَ السَّاقين، فَجَعَلت الرِّيح تَكفؤه، فَضَحِك القومُ مِنه، فقال رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم-: «مِمَّ تَضْحَكُون؟». قالوا: يا نَبِيَّ الله مِن دِقَّة سَاقيه. فقال: «والَّذي نَفْسِي بيدِه لَهُما أثقلُ في الميزان مِن أُحُدٍ». [٢]

● وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ-رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم: (الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تَمْلَأُ الميزانَ). [٣]

ثالثاً: دليل الإجماع:

فقد أجمع السلف على ثبوت ذلك.

قال ابن حجر: قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلةً ليكونوا على أنفسهم شهداء.

قال القرطبي: "قد بلغت أحاديثه-أي: الميزان-مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه"[٤]

● وقال في موضع آخر: "أَجْمَع أكابرُ مُحَقِّقي هذه الأمة من أهل السُّنَّة بأنَّ الإيمان بثبوت

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٣٥).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١١٤) (٩٢٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٦٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣).
(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤، ١٨٥).

الوزن والميزان حقٌّ واجبٌ وفَرْضٌ لازبٌ لِثُبوته، وعدم استحالة ذلك عقلًا"[(١)]

● قال السفاريني رحمه الله تعالى: "فَقَدْ دَلَّتِ الْآثَارُ عَلَى أَنَّهُ مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ ذُو كِفَّتَيْنِ وَلِسَانٍ. ..وَقَدْ بَلَغَتْ أَحَادِيثُهُ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ، وَانْعَقَدَ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْه"[(٢)]

---

(١) لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٧٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٥).

المسألة الثالثة: معنى الميزان في الشرع.

الميزان في الشرع: هو ما يضعُه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

والميزان الذي تُوزن بِهِ الأعمال هو: ميزان حسيٌّ حقيقي، له كفتان، وفي بعض الروايات: "ولسان"، والميزان عند أهل السنة ميزانٌ حقيقي توزن به أعمال العباد، وخالف في هذا القول المعتزلة وقلة قليلةٌ من أهل السنة.

أقوال علماء الأمة:

- قال السَّفارينيُّ: "قال علماؤنا كغيرهم: نُؤمن بأن الميزان الذي تُوزن به الحسنات والسيئات حقٌّ، قالوا: وله لسان وكفتان تُوزن به صحائف الأعمال؛ قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: تُوزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة.
- قال العلامة الشيخ مرعي في "بهجته": الصحيح: أنَّ المراد بالميزان: الميزان الحقيقي لا مجرد العدل، خلافًا لبعضهم.
- وقال القرطبي في "تذكرته": "قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها"[(١)]

الذين خالفوا قول الجمهور في الميزان:

قال ابن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان، بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها؛ إذ لا تُقَوَّم بأنفسها. قال: وروى بعض المتكلمين عن ابن عباس: "أن الله تعالى يقلب الأعراض أجسامًا، فيزنها"، وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، وعَزَا الطبري القول بذلك إلى مجاهد، والراجح ما ذهب إليه الجمهور، وهو أن الميزان ميزان حقيقي توزنُ بِهِ أعمالُ العباد.[(٢)]

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤، ١٨٥).

(٢) انظر: التذكرة (ص: ٣٠٩).

المسألة الرابعة: صفات الميزان.

الواقع أن العلماء لم يتفقوا على إثبات أوصاف الميزان–وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الجوانب في وجوب الإيمان بالميزان، ومواقف الناس في ذلك–وأما خلافهم في ثبوت صفاته فقد انقسموا إلى فريقين:

١–أما الفريق الأول: فهم المثبتون لصفات الميزان الحسية، من أن له كفتين... إلى آخر أوصافه، وهؤلاء وإن أثبتوا هذا لكنهم يرجعون صفة تلك الكفات واللسان إلى علم الله تعالى.

٢–أما الفريق الآخر: فهم النافون لتلك الصفات.

وسنذكر رأي الفريقين فيما يلي: –

(١) المثبتون لصفات الميزان:

يثبت هؤلاء–وهم جمهور العلماء–أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان، وله لسان كذلك.

يقررون هذه الحقيقة غير ملتفتين إلى من تشمئز قلوبهم من سماعها، لعدم قبول عقولهم لها، وعدم تفهم ما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك. ذلك أن الحق ضالة المؤمن، وما ورد به الشرع هو الذي ينبغي أن يقدم على هوى النفس وحكم العقل.

وسنذكر فيما يلي بعض أقوال هؤلاء كأمثلة على ثبوت ما ذكرنا.

قال القرطبي–ردًّا على من ينكر الميزان، ويؤول الوزن بأنه من ضرب المثل، وأن الوزن يراد به العدل والقضاء–قال: "وهذا مجاز. وليس بشيء، وإن كان شائعاً في اللغة — للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين ولسان، وأن كل كفة منها طباق السموات والأرض"(١)

ويعزو القرطبي إلى ابن عباس أنه قال: "توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان"(٢)

(١) التذكرة، (ص: ٣٧٨).

(٢) التذكرة، (ص: ٣٧٨).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس أنه قال: "الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات، فيؤتى بالحسنات في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان، فتثقل على السيئات؛ فتؤخذ فتوضع في الجنة... ويؤتى بالسيئات في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان فتخف..."[(١)]

ويقول ابن قدامة: "والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال، ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: الآيتان: ١٠٢-١٠٣]"[(٢)]

ويقول أبو الحسن الأشعري في معرض بيانه لاختلاف الناس في الميزان ومبينًا رأي أهل السنة: فقال أهل الحق: "له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى السيئات، فمن رجحت حسناته؛ دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته، تفضل الله عليه فأدخله الجنة"[(٣)]

ويثبت ابن كثير أن للميزان كفتين حسيتين، ويستدل على هذا من السنة بحديث صاحب البطاقة المشهور وغيره من الأحاديث. [(٤)].

وأخرج الطبري عن ابن جريج قال: قال لي عمرو بن دينار: "قوله: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ**﴾ [الأعراف: الآية: ٨] قال: إنا نرى ميزاناً وكفتين، سمعت عبيد بن عمير يقول: يجعل الرجل العظيم الطويل في الميزان، ثم لا يقوم بجناح ذباب"[(٥)] وهو القول الذي رجحه الطبري أيضًا.

ويقول ابن أبي العز: "والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان

(١) الدر المنثور، (٣/ ٧٠)
(٢) ابن قدامة في لمعة الاعتقاد، (ص: ٣٣).
(٣) المقالات، (٢/ ١٦٤)
(٤) النهاية، (٢/ ٢٤).
(٥) جامع البيان، (٨/ ١٢٣).

مشاهدتان"[١]

وقال أبو إسحاق الزجاج –كما نقل عنه الحافظ ابن حجر: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال"[٢]

ويقول السفاريني: "فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس، والحسن البصري، وصرح بذلك علماؤنا، والأشعرية وغيرهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه"[٣]

ويقول البرديسي: "وانعقد الإجماع على أنه ميزان حسي له كفتان ولسان يوضع فيه صحف أعمال العباد ليظهر الرابح والخاسر"[٤]

ويروى من طريق عبد الملك بن أبي سليمان أنه قال: "ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان"[٥]

وعن سليمان قال: "يوضع الميزان وله كفتان، لو وضع في إحداهما السموات والأرض ومن فيهن لوسعته"[٦]

ويقول الهراس: "وهناك تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد–وهي أعراض–أجساماً لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة"[٧]

ونقتصر في إثبات أن الميزان له لسان وكفتان على ما قدمناه من ذكر أقوال العلماء.

---

(١) الطحاوية، (ص: ٤٧٢).
(٢) نقله عنه الحافظ ابن حجر في، فتح الباري، (١٣/ ٥٣٨).
(٣) لوامع الأنوار، (٢/ ١٥٢).
(٤) تكملة شرح الصدور، (ص: ١٤).
(٥) تفسير المنار، (٨/ ٣٢٢).
(٦) فتح الباري، (١٣/ ٥٣٩).
(٧) شرح العقيدة الواسطية، (ص: ١٢٣).

وبهذا يتبين أن أهل الحق–أهل السنة والجماعة–يثبتون حقيقة الميزان على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–، لا يتأولون معناه، ولا يردون ما جاء في وصفه، ويقولون: الله وحده هو الذي يعلم قدرهما وكيفيتهما.

إذ لو لم يكن له لسان وكفتان؛ بل هو بمعنى العدل والقضاء كما ذهب إليه بعض العلماء، لو لم يكن كذلك لما وصف في السنة النبوية بأن له لسانا وكفتين، وأنه يخف ويثقل؛ إذ العدل لا يقال فيه تلك الصفات، فصح أنه ميزان حقيقي يزن الله فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار، على ما علم من مذهب السلف.

وإذ كنا نثبت صفات الميزان على ضوء ما جاء به الشرع فإنه لا ينبغي أن نتكلف فنثبت له أوصافًا تحتاج إلى إثبات من الشارع، أو نستند إلى أخبار لم تثبت، فإن الغلو في هذا مذموم.

وكمثال على هذا: ما يذهب إليه بعض الناس من أن كفتي الميزان من ذهب. (١)

أو القول بأن كفة الحسنات من نور، وكفة السيئات من ظلام. (٢)

أو أن كفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار"(٣)

أو ما يقال إن صاحب الميزان يوم القيامة هو جبريل عليه السلام. (٤)

فتلك المسائل كلها تحتاج لإثباتها–فضلاً عن اعتقادها–إلى نص صحيح، فإن بعض العلماء يتساهل فيما يقرره من هذه المسائل، مثل ما يرويه السفاريني بصيغة التضعيف–يروى–"أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان، فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: إلهي من ذا

(١) الفصل لابن حزم، (٤/ ٦٥).

(٢) التذكرة، (ص: ٣١٣).

(٣) التذكرة، (ص: ٣١٤)، وعزاه إلى الترمذي الحكيم.

(٤) أخرجه الطبري في (جامع البيان) (٨/ ١٢٣) عن الحارث، قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا يوسف بن صهيب، عن موسى بن بلال ابن يحيى، عن حذيفة.

الذي يقدر يملأ كفة حسناته؟ فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة"(١)

أو ما يذكره عن عبد الله بن سلام-رضي الله عنه-غير معزو إلى أحد-أنه قال: "ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعمود ينظر إلى لسانه"(٢)

وكذا ما يروى عن عمر مرفوعاً: (من كبر تكبيرة في سبيل الله، كانت صخرة في ميزانه أثقل من السموات السبع وما فيهن وما تحتهن، وأعطاه الله بها رضوانه الأكبر، وجمع بينه وبين محمد وإبراهيم والمرسلين في دار الجلال: ينظر إلى الله بكرة وعشياً). (٣)

وفي رواية أخرى عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كبر تكبيرة على ساحل البحر، كان في ميزانه صخرة، قيل: يا رسول الله، وما قدرها؟ قال: تملأ ما بين السموات والأرض). (٤)

ويقول السفاريني: "ظواهر الآثار وأقوال العلماء: أن كيفية الوزن في الآخرة-خفة وثقلاً-مثل كيفيته في الدنيا، ما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرفع إلى عليين، وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين، وبه صرح جموع، منهم القرطبي".

وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة، وأن عمل المؤمن إذا رجح صعد وسفلت سيئته، والكافر تسفل كفته لخلو الأخرى عن الحسنات، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: الآية: ١٠].

وذكر بعضهم في صفة الوزن: أن تجعل جميع أعمال العباد في الميزان في مرة واحدة، كل

---

(١) ذكره السفاريني في (لوامع الأنوار) (٢/ ١٨٤) وعزاه إلى الرازي والثعلبي

(٢) لوامع الأنوار، (٢/ ١٨٤) ولم يعزه إلى أحد.

(٣) قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة: "قال ابن حبان لا أصل له، وإسحاق يأتي بالموضوعات عن الثقات، قلت-وكذا قال الدارقطني في (غرائب مالك) إنه موضوع (٢/ ١٣٧).

(٤) قال ابن عدي: "هذا ما وضعه النخعي، وزيد ليس بشيء" (اللآلئ المصنوعة) (٢/ ١٣٧).

الحسنات في كفة النور، وهي يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة الظلمة، وهي عن يسار جهة النار، ويخلق الله لكل إنسان علمًا ضروريًا يدرك به خفة أعماله وثقلها.

وقيل: بل علامة الرجحان عمود نور يقوم في كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات، وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات، لكل أحد. [١]

والظاهر أن هذه الكيفيات كلها تحتاج إلى إثبات، فهي مسألة غيبية، والله تعالى له القدرة على ما يشاء.

٢ — النافون لصفات الميزان:

وهؤلاء قالوا بعكس ما قاله الفريق الأول، حيث أحجموا عن وصف الميزان بالأوصاف التي تقدمت، واكتفوا بإثبات أن هناك ميزانًا فقط.

١–يقول محمد رشيد رضا في نفي تلك الصفات وفي رده على الزجاج: "وإذا لم يكن في الصحيحين ولا في كتب السنة المعتمدة حديث صحيح مرفوع في صفة الميزان، ولا في أن له كفتين ولساناً، فلا تغتر بقول الزجاج أن هذا مما أجمع عليه أهل السنة، فإن كثيراً من المصنفين يتساهلون بإطلاق كلمة الإجماع ولاسيما غير الحفاظ المتقنين، والزجاج ليس منهم، ويتساهلون في عزو كل ما يوجد في كتب أهل السنة إلى جماعتهم، وإن لم يعرف له أصل من السلف، ولا اتفق عليه الخلف منهم، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف والخلف كما علمت"[٢]

وقال أيضًا: "والأصل الذي عليه سلف الأمة في الإيمان بعالم الغيب: أن كل ما ثبت من أخباره في الكتاب والسنة فهو حق لا ريب فيه، نؤمن به، ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته، فنؤمن إذا بأن في الأخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجع أنه بميزان يليق بذلك العالم، ويوزن به الإيمان، والأخلاق، والأعمال، ولا نبحث عن صورته وكيفيته، ولا عن كفتيه — إن صح الحديث فيهما — كما صوره الشعراني في ميزانه"[٣].

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) تفسير، المنار، (٨/ ٣٢٢).

(٣) تفسير المنار، (٨/ ٣٢٣).

والواقع أن ما قاله محمد رشيد رضا–من إنكار أن يكون هناك أي إشارة إلى أن الميزان له كفتان من السنة–غير مسلم فقد جاء في السنة بعض الأحاديث التي تدل على وزن العمل ووزن العامل وكما أخرج البخاري: (يؤتي بالرجل فيوضع في كفة)(١) وكقوله أيضاً: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة)(٢). وغيرها من الأحاديث التي قدمنا ذكرها، وفيها إشارة إلى إثبات أن ميزان الأعمال له كفتان.

ثم إن إثبات أن الميزان له كفتان لم يقل به الزجاج وحده، بل هو ما عليه الأئمة الذين قدمنا ذكر أقوالهم.

٢–ما علقه الدكتور طه محمد الزيني على ترجمة ابن كثير في إثبات أن للميزان كفتين حسيتين بقوله: "لا يوجد دليل قاطع في القرآن ولا في الحديث على أن كفتي ميزان الحساب يوم القيامة حسيتان — أي يدركان بإحدى الحواس الخمس، وأقرب الحواس إلى إدراك الكفتين اللمس باليد — بل كل ما في القرآن والحديث يحتمل أن يكون الوزن معنوياً، بل هو الأرجح؛ لأن الأعمال يوم القيامة أكثرها معنوي يقرب إلى الأذهان بتشبيهه بالحسيات"(٣)

وهذا القول من الدكتور طه الزيني يعتبر بعيدًا عما قرره العلماء، ومخالفًا لما جاءت به السنة في وزن الأعمال، وليس ما يذكره من أعمال يوم القيامة من الأشياء المتخيلة التي يشبه فيها المعنوي بالحسي. فإن القول بهذا يفتح بابًا خطيرًا من التشكيك في أمور الآخرة، وينبغي على من يقول بهذا أن يعيد النظر فيه (٢٩)

(١) الحديث رواه أحمد (٢/ ٢٢١) (٧٠٦٦) قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٨٢) رواه الترمذي باختصـــار، رواه أحمد وفيه بن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر في (مسند أحمد) (١٢/ ٢٤): إسناده صحيح.

(٢) الحديث رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٣٤٨٨) وأحمد (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والحاكم (١/ ٤٦) من حديث ابن عمرو–رضي الله عنهما–، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال البغوي في (شرح السنة) (٧/ ٤٩٠) حسن غريب.

(٣) النهاية، (٢/ ٩١).

المسألة الخامسة: خلاف العلماء في الميزان هل هو واحد أم متعدد:

وقد اختلف العلماء في وحدة الميزان وتعدُّده على مذهبين:

المذهب الأول: القائلون بتعدد الميزان:

قال الحسن البصري-رحمه الله تعالى-: "بلغني أن لكل أحد يوم القيامة ميزانًا على حدة"(١).

وقال بعضهم: الأظهر إثبات موازين يوم القيامة لا ميزان واحد؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧]، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨].

وقالوا: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان، ولأفعال الجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان.

المذهب الثاني: القائلون بوحدة الميزان:

فذهب هؤلاء إلى أن لكل فرد ميزانًا خاصًّا به أو لكل عمل ميزان خاص به؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: الآية: ٤٧].

وأجابوا عن جمع كلمة (الموازين) في الآية: إلى أن الميزان واحد، وأن الجمع في الآية إنما هو باعتبار تعدُّد الأعمال أو الأشخاص.

وقد رجَّح ابن حجر العسقلاني-رحمه الله تعالى-بعد حكايته الخلاف أن الميزان واحد، وقال: "والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيَّف بأحوال الدنيا"(٢)

وحَسَّنَ السفاريني رحمه الله تعالى القول بوحدة الميزان بعد ذكر الإجابة عن جمع كلمة (الموازين) في الآية بقوله: "وَهُوَ حَسَنٌ"(٣) .

ومن المعاصرين الذين يرون هذا القول الشيخ العثيمين-رحمه الله تعالى-في الجواب عن سؤال عن وحدة الميزان وتعدده، فقال-بعد ذكر الخلاف بين أهل العلم-: "الذي يظهر-والله أعلم-

(١) أورده ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٧٦)، ونسبه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(٢) "فتح الباري شرح صحيح البخاري"؛ لابن حجر العسقلاني، (١٣/ ٥٣٨).

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (٢/ ١٨٦).

أن الميزان واحد، لكنه متعدد باعتبار الموزون"[١]

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. (٢/ ٤٤)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.

المسألة السادسة: الأقوال في الموزون:

اختلف أهل العلم في الموزون في ذلك اليوم على أقوال:

القول الأول: أن الذي يوزن في ذلك اليوم الأعمال نفسها، وأنها تجسم فتوضع في الميزان.

أدلته: ويدل لذلك:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه في (الصحيح) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم). [(١)]

- وقد دلت نصوص كثيرة على أن الأعمال تأتي في يوم القيامة في صورةٍ الله أعلم بها، فمن ذلك: مجيء القرآن شافعاً لأصحابه في يوم القيامة، وأن البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تحاجّان عن أصحابهما. ففي (صحيح مسلم) عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما)[(٢)]. وروى مسلم أيضاً عن النواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان، أو ظلتان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما)[(٣)].

القائلين به: هذا القول رجَّحه ابن حجر العسقلاني ونصره، فقال: والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء عن النبي–

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤).

(٣) رواه مسلم (٨٠٥).

صلى الله عليه وسلم–قال: (ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من حسن الخلق) [(١)].

القول الثاني: أن الذي يوزن هو العامل نفسه.

أدلته: فقد دلَّت النصوص على أن العباد يوزنون في يوم القيامة، فيثقلون في الميزان أو يخفون بمقدار إيمانهم، لا بضخامة أجسامهم، وكثرة ما عليهم من لحم ودهن، ففي (صحيح البخاري) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزن﴾[الكهف: ١٠٥]. [(٢)] ويؤتى بالرجل النحيف الضعيف دقيق الساقين فإذا به يزن الجبال، روى أحمد في (مسنده)، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، (أنه كان رقيق الساقين، فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من رقة ساقيه. قال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد). [(٣)]

القول الثالث: أن الذي يوزن إنما هو صحائف الأعمال.

أدلته: فقد روى الترمذي في (سننه) عن عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–، أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: (إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاَ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وابن حبان (٢/ ٢٣٠) والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال الألباني في (صحيح سنن أبي داود): صحيح.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٢٠) (٣٩٩١)، وقال أحمد شاكر في مسند أحمد (٦/ ٣٩): إسناده صحيح، وقال الألباني في (السلسلة الصحيحة) (٢٧٥٠): إسناده حسن وهو صحيح بطرقه الكثيرة.

كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء). [(١)]

القائلين به: وقد مال القرطبي إلى هذا القول، فقال: والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة، وبها تخف، قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال، وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى: رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار. وقال السفاريني: والحق أن الموزون صحائف الأعمال، وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما، وصوبه الشيخ مرعي في (بهجته)، وذهب إليه جمهور من المفسرين، وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي.

القول الرابع: أن الذي يوزن هو العامل وعمله وصحف أعماله.

أدلته: فقد دلت النصوص التي سقناها على أن كل واحد من هذه الثلاثة يوزن، ولم تنف النصوص المثبتة لوزن الواحد منها أن غيره لا يوزن، فيكون مقتضى الجمع بين النصوص إثبات الوزن للثلاثة المذكورة جميعها. وهذا ما رجحه الشيخ حافظ الحكمي فقال: "والذي استظهر من النصوص-والله أعلم-أن العامل وعمله وصحيفة عمله — كل ذلك يوزن، لأن الأحاديث التي في بيان القرآن، قد وردت بكل ذلك، ولا منافاة بينها، ويدل كذلك ما رواه أحمد-رحمه الله تعالى-: عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال: قال رسول الله: (توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصي عليه، فيمايل به الميزان. قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر، إذ صائح من عند الرحمن-عز وجل-يقول: لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة، حتى يميل به الميزان). [(٢)] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩)، والحديث رواه ابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣) والحاكم (١/ ٤٦) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح لم يخرج في (الصحيحين) وهو صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥): وهو كما قالا.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٢١) (٧٠٦٦)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٠/ ٨٢): رواه الترمذي باختصـــار، رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أحمد شاكر في (مسند أحمد) (١٢/ ٢٤): إسناده صحيح.

وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة.

المسألة السابعة: كيفية وزن الأعمال

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: «قال علماؤنا -رحمهم الله-: الناس في الآخرة ثلاث طبقات:

- متقون لا كبائر لهم.
- ومخلطون وهم الذين يوافون بالفواحش والكبائر.
- والثالث: الكفار.

فأمَّا المتقون: فإن حسناتهم تُوضع في الكفة النيرة، وصغائرهم -إن كانت لهم الكفة الأخرى- فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنًا، وتثقل الكفة النيرة حتى لا تَبرح، وترتفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي.

وأمَّا المخلطون: فحسناتهم توضع في الكفة النيرة، وسيئاتهم في الكفة المظلمة، فيكون لكبائرهم ثقل، فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصؤابة دخل الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بصؤابة دخل النار إلا أن يغفر الله، وإن تساويا كان من أصحاب الأعراف على ما يأتي، هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين الله، وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته بقدر جزاء السيئات؛ لكثرة ما عليه من التبعات؛ فيُحمل عليه مِن أوزار مَن ظلمه، ثم يُعَذَّب على الجميع. هذا ما تقتضيه الأخبارُ"(١)

وأمَّا الكفار: فلا تُوزن أعمالهم؛ إذ لا حسنات لهم، وما قَدَّموه مِن عمل نافع في الدنيا فإنَّهم يجازون به في الدنيا كذلك؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: الآيتان: ١٥، ١٦]، فيُوفون جزاء أعمالهم النافعة في الدنيا، وأما في الآخرة فليس لهم فيها نصيب من الحسنات والأجر، وإنما يجازون بكفرهم.

(١) التذكرة للقرطبي (ص: ٣٦٠).

فما يقدِّمه الكافر من أعمال صالحة، كالصدقة، والعتق، وصلة الأرحام، والإنفاق، ونحوها من سبل الخير لا تُغني عنه شيئا، فالله تعالى:

شبهها بالسراب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: الآية: ٣٩].

وشبهها بالرماد، فقال: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: الآية: ١٨].

وسيجعلها هباءً منثوراً، فقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢٣].

وبيَّن أنهم بأعمالهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وهم في خسارة لا يقام لهم وزن يوم القيامة، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآيات: ١٠٣ – ١٠٥].

عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر–رضي الله عنهما–: كيف سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: (يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه–عز وجل–، حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله). (١)

عن عائشة–رضي الله عنها–، أنها ذَكَرَتِ النار، فبَكَت، فقال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: (ما يبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النار فبكَيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) واللَّفظُ له.

رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحدٌ أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخِفُّ ميزانه أو يثقُل، وعند الكتاب حين يُقال: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾ [الحاقة: الآية: ١٩]، حتى يعلم أين يقع كتابه؛ أفي يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وُضِع بين ظَهْرَي جهنم). (١)

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١١٠)، وأبو داود في السنن (٢/ ٤٢٥)، والحاكم النيسابوري في المستدرك (٤/ ٥٧٨)، إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٧٤٠)، والآجري في الشريعة (٢/ ٤٩٥)، وعبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٣/ ٤٨، ٣١٤)، والنحاس في معاني القرآن (٤/ ٣٧٢)، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والآجرى في الشريعة والحاكم وصححه والبيهقي في البعث أبو الشيخ وابن مردويه، وأورده الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٥٨).

للحديث ثلاثة طرق عن عائشة

الأول: من طريق الشعبي عن عائشة، اسناده منقطع عامر الشعبي لم يسمع من عائشة ورجاله موثقون وله طريق متصل في الوسيط في تفسير القرآن المجيد ومعاني القرءان للنحاس، عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة، واسناده ضعيف فيه عصام بن طليق.

الثاني: من طريق قتادة مرسلا –تفسير الصنعاني (١٩٤٠)–[١٩٨٨]، اسناده ضعيف مرسل والراجح أن قتادة سمعه من الحسن.

الثالث: من طريق خالد بن أبي عمران عن القاسم عن عائشة كما جاء في مسند الامام أحمد، اسناده ضعيف ورجاله موثقون غير عبد الله بن لهيعة ضعفوه.

بالإضافة الى طريق الحسن، فقد أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وأحمد مختصرا (٢٤٦٩٦)، والحاكم بنحوه في "مستدركه" (٨٧٢٢) من طريق الحسن عن عائشة. قال الحاكم: "هذا حديثٌ صحيحٌ إسنادُه على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحَّت الروايات أنَّ الحسن كان يدخل وهو صبيٌّ منزل عائشة–رضي الله عنها– وأمِّ سلمة"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة".

ولعل الحديث يرتقي إلى الحسن لغيره والله أعلم.



[رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة]

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: رؤية الله في الدنيا يقظة.

المسألة الثانية: رؤية الله -عز وجل- في الدنيا منامًا.

المسألة الثالثة: رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه ليلة المعراج.

المسألة الرابعة: رؤية الله -عز وجل- في الآخرة.

المســـألة الخامســـة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة.



[١٥]-قال المصنف-رحمه الله-: "وأهلُ الجنَّةِ يرونَ ربهم-عز وجل-".

الشرح

تمهيد.

مسألة رؤية الله يُلحقها العلماء بباب الصِّفات، مع أن البحث في رؤية العبد لربه وليس العكس، ولكنهم يُلحقونها بباب الصفات.

ويجدر التنبيه على أمور مهمة تتعلق بمسألة الرؤية، فمسألة رؤية الله عز وجل مُتشعبة؛ إذ تشتمل على المسائل الآتية:

- المسألة الأولى: ما يتعلق برؤيته سبحانه وتعالى في الدنيا عيانًا.
- المسألة الثانية: ورؤيته جل وعلا منامًا.
- المسألة الثالثة: ورؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة المعراج.
- المسألة الرابعة: ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وفي الجنة.
- المسألة الخامسة: وكذلك رؤية المنافقين والكافرين له جل جلاله يوم القيامة.

المسألة الأولى: رؤية الله في الدنيا يقظة.

رؤية الله في الدنيا يقظة غير واقعة شرعًا، وغير مُمكنة، وقد اتفقت الأمةُ على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم ينازعوا في ذلك إلا ما شَذَّ من بعض غُلاة الصُّوفية؛ فقد زعموا أنه يجوز رؤية الله في الدنيا، وأنه يَزورهم ويَزورونه في الحضرة الإلهية ويَرَوْنه (١)، وهؤلاء لا عبرة بخلافهم؛ إذ كله كذب ودجل.

ومَن ادَّعى رؤية الله في الدنيا بعيني رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة، وهو ضالٌّ.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ)، في ردِّه على مَن زعم رؤية الله في الدنيا يقظة: "مَن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضالٌّ، مُخالف للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، لا سيما إذا ادَّعوا أنهم أفضل مِن موسى، فإن هؤلاء يُستتابون، فإن تابوا وإلا قُتلوا"(٢)

وقد بَيَّن–رحمه الله–علة عدم إمكان رؤية الله في الدنيا بالعين، حيث قال: "وإنَّما لم نَره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤيا، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرَّائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قُوى الآدميين حتى أطاقهم رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل خَرَّ موسى صعقًا، قال: سبحانك! تُبت إليك، وأنا أول المؤمنين بأنَّه لا يراك حيٌّ إلا مات، ولا يابس إلا تَدَهْدَه، ولهذا كان البشر يَعجزون عن رؤية المِلَك في صورته إلَّا مَن أيده الله، كما أيَّد نبينا صلى الله عليه وسلم"(٣)

والأدلة التي استند عليها أهل السنة في إجماعهم على عدم وقوع رؤية الله في الدنيا يقظة–كثيرة؛ منها:

قول النبي–صلى الله عليه وسلم–كما في «صحيح مسلم»: **(تَعَلَّمُوا أنَّه لن يرى أحدٌ**

---

(١) المِلل والنِّحَل للشَّهرستاني (١/ ١٠٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٠٤).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٣٣٢).

مِنكم ربه-عز وجل-حتى يموت). [(١)]، فهو صريح في عدم وقوع الرؤية البصرية لأحد من الناس لله جل وعلا في هذه الدار الدنيا حتى ولو كان نبيًّا؛ لأن الله-جل وعلا-قد مَنع موسى-عليه السلام-مِن أن يَرَاه، وهو أحد أُولي العزم من الرسل، فكيف بمن دونه مِن سائر المؤمنين؟! فإن الله-جل وعلا-لما قال له موسى: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قال: ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمنعه من أن يراه، وفي قوله: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، أي: لما تجلى الله للجبل تدكدك ولم يَثبت، فكيف يَثبت البشر الضعيف؟!

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١) من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنه-.

المسألة الثانية: رؤية الله-عزوجل-في المنام.

ذهب جمهور العلماء إلى جواز رؤية الله في المنام، وأنها قد تقع صحيحة، بل ذكر القاضي عياض–رحمه الله–اتفاق العلماء على هذه المسألة؛ فقال: "ولم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله في المنام"(١)

وقال الإمام البَغوي–رحمه الله–(ت: ٥١٠ هـ): "رؤية الله في المنام جائزة؛ قال معاذ–رضي الله عنه–(ت: ١٨ هـ)، عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(إني نَعست فرأيت ربّي)** (٢)، وتكون رؤيته–جَلَّت قُدرته–ظهور العدل والفرج والخصب والخير لأهل ذلك الموضع، فإن رآه فوعد له جنة، أو مغفرة، أو نجاة من النار، فقوله حق، ووعده صدق، وإن رآه ينظر إليه فهو رحمته، وإن رآه معرضًا عنه فهو تحذير من الذنوب؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ**﴾ [آل عمران: الآية: ٧٧]، وإن أعطاه شيئًا من متاع الدنيا فأخذه، فهو بلاء ومحن وأسقام تصيب بدنه، يَعظم بها أجرُه، لا يَزال يضطرب فيها حتى يُؤديه إلى الرحمة، وحسن العاقبة"(٣)

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "ومن رأى الله–عز وجل–في المنام فإنَّه يراه في صورة من الصور بحسب حال الرَّائي؛ إن كان صالحًا رآه في صورة حسنة، ولهذا رآه النبي صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة..."(٤)

وقال في موضع آخر: "وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صورة متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يُشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة

---

(١) إكمال المعْلِم بفوائد مُسلم (٧/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١٦٢٨)، والترمذي في العلل الكبير (٤٣٥)، والحاكم في المستدرك (١٨٦٩)، والطبراني في الكبير (١٦١٠٣).

(٣) شرح السنة (١٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥١).

للحقائق..."(١)

وقال الإمام ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ) عند تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ [ص: الآية: ٦٩]: فأمَّا الحديث الذي رواه الإمام أحمد: (... **فإذا أنا بربي-عز وجل-في أحسن صورة، فقال: يا محمد، أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب). أعادها ثلاثًا، (فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفتُ**...)، فهو حديث المنام المِشهور، ومَن جعله يقظة فقد غَلط، وهو في السُّنن من طرق"(٢)

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٨١).

المسألة الثالثة: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.

بعد اتفاق أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا يقظة فقد اختلفوا في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج.

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "حكى عثمان بن سعيد الدارمي-رحمه الله-(ت: ٢٨٠ هـ) في كتاب (الرؤية) له: إجماع الصحابة على أنه لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس فيمن قال ذلك، وشيخنا-أي: ابن تيمية-يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه-ﷺ صلى الله عليه وسلم -رآه عز وجل، ولم يقل: بعيني رأسه، ولفظ أحمد لفظ ابن عباس-رضي الله عنهما-، ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم-في الحديث الآخر: **(حجابُه النُّورُ)**. [١]، فهذا النور هو-والله أعلم-النور المذكور في حديث أبي ذر-رضي الله عنه-: **(رأيتُ نُورًا)**"[٢] [٣]

وهو ما رجَّحه-أيضًا-شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى»، حيث قال-رحمه الله-: "ولم يتنازعوا إلا في النبي-صلى الله عليه وسلم-خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنَّه لم يَره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دَلَّت الآثار الصحيحة الثابتة النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة وأئمة المسلمين، ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: إن محمدًا رأى ربه بعينه، بل الثابت عنهم إمَّا إطلاق الرؤية، وإمَّا تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه، وقوله: **(أتاني البارحةَ رَبِّي في أحسن صورة)**. [٤] الحديث الذي رواه الترمذي وغيره إنما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرًا"[٥]

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى-رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر-رضي الله عنه-.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١/ ٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٥٧)، وأحمد (٣٣٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ١٦٩).

فحملوا الآثار المطلقة الواردة في الرؤية؛ كأثر ابن عباس: (رأى محمدٌ ربَّه) على الرؤية القلبية، وحملوا الآثار النافية للرؤية؛ كأثر عائشة-رضي الله عنها-على الرؤية البصرية؛ لأنه-من خلال التَّتبع-لم يَرِدِ عن أحد منهم أنه قال: رآه بعينه، وعليه فلا تعارض بين هذه النصوص.

المسألة الرابعة: رؤية الله-عزوجل-في الآخرة.

ورؤية الله تعالى هي أعظم النعيم وأعلاه، وغايته ومنتهاه، وهو لكل مؤمن اصطفاه، فهي أجل مسائل الدين وأشرفه.

قال ابن أبي العز الحنفي–رحمه الله–(ت:٧٩٢ هـ): "هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون"(١)

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون بأن أهلَ الإيمان يرون ربهم يومَ القيامة كما وردت الأدلة بذلك

أولًا: الأدلة من القرآن:

- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية: ٢٦]، فقد فسرت الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

قال أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–(ت: ١٣ هـ): "النظر إلى وجه الله"(٢).

وقال قتادة–رحمه الله–(١١٨ هـ): "الحسني الجنة، والزيادة فيما بلغنا النظر إلى وجه الله"(٣)

وقال عامر بن سعد–رحمه الله–٩٦ هـ): "الزيادة: النظر إلى وجه الرحمن"(٤)

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى–رحمه الله–(ت: ٨٣ هـ): "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم: إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه! قال: فيتجلى لهم. قال: فيصغر عندهم كل شيء أعطوه. قال: ثم قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية:

---

(١) شرح الطحاوية للقاضي ابن أبي العز (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٦ و١٦١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٣٠٦) إلى ابن أبي شيبة، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والدارقطني، وابن منده في الرد على الجهمية، واللالكائي والآجري، والبيهقي.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ١٧٤ رقم ١١٥٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٧).

٢٦]، قال: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة، والزيادة النظر إلى وجه ربهم، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك"(١)

قال البغوي-رحمه الله-(ت: ٥١٦ هـ): "للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسني، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلى وجه الله الكريم، هذا قول جماعة من الصحابة، منهم أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-(ت: ١٣ هـ)، وحذيفة-رضي الله عنه-(ت: ٣٦ هـ)، وأبو موسى-رضي الله عنه-(ت: ٤٢ هـ)، وعبادة بن الصامت-رضي الله عنه-(ت: ٣٤ هـ)، وهو قول الحسن-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ)، وعكرمة-رحمه الله-(ت: ١٠٥ هـ) وعطاء-رحمه الله-(ت: ١١٤ هـ)، ومقاتل-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ)، والضحاك-رحمه الله-(ت: ٦٤ هـ)، والسدي-رحمه الله-(ت: ١٢٨ هـ)"(٢)

قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "للذين أحسنوا العمل في الدنيا لهم الحسني وهي الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب"(٣)

قال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "وقد ورد هذا عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في راوية، وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب بن عجرة وأبي موسى وصهيب وابن عباس في رواية، وهو قول جماعة من التابعين، وهو الصحيح في الباب.

وروى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل. وفي رواية ثم تلا ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** [يونس: الآية:

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٥٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٣٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٨٣٠) باختصار.

٢٦]) "[1] [2]

- قوله تعالى: ولدينا مزيد ﴿**لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق: الآية: ٣٥] فقد فسر المزيد في هذه الآية بأنه النظر إلى الله تعالى كالآية السابقة،

قال أنس–رضي الله عنه–(ت: ٩٣ هـ)، في قول الله تعالى: ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ قال: "يتجلى لهم كل جمعة"[3]

وقال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جل ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إياه وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جل ثناؤه"[4]

قال ابن كثير–رحمه الله–(ت: ٧٧٤ هـ): "إن المزيد الذي يتفضل الله به على عباده فوق ما يشاءون هو ظهوره تعالى لهم"[5] وبهذا فسر الآية ابن جرير الطبري والقرطبي وغيرهما ودلالتها عن الرؤية كالآية السابقة.

- قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، ووجه الاستدلال بالآية على الجواز ما نقل أن ﴿**نَاظِرَةٌ**﴾ أي رائية رؤية بصرية يوم القيامة كما قال أهل السنة والجماعة.

عن عكرمة–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ) قال: "تنظر إلى ربها نظرًا"[6]

---

(١) رواه مسلم (١٨١).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (رقم: ٩٤)، والدارمي في الرد على الجهمية (رقم: ١٩٨)، والبزار في مسنده (رقم: ٧٥٢٨)، وقال: "وعثمان صالح وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أنس بهذا اللفظ إلا عثمان بن عمير أبو اليقظان"وبنحوه رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥١٩ رقم: ٨١٣). قال ابن تيمية: "إسناده صحيح" مجموع الفتاوى (٦/ ٤١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٠٨).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٠٧).

وقال عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد وأشياخ من أهل الكوفة: "تنظر إلى ربها نظرًا"[(١)]

وعن الحسن–رحمه الله–(ت: ١١٠ هـ) قال: "تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق"[(٢)]

قال الواحدي–(ت: ٤٦٨ هـ): "قال ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)، في رواية عطاء–رحمه الله–(ت: ١١٤ هـ): "يريد إلى الله ناظرة ،"وقال في رواية الكلبي: "تنظر إلى الله يومئذ، لا تحجب عنه ،"وقال مقاتل: "تنظر إلى ربها معاينة ". [(٣)]

قال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "الصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن وعكرمة، من أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ ". [(٤)]

وقال الزجاج–رحمه الله–(ت: ٣٤٠ هـ): "نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها ". [(٥)]

وقال السمعاني–رحمه الله–(ت: ٤٢٦ هـ): "قوله: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بالضاد أي: مسرورة طلقة هشة بشة، والنضرة: هي النعمة والبهجة في اللغة. وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هو النظر إلى الله تعالى بالأعين، وهو ثابت للمؤمنين في الجنة بوعد الله تعالى وبخبر الرسول ". [(٦)]

- **قال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ)**: "قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٢]، يعني: (مشرقة) إِلَى ﴿رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣] يعني: رائية، ولا يجوز أن يكون بمعنى نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار الاعتبار، ولا يجوز أن يكون عني نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٠٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٥٠٧).

(٣) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٣٩٣ – ٣٩٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٩) بتصرف.

(٥) انظر: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٢٥٣).

(٦) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٦/ ١٠٦).

العينين اللتين في الوجه"(١)

- قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الحسن-رحمه الله-(ت: ١١٠ هـ): "في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥]، قال: يكشف الحجاب، فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون. كل يوم غدوة وعشية"(٢)

وعن أشهب بن عبد العزيز-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)، صاحب مالك قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: "لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥]"(٣)

وقال الإمام الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ) في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥]، قال: "فلا حجبهم في السخط: كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا"(٤)

وقال الربيع بن سليمان-رحمه الله-(ت: ٢٧٠ هـ): "كنت ذات يوم عند الشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)، وجاءه كتاب من الصعيد -وهو اسم موضع بمصر-يسألونه عن قول الله جل ذكره: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥] الآية. فكتب فيه: لما حجب الله قوما بالسخط، دل على أن قوما يرونه بالرضا. قال الربيع: قلت له: أو تدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد ابن إدريس أنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا"(٥)

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٣٥١).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٤٦٨ رقم: ٨٠٨).

(٤) انظر: أحكام القرآن للشافعي، جمع الإمام البيهقي (١/ ٤٠).

(٥) انظر مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤١٩).

وقال الزجاج-رحمه الله-(ت: ٣٤٠ هـ): "وفي هذه الآية دليل على أن الله يرى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خست منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله-تعالى-وقال تعالى في المؤمنين: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣] فأعلم الله-تعالى-أن المؤمنين ينظرون إلى الله، وأن الكفار يحجبون عنه"[١]

أما الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر لقيا الله تعالى في الآخرة مثل:

قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٢٣].

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ**﴾ [البقرة: الآية: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**﴾ [التوبة: الآية: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب: الآية: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: الآية: ١١٠].

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متي نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ**﴾ [التوبة: الآية: ٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة، بل والكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة"[٢]

قال أبو العباس أحمد بن يحي المشهور بثعلب-رحمه الله-(ت: ٢٩١ هـ): في قوله تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾. [الأحزاب: الآية: ٤٤]. "أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار"[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (١/ ٦٠٨).

(٣) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٦٢).

ثانيًا: الأدلة من السنة:

١-**حديث عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-(ت: ٣٧ هـ)**، حين سمع النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء: (**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**). (١)

٢ - **عن أبي هريرة-رضي الله عنه-(ت: ٥٩ هـ)**، أن أناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (**هل تضارون في القمر ليلة البدر؟**). قالوا: لا. قال: (**فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**). قالوا: لا. قال: (**فإنكم ترون ربكم يوم القيامة كذلك. . .**). (٢)

٣ - **عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري-رضي الله عنه-(ت: ٤٤ هـ)**: أن رسول الله ﷺ قال: (**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر، على وجهه في جنة عدن**). (٣)

٤ - **عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-(ت: ٧٤ هـ)**، قال: قلنا يا رسول الله: هل

(١) أخرجه النسائي (رقم: ١٣٠٥)، وابن حبان (رقم: ١٩٧١)، والطبراني في كتاب الدعاء (رقم: ٦٢٤)، وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٤٢٥)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩)، والدارمي في الرد على الجهمية (رقم: ١٨٨)، وتمام الرازي في فوائده (٢/ ١٤٧ رقم: ١٣٨٧)، والدارقطني في كتاب رؤية الله (رقم: ١٥٨)، والحاكم في المستدرك (رقم: ١٩٢٣) وصححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٤٠ رقم: ٨٤٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم: ٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (رقم: ٦٥٧٣)، ومسلم (رقم: ٢٩٩) وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (رقم: ٤٨٧٨) ومسلم (رقم: ١٨٠) وغيرهما.

نرى ربنا-عز وجل-؟ قال: (**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة في غير سحاب؟**). قال: قلنا: لا، قال: (**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر في غير سحاب؟**). قال: قلنا: لا، قال: (**فإنكم لا تضارون في رؤيته لك يوم القيامة إلا كما لا تضارون في رؤيتهما**). (١)

٥-**وعن جرير بن عبد الله-رضي الله عنه-(ت: ٥٤ هـ)**، قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: (إنكم سترون ربكم عيانا) (٢).

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "وأما الأحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الخصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى. فهناك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم، وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق الطعن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين"(٣) ثم ذكر بعد ذلك سياق الأحاديث بكاملها.

(١) أخرجه البخاري (رقم: ٧٤٣٩) والإمام أحمد في مسنده (رقم: ١١١٢٠) وابن ماجه (رقم: ١٧٩) وابن حبان (رقم: ٧٣٧٧) وابن أبي عاصم في كتاب السنة (رقم: ٤٥٢) وابن منده في كتاب الإيمان (رقم: ٨١٧) والدارقطني في كتاب رؤية الله (رقم: ١٠) وابن النحاس في كتاب رؤية الله (رقم: ٥).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٥).

(٣) حادي الأرواح (ص: ٢٣١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله-(ت: ١٣٩٣ هـ): "تواترت الأحاديث الصحاح في الصحيحين وغيرهما من السنن والمسانيد والأجزاء عن نحو من عشرين صحابيا كراماء فضلاء عن النبي ﷺ، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا يكاد ينازع من له إنصاف في تواتر أحاديث رؤية الله يوم القيامة"(١)

وقد نظم ذلك بعض العلماء (٢) فقال:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتا واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذى بعض

ثالثًا: دليل الإجماع.

أجمع سلف الأمة وأئمتها من الصحابة-رضي الله عنهم-، ومن بعدهم على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، كما ورد في الكتاب والسنة.

وحكى الإجماع على ذلك غير واحد من الأئمة رحمه الله تعالى.

قال الإمام ابن جرير الطبري-رحمه الله-(ت: ٣١٠ هـ): "رؤية المؤمنين ربهم لك يوم القيامة، وهو ديننا الذي ندين الله به، وأدركنا عليه أهل السنة والجماعة، فهو: أن أهل الجنة يرونه على ما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ"(٣)

وقال أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-(ت: ٣٢٤ هـ): "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله-عزوجل-يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣] وقد بين معنى ذلك النبي ﷺ ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: "ترون ربكم عيانا"(٤)

وقال ابن أبي زمنين المالكي-رحمه الله-(ت: ٣٩٩ هـ): "قول أهل السنة: إن المؤمنين

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ١٥٠).

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لمحمد بن جعفر الكتاني (ص: ١٨).

(٣) انظر: صريح السنة للطبري (ص: ٢٠).

(٤) انظر: رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص: ١٣٤).

يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه"(١)

وقال ابنُ القيِّم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "دلَّ الكتابُ والسنَّةُ المتواتِرَةُ وَإِجماعُ الصَّحابةِ وأئمةُ أهلِ الإسلامِ والحديثِ عَلَى أَنَّ اللهَ يُرى يومَ القيامَةِ بالأبصارِ عِيَانًا، كَمَا يُرى القَمَرُ ليلةَ البدرِ صَحْوًا، وَكَمَا تُرى الشَّمسُ في الظَّهيرة، فَإِن كَانَ مَا أَخبَرَ به اللهُ وَرَسُوله عنه من ذلك حَقِيقَةً–وإنَّ له والله حقَّ الحقيقة–فَلَا يُمكِنُ أن يَروهُ إِلَّا مِن فَوقِهم؛ لاستِحَالَةِ أَن يَروهُ أسفل منهم، أو مِن خلفهم، أَو أمامهم، وَنَحو ذَلِكَ...، فلَا يَجتَمِعُ فِي قَلبِ العبد بعد الاطلاع عَلَى هَذِهِ الأَحَادِيث وَفَهِمَ مَعنَاهَا إنكارُها والشهادةُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَبَدًا"(٢)

رابعًا: دليل العقل.

العقل لا يمنع رؤية الله تعالى، لأن كل موجود صح وجوده وثبت كانت رؤيته ممكنة، وما كانت رؤيته ممتنعة أو متعذرة فهو المعدوم، وكذلك إذا كانت الرؤية إنها تثبت للشيء لكماله، فالله تعالى أولى بالكمال فتكون الرؤية في حقه تعالى أولى، ورؤيته تعالى في الدنيا عيانا ممتنعة لضعف الإنسان وعجزه، أما في الآخرة فهي ثابتة متحققة.

قال النووي–رحمه الله–(ت: ٦٧٦ هـ): "اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابية عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة" (٣)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "معلوم أن الرؤية تعلق بالموجود دون المعدوم، ومعلوم أنها أمر وجودي محض لا يسيطر فيها أمر علمي وإذا كانت أمرا وجوديا محضا، ولا تتعلق إلا بالموجود فالمصحح لها الفارق بين ما يمكن رؤيته وما لا يمكن رؤيته: إما أن يكون

---

(١) انظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ١٢٠).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٣٤٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٣/ ١٥).

وجودا محضا، أو متضمنا أمرا عدميا. والثاني باطل لأن العدم لا يكون له تأثير في الوجود المحض فلا يكون سببا له، ولا يكون أيضا شرطا أو جزءا من السبب إلا أن يتضمن وجودا فيكون ذلك الوجود هو المؤثر في الوجود ويكون ذلك العدم دليلا عليه ومستلزما له ونحو ذلك، وهذا من الأمور البينة عند التأمل. وإذا كان المقتضى جواز الرؤية، والمصحح للرؤية، والفارق بينما تجوز رؤيته وبينما لا تجوز: إما أن يكون وجودا محضا فلا حاجة بنا إلى تعيينه، سواء قيل هو مطلق الوجود أو القيام بالنفس، أو بالعين بشرط المقابلة والمحاذاة، أو غير ذلك مما يقال إنه مع وجوده تصح الرؤية ومع عدمه تمتنع، لكن المقصود أنه أمور وجودية، وإذا كان كذلك فقد علم أن الله تعالى هو أحق بالوجود، وكماله من كل موجود، إذ وجوده هو الوجود الواجب، ووجود كل ما سواه هو من وجوده، وله الكمال التام في جميع الأمور الوجودية المحضة فإنها هي الصفات التي بها يكون كمال الوجود، وحينئذ فيكون الله –وله المثل الأعلى– أحق بأن تجوز رؤيته لكان وجوده، ولكن لم نره في الدنيا لعجزنا عن ذلك وضعفنا كما لا نستطيع التحديق في شعاع الشمس"(١)

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "إن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود، وما كان أكمل وجودا كان أحق بأن يرى، فالباري سبحانه أحق بأن يرى من كل ما سواه؛ لأن وجوده أكمل من وجود كل ما سواه، يوضحه: أن تعذر الرؤية: إما خفاء المرئي، وإما لآفة وضعف في الرائي، والرب سبحانه أظهر من كل موجود، وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه، فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة الباصرة في غاية القوة لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى، وإذا جاز أن يرى سبحانه فالرؤية المعقولة عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم وتركهم وسائر طوائفهم أن يكون المرئي مقابلا للرائي مواجهة له مباينا عنه، لا تعقل الأمم رؤية غير ذلك، وإذا كانت الرؤية مستلزمة لمواجهة الرائي ومباينته للمرئي لزم ضرورة أن يكون مرئيا له من فوقه أو من تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو خلفه أو أمامه،

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٠ – ٤٣٢) باختصار.

وقد دل النقل الصريح على أنهم إنما يرونه سبحانه من فوقهم لا من تحتهم"(١)

ومسألة رؤية الله عز وجل في الآخرة على أقسام:

القسم الأول: رؤية المؤمنين لربِّهم–جل وعلا:–

فالمؤمنون يرونَهُ سبحانه وتعالى يومَ القيامةِ؛ فَمَنِ لَمْ يُؤمن بِأَنَّهُ–سبحانه–يُرَى يومَ القيامةِ فَقَد رَدَّ أَدِلَّةَ الكتابِ والسُّنَّةِ، وَخَالَفَ مَا عَلَيهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتها، وَلَم يُؤمن بِاللّهِ، وَمَلائكتِهِ، وكتبِهِ، وَرسلِهِ.

فالله سبحانه وتعالى سيخص المؤمنين بمزيد من الإنعام يوم القيامة، وهو رؤيته جل وعلا، فقد روى **أبو هريرة رضي الله عنه–(ت: ٥٧ هـ)** أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله: **(هَل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟)**. قالوا: لا يا رسول الله. قال: **(هل تُضارون في الشَّمس ليس دونها سحاب؟)**. قالوا: لا. قال: **(فإنَّكم ترونه كذلك...)**، الحديث. (٢)

وسيخصهم في الجنة بأعظم نعمة أنعم عليهم بها؛ ألا وهي تشريفهم وإكرامهم بالنظر إلى وجهه الكريم في جنة عدن، كما قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات:٢٢، ٢٣].

وقال تعالى عن الكافرين: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الإمامُ الشافعيُّ–رحمه الله–(ت: ٢٠٤ هـ): "فَدَلَّ هذا على أنَّ المؤمنين لا يُحجبون عنه تبارك وتعالى".

وقال جل شأنه: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [ق: الآية: ٣٥].

فالمزيد هنا هو: النَّظر إلى وجه الله عز وجل، كما فسَّره بذلك علي (ت: ٤٠ هـ)، وأنس

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٣٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨٨) ومسلم (٢٦٧).

بن مالك (ت: مابين ٩٠ و٩٣ هـ)، -رضي الله عنهما-.

وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية: ٢٦].

فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما فَسَّرها بذلك رسول الله ﷺ بقوله: (**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ! فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا اعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم مِن النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، وهي الزيادة، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾**). (١)

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-(ت: ٧٧٤ هـ): "وأمَّا السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. آمين"(٢)

القسم الثاني: رؤية الكفار والمنافقين لربِّهم جل وعلا.

أَمَّا الكفارُ والمنَافِقِينَ، فَقَد **ذكر ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ)** أنَّ الناسَ قد تَنَازَعَوا في ذلك على ثَلَاثَةِ أقوالٍ؛ فقال: "فَأَمَّا مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ الكُفَّارِ فَأَوَّلُ مَا انْتَشَرَ الكَلَامُ فِيهَا، وَتَنَازَعَ النَّاسُ فِيهَا-فِيمَا بَلَغَنَا-بَعْدَ ثَلَاثِمائَةِ سَنَةٍ مِن الهِجْرَةِ، وَأَمْسَكَ عَن الكَلَامِ فِي هَذَا قَوْمٌ مِن العُلَمَاءِ، وَتَكَلَّمَ فِيهَا آخَرُونَ؛ فَاخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ، مَعَ أَنِّي مَا عَلِمْت أَنَّ أُولَئِكَ المخْتَلِفِينَ فِيهَا تَلَاعَنُوا وَلَا تَهَاجَرُوا فِيهَا؛ إذْ فِي الفِرَقِ الثَّلَاثَةِ قَوْمٌ فِيهِم فَضْلٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ سُنَّةٍ".

ثم قال رحمه الله: "وَالأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي (رُؤْيَةِ الكُفَّارِ):

أَحَدُهَا: أَنَّ الكُفَّارَ لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بِحَالٍ؛ لَا المظْهِرُ لِلكُفْرِ، وَلَا المسِرُّ لَه، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦) من حديث صُهَيْبٍ-رضي الله عنه-.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٩).

العُلَمَاءِ المتَأَخِّرِينَ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ عُمُومُ كَلَامِ المتَقَدِّمِينَ، وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ أَصْحَابِ الإِمَامِ أَحْمَد وَغَيْرِهِمْ.

الثَّانِي: أَنَّهُ يَرَاهُ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ مِنْ مُؤْمِنِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَمُنَافِقِيهَا، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَذَلِكَ فِي عَرْصَةِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنِ المنَافِقِينَ، فَلَا يَرَوْنَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي بَكْرِ بْنِ خُزَيْمَة مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى نَحْوَهُ فِي حَدِيثِ إِتْيَانِهِ-عز وجل-لَهُمْ فِي المَوْقِفِ؛ الحَدِيث المشْهُور.

الثَّالِثُ: أَنَّ الكُفَّارَ يَرَوْنَهُ رُؤْيَةَ تَعْرِيفٍ وَتَعْذِيبٍ؛ كَاللِّصِّ إِذَا رَأَى السُّلطَانَ، ثُمَّ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ؛ لِيَعْظُمَ عَذَابُهُمْ، وَيَشْتَدَّ عِقَابُهُمْ، وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ؛ وَهُمْ فِي الأُصُولِ مُنْتَسِبُونَ إِلَى الإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِلَى سَهْل بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْترِي"(١)

وممَّن رَجَّحَ رؤيَةَ الكُفَّارِ وَالمنَافِقِينَ للهِ فِي عَرَصاتِ القيامةِ **ابنُ القيِّم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)** في «حادي الأرواح». (٢)

أما أهل الكفر فكما قالَ الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون**﴾ [المطفِّفين: الآية: ١٥]، فيُحجبون عن رؤية الله عز وجل، ولا شك أن أعظم عطاءٍ يُعطاه المؤمن؛ النظرُ إلى وجهه الكريم.

ولذلك أحد الصحابة لما سمعَ ذلك قال: "لن نعدِمِ من ربٍ يضحكُ خيرا"(٣) فالله سبحانه وتعالى سيتجلَّى لعباده المؤمنين وسيرونه، وهذه الرؤية منها ما يكون في عرصاتِ يوم القيامة، ومنها ما يكون بعد دخولهم الجنة.

فمن عقيدةِ أهلِ السنَّةِ والجماعة أن رؤية الله عز وجل ثابتة بنصوصِ القرآن والسنَّة، فنؤمنُ بها ونصدِّقُ بها كما أخبرت بذلك النصوص.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦).

(٢) حادي الأرواح (ص: ٢٦٢).

(٣) انظر سنن ابن ماجه برقم (١٨١)، والإمام أحمد في المسند مُسْنَدُ الْمَدَنِيِّينَ (١٦١٨٧)، ذكره الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٧٣٢)، وضعفه الأرنؤوط كما في المسند.

المسألة الخامسة: الفرق المخالفة في إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة.[(١)]

أولًا: أقوال المخالفين.

خالف في ذلك فرقتان من فرق الضلال، وقد تفرقوا إلى ثلاث فرق، وهي كما يلي:

الفرقة الأولى: المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والزيدية والمرجئة، ذهبوا إلى نفي رؤية الله تعالى في الآخرة، وحرفوها إلى معنى العلم به ومعرفته تعالى.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية"[(٢)]

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "الرؤية بالأبصار على الله تستحيل، والرؤية بالمعرفة والعلم تجوز عليه"[(٣)]

وعندهم أن من زعم أن الله يرى بالأبصار فهو مشبه لله بخلقه، والمشبه عندهم كافر بالله تعالى. [(٤)]

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "أعلم أن من خالفنا في هذه المسألة لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يحقق الرؤية فيقول: إن الله يرى بلا مقابل لنا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، أو لا يحقق فيقول: إنه تعالى يري بلا كيف، فمن ذهب إلى المذهب الأول فإنه يكون كافرا؛ لأنه جاهل بالله تعالى، والجهل كفر، والدليل على ذلك إجماع الأمة، وإجماع الأمة حجة. ومن قال: إنه تعالى يري بلا كيف فلا يكفر؛ لأن التكفير إنما يعرف شرعًا، ولا دلالة من جهة الشرع يدل على ذلك"[(٥)]

الفرقة الثانية: وهم جمهور الأشاعرة المتأخرون، فقد ذهبوا إلى القول بأن الله يرى بلا جهة، فأثبتوا رؤية الله في الآخرة لورود النصوص والإجماع على ذلك، لكنهم جعلوا ذلك إلى غير

---

(١) المصدر: مقدمة تحقيق كتاب صفات رب العالمين لابن المحب الصامت (١/ ١٩٩-٢٥٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٣٢).

(٣) انظر: المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٣٣٧).

(٤) انظر: الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد (ص: ٦٨).

(٥) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٧٦ - ٢٧٧).

جهة. (١)

الفرقة الثالثة: وذهب بعض الأشاعرة إلى القول بأن المقصود بالرؤية هو: "نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالإضافة إلى التخيل"(٢)

فجعلوا حقيقة الرؤية كشف وزيادة علم بالله تعالى.

ثانيًا: شبه المخالفين والرد عليها.

أولًا: الأدلة الشـرعية التي اسـتدل بها المعتزلة ومن وافقهم على نفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استدل المعطلة على مذهبهم بعدة أدلة من القرآن الكريم وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣].

وجه الدلالة: أن الإدراك إذا قرن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية، وثبت أنه تعالى نفي عن نفسه إدراك البصر، ونجد في ذلك تمدحا راجعا إلى ذاته، وما كان من نفيه تمدحا راجعا إلى ذاته كان إثباته نقصا، والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال. (٣)

وقالوا أيضا: أنه نفى أن يدرك بالأبصار، وقد علمنا أن الإدراك إذا قرن بالبصر أفاد ما تفيده رؤية البصر، وإذا كان إذا أطلق فقد يستعمل بمعنى اللحوق، فيقال: أدرك الغلام إذا بلغ، وأدركت الثمرة إذا نضجت، وأدرك فلان فلانة إذا لحقه، وقال سبحانه: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ**﴾ [يونس: الآية: ٩٠] يعني: لحقه الغرق، وقال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] يعني: لملحوقون، وقد يقال عند الإطلاق: أدركت الحرارة والبرودة وأدركت الصوت، وكل ذلك إنما يصح إذا لم يقرن بالبصر، ومتي قرن به زال الاحتمال عنه، فاختص بفائدة واحدة وهي الرؤية بالبصر، فإذا صح ذلك

(١) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني (ص: ١٧٧ و١٧٨).

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي (ص: ٤٥).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٣٣).

فيجب أن يكون: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، في باب الدلالة على أنه لا يرى، بمنزلة قوله لو قال: "لا تراه الأبصار"، فثبت أنه نفى عن نفسه إدراك البصر فيتناول جميع الأبصار في جميع الأوقات، يبين ما ذكرناه: أنه لا فرق بين قولهم: أدركت ببصري هذا الشخص، وبين قولهم: رأيت ببصري هذا الشخص، أو أبصرت ببصري هذا الشخص، حتى لو قال: أدركت ببصري وما رأيت، أو رأيت وما أدركت لعد متناقضة، ومن علامات اتفاق اللفظين في الفائدة أن يثبتا في الاستعمال معا ويزولا معا، حتى لو أثبت بأحدهما ونفى بالآخر لتناقض الكلام. (١)

قالوا: ومما يؤيد العموم **أن عائشة–رضي الله عنها–(ت: ٥٧ هـ)**، لما أنكرت قول ابن عباس في أن محمدا–صلى الله عليه وسلم–رأى ربه ليلة المعراج تمسكت في نصرة ما ذهبت إليه بهذه الآية، ولو لم تكن هذه الآية مفيدة للعموم بالنسبة إلى كل الأشخاص وكل الأحوال لما تم ذلك الاستدلال، ولا شك أنها من أكثر الناس علما بلغة العرب، فثبت أن هذه الآية دالة على النفي بالنسبة إلى كل الأشخاص وذلك يفيد المطلوب.

وأيضا: إن الباري تعالى تمدح بكونه لا يرى، حيث إن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، وقعت في أثناء المدائح فإن ما قبلها مشتمل على المدح والثناء، وقوله بعدها: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، أيضا مدح وثناء، فيجب أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، مدحا وثناء، وذلك يوجب الركاكة، وهي غير لائقة بكلام الله تعالى وتقدس، وحينئذ نقول: إن كل ما كان عدمه مدحا ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا في حق الله تعالى، والنقص على الله تعالى محال،لقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية: ١١] وقوله ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: الآية: ٣] إلى غير

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤/ ١٤٤) وشرح الأصول الخمسة له أيضا (ص: ٢٣٤).

ذلك، فوجب أن يقال: كونه تعالى مرئيا محال. (١)

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣].

قالوا: دلت هذه الآية على عدم رؤية الله تعالى على التأبيد في الدنيا والآخرة، وأنه مما يمتنع على الله -عز وجل-، وذلك لما يلي:

الوجه الأول: قال تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، وكلمة "لن" تفيد النفي على التأبيد، قال الزمخشري: "إنها لتأكيد النفي الذي تعطيه لا، وذلك أن "لا" تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غدا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنى أن فعله ينافي حالي، كقوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: الآية: ٧٣] فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيها يستقبل، و ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، تأكيد وبيان؛ لأن النفي مناف لصفاته.

فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بما قبله؟

قلت: اتصل به على معنى: "أن النظر إلى محال فلا تطلبه، ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله، دكا بسبب طلبك الرؤية؛ لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره "كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤/ ١٥٠)، وشرح الأصول الخمسة له أيضا (ص: ٢٣٥ - ٢٣٧)، وتفسير الرازي (١٣/ ٩٩).

وَلَدًا﴾ [مريم: الآيات ٩٠-٩١]"(١)

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "ولن موضوعة للتأبيد، فقد نفى أن يكون مرئيا البتة، وهذا يدل على استحالة الرؤية عليه، فإن قالوا: أليس أنه تعالى قال حاكيا عن اليهود: **﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** [البقرة: الآية: ٩٥] أي: لا يتمنون الموت، ثم قال حاكيا عنهم: **﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾** [الزخرف: الآية: ٧٧]: فكيف يقال إن لن موضوعة للتأبيد؟

قلنا: إن "لن" موضوعة للتأبيد، ثم ليس يجب أن لا يصح استعماله إلا حقيقة، بل لا يمتنع أن يستعمل مجازا، وصار الحال فيها كالحال في قولهم: أسد وخنزير وحمار، فكما أن موضعها وحقيقتها لحيوانات مخصوصة ثم تستعمل في غيرها على سبيل المجاز والتوسع، واستعمالهم في غيرها لا يقدح في حقيقتها كذلك ههنا"(٢)

الوجه الثاني: قوله تعالى: **﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾** [الأعراف: الآية: ١٤٣] ووجه الدلالة: أنه علق الرؤية حال تحركه وتدكدكه لا قبل ذلك.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ): "علق الرؤية باستقرار الجبل فلا يخلو: إما أن يكون علقها باستقراره بعد تحركه وتدكدكه، أو علقها به حال تحركه، لا يجوز أن تكون الرؤية علقها باستقرار الجبل؛ لأن الجبل قد استقر ولم ير موسى ربه، فيجب أن يكون قد علق ذلك باستقرار الجبل بحال تحركه، دالا بذلك على أن الرؤية مستحيلة عليه، كاستحالة استقرار الجبل حال تحركه، ويكون هذا بمنزلة قوله تعالى: **﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾** [الأعراف: الآية: ٤٠]"(٣)

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٦٤ – ٢٦٥).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٦٥).

الوجه الثالث: قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فلو كانت الرؤية جائزة ممكنة لم يخر موسى صعقا عند طلبه لها.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "وخر موسى صعقا من هول ما رأى، ومعناه: خر مغشيا عليه غشية كالموت، وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة"(١)

الوجه الرابع: قوله تعالى عن موسى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: فهذا تنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه وهو الرؤية، فقوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الكلمة للتنزيه، فوجب أن يكون المراد منه تنزيه الله تعالى عما تقدم ذكره، والذي تقدم ذكره هو رؤية الله تعالى. فكان قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها له عن الرؤية، فثبت بهذا أن نفي الرؤية تنزيه لله تعالى، وتنزيه الله إنما يكون عن النقائص والآفات وذلك على الله محال فثبت أن الرؤية على الله ممتنعة. (٢)

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "فلما أفاق من صعقته قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها"(٣)

الوجه الخامس: قوله تعالى: عن موسى–عليه السلام–: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] قالوا: ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب ينافي صحة الإسلام لما قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. (٤)

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): "تبت إليك من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، بأنك لست بمرئي ولا تدرك بشيء من الحواس، فإن قيل: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب؟ قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة –وإن كان

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٣٥٧).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٥).

(٤) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٣٥٧).

لغرض صحيح- على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى"(١)

٣ - أن الله تعالى ما ذكر سؤال الرؤية إلا استعظمه، وذلك في آيات، وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: الآية: ١٥٣] فسمي ذلك ظلما وعاقبهم في الحال، فلو كانت الرؤية جائزة لجرى سؤالهم لها مجرى من يسأل معجزة زائدة، فإن قلت: أليس إنه-عز وجل-قد أجرى إنزال الكتاب من السماء مجرى الرؤية في كون كل واحد منهما عتوا، فكما أن إنزال الكتاب غير ممتنع في نفسه فكذا سؤال الرؤية؟ قلت: الظاهر يقتضي كون كل واحد منها ممتنعة ترك العمل به في إنزال الكتاب فيبقى معمولا به في الرؤية.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: الآية: ٥٥] فإن الرؤية لو كانت جائزة لكان قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾، كقول الأمم لأنبيائهم: "لن نؤمن إلا بإحياء ميت" في أنه لا يستعظم ولا تأخذهم الصاعقة.

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية: ٢١] فالرؤية لو كانت جائزة وهي عند مجزيها من أعظم المنافع لم يكن التماسها عتوا لأن من سأل الله تعالى نعمة في الدين أو الدنيا لم يكن عاتيا وجرى ذلك مجرى ما يقال: لن نؤمن لك حتى يحيي الله بدعائك هذا الميت، فلو أن الرؤية كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا ومنكرا، وذلك ممنوع. (٢)

٤ - قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: الآية: ٥١]. ووجه الدلالة: أن

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٥٥ - ١٥٦) بتصرف يسير.

(٢) انظر: تفسير الرازي (٣/ ٥٢٠) باختصار وتصرف، وشرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني (٨/ ١٥٨) ضبطه وصححه: محمود الدمياطي.

الله-عز وجل-حصر تكليمه للبشرة في الوحي إلى الرسل، وتكليمه لهم من وراء حجاب، وإرساله إياهم إلى الأمم ليكلمهم على ألسنتهم، وإذا لم يره من يكلمه في وقت الوحي لم يره في غيره إجماعا، وإذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضا، إذ لا قائل بالفرق"(١)

ثانيًا: الرد على شـــبه المعطلة في اســـتدلالهم بالأدلة الشـــرعية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

[الرد على حجتهم الأولى]

أن الآية الكريمة حجة عليهم، ولا حجة لهم فيها بأي حال من الأحوال، وذلك للأوجه التالية.

الوجه الأول: أن استدلالهم ذلك كذب على اللغة، ودعوى مجردة عن الدليل؛ لأن الله تعالى إنما نفي الإدراك، والإدراك في اللغة معن زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الإحاطة ليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله-عز وجل-: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى-عليه السلام-لهم: ﴿**قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: الآية: ٦٢] فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى غير الذي أثبته، فالإدراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣]. (٢)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "الآية حجة عليهم لا لهم؛ لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة، والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا

(١) انظر: شرح مواقف الإيجي لعلي الجرجاني (٨/ ١٥٩).

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٣/ ٢-٣)، بتصرف.

يقال إنه أدركه، كما لا يقال أحاط به، كما سئل ابن عباس –رضي الله عنهما– عن ذلك فقال: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أكلها ترى؟ قال لا".

ومن رأى جوانب الجيش، أو الجبل، أو البستان، أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية، ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع، بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية، وأن كل من رأى شيئا يقال في لغتهم أنه أدركه، وهذا لا سبيل إليه، كيف وبين لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراك لفظي؟! فقد تقع رؤية بلا إدراك، وقد يقع إدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في: إدراك العلم وإدراك القدرة، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يشاهد: كالأعمى الذي طلب رجلا هاربا منه فأدركه ولم يره، وقد قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: الآيات: ٦١ – ٦٢] فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي، فعلم أنه قد يكون رؤية بلا إدراك، والإدراك هنا هو: إدراك القدرة، أي ملحوقون محاط بنا، وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضا.

ومما يبين ذلك: أن الله تعالى ذكر هذه الآية يمدح بها نفسه –عز وجل–، ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح؛ لأن النفي المحض لا يكون مدح إن لم يتضمن أمرا ثبوتيا، ولأن المعدوم أيضا لا يرى، والمعدوم لا يمدح فعلم أن مجرد نفي الرؤية لا مدح فيه، وهذا أصل مستمر وهو أن العدم المحض الذي لا يتضمن ثبوتا لا مدح فيه ولا كمال"(١)

وقال ابن القيم –رحمه الله– (ت: ٧٥١ هـ): "فلم ينف موسى –عليه السلام– الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ إنا لمرئيون؛ فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله: ﴿**كَلَّا**﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ**﴾ [طه: الآية:

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣١٧ – ٣٢٠) باختصار.

٧٧]. فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما لا يعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمته الصحابة والأئمة من بعدهم من الآية. قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] لا تحيط به الأبصار. وقال قتادة: "هو أعظم من أن تدركه الأبصار"وقال ابن عطية: "ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم"(١)

الوجه الثاني: أن الآية رد عليكم، فهي حجة لأثبات الرؤية لا نفيها، وذلك لأمرين:

الأول: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] كما جاء عن ابن عباس وجماعة من السلف: أن الإدراك المنفي هنا هو الإحاطة. والمعنى: لا تحيط به الأبصار. (٢).

والإدراك قد يطلق على الإحاطة كثيرا، كقوله: ﴿أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ [يونس: الآية: ٩٠]، أي: أحاط به من جميع جهاته. ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: الآية: ٦١] أي: محاط بنا. وعلى هذا فمعنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه في الجملة، فالإدراك المنفي هو الإحاطة. والإحاطة لا يستلزم نفيها نفي مطلق الرؤية الثابت في الأحاديث المتواترة والآيات القرآنية.

الثاني: أن معنى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تدركه في دار الدنيا، بدليل قوله: في الآخرة: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]. فلما قيد نظرها إلى ربها بقوله: ﴿يومئذ﴾ أي: يوم القيامة، عرفنا أن ذلك النظر مقيد بالقيامة، وأن: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: في دار الدنيا. ولو سلمنا من أن الإدراك: الرؤية، وأن الآية عامة: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فعمومها تخصصه آيات أخر بيوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢ - ٢٣]، وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية: ١٥] أي: بخلاف المؤمنين فليسوا بمحجوبين عن ربهم، وقد

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (ص: ٦٢٠).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٥٩).

تقرر في الأصول أن المفهوم يخصص العام، سواء كان مفهوم موافقة، أو مفهوم مخالفة. (١)

الوجه الثالث: قد يقال أيضا: إن المراد نفي الرؤية وقد عدم إذن الله تعالى للأبصار بالإدراك، والدليل على صحة إرادة هذا القيد أن إرادة الإبصار فعل من أفعال العبيد وكسب من كسبهم، وقد ثبت بغير ما دليل أن العباد لا يقدرون على شيء من المقدورات إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وتمكينه، فلا تدركه الأبصار إلا بإذنه وهو المطلوب. ويؤيد هذا البيان ويشيد أركانه أن: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] وقع بعد قوله سبحانه: ﴿**وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٢] ووجه التأييد: أن الله تعالى أخبر بأنه على كل شيء وكيل أي متول لأموره، ومعلوم أن الأبصار من الأشياء وأن إدراكها من أمورها، فهو-عز وجل-متوليها ومتصرف فيها على حسب مشيئته، فيفيض عليها الإدراك ويأذن لها إذا شاء كيف شاء وعلى الحد الذي شاء، ويقبض عنها الإدراك قبضا كليا أو جزئيا في أي وقت شاء كيف شاء، ولا يخفى على هذا أنه غاية التمدح بالعزة والقهر والغلبة؛ فإن من هو على كل شيء وكيل إذا لم تدركه الأبصار إلا بإذنه مع كونه يدرك الأبصار -ولا تخفى عليه خافية- كان ذلك غاية في عزته وقهره وكونه غالبا على أمره. (٢)

الوجه الرابع: أن: "تدركه الأبصار" موجبة كلية؛ لأن موضعها جمع محلي كلية باللام الاستغراقية، وقد دخل عليها النفي فرفعها ورفع الموجبة الكلية سالبة جزئية، وبالجملة فيحتمل قوله: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] إسناد النفي إلى الكل، بأن يلاحظ أو لا دخول النفي، ثم ورود العموم عليه فيكون سالبة جزئية، ومع احتمال المعنى الثاني فلم يبق فيه حجة لكم علينا؛ لأن أبصار الكفار لا تدركه إجماعا، هذا ما نقوله لو ثبت أن اللام في الجمع للعموم والاستغراق، وإلا عكسنا القضية وقلنا: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] سالبة مهملة في قوة الجزئية فالمعنى: لا تدركه بعض الأبصار، وتخصيص البعض بالنفي

(١) انظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٣/ ٥٣ - ٥٤) بتصرف.

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (٤/ ٢٣٢).

يدل بالمفهوم على الإثبات للبعض، فالآية حجة لنا لا علينا"(١)

الوجه الخامس: أن قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] الآية، وإن عمت في الأشخاص باستغراق اللام، فإنها لا تعم في الأزمان؛ لأنها سالبة مطلقة لا دائمة، ونحن نقول بموجبه حيث لا يرى في الدنيا (٢)، وبهذا علمنا أن الوقت الذي قال إنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] فيه غير الوقت الذي أخبرنا أنها تنظر إليه فيه. (٣)

الوجه السادس: ويقال لهم: إذا كان قول الله سبحانه: في: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا ولا على وجه من الوجوه؟ فإن قالوا: نعم، فيقال لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟ فمن قولهم: لا. فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ في العموم كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾. (٤)

الوجه السابع: أما قولهم: "إن الله تمدح بأن لا يرى"، فقول باطل؛ لأن العدم المحض الذي لا يتضمن إثباتا لا مدح فيه ولا كمال.

قال ابن تيمية –رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، إنما نفي الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء. ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علما، فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية.

---

(١) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني (٨/ ١٥٦ – ١٥٧)، "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع" لأبي الحسن الأشعري (ص: ٦٥).

(٢) انظر: "شرح المواقف" (٨/ ١٤٠).

(٣) انظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري (ص: ٦٥).

(٤) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص: ٥٩ – ٦٠).

فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحة وصفة كان، وكان ذلك دليلا على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها. (١)

فتبين بهذا أن قول المعطلة النفاة دعو مجردة عن الدليل، فثبوت المدح في سياق الكلام ليس لهم فيه حجة على امتناع الرؤية، بل الحجة عليهم في إثبات صحة الرؤية؛ لأنه يمتنع حصول التمدح بنفي الرؤية، لمشاركة المعدوم في ذلك، وإنما يحصل التمدح بحيث تصح رؤيته، ثم إنه تعالى يحجب الأبصار عن رؤيته.

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها؛ فان الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب-عز وجل- بالعدم إذا تضمن أمرا وجوديا: كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيئة وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتظمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، وفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا ثبوتيا فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك فان العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب ﷻ يتعالى إن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ**

(١) انظر: التدمرية لابن تيمية (ص: ٥٩).

﴿ذَرَّةٍ﴾ [يونس: الآية: ٦١] أنه يعلم كل شيء، وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: الآية: ٣٨] أنه كامل القدرة، وفي قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية: ٤٩] أنه كامل العدل، وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: الآية: ٢٥٥] أنه كامل القيومية، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية"(١)

[الرد على حجتهم الثانية]

الرد على الوجه الأول: أن الآية الكريمة حجة عليهم وأنها تدل على إمكان رؤية الله تعالى، وليس فيها ما يزعمونه من استحالة رؤية الله تعالى وامتناعها، وقولهم ذلك باطل لغة وشرعا، بدليل ما يلي:

أن قولهم: "إن لن موضوعة للتأبيد" باطل، ومخالف للغة العرب وما دلت عليه من المعاني. قال أبو القاسم السهيلي: "إن العرب إنما تنفي بـ "لن" ما كان ممكنا عند الخطاب مظنونا أنه سيكون، فتقول له: "لن

يكون" لما يمكن أن يكون؛ لأن "لن" فيها معنى "أن"، وإذا كان الأمر عندهم على الشك لا على الظن كأنه يقول: أيكون أم لا يكون؟ -قلت: في النفي لا يكون- وهذا كله مقو لتركيبها من "لا" و"أن"(٢)

وبهذا يتبين أن من زعم أن "لن" تفيد النفي على التأبيد المطلق فقوله باطل مردود.

قال جمال الدين بن مالك-رحمه الله-(ت: ٦٢٧ هـ):

"ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله أردد وخلافه اعضدا"(٣)

---

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) انظر: نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم السهيلي (ص ١٠٣) وأبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي لمحمد إبراهيم البنا (ص: ٣٦١).

(٣) انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (٣/ ١٥١٥).

وقال ابن القيم–رحمه الله–(ت: ٧٥١ هـ): "وقد أكذبهم الله في قولهم بتأبيد النفي بـ "لن" صريحا بقوله: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧] فهذا تمن للموت، فلو اقتضت "لن" دوام النفي تناقض الكلام؛ كيف وهي مقرونة بالتأبيد بقوله: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا**﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] ولكن ذلك لا ينافي تمنيه في النار؛ لأن التأبيد قد يراد به:التأبيد المقيد والتأبيد المطلق، فالمقيد كالتأبيد بمدة الحياة، كقولك: "والله لا أكلمه أبدا"، والمطلق كقولك: "والله لا أكفر بربي أبدا"، وإذا كان كذلك فالآية إنما اقتضت نفي تمني الموت أبد الحياة الدنيا، ولم يتعرض للآخرة أصلا؛ وذلك لأنهم لحبهم الحياة وكراهتهم للجزاء لا يتمنون الموت وهذا منتف في الآخرة"[١]

الرد على الوجه الثاني: أنه علقه على استقرار الجبل من حيث هو من غير قيد بحال السكون أو الحركة، وإلا لزم الإضمار في الكلام، وأنه –أي استقرار الجبل– من حيث هو ممكن قطعا؛ إذ لو فرض وقوعه لم يلزم منه محال لذاته، وأيضا فاستقرار الجبل عند حركته أي في زمانها ليس بمحال؛ إذ في ذلك الوقت قد يحصل الاستقرار بدل الحركة ولا محذور فيه، إنما المحال هو الاستقرار مع الحركة في كونهما مجتمعين لا وقوع شيء منهما في وقت آخر بدل صاحبه. [٢]

وقال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فأخبر سبحانه أنه تجلى للجبل وأنه لما تجلى له جعله دكا فتجليه له: إما أن يكون مجرد خلق الرؤية فيه كما يقولون إن ذلك هو تجليه لسائر من يراه، أو يكون تجليه هو رفع الحجاب حتى ظهر للجبل؟ فإن كان التجلي هو خلق الرؤية كان قد أخبر أن الجبل أطاق رؤيته وأن الجبل رأى الله، وإذا كان كذلك لم يجب أن يصير دكا إذا ورد عليه ما يعجز عن مقاومته فإذا كان التجلي ليس هو إلا أن جعل رائيا فمعلوم أنه يكون قادرا على ما جعل فاعلا له فلا يكون دكا ولو كان كذلك لكان العبارة المناسبة أن يقال: فلما رأى الجبل ربه جعله دكا فلما دل القرآن مع ما ورد به الحديث في

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: شرح مواقف الإيجي للجرجاني (٨/ ١٢١).

تفسير هذه الآية أن التجلي هو ظهوره وأنه مع ذلك قد لا يطيق المتجلي له رؤيته لعجزه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه علم أنه قد يتجلى لمن يراه ولمن لا يراه وأن التجلي ليس هو خلق الرؤية فيه عند الاحتجاب فعلم أن هناك حجابا خارجا عن الإنسان وأن التجلي يكون برفع كل الحجاب"(١)

الرد على الوجه الثالث: أنه ليس فيها دلالة على المنع، بل إن دلالتها على الجواز أقرب؛ فإن الصعق لم يحدث لموسى–عليه السلام–إلا عندما رأى الجبل يتدكدك لما تجلى له الرب–عز وجل–ظهورا، أو على القول أن موسى رأى الله –على ضعفه– فصعق، وهذا يدل على الجواز وإنما كان الصعق نتيجة عدم تحمل موسى رؤية الله تعالى في هذه الدار الفانية.

أما ما ذكره الزمخشري من الأثر المروي عن ابن عباس في "مرور الملائكة على موسى وهو صعق" فباطل؛ لإنه من رواية الواقدي" (٢)، والواقدي متروك لا يحتج به.

وقد احتج برواية باطلة، وترك الأحاديث الكثيرة الصحيحة المتواترة، والتي تثبت رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

وهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد. والوجه التورك بالغلط على ناقلها، وتنزيه الملائكة–عليهم السلام–من إهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب"(٣)

على أن هناك رواية أخرى لذلك الأثر، وهي أقل ضعفًا منها من طريق: أبي سعد سعيد بن المرزبان، عن عكرمة–رحمه الله–(ت: ١٠٥ هـ)، **عن ابن عباس–رضي الله عنهما–(ت: ٦٨ هـ)** قال: ﴿**وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فمرت به الملائكة وقد صعق، فقالت: يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما. فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت، تبت إليك، وأنا أول المؤمنين، قال: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٨/ ١٣١–١٣٢).

(٢) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي (٤/ ٢٧٩).

(٣) انظر: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد الإسكندري المالكي (٢/ ١١٥) من هامش الكشاف.

خلقك، يعني في الدنيا"(١)

وهي كما ترى لا تنفي الرؤية مطلقا، إنما تمنع منها في الدنيا فقط، وتبين أن المراد بالإيمان به تعالى أي: أنه لا يراه أحد من خلقه في الدنيا.

الرد على الوجه الرابع: أن التسبيح كما أنه تنزيه لله تعالى عن النقائص، فهو كذلك تعظيم وإجلال لله تعالى. والمراد هو تنزيه الله تعالى وتعظيمه وإجلاله عن أن يرى في الدنيا أو أن يتحمل رؤيته مخلوق في هذه الدنيا، بل ثبتت الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة عن الله وعن رسوله ﷺ.

والرؤية ليست كما تزعمون من النقائص، فإنها في المخلوق كمال وكل كمال اتصف به المخلوق لا نقص فيه بحال فالله أحق وأولى أن يتصف به، لا سيما وقد أثبتها الله لنفسه، وخص بها أهل جنته، وأثبتها له رسوله ﷺ، بل وسألها موسى–عليه السلام–في الدنيا، ولم يعاتبه الله على ذلك، فكيف يقال بعد ذلك: أنها من النقائص وجميع الأدلة من الكتاب والسنة خلاف ذلك؟

وقد سبق أن بينا أن الذي تمتنع رؤيته بإطلاق هو المعدوم، وأن ذلك لا مدح فيه البتة بأي وجه من الوجوه، وهذا هو الذي يتنزه الله تعالى عنه.

الرد على الوجه الخامس: أن قولكم ذلك لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها لا من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان. وليست توبة موسى–عليه السلام–بعدما أفاق لذنب قاله أو فعله، وإنما لأنه علم أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة لأحد من البشر، بدليل اندكاك الجبل حينما تجلى الله تعالى له.

قال مجاهد–رحمه الله–(ت: ١٠٤ هـ): "سبحانك تبت إليك"، أن أسألك الرؤية"(٢)

وأيضا لم يعاتبه الله تعالى على سؤاله الرؤية، ولم ينهه عن ذلك كما نهى نوحا–عليه السلام–

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٣٣)، وفيه أبو سعد سعيد بن المرزبان البقال التابعي المقرئ تلميذ ابن عباس، وقد ضعف، وبعضهم يوثقه، على خلاف بينهم فيه، انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٤/ ٤٣٢ - ٤٣٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٣٤).

في سؤاله منه تعالى أن ينجي ولده الذي أغرق لأنه من أهله، حينما قال الله تعالى له: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: الآية: ٤٦]. ولذلك سارع نوح–عليه السلام– للاستعاذة بالله من سؤاله ذلك، وبادر بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة منه تعالى، كما قال الله تعالى عنه: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [هود: الآية: ٤٧].

قال الباقلاني–رحمه الله–(٤٠٣ هـ): "لم يقل جل اسمه أنه تاب من مسألته إياه الرؤية، فيمكن أن يكون ذكر ذنوبا له قد قدم التوبة منها، فجدد التوبة عند ذكرها لهول ما رأى، كما يسارع الناس إلى التوبة ويجددونها عند مشاهدة الأهوال والآيات، ويحتمل أن يكون المعنى في قوله: ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: ١٤٣] من ترك استئذاني لك في هذه المسألة العظيمة، ومثلها ما لا يكون معه تكليف لمعرفتك والعلم بك.

ويحتمل أن يكون أراد بقوله: ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ أي: تبت إليك أن أسألك الرؤية لهول ما أصابني، لا لأنها مستحيلة عليك، ولا لأني عاص في سؤالي، كما يقول القائل: تبت من كلام فلان ومعاملته، ومن ركوب البحر، ومن الحج ماشيا، إذا ناله في ذلك تعب ونصب وشدة، وإن كان ذلك مباحا حسنا جائزا، والتوبة هي الرجوع عن الشيء، ومن ذلك سمي الإقلاع عن الذنوب والعود إلى طاعة الله تعالى توبة منها، ومعنى المراد بقوله: ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا**﴾ [التوبة: الآية: ١١٨] أي: رجع بهم إلى التفضل والامتنان ليرجعوا عما كانوا عليه، فقوله: ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ أي: رجعت عن سؤالي إياك الرؤية، وهذا هو أصل التوبة، وليس الرجوع عن الشيء يقتضي كونه عصيانا فبطل تعلقهم بالآية"(١)

وقال الواحدي–رحمه الله–(ت: ٤٦٨ هـ): "تبت إليك من مسألتي الرؤية، وذلك أنه

(١) انظر: التمهيد للباقلاني (ص ٢٧٠ – ٢٧١) عني بتصحيحه: ريتشرد مكارثي اليسوعي. المكتبة الشرقية بيروت. ١٩٥٧ م.

سألها من غير استئذان من الله، فلذلك تاب"(١).

وقال الزجاج-رحمه الله-(ت: ٤٠ هـ): "وقوله: ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا"(٢)

وقال ابن أبي زمنين-رحمه الله-(ت: ٣٩٩ هـ): "يعني: المصدقين بأنك لا ترى في الدنيا"(٣)

وقال السمعاني-رحمه الله-(ت: ٤٢٦ هـ): " ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، يعني: من سؤال الرؤية قبل الإذن ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، يعني: أنا أول المؤمنين بأن من يراك متجليا في الدنيا لا يستقر مكانه، وقيل معناه: أنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا"(٤)

وقال القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية"(٥)

فإذا كان الجبل العظيم الراسي القوي لم يصمد لرؤية الله تعالى، بل تفتت وتدكدك حتى استوى بالأرض، فلا يمكن لبشر بعد ذلك أن يرى الله تعالى في الدنيا عيانا.

بل الملك المخلوق لا أحد يستطع رؤيته في الدنيا على خلقته التي خلقه الله عليها إلا من ثبته الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، أما سائر البشر فلا يستطيعون ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): " قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]، قيل: أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، فهذا للعجز الموجود في المخلوق، لا لامتناع في ذات

(١) انظر: تفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٤٨٠).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٣٧٤).
(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٢/ ١٤١).
(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٢١٣).
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٢٧٩).

المرئي، بل كان المانع من ذاته، لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله، كما أيد نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأنعام: الآيات: ٨ - ٩] قال غير واحد من السلف: هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر، فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم، فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه، وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة"(١)

وقد رد **ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ)** عليهم في استدلالهم بهذه الآية ردا مفصلا، فقال-رحمه الله-: "وقد أخبر الله-عز وجل-عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه-عز وجل-: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أن لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله-عز وجل-لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالا لأنكره عليه.

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ ولم يقل: إني لا أرى، ولا: إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه-عز وجل-مرئ، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿**وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ**

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣٣٣).

﴿تَرَانِي﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟

الوجه الخامس: أن الله–عز وجل–قادر على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته.

الوجه السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣]. وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته–عز وجل–؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ وأعلم سبحانه موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه قد كلمه منه إليه، وخاطبه وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد، فكيف إذا أطلقت؟! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: الآية: ٩٥] مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: الآية: ٧٧]"(١)

[الرد على الحجة الثالثة]

أما الآية الأولى والثانية: فإن الاستعظام إنما كان لطلبهم الرؤية استخفافا وعنادا وتعنتا وإنكارا لنبوة موسى–عليه السلام–، وليس طلبا للعلم ولا الازدياد منه. قال أبو الحسن الأشعري: "إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله–عز وجل–على طريق الإنكار لنبوة موسى ﷺ، وترك الإيمان به حتى يروا الله، لأنهم قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص: ٢٨٥ – ٢٨٧) باختصار.

الآية: ٥٥]، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى ﷺ حتى يريهم الله نفسه، استعظم سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا"(١)

وقال الباقلاني–رحمه الله–(ت: ٤٠٣ هـ): "لم ينكر الله تعالى مسألة خلاف بني إسرائيل أن ينزل عليهم كتابا من السماء، ومسألة أسلافهم أن يروا الله جهرة لاستحالة ذلك؛ وإنما أنكره لأنهم سألوا ذلك على طريق العناد لموسى ومحمد صلى الله عليهما، والشك في نبوتهما، والتقدم بين أيديهما، والامتناع من فعل ما أوجب عليهم من الإيمان بالله–عز وجل–، حتى يفعل ما يؤثرونه ويقتاتونه"(٢)

ومما يبين ذلك ويوضحه أن الله أكرم بني إسرائيل بكثير من الإكرام ونجاهم من كثير من الهلاك، وأنزل عليهم كثيرا من الآيات، ومع ذلك لم يؤمنوا بذلك كله وطلبوا من موسى أن يروا الله جهرة في الدنيا –مع علمهم بامتناع ذلك– عنادا واستخفافا.

قال الطبري–رحمه الله–(ت: ٣١٠ هـ): "فأعلم ربنا–عز وجل–الذين خاطبهم بهذه الآيات من يهود بني إسرائيل، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ أنهم لن يعدوا أن يكونوا –في تكذيبهم محمدا ﷺ وجحودهم نبوته، وتركهم الإقرار به وبما جاء به، مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة أمره– كأسلافهم وآبائهم الذين قص الله علينا قصصهم"(٣)

أما الآية الثالثة: فيقال: أنهم سبق وأن طلبوا إنزال الملائكة ورؤية الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿**أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا**﴾ [الإسراء: الآية: ٩٢] وهم طلبوا قبل ذلك وبعده كثيرا من الآيات تعنتا، وعنادا، واستكبارا، واستخفافا.

قال الزجاج–رحمه الله–(ت: ٣٤٠ هـ): "فأعلم الله–عز وجل–أن الذين لا يوقنون

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص: ٤٨).

(٢) انظر: التمهيد للباقلاني (ص: ٢٧٣).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (٢/ ٣٠٥).

بالبعث، ولا يرجون الثواب على الأعمال عند لقاء الله طلبوا من الآيات ما لم يأت أمة من الأمم، فأعلم الله-عز وجل-أنهم قد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا"(١)

فتبين بهذا أنهم لم يطلبوا ذلك طلب علم لينتفعوا به ويزدادوا منه، وإنما كان ذلك سؤال تحد واستكبار وعتو؛ لأنهم طلبوا ذلك في الدنيا.

قال الواحدي-رحمه الله-(ت: ٤٦٨ هـ): "وإنما وصفوا بالعتو عند طلب الرؤية؛ لأنهم طلبوها في الدنيا عنادا للحق وإباء على الله ورسوله في طاعتهما"(٢).

ومما يوضحه: "أن أصحاب موسي سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافا فقالوا: ﴿**لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ [البقرة: الآية: ٥٥]، لم يقولوا: حتى نرى الله في الآخرة، ولكن في الدنيا، وقد سبق من الله القول بأنه: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣] أبصار أهل الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم ما حظره على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد ﷺ محمدا ﷺ لم تصبهم تلك الصاعقة ولم يقل لهم إلا ما قال محمد ﷺ لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (**نعم لا تضارون في رؤيته**) فلم يعبهم الله تعالى ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بشرى جميلة"(٣)

[الرد على حجتهم الرابعة]

أن دلالة الآية على إثبات الرؤية أدل منها على امتناعها، وذلك لما يلي:

١ - أنه أثبت التكليم من وراء حجاب، ولا يكون حجاب إلا لرؤية. (٤).

٢ - أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، ويقتضي وأن المكلم بذلك محجوب أن يرى الله؛ لأن التكليم المسموع قد يكون مع رؤية المستمع للمتكلم، وقد يكون مع كونه محجوبا

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٣).

(٢) انظر: الوسيط للواحدي (٣/ ٣٣٨).

(٣) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي (١/ ٣٦٧).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٥٤).

عنه، بخلاف الوحي، فإنه يقع في قلبه. (١)

٣ – أن الحجاب عن الرؤية المذكور في الآية الكريمة إنما هو في الدنيا، فلا يمكن لمخلوق أن يرى الله تعالى، أما الآخرة، فالله تعالى يرفع الحجاب عمن شاء من خلقه فيرونه عيانا كما روى عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ولا حجاب يحجبه"(٢)

ثالثًا: الأدلة العقلية التي استدل بها المعطلة لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

استدل المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم على مذهبهم بأدلة عقلية، وهي شبهات إبليسية، جعلوها حجة في معارضتهم للآيات الكريمة والأحاديث الثابتة الصحيحة، وهي كما يلي:

أولا: دليل الموانع: وهو زعمهم أن الله –عز وجل– لا يرى لاستحالة رؤيته، وليس لامتناعها، ففرق بين النوعين. **قال القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت: ٤١٥ هـ)**: "ما لا يرى ينقسم إلى: ما لا يرى لمنع، وإلى ما لا يرى لاستحالة الرؤية عليه، والقديم تعالى إنما يرى لاستحالة الرؤية عليه لا لمنع"(٣)

وقال أيضا: "والموانع المعقولة من الرؤية ستة: الحجاب، والرقة، واللطافة، والبعد المفرط، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي، وكون محله ينقض هذه الأوصاف، وشيء منها لا يجوز على الله تعالى بحال من الأحوال. (٤)

وهذه الشروط الستة الأخيرة لا يمكن اعتبارها إلا في رؤية الأجسام، والله تعالى ليس بجسم، فلا يمكن اعتبار هذه الشرائط في رؤيته، فعلى هذا ولو صحت رؤيته لوجب أن لا يصير في

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١٠/ ٢١٣).

(٢) انظر: أخرجه البخاري (رقم ٦٥٣٩ و٧٥١٢ و٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (رقم ١٠١٦) وغيرهما.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٥٣).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٥٧-٢٥٨) والأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٧ - ٢٩٨).

حصول رؤيته إلا أمران: سلامة الحاسة، وكونه بحيث يصح أن يرى، وهذان الأمران حاصلان الآن، فثبت أنه لو صحت رؤيته لوجب أن نراه الآن، ولما لم يكن الأمر كذلك وجب أن يقال: إنما لا نراه الآن لأنه لا تصح رؤيته. (١)

والموانع على ضربين: أحدهما ما يمنع بنفسه، والثاني: يمنع بشرط.

أما المانع بنفسه فهو: كالحجاب، وكون المرئي في غير جهة محاذاة الرائي.

وأما المانع بشرط فهو على قسمين:

الأول: ما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي.

والثاني: ما يمنع لأمر يرجع إلى المرئي.

وما يرجع إلى الرائي: فهو كالرقة واللطافة، فإنه إنما يمنع لأمر يرجع إلى الرائي وهو ضعف الشعاع. وأما ما يرجع إلى المرئي: فنحو البعد المفرط، فإنه إنما لا يرى لبعده، حتى لو قرب لرئي. (٢)

ثانيا: دليل المقابلة: وهو أن الرؤية تقتضي مقابلة المرئي للرائي، وإذا كان كذلك فتكون الرؤية ممتنعة في حق الله–عز وجل–، قال عبد الجبار المعتزلي: "إن الواحد منا راء بحاسة، والرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل، وقد ثبت أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقال ولا في حكم المقابل، وهذه الدلالة مبنية على أصول:

أحدها: أن الواحد منا راء بالحاسة.

والثاني: أن الرائي بالحاسة لا يرى الشيء إلا إذا كان مقابلا أو حالا في المقابل أو في حكم المقابل.

والثالث: أن القديم تعالى لا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل.

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٧).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص: ٢٥٩-٢٦٠).

أما الأول: فالذي يدل عليه أن أحدنا متى كان له حاسة صحيحة والموانع مرتفعة والمدرك موجود: يجب أن يرى، ومتى لم يكن كذلك استحالة أن يرى، فيجب أن يكون لصحة الحاسة في ذلك تأثير؛ لأن بهذه الطريقة يعلم تأثير المؤثرات من الأسباب والعلل والشروط.

وأما الثاني: فالشيء المرئي إذا كان كذلك وجب أن يرى، وإذا لم يكن كذلك لم ير، فيجب أن تكون المقابلة أو ما في حكمها شرطا في الرؤية؛ لأنه بهذه الطريقة يعلم تأثير الشروط.

وأما الثالث: فلأن المقابلة والحلول إنما تصح على الأجسام والأعراض والله تعالى ليس بجسم ولا عرض فلا يجوز أن يكون مقابلا ولا حالا في المقابل ولا في حكم المقابل"(١)

ثالثا: دليل الانطباع: وهو: أن كل ما يكون مرئيا فلا بد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، والله تعالى يتنزه عن الصورة والمثال، فوجب أن تمتنع رؤيته. (٢)

رابعا: أن كل ما كان مرئيا فلا بد له من لون وشكل، ودليله الاستقراء والله تعالى منزه عن ذلك فوجب ألا يرى. (٣)

رابعًا: الرد على شبه المعطلة في استدلالهم بالأدلة العقلية لنفي رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

[الرد على الدليل الأول وهو دليل الموانع]

١ - **قال الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ)**: لا نسلم أن عند حصول الشرائط الثمانية يجب حصول الإبصار، ويدل على أنه غير واجب عقلا وجهان:

أولا: أنا نرى الجسم الكبير من البعد صغيرا وإن رأينا جميع أجزائه، وجب أن لا نراه صغيرا، بل كبيرا، وإن لم نر شيئا من أجزائه وجب ألا نراه البتة. وإن رأينا بعض أجزائه دون البعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى "القرب والبعد واللطافة والكثافة وعدم الحجاب وسلامة الحاسة

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٤٨ - ٢٤٩) والأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٧ - ٢٩٨).

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٨).

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٩٨) والتمهيد للباقلاني (ص ٢٧٨).

وصحة الرؤية" متساوية لزم أن لا يكون الإدراك مع حصول هذه الشروط متساويا.

ولا يقال: إنا إذا أبصرنا شيئا اتصل بطرفيه من العين خطان شعاعيان كساقي المثلث، وصار عرض المرئي كمالخط الثالث، فحصل هناك مثلث، ثم يخرج من نقطة الناظر خط آخر إلى وسط المرئي قائم عليه، يقسم ذلك المثلث الأول إلى مثلثين، وكل واحد منهما مثلث قائم الزاوية، وهذا يصلح أن يكون وترا لكل واحد من الزاويتين الحادتين الواقعتين على طرفي المثلث الأول الكبير، والخطان الطرفيان كل واحد منهما وتر للزاويتين القائمتين، ولا شك أن وتر القائمة أعظم من وتر الحادة، فالخطان الطرفيان كل واحد منهما أطول من الخط الوسطي، وإذا كان ذلك كذلك لم تكن أجزاء المرئي بالنسبة إلى الرائي متساوية في القرب والبعد، لأنا نقول: لنفرض أن هذا التفاوت واقع بمقدار شبر، فلو كان المانع من الرؤية هذا القدر من التفاوت في البعد لكنا إذا جعلنا المرئي أبعد مما كان قبل ذلك بمقدار شبر وجب أن لا نراه البتة، لكنا نراه، فعلمنا أنه ليس السبب في عدم رؤية بعض الأجزاء ذلك القدر من التفاوت في البعد"(١)

فإن قيل: لا يلزم من رؤيتنا جميع أجزائه أن نراه كبيرا، وإنما يلزم ذلك أن لو كانت رؤيته صغيرا وكبيرا بحسب رؤية الأجزاء وعدمها وهو ممنوع.

قلنا: وضعفه ظاهر بناء على تركب الأجزاء التي لا تتجزأ، إذ على هذا التقدير إن رأى الأجزاء كلها وجب أن يرى الجسم كما هو في الواقع سواء كان قريبا أو بعيدا، وذلك لأن الرؤية لكل منها أو بعضها أصغر مما هو عليه توجب الانقسام فيما لا يتجزأ لثبوت ما هو أصغر منه، ورؤية كل من الأجزاء أكبر مما هو عليه بمثل أو بأزيد منه توجب ألا يرى إلا ضعفا أو أكبر من ذلك، وهو باطل قطعا، ورؤيته أكبر بأقل من مثل توجب الانقسام، ورؤية بعضها على ما هو عليه بعضها أكبر بمثل توجب ترجيحا بلا مرجح، فوجب أن يرى الكل على حاله،

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠١ - ٣٠٢).

فلا تفاوت حينئذ بالصغر والكبر، فتعين أن يكون التفاوت بحسب رؤية بعض دون بعض"(١)

ثانيا: إذا نظرنا إلى مجموع كف من التراب، رأيناه وذلك الكيف من التراب عبارة عن مجموع تلك الذوات وتلك الأجزاء الصغيرة، فإما أن يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات مشروطا بإدراك الآخر فيلزم الدور؟ وإما أن لا يكون إدراك شيء منها مشروطا بإدراك الآخر وحينئذ يكون إدراك كل واحد من تلك الذوات حالتي الاجتماع والانفراد على السوية؟ مع أنا نراها حال الاجتماع ولا نراها حال الانفراد، وحينئذ لا يكون الإدراك واجب الحصول عند حصول تلك الشرائط، وإما أن يكون إدراك البعض مشروطا بإدراك الباقي ولا ينعكس، وهذا محال، ومع أنه محال فالمقصود حاصل.

أما أنه محال: فلأن الأجزاء متساوية فيكون هذا مفتقرا إلى ذلك، مع أن ذلك غني عن هذا، وهذا ترجيح من غير مرجح وهو محال، وأما أن المقصود حاصل، فلأن إدراك أحد تلك الأجزاء إذا كان غنيا عن إدراك الآخر كان حاله عند الاجتماع وعند الانفراد في صحة الإدراك على السوية، وحينئذ يعود المحذور، فهذان برهانان قويان في بيان أنه عند حصول هذه الشرائط فالإدراك غير واجب الحصول.

وقولهم: لو لم يجب الإدراك لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وبوقات ونحن لا نراها ولا نسمعها. (٢)

قلنا: هذا معارض بجملة العاديات، فإن الأمور العادية تجوز نفائضها مع جزمنا بعدم وقوعها، ولا سفسطة هاهنا، فكذا الحال في الجبال الشاهقة التي لا نراها، فإنا نجوز وجودها ونجزم بعدمها؛ وذلك لأن الجواز لا يستلزم الوقوع ولا ينافي الجزم بعدمه، فمجرد تجويزها لا يكون سفسطة.

ثم نقول: إن كان مأخذ الجزم بعدم الجبل المذكور ما ذكرتم من وجوب الرؤية عند اجتماع شرائطها لوجب أن لا نجزم به إلا بعد العلم بهذا، واللازم باطل؛ لأنه لا يجزم به من لا يخطر

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٢-١٥٣) باختصار.

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

بباله هذه المسألة؛ ولأنه ينجر إلى أن يكون ذلك الجزم نظريا مع اتفاق الكل على كونه ضروريا.(١)

سلمنا أنه عند حضور هذه الشرائط في الشاهد يكون الإدراك واجب الحصول، فلم قلتم: أن في حق الله تعالى يجب أن يكون كذلك؟ وتحقيقه هو: أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب استواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشاهد عند حضور هذه الشرائط كونه واجبا في الغائب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية، وفي الغائب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشاهد واجب الحصول، وفي الغائب لا يكون واجبا"(٢)

٢ – أن قولكم: إثبات الرؤية يستلزم إثبات الجسمية، وهذا منتف عن الله تعالى، غير صحيح، فلا يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجسمية، ثم إن لفظ الجسم لم يرد في الشرع لا نفيا ولا إثباتا.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "نفاة الرؤية –من الجهمية والمعتزلة وغيرهم– إذا قالوا: إثباتها يستلزم أن يكون الله جسما، وذلك منتف، وادعوا أن العقل دل على المقدمتين، احتيج حينئذ إلى بيان بطلان المقدمتين، أو إحداهما، فإما أن يبطل نفس التلازم، أو نفي اللازم، أو المقدمتان جميعا.

وهنا افترقت طرق مثبتة الرؤية: فطائفة نازعت في الأولى، كالأشعري وأمثاله –وهو الذي حكاه الأشعري عن أهل الحديث وأصحاب السنة– وقالوا: لا نسلم أن كل مرئي يجب أن يكون جسما.

فقالت النفاة: لأن كل مرئي في جهة، وما كان في جهة فهو جسم. فافترقت نفاة الجسم على قولين: طائفة قالت: لا نسلم أن كل مرئي يكون في جهة، وطائفة قالت: لا نسلم أن

(١) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

كل ما كان في جهة فهو جسم. فادعت نفاة الرؤية أن العلم الضروري حاصل بالمقدمتين، وأن المنازع فيهما مكابر.

وهذا هو البحث المشهور بين المعتزلة والأشعرية، فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي.

وطائفة نازعت في المقدمة الثانية -وهي انتفاء اللازم- وهي كالهشامية والكرامية وغيرهم، فأخذت المعتزلة وموافقوهم يشنعون على هؤلاء، وهؤلاء وإن كان في قولهم بدعة وخطأ، ففي قول المعتزلة من البدعة والخطأ أكثر مما في قولهم.

ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلا يلتزم لفظا بدعيا، ولا يخالف دليلا عقليا ولا شرعيا، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمة الذين لا يوافقون على إطلاق الإثبات ولا النفي، بل يقولون: ما تعنون بقولكم: إن كل مرئي جسم؟

فإن فسروا ذلك: بأن كل مرئي يجب أن يكون قد ركبه مركب، أو أن يكون كان متفرقا فاجتمع، أو أنه يمكن تفريقه، ونحو ذلك، منعوا هم المقدمة الأولى، وقالوا: هذه السموات مرئية مشهودة، ونحن لا نعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة، وإذا جاز أن يرى ما يقبل التفريق فيما لا يقبله أولى بإمكان رؤيته، فالله تعالى أحق بأن تمكن رؤيته من السموات ومن كل قائم بنفسه، فإن المقتضي للرؤية لا يجوز أن يكون أمرا عدميا، بل لا يكون إلا وجوديا، وكلما كان الوجود أكمل كانت الرؤية أجوز.

وإن قالوا: "مرادنا بالجسم المركب أنه مركب من الجواهر المنفردة، أو من المادة والصورة"، نازعوهم في هذا، وقالوا: دعوى كون السموات مركبة من جواهر منفردة، أو من مادة وصورة دعوى ممنوعة أو باطلة، وبينوا فساد قول من يدعي هذا، وقول من يثبت الجوهر الفرد أو يثبت المادة والصورة، وقالوا: إن الله خلق هذا الجسم المشهود هكذا، وإن ركبه ركبه من أجسام أخرى، وهو سبحانه يخلق الجسم من الجسم، كما يخلق الإنسان من الماء المهين، وقد رب العظام في مواضعها من بدن ابن آدم، وركب الكواكب في السماء، فهذا معروف.

وأما أن يقال: "إنه خلق أجزاء لطيفة لا تقبل الانقسام ثم ركب منها العالم"، فهذا لا يعلم بعقل ولا سمع، بل هو باطل؛ لأن كل جزء لا بد أن يتميز منه جانب عن جانب، والأجزاء المتصاغرة كأجزاء الماء تستحيل عند تصغرها، كما يستحيل الماء إلى الهواء، مع أن المستحيل يتميز بعضه عن بعض.

والأدلة العقلية بينت جواز الرؤية وإمكانها، وليست العمدة على دليل الأشعري ومن وافقه في الاستدلال؛ لأن المصحح للرؤية مطلق الوجود.

وإن قالوا: "مرادنا أن المرئي لا بد أن يكون معاينا تجاه الرائي، وما كان كذلك فهو جسم"، ونحو هذا الكلام، قالوا لهم: الصادق المصدوق ﷺ قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"، وقال: "هل تضامون في رؤية الشمس صحوة ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فهل تضامون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر".

وهذا تشبيه للرؤية، لا للمرئي بالمرئي، وفي لفظ في الصحيح: "إنكم ترون ربكم عيانا" فإذن قد أخبرنا أنا نراه عيانا.

وقد أخبرنا أيضا أنه قد: "استوى على العرش" فهذه النصوص يصدق بعضها بعضا، والعقل أيضا يوافقها، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته فوق سماواته، وأن وجود موجود لا مباين للعالم ولا محايث له محال في بديهة العقل، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعاني فهذا حق، وإذا سميتم أنتم هذا قولا بالجهة وقولا بالتجسيم لم يكن هذا القول نافية لما علم بالشرع والعقل، إذ كان معنى هذا القول –والحال هذه– ليس منتفيا لا بشرع ولا عقل"(١)

[الرد على الدليل الثاني وهو دليل المقابلة]

قال الرازي: الجواب عنها من وجهين:

الأول: أن ذكر الدلائل لا بد أن يكون مسبوقا بتعيين محل النزاع، فنقول: محل النزاع: أن

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٥٠ – ٢٣٥) بتصرف يسير.

الموجود المنزه عن المكان والجهة هل تجوز رؤيته أم لا؟ فإن ادعيتم أن العلم بامتناع رؤيته ضروري [١] فذلك باطل من وجوه:

الأول: أن البديهي متفق عليه بين العقلاء، وهذا غير متفق عليه فلا يكون بديهيا.

الثاني: أنا إذا عرضنا على عقولنا رؤية هذا الموجود، بالتفسير الذي لخصناه، وعرضنا على عقولنا: أن الواحد نصف الإثنين لم نجد القضية الأولى في قوة هذه الثانية.

الثالث: أن حكم الوهم والخيال في معرفة الله تعالى: إما أن يكون مقبولا أو لا يكون مقبولا، فإن كان مقبولا لا يمتنع إثبات ذات منزهة عن الكمية والكيفية والجهة، والمعتزلي يسلم أن ذلك باطل، وإن لم يكن مقبولا لم يكن حكم الوهم بأن ما كان منزها عن الجهة، كان غير مرئي واجب القبول؛ لأن الوهم والخيال لما صار كل واحد منها مردود الحكم في بعض الأحكام لم يبق الاعتماد عليها في شيء من المواضع.

وبالجملة: فإن كان حكم الوهم حقا كان الحق مع المجسم، وإن كان مردودا كان الحق معنا، أما المعتزلي: فإنه يرد حكمه في إثبات الجسم والجهة، ويقبل حكمه في مسألة الرؤية، فكان كلامه متناقضا.

فثبت بما ذكرنا: أن من نفى الرؤية بالوجه الذي ذكرناه لا بد وأن يعول في نفيها على الدليل لا على ادعاء الضرورة. [٢]

وإن ادعيتم أن هذا العلم استدلالي فلا بد فيه من الدليل، وقولكم: "إن كل مرئي لا بد وأن يكون مقابلا" يقرب من أنه إعادة للدعوى؛ لأن المقابل هو الذي يكون مختصا بجهة قدام الرائي، فكأنكم قلتم: "الدليل على أن ما لا يكون في الجهة لا يكون مرئية هو أن كل ما كان مرئية يكون في الجهة"والمنطقيون يسمون هذه القضية الثانية عكس نقيض القضية الأولى، وفي الحقيقة لا فرق بين القضيتين في الظهور والخفاء، فلم يجز جعل أحدهما حجة في صحة الأخرى،

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٦٧ - ٢٦٨).

بل يقرب هذا من أن يكون إعادة المطلوب بعبارة أخرى.

والوجه الثاني في الجواب: ثبت أن المقابلة شرط للرؤية في الشاهد، فلم قلتم: إنه في الغائب كذلك؟ وتقريره: ما ذكرناه في الجواب عن الشبهة الأولى (١)، هو أن ذات الله تعالى مخالفة بالحقيقة والماهية لهذه الحوادث، والمختلفان في الماهية لا يجب استواؤهما في اللوازم، فلم يلزم من كون الإدراك واجبا في الشاهد عند حضور هذه الشرائط كونه واجبا في الغالب عند حضورها، ومما يدل عليه: أن الإدراك في الشاهد مشروط بشرائط ثمانية هي: سلامة الحاسة، وكون الشيء بحيث أن يكون جائز الرؤية، وأن لا يكون في غاية البعد، وأن لا يكون في غاية القرب، وأن يكون مقابلا للرائي أو في حكم المقابل، وأن لا يكون في غاية اللطافة، وأن لا يكون بين الرائي والمرئي حجاب، وأن لا يكون في غاية الصغر، فلا يمكن اعتبار هذه الشرائط في رؤيته. (٢)

وفي الغالب نقطع بأنه لا يمكن اعتباره، فكذلك لا يمتنع أن يكون الإدراك في الشاهد واجب الحصول، وفي الغائب لا يكون واجبا. (٣)

وتمام الكشف والتحقيق: أنا ذكرنا في المقدمات: أن المراد من الرؤية أن يحصل لنا انكشاف بالنسبة إلى ذاته المخصوصة، وهو يجري مجرى الانكشاف الحاصل عند إبصار الألوان والأضواء، وإذا كان الأمر كذلك فإذا الانكشاف يجب أن يكون على وفق المكشوف، فإن كان المكشوف مخصوصا بالجهة والحيز: وجب أن يكون الانكشاف كذلك، وإن كان المكشوف منزها عن الجهة: وجب أن يكون انكشافه منزها عن الحيز والجهة"(٤).

وهذا الجواب السابق مع ما فيه من حق إلا أنه اشتمل على باطل وهو: أن الجواب عن دليل المعتزلة بتسليم نفي الجهة والمقابلة عن الله تعالى باطل؛ لأن إثبات رؤية حقيقية بالأبصار

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤).

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣).

(٤) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، وشرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٥).

عيانا من غير مقابلة أو جهة مكابرة عقلية، لأن الجهة من لوازم الرؤية وإثبات الملزوم ونفي اللازم مغالطة ظاهرة.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "يقال: هذا المنكر للرؤية المستدل على نفيها بانتفاء لازمها وهو الجهة: قولك ليس في جهة، وكل ما ليس في جهة لا يرى، فهو لا يرى، وهكذا جميع نفاة الحق ينفونه لانتفاء لازمه في ظنهم، فيقولون لو رئي للزم كذا، واللازم منتف فينتفي الملزوم.

والجواب العام لمثل هذه الحجج الفاسدة: بمنع إحدى المقدمتين: إما معينة وإما غير معينة، فإنه لا بد أن تكون إحداهما باطلة أو كلتاهما باطلة، وكثيرا ما يكون اللفظ فيها مجملا يصح باعتبار ويفسد باعتبار، وقد جعلوا الدليل هو ذلك اللفظ المجمل، ويسميه المنطقيون الحد الأوسط، فيصح في مقدمة بمعنى، ويصح في الأخرى بمعنى آخر، ولكن اللفظ مجمل، فيظن الظان لما في اللفظ من الإجمال وفي المعنى من الاشتباه أن المعنى المذكور في هذه المقدمة هو المعنى المذكور في المقدمة الأخرى، ولا يكون الأمر كذلك.

مثال ذلك في مسألة الرؤية أن يقال له: أتريد بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإذا أردت به أمرا وجوديا كان التقدير: كل ما ليس في شيء موجود لا يرى. وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة فإن سطح العالم يمكن أن يرى وليس العالم في عالم آخر.

وإن أردت بالجهة أمرا عدميا كمانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه ليس بجهة بهذا التفسير.

وهذا مما خاطبت به غير واحد من الشيعة والمعتزلة فنفعه الله به، وانكشف بسبب هذا التفصيل ما وقع في هذا المقام من الاشتباه والتعطيل وكانوا يعتقدون أن ما معهم من العقليات النافية للرؤية قطعية لا يقبل في نقيضها نص الرسل، فلما تبين لهم أنها شبهات مبنية على

ألفاظ مجملة ومعان مشتبهة، تبين أن الذي ثبت عن الرسول هو الحق المقبول"(١)

وقال أيضا: "يقال لهم: ما تعنون بأن هذا إثبات للجهة والجهة ممتنعة؟ أتعنون بالجهة أمرا وجوديا أو أمرا عدميا؟

فإن أردتم أمرا وجوديا. وقد علم أنه ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والله فوق سماواته بائن من مخلوقاته، لم يكن. والحالة هذه في جهة موجودة، فقولكم: إن المرئي لا بد أن يكون في جهة موجودة قول باطل، فإن سطح العالم مرئي، وليس هو في عالم آخر.

وإن فسرتم الجهة بأمر عدمي كما تقولون: إن الجسم في حيز، ولا حيز تقدير مكان، وتجعلون ما وراء العالم حيزا.

فيقال لكم: الجهة. والحيز. إذا كان أمرا عدميا فهو لا شيء، وما كان في جهة عدمية أو حيز عدمي، فليس هو في شيء، ولا فرق بين قول القائل: هذا ليس في شيء وبين قوله: هو في العدم أو أمر عدمي فإذا كان الخالق تعالى مباينا للمخلوقات عاليا عليها، وما ثم موجود إلا الخالق أو المخلوق، لم يكن معه غيره من الموجودات، فضلا عن أن يكون هو سبحانه في شيء موجود يحصره أو يحيط به.

فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بما فيه معني باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حق وباطلا نسبوه إلى البدعة أيضا، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، وردة باطلا بباطل"(٢)

[الرد على الدليل الثاني والثالث]

أن نمنع كون الرؤية بالانطباع إما مطلقا أو في الغائب لاختلاف الرؤيتين. (٣).

ونقول أيضا: أن الرؤية عبارة عن الانكشاف التام، فإن كان الشيء له صورة كان انكشافه

---

(١) انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٥٣ - ٢٥٤) ومنهاج السنة النبوية له أيضا (٢/ ٣٤٨ - ٣٤٩).

(٣) انظر: شرح للمواقف للجرجاني (٨/ ١٥٥).

بانكشاف صورته ولونه، وإن كان منزها عن الصورة واللون كان انكشافه كذلك أيضا؛ لأن شرط الانكشاف أن يحصل على وفق ماهية المكشوف. (١)

والحكم بأن المرئي لابد وأن تنطبع صورته ومثاله في العين، وأنه لا بد وأن يكون ذا لون وشكل مبني على أن هذه الأشياء المشاهدة المحسوسة لا ترى إلا كذلك، ثم قالوا: "لو صح أن يرى الله فلا يرى إلا كذلك" وهو ممنوع في حقه تعالى، والحق أنه تحكم محض وقياس للخالق على المخلوق، وهو باطل قطعا؛ لأنه قياس مع الفارق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبهه شيء من خلقه، فلا يصح قياسه عليه. قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: الآيات: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: الآية: ١١]. (٢)

خامسًا: الأدلة العقلية للأشاعرة القائلين بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة على جواز رؤية الله تعالى بأدلة عقلية، وهي:

١ - دليل الوجود: وهو أن كل موجود مرئي سواء أمكن مشاهدته أم لم يمكن.

قال الجويني: "الدليل على جواز الرؤية عقلا أن الرب-عز وجل-موجود، وكل موجود مرئي" (٣) ويدخل في ذلك جميع الموجودات كالأصوات، والروائح، والملموسات، والطعوم. (٤)

٢ - معنى الرؤية ومفهوما والمراد بها. وجميع ذلك هو حقيقة الرؤية.

قال الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ): "لا حقيقة لها إلا أنها نوع إدراك هو كمال ومزيد كشف بالاضافة إلى التخيل، إلا أن هذا الكمال في الكشف غير مبذول في هذا العالم، والنفس في شغل البدن وكدورة صفائه، فهو محجوب عنه. وكما لا يبعد أن يكون الجفن أو الستر أو

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين الرازي (١/ ٣٠٤).

(٢) انظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها لأحمد بن ناصر آل حمد (ص: ٧٢).

(٣) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة للجويني (ص: ١١٥).

(٤) انظر: شرح المواقف للجرجاني (ص: ١٣٩).

سواد ما في العين سببا بحكم اطراد العادة الامتناع الإبصار للمتخيلات فلا يبعد أن تكون كدورة النفس وتراكم حجب الأشغال بحكم اطراد العادة مانعا من إبصار المعلومات. فإذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، وزكيت القلوب بالشراب الطهور، وصفيت بأنوع التصفية والتنقية، لم يمتنع أن تشتغل بسببها لمزيد استكمال واستيضاح في ذات الله سبحانه أو في سائر المعلومات، يكون ارتفاع درجته عن العلم المعهود كارتفاع درجة الإبصار عن التخيل، يعبر عن ذلك بلقاء الله تعالى ومشاهدته، أو رؤيته، أو إبصاره، أو ما شئت من العبارات. فلا مشاحة فيها وبعد إيضاح المعاني. وإذا كان ذلك ممكنا بأن خلقت هذه الحالة في العين، كان اسم الرؤية بحكم وضع اللغة عليه أصدق وخلقه في العين غير مستحيل. كما أن خلقها في القلب غير مستحيل فإذا فهم المراد بها أطلقه أهل الحق من الرؤية، علم أن العقل لا يحيله، بل يوجبه، وأن الشرع قد شهد له فلا يبقى للمنازعة وجه إلا على سبيل العناد أو المشاحنة في إطلاق عبارة الرؤية أو القصور عن درك هذه المعاني الدقيقة التي ذكرناها"[١].

٣ – أن كل مرئي فهو في جهة، وهذا إنما هو حكم الشاهد لا حكم الغائب، وهذا الموضع ليس من المواضع التي يجب فيها نقل حكم الشاهد إلى الغائب، وإنه جائز أن يرى الإنسان ما ليس في جهة، إذا كان جائزا أن يرى الإنسان بالقوة المبصرة نفسها دون عين. [٢]

٤ – أنه يمكن رؤية ما ليس في جهة، ومن أنكر ذلك فلا يقدر على انكار رؤية الإنسان نفسه في المرآة، ومعلوم أنه ليس في مقابلة نفسه. [٣]

٥ – أن رؤية غير الأجسام ممكنة وذلك لما يلي:

الأول: أن الشيء لا يخلو أن يرى من جهة ما هو ملون، أو من جهة أنه جسم، أو من جهة أنه لون، أو من جهة أنه موجود، وربما من جهات أخر غير هذه الموجودة، وباطل أن يرى من قبل أنه جسم؛ إذ لو كان ذلك كذلك لما رئي ما هو غير جسم، وباطل أن يرى من

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ٤٥-٤٦) باختصار.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٩).

(٣) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص: ٤٣).

قبل أنه ملون؛ إذ لو كان كذلك لمارئي اللون، وباطل أن يرى لمكان أنه لون؛ إذ لو كان ذلك كذلك لمارئي الجسم، وإذا بطلت جميع هذه الأقسام التي تتوهم في هذا الباب فلم يبق أن يرى الشيء إلا من قبل أنه موجود.

الثاني: أن الحواس إنما تدرك ذوات الأشياء وما تنفصل به الموجودات بعضها من بعض، وهي أحوال ليست بذوات، فالحواس لا تدركها وإنما تدرك الذات، والذات هي نفس الوجود المشترك لجميع الموجودات، فإذا: الحواس إنما تدرك الشيء من حيث هو موجود. (١)

سادسًا: الرد على أدلة الأشاعرة العقلية القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

[الرد على الدليل العقلي الأول]

أن قولهم: "أن كل موجود يري" غير صحيح، حيث جعلوا ذلك عاما لكل موجود كالأصوات والروائح والطعوم وغيرها، وهذه مكابرة للعقل، ومناقضة للواقع.

فإن المعاني ونحوها لا يمكن رؤيتها، ومن زعم ذلك فقد قال بالمحال، والتخبط في المقال، وقد اعترف كبار الأشاعرة المخالفين للأشعري نفسه بعدم صحة هذا الدليل، وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "اعلم أن جمهور الأصحاب عولوا في إثبات أنه تعالى يصح أن يرى على دليل الوجود، وأما نحن فعاجزون عن تمشيه، ونحن نذكر ذلك الدليل، ثم نوجه عليه ما عندنا من الاعتراضات"(٢)

وقد اعترف الرازي بعد إيراده للاستشكالات والاعتراضات على دليل الوجود بعجزه عن الجواب عنها فقال: "فهذا ما عندي من الأسئلة في هذا الدليل، وأنا غير قادر على الأجوبة عنها. . . اعلم أن الدليل العقلي المعول عليه في هذه المسألة هذا الذي أوردناه وأوردنا عليه

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص: ١٨٧-١٨٩) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٤٢ و٤٤٥) ودرء تعارض العقل والنقل له (٦/ ٢٣٠ - ٢٣٣).

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٦٨).

هذه الاسئلة واعترفنا بالعجز عن الجواب عنها"(١)

وقال أيضا: "ثبت أن صحة الرؤية حكم مشترك فيه بين الجواهر والأعراض والحكم المشترك فيه لا بد له من علة مشتركة فيها والمشترك بين الجوهر والعرض إما الحدوث أو الوجود والحدوث لا يصلح للعلية لأن الحدوث عبارة عن وجود بعد عدم والقيد العلمي لا يصلح للعلية فوجب أن تكون العلة هي الوجود والله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته، وهذا عندي ضعيف"(٢)

ولذلك توقف الرازي في القول بالدليل العقلي لعدم صحته عنده وعدم سلامته من الاعتراضات والإشكالات.

قال في كتابه المطالب العالية: "الدلائل التي تمسك بها نفاة الرؤية في غاية الضعف والسقوط، وأما مثبتوا الرؤية فقد عولوا على أن قالوا: "الله تعالى موجود، وكل موجود فإنه تصح رؤيته" ودليلهم في الإثبات: أن كل موجود تصح رؤيته، قد ذكرناه في أحكام الموجودات، وأوردنا عليه اعتراضات قوية لا يمكن دفعها البتة، وإذا عرفت ضعف دلائل الفريقين فنقول: بقي هذا البحث في محل التوقف"(٣)

وقال الشهرستاني–رحمه الله–(ت: ٥٤٨ هـ): "وأما جواز الرؤية فالمسلك العقلي ما ذكرناه وقد وردت عليه تلك الإشكالات ولم تسكن النفس في جوابها كل السكون ولا تحركت الأفكار العقلية الى التفصي عنها كل الحركة"(٤)

وقال الآمدي–رحمه الله–(ت: ٦٣١ هـ): "والواجب البداية بتقديم النظر في طرف الجواز العقلي أولا ثم في وقوعه شرعا ثانيا، وقد سلك المتكلمون في ذلك ومن أهل الحق مسالك لا تقوى: المسلك الأول: وهو ما اشتهر من قولهم: الرؤية تتعلق بالموجودات المختلفة كالجواهر

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ٢٧٧).

(٢) انظر: معالم أصول الدين للرازي (ص: ٢٦٨).

(٣) انظر: المطالب العالية للرازي (٢/ ٨٧).

(٤) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (ص: ٣٢٩) وغاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص: ١٦٢).

والأعراض. . . " ثم قال عن هذا الدليل: "ومن نظر بعين التحقيق علم أن المتعلق به منحرف عن سواء الطريق"(١)

وقال أيضا: "ولما تخيل بعض الأصحاب زيغ هذه الطريقة عن الصواب انتهج منهجا آخر فقال: إن الجواهر والأعراض متعلق الرؤية، ولا محالة أن بينهما اتفاقا وافتراقا. . . وهذا الإسهاب أيضا مما لا يشفي غليلا"(٢)

وقال أيضا: "لو سلم أن ما وقع به الافتراق لا يصلح أن يكون مصححا فإن المصحح لا بد وأن يكون أمرا مشتركا فلا بد من بيان أنه لا مشترك إلا "الوجود" والا فمع جواز القول باشتراكها في معنى آخر غير الوجود فيجوز أن يكون هو المصحح أو داخلا في المصحح، وعند ذلك فلا يلزم جواز تعلق الرؤية بواجب الوجود؛ لجواز أن يكون المصحح غير شامل له كما في الوجود، وذلك لا دليل عليه غير البحث والسبر وهو ما لا يرقى إلى ذروة اليقين بل لعله مما يقصر عن إفادة الظن والتخمين. . . ثم إنه لو قدر أنه لا مشترك إلا الوجود فلا بد من بيان أن وجود واجب الوجود مجانس للوجود الذي هو متعلق الرؤية شاهدا حتى يلزم تعلق الرؤية به وذلك مما يعز ويشق جدا"(٣)

وقال في ختام إيراده للاستشكالات والاعتراضات: "وعلى الجملة فلسنا نعتمد في هذه المسألة على غير المسلك العقلي الذي أوضحناه؛ إذ ما سواه لا يخرج عن الظواهر السمعية والاستبصارات العقلية، وهي مما يتقاصر عن إفادة القطع واليقين، فلا يذكر إلا على سبيل التقريب واستدراج قانع بها إلى الإعتقاد الحقيقي، إذ رب شخص يكون انقياده إلى ظواهر الكتاب والسنة واتفاق الأمة اتم من انقياده إلى المسالك العقلية والطرق اليقينية خشونة معركها وقصوره عن مدركها"(٤)

---

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص: ١٤٢-١٤٣).

(٢) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص: ١٤٤-١٤٥).

(٣) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص: ١٤٧).

(٤) انظر: نفس المصدر (ص: ١٥٤).

[الرد على الدليل العقلي الثاني]

١ - أن قولهم: "بأن الرؤية هي زيادة علم وكشف"هو نفس قول المعتزلة المنكرين للرؤية، فلا فرق بينهم في ذلك.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أئمة أصحاب الأشعري المتأخرين لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة أو قريب منه وفسروها بزيادة العلم كما يفسرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع والمعلوم جوازها بدلائل المعقول، بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن تعلقها به"(١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "نفاة الرؤية من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة يتأولون النصوص فيها تارة برؤية أفعال الله، وتارة برؤية القلب الذي هو زيادة العلم"(٢)

وقد اعترف بهذا كبار حذاق المتكلمين الأشعرية، وأن قولهم هو نفس قول المعتزلة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "وهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية وقالوا: قولنا هو قول المعتزلة في الباطن؛ فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا ننازع فيه المعتزلة"(٣)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "فلهذا صار الحذاق من متأخري الأشعرية على نفي الرؤية وموافقة المعتزلة، فإذا أطلقوها موافقة لأهل السنة فسروها بما تفسرها به المعتزلة، وقالوا: النزاع بيننا وبين المعتزلة لفظي"(٤)

٢ - أن تحريفكم لمعنى الرؤية بالكشف وزيادة العلم قول مبتدع لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها، وهو خلاف ما نقل عن الصادق المصدوق-صلى الله عليه وسلم-حينما أخبرنا عن

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥) باختصار..
(٢) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ٧٣).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٨٥).
(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٥٠).

رؤية الله تعالى فقال: "إنكم سترون ربكم عيانا"(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "وأما دعواه ودعوى غيره من الجهمية من المعتزلة ونحوهم أن الرؤية التي أخبر بها الرسول مزيد علم فمن سمع النصوص علم بالاضطرار أن الرسول إنما أخبر برؤية المعاينة، وأيضا فإن أدلة المعقول الصريحة تجوز هذه الرؤية"(٢)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "أما إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة فهو قول سلف الأمة وأئمتها، وجماهير المسلمين من أهل المذاهب الأربعة وغيرها، وقد تواترت فيه الأحاديث عن النبي ﷺ عند علماء الحديث، وجمهور القائلين بالرؤية يقولون: يرى عيانا مواجهة، كما هو المعروف بالعقل"(٣)

[الرد على الدليل العقلي الثالث]

١ – نقول لهم: تفريقكم في نقل حكم الشاهد إلى الغائب بين الرؤية وبين غيرها من الصفات تفريق بين متماثلين، فكما نقلتم حكم الشاهد إلى الغائب في صفة الحياة والعلم، فكذلك يلزمكم في الرؤية.

وهؤلاء اختلط عليهم إدراك العقل مع إدراك البصر، فإن العقل هو الذي يدرك ما ليس في جهة –أعني في مكان– وأما إدراك البصر فظاهر من أمره أن من شرطه أن يكون المرئي منه في جهة –أعني في مكان– ولا في كل جهة فقط بل في جهة ما مخصوصة، ولذلك ليس تتأتى الرؤية بأي وضع اتفق أن يكون البصر من المرئي، بل بأوضاع محدودة وشروط محدودة أيضا، وهي ثلاثة أشياء: "حضور الضوء، والجسم الشفاف المتوسط بين البصر والمبصر، وكون المبصر ذا ألوان ضرورة"، والرد هذه الأمور المعروفة بنفسها في الأبصار هو رد للأوائل المعلومة بالطبع للجميع، وإبطال لجميع علوم المناظر والهندسة، وقد قال القوم –أعني الأشعرية–: "إن أحد المواضع التي يجب أن ينقل فيها حكم الشاهد إلى الغائب هو الشرط، مثل: حكمنا أن

---

(١) أخرجه البخاري (رقم: ٧٤٣٥).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٥٢).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/ ٣٤١).

كل عالم حي؛ لكون الحياة تظهر من الشاهد شرطا في وجود العالم"،وإن كان كذلك قلنا لهم: وكذلك يظهر في الشاهد أن هذه الأشياء هي شروط في الرؤية فألحقوا الغائب منها بالشاهد على أصلكم. (١)

٢ – أن قولكم: "جائز أن يرى الإنسان ما ليس في جهة" هذا إنما يكون متصورا في العقول، أما في الخارج فلا يوجد مرئي إلا وهو في جهة.

٣ – يقال لهم: قولكم: "ما ليس في جهة" هذا اللفظ قول مبتدع لم يرد به الشرع إثباتا ولا نفيا، ثم ماذا تقصدون به؟ إن قصدتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه فقد قلتم الباطل والمحال، وإن قصدتم أنه ليس فوق العرش إله فقد جحدتم رب العالمين، وإن قصدتم أنه بذاته في كل مكان فقد قلتم قولا أعظم من قول النصاري في عيسى–عليه السلام–، وإن قصدتم أنه تعالى لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصابتم المعنى وأخطأتم في استعمال اللفظ.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "من قال: إن الله ليس في جهة، قيل له: ما تريد بذلك؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد، ولا على العرش إله، ومحمد لم يعرج به إلى الله تعالى، والأيدي لا ترفع إلى الله تعالى في الدعاء، ولا تتوجه القلوب إليه، فهذا فرعوني معطل جاحد لرب العالمين.

وإن كان معتقدا أنه مقر به، فهو جاهل متناقض في كلامه. ومن هنا دخل أهل الحلول والاتحاد كابن عربي، وقالوا: إن الله بذاته في كل مكان، وأن وجود المخلوقات هو وجود الخالق.

وإن قال: مرادي بقولي: "ليس في جهة" أنه لا تحيط به المخلوقات، بل هو بائن عن المخلوقات، فقد أصاب في هذا المعنى.

وكذلك من قال: إن الله متحيز، أو قال: ليس بمتحيز، إن أراد بقوله: "متحيز" أن المخلوقات تحوزه وتحيط به فقد أخطأ. وإن أراد أنه منحاز عن المخلوقات لا تحويه فقد

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص: ١٨٦) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٣٩ – ٤٤٠) والدرء له أيضا (٦/ ٢٢٩).

أصاب. وإن أراد: ليس ببائن عنها، بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد أخطأ.

والناس في ذلك ثلاثة أصناف: أهل الحلول والاتحاد، وأهل النفي والجحود، وأهل الإيمان، والتوحيد، والسنة.

فأهل الحلول يقولون: إنه بذاته في كل مكان، وقد يقولون بالاتحاد والوحدة، فيقولون: وجود المخلوقات وجود الخالق، كما هو مذهب **ابن عربي (ت: ٦٣٨ هـ)** صاحب "الفصوص" **وابن سبعين (ت: ٦٦٩ هـ)** ونحوهما.

وأما أهل النفي والجحود فيقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج عنه، ولا مباين له ولا حال فيه، ولا فوق العالم ولا فيه، ولا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء، ولا يتقرب إليه شيء، ولا يدنو منه شيء، ولا يتجلى الشيء ولا يراه أحد، ونحو ذلك.

وهذا قول متكلمة الجهمية، كما أن الأول قول عباد الجهمية. فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء، وكلاهما مرجعهم إلى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون"(١)

٤ – أن استلزام الرؤية لأن يكون الله بجهة من الرائي ثابت لا محذور فيه، فقد دل العقل الصريح والنقل الصحيح والقياس الصحيح وهو قياس التنبية وقياس الأولى على إثبات ذلك.

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "الوجه الثالث: أن كون الرؤية مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي أمر ثبت بالنصوص المتواترة وفيه مع إخباره أنهم يرونه إخبارهم أنه يرونه في جهة منهم من وجوه:

أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون بجهة منهم، فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه ولا يعرفونه فضلا عن أن يكون اللفظ يدل عليه.

ولست تجد أحدا من الناس يتصور وجود موجود في غير جهة، فضلا عن أن يتصور أنه يرى، فضلا عن أن يكون اسم الرؤية المشهورة في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة.

---

(١) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٢٠٣-٢٠٤).

الثاني: أنه شبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وليس ذلك تشبيها للمرئي بالمرئي، ومن المعلوم أنه إذا كانت رؤيته مثل رؤية الشمس والقمر وجب أن يرى في جهة من الرائي، كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية الشمس صحوة ورؤية البدر صحوة ويقول: "إنكم ترون ربكم كذلك" فهذا لا يمكن أن يتأول على الرؤية التي يزعمونها، فإن هذا اللفظ لا يحتملها لا حقيقة ولا مجازا.

الثالث: أنه شبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي، ومن يقول: "إنه يرى في غير جهة" يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم، إذ الحجاب لا يكون إلا لجسم، ولما يكون في جهة، وهم يقولون: "الحجاب عدم خلق الإدراك في العين"، والنبي ﷺ مثل رؤيته برؤية هذين النورين العظيمين إذا لم يكن دونها حجاب.

الرابع: أنه أخبر أنهم: **"لا يضارون في رؤيته"** وفي حديث آخر: **"لا يضامون"** ونفي الضير والضيم إنما يكون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلوم أنا يسمونه رؤية وهو "رؤية ما ليس بجهة" من الرائي لا فوقه ولا في شيء من جهاته لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية ما يواجه الرائي ويكون فوقه، فإنه قد يلحقه فيه ضيم وضير إما بالازدحام عليه أو كلال البصر لخفائه: كالهلال، وإما لجلائه: كالشمس والقمر.

الوجه الرابع: أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة"(١).

[الرد على الدليل العقلي الرابع]

أن قولهم ذلك مغالطة للواقع، فالمرآة في جهة الناظر إليها، وهو إنما ينظر إلى صورته فيها. فإن الذي يبصر هو خيال ذاته فقط، والخيال منه هو في جهة إذا كان الخيال في المرآة، والمرآة

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٣٢ - ٤٤٩) باختصار وتصرف.

في جهة. [١]

قال ابن القيم-رحمه الله-(ت: ٧٥١ هـ): "قال العقلاء هذا تلبيس فإنه إنما يرى خيال صورته وهو عرض منطبع في الجسم الصقيل وهو في جهة منه ولا يرى حقيقة صورته القائمة به"[٢].

[الرد على الدليل العقلي الخامس]

قولكم: أن رؤية غير الأجسام ممكنة، قول باطل مخالف للعقل الصريح والواقع، ومكابرة للمعقول والمحسوس.

فأما الوجه الأول في استدلالكم: فالمغالطة في هذا القول بينة؛ فإن المرئي منه ما هو مرئي بذاته ومنه ما هو مرئي من قبل المرئي بذاته، وهذه هي حال اللون والجسم، فإن اللون مرئي بذاته، والجسم مرئي من قبل اللون، ولذلك ما لم يكن له لون لم يبصر، ولو كان الشيء إنما يرى من حيث هو موجود فقط لوجب أن تبصر الأصوات وسائر المحسوسات الخمس، فكان يكون البصر والسمع وسائر الحواس الخمس حاسة واحدة، وهذا كله خلاف ما يعقل، وقد اضطر المتكلمون لمكان هذه المسألة وما أشبهها أن يسلموا أن الألوان ممكنة أن تسمع، والأصوات ممكنة أن ترى، وهذا كله خروج عن الطبع وعما يمكن أن يعقله الإنسان، فإنه من الظاهر أن حاسة البصر غير حاسة السمع، وأن محسوس هذه غير محسوس تلك، وأن آلة هذه غير آلة تلك، وأنه ليس يمكن أن ينقلب البصر سمعا، كما ليس يمكن أن يعود اللون صوتا، وعلى هذا فتكون الأشياء كلها شيئا واحدا حتى المتضادات، وهذا شيء فيها أحسب يسلمه المتكلمون من أهل ملتنا، أو يلزمهم تسليمه -يعني هؤلاء الأشعرية- وهو رأي سوفسطائي لأقوام قدماء مشهورين بالسفسطة.

وأما الوجه الثاني في استدلالكم: ففي غاية الفساد، ومن أبين ما يظهر به فساد هذا القول

---

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص: ١٨٧) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/ ٤٤١) والدرء له أيضا (٦/ ٢٣٠).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٣٣٣).

أنه لو كان البصر إنما يدرك الأشياء لوجودها لما أمكنه أن يفرق بين الأبيض والأسود؛ لأن الأشياء لا تفترق بالشيء الذي تشترك فيه، ولكان بالجملة لا يمكن في الحواس: لا في البصر أن يدرك فصول الألوان، ولا في السمع أن يدرك فصول الأصوات، ولا في الطعم أن يدرك فصول المطعومات، وللزم أن تكون مدارك المحسوسات بالحس واحدا، فلا يكون فرق بين مدرك السمع وبين مدرك البصر، وهذا كله في غاية الخروج عما يعقله الإنسان، والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعة في الشريعة حتى ألجأت القائمين بنصرتها في زعمهم إلى مثل هذه الأقاويل الهجينة التي هي ضحكة عند من عني بتمييز أصناف الأقاويل أدنى عناية، هو التصريح في الشرع بها لم يأذن الله ورسوله به، فإذا متى أخذ الشرع في أوصاف الله تعالى على ظاهره لم تعرض فيه هذه الشبهة ولا غيرها لأنه إذا قيل إنه نور وإن له حجابا من نور كما جاء في القرآن والسنن الثابتة ثم قيل إن المؤمنين يرونه في الدار الآخرة كما ترى الشمس لم يعرض في هذا شك ولا شبهة في حق الجمهور ولا في حق العلماء وذلك أنه قد تبرهن عند العلماء أن تلك الحال مزيد علم لكن متى صرح به للجمهور بطلت عندهم الشريعة كلها أو كفروا المصرح لهم بها، فمن خرج عن منهاج الشريعة في هذه الأشياء فقد ضل عن سواء السبيل"(١)

سابعًا: الأدلة الشرعية للأشاعرة القائلين: بأن الله تعالى يرى في غير جهة.

استدل الأشاعرة بالأدلة الواردة في القرآن والسنة على صحة رؤية الله تعالى في الآخرة، وإمكان وقوعها. ومع قولهم بصحة ذلك إلا أنهم قد حكموا بأن دلالتها على الرؤية ظنية وليست قطعية.

قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "المسألة العاشرة: قيل: الدلائل النقلية لا تفيد اليقين؛ لأنها مبنية على نقل اللغات ونقل النحو والتصريف، وعدم الاشتراك، وعدم المجاز، وعدم الإضرار، وعدم النقل، وعدم التقديم والتأخير، وعدم التخصيص، وعدم النسخ، وعدم المعارض العقلي، وعدم هذه الأشياء مظنون لا معلوم، والموقوف على المظنون مظنون، وإذا

(١) انظر: مناهج الأدلة لابن رشد (ص: ١٨٧–١٩٠) وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٦/ ٢٣٠–٢٣٦).

ثبت هذا ظهر أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يعارض القطع"(١)

وقد ذهب جمهورهم ومتأخروهم لذلك إلى عدم إثبات رؤية حقيقة بالأبصار، وإنما يحرفونها ويؤولونها إما مجازا، أو زيادة علم وكشف، ويجعلونها في غير جهة.

ومن الأدلة التي استدلوا بها القرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣].

قال الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ): "والنظر إلى الشيء يوجب رؤيته، فجاز أن يكون المراد من النظر هو الرؤية على سبيل إطلاق اسم السبب على المسبب، وأيضا حكى الله تعالى عن الخليل-عليه السلام-أنه قال: ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الصافات: الآيات: ٩٩] وليس المراد منه القرب بالجهة، فكذا ههنا"(٢).

وقال الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ): "وإن حصل له العلوم اليقينية إما على سبيل الحدس وإما على سبيل الفكر، ونزه أخلاقه وحسنها وعمل بموجب الشرع فله الدرجة العليا في السعادة، وله الوصول بلا انفصال وهو النظر الى الجمال الحق والجلال المحض، والكمال الصرف، كما قال الله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: الآيات: ٢٢-٢٣]، فحق العاقل أن يسعى لطلب تلك السعادة ويحترز عن مضادها وعوائقها"(٣).

وقال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ): "أمثال هذه الظواهر لا تفيد إلا ظنونا ضعيفة جدا، وحينئذ لا تصلح هذه الظواهر للتعديل عليها في المسائل العلمية التي يطلب فيها اليقين"(٤).

٢ - قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين: الآية: ١٥].

قال الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ): "يجوز أن يكون المراد من الحجاب عدم الرؤية؛ وذلك لأن الحجاب يقتضي المنع من الرؤية، فكان إطلاق لفظ الحجاب على المنع من

(١) انظر: معالم أصول الدين للرازي (ص: ٢٥).

(٢) انظر: تأسيس التقديس للرازي (ص: ٢٠٩).

(٣) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي (ص: ١٤٥).

(٤) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٠).

الرؤية: مجازة، من باب إطلاق السبب على المسبب"(١)

وقال الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ): "ذكر ذلك تحقيرًا لشأنهم فلزم منه كون المؤمنين مبرئين عنه، فوجب أن لا يكونوا محجوبين عنه، بل رائين له، وهذا المسلك أيضا من الظواهر المفيدة للظن"(٢)

٣ - قوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣].

قال الغزالي -رحمه الله- (ت: ٥٠٥ هـ): "أي في الدنيا فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة في ذلك التلوث فمنها ما تراكم عليها الخبث والصدأ فصارت كالمرآة التي قد فسد بطول تراكم الخبث جوهرها ولا تقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد، ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه من الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن يتجلى فيه الحق -جل جلاله-، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما عليه كانكشاف تجلي المرئيات بالإضافة إلى ما تخيله، وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية، فإذا الرؤية حق بشرط أن لا تفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب العالمين علوا كبيرا، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تصور وتخيل وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الانكشاف والوضوح وتنقلب مشاهدة، فلا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، فإذا لم يكن في المعرفة إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضا جهة وصورة؛ لأنها هي بعينها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة

(١) انظر: نفس المصدر (ص: ٢١٠).

(٢) انظر: شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١٥٠).

المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا؛ لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذور زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل له نخل فكذلك من لا يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة"(١)

ومن الأدلة التي استدلوا بها من السنة النبوية:

حديث **عمار بن ياسر-رضي الله عنهما-(ت: ٣٧ هـ)**، حين سمع النبي-صلى الله عليه وسلم-يدعو بهذا الدعاء: (**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**). (٢)

قال الغزالي-رحمه الله-(ت: ٥٠٥ هـ): "لذة النظر إلى وجه الله الكريم، هذه المعرفة وإن عظمت لذتها، فلا نسبة لها إلى لذة النظر إلى وجه الله الكريم في الدار الآخرة، وذلك لا يتصور في الدنيا لسر. لا يمكن الآن كشفه، ولا ينبغي أن تفهم من النظر ما يفهمه العوام والمتكلمون، فيحتاج في تقديره إلى جهة ومقابلة، فلذلك من نظر من أقعده القصور في بحبوحة عالم الشهادة حتى لم يجاوز المحسوسات التي هي مدركات البهائم، لكن ينبغي أن تفهم أن الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها العجيب على ما هو عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب

---

(١) انظر: معارج القدس في مدارج معرفة النفس للغزالي (ص ١٥٧ - ١٥٩) باختصار.

(٢) أخرجه النسائي (رقم: ١٣٠٥) وابن حبان (رقم: ١٩٧١) والطبراني في كتاب الدعاء (رقم: ٦٢٤) وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٤٢٥) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٩) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم: ١٨٨) وتمام الرازي في فوائده (٢/ ١٤٧ رقم ١٣٨٧) والدارقطني في كتاب رؤية الله (رقم: ١٥٨) والحاكم في المستدرك (رقم: ١٩٢٣) وصححه، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٥٤٠ رقم: ٨٤٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم: ٢٢٧).

العارف، كما تنطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك، فكأنك تنظر إليه وإن غمت عينيك، فإن فتحت العين، وجدت الصورة المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شيء، إلا أن الإبصار في غاية الوضوح بالنسبة إلى التخيل، وكذلك ينبغي أن تعلم أن في إدراك ما لا يدخل في الخيال والحس أيضا في درجتين متفاوتين في الوضوح غاية التفاوت، ونسبة الثانية إلى الأولى كنسبة الإبصار إلى التخيل، فتكون الثانية غاية الكشف، فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية.

والرؤية لم تسم رؤية لأنها في العين؛ إذ لو خلقت في الجبهة لكانت رؤية، بل لأنها غاية الكشف، فكما أن تغميض الأجفان حجاب عن غاية الكشف في المبصر، فكدورة الشهوات وشواغل هذا القالب المظلم حجاب عن غاية المشاهدة؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿**لَن تَرَانِي**﴾ [الأعراف: الآية: ١٤٣] وقال تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام: الآية: ١٠٣]، فإذا ارتفع هذا الحجاب بعد الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة، ويكون مشاهدة كل واحد على قدر معرفته، ولذلك تزيد لذة أولياء الله سبحانه في النظر على لذة غيرهم، ويتجلى الله تعالى لأبي بكر–رضي الله عنه–(ت: ١٣ هـ) خاصة، ويتجلى للناس عامة، وكذلك لا يراه إلا العارفون؛ لأن المعرفة بذر النظر، بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب التخيل إبصارا، فلذلك لا يقتضي مقابلة ولا جهة"(١)

ثامنًا: الرد على الأشاعرة في تحريفهم للأدلة النقلية.

لقد خالف جمهور الأشاعرة مخالفة صريحة ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات رؤية الله في الدار الآخرة رؤية حقيقة بالأبصار عيانا، وتناقضوا حينما أثبتوا رؤية في غير جهة، وحقيقة قولهم هو موافقة المعطلة في إنكار الرؤية، والرد عليهم كما يلي:

١ – تفسيرهم لتلك الآيات الكريم، والأحاديث الصحيحة، إنما هو تحريف للكلم عن مواضعه، فلم يقل تلك التحريفات لا رسول الله ﷺ ولا أصحابه–رضي الله عنهم–ولا التابعون

---

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للغزالي (ص: ٢٥٤-٢٥٥).

لهم بإحسان، ولا أئمة الإسلام من الأئمة الأربعة ونحوهم.

٢ – أنهم في تحريفهم لأدلة الرؤية عن معانيها الحقيقة الثابتة قد خالفوا إمامهم **الإمام أبا الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ)** المنتسبين إليه، وخالفوا كبار أتباعه المتقدمين، وهذا حال جمهور الأشاعرة الذين ينتسبون للإمام الأشعري، فقد خالفوه في كثير مما تبرأ منه من أقوال الجهمية والمعتزلة، ومنها مسألة الرؤية.

قال أبو الحسن الأشعري–رحمه الله–(ت: ٣٢٤ هـ): "الباب الأول: الكلام في إثبات رؤية الله سبحانه بالأبصار في الآخرة، قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٢]، يعني: (مشرقة) ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣]، يعنى: رائية؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر "الوجه" فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: "أنظر في هذا الأمر بقلبك"، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع "الوجه" لم يكن معناه نظر الانتظار الذي يكون للقلب، وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة في "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت" من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله–عز وجل–أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو: أن معنى قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآية: ٢٣]، أنها رائية ترى ربها–عز وجل–، والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" من العيش السليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله تعالى بالأبصار.

وأكثر من عبد الله تعالى عبده للنظر إلى وجهه الكريم –أرانا الله إياه بفضله– فإذا لم يكن بعد رؤية الله–عز وجل–أفضل من رؤية نبيه ﷺ، وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت

رؤية الله–عز وجل–أفضل من رؤية نبيه ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين، والصديقين النظر إلى وجهه الكريم؛ وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيها ولا انقلابا عن حقيقة، ولم يستحل على الله–عز وجل–أن يري عباده المؤمنين نفسه في جنانه"(١)

قال ابن تيمية–رحمه الله–(ت: ٧٢٨ هـ): "فهذا كله من كلام الأشعري مثل احتجاجه بما ذكره عن المسلمين جميعا من قولهم: إن الله احتجب بسمع سموات على أنه فوق العرش، وهو إنما احتجب عن أن يراه خلقه، لم يحتجب عن أن يراهم هو، فعلم أن هذا يحجب العباد عن رؤيته، وهذا يقتضي أنهم يرونه برفع هذه الحجب، وذلك يقتضي أنهم يرونه في الجهة، فإن من يثبت رؤيته في غير جهة من الرائي لا يقول بجواز الحجب المنفصلة أيضا كما تقدم، وكذلك احتجابه بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: الآية: ٥١]، وأن الآية دلت على أن الله يحجب بعض المخلوقات دون بعض فعلم أنه لا يحتجب عن بعضهم واحتجاجه بذلك على أن الله فوق العرش يقتضي أن يحتجب عمن يراه ببعض مخلوقاته وهذا يستلزم أنه لا يرى إلا في جهة من الرائي وكذلك احتجاجه في مسألة العلم بأن الله نور وأن ذلك يقتضي أنه يرى ويقتضي أن رؤيته توجب علوه وكلام الأشعري في مسألة الرؤية والعلو يقتضي تلازمهما"(٢)

٣ – أنهم يقصدون بقولهم: "في غير جهة" نفي علو الله تعالى عن خلقه، وفوقيته على عرشه واستوائه عليه.

قال الرازي–رحمه الله–(ت: ٦٠٦ هـ): "نقول: قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] آية محكمة دالة على أن قوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى**

---

(١) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص: ٣٥–٥٥) باختصار وتصرف.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤/ ٤٦٢).

الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية: ٥٤] من المتشابهات التي يجب تأويلها، وهذه نكتة لطيفة، ونظير هذا أنه تعالى قال في أول سورة الأنعام: **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ﴾** [الأنعام: الآية: ٣] ثم قال بعده بقليل: **﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾** [الأنعام: الآية: ١٢] فدلت هذه الآية المتأخرة على أن كل ما في السموات فهو ملك الله، فلو كان الله في السموات لزم كونه ملكا لنفسه وذلك محال، فهكذا هاهنا، فثبت بمجموع هذه الدلائل العقلية والنقلية أنه لا يمكن حمل قوله: **﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾** [الأعراف: الآية: ٥٤]، على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز، وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان: الأول: أن نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة، ولا نخوض في تأويل الآية على التفصيل، بل نفوض علمها إلى الله، وهو الذي قررناه في تفسير قوله: **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾** [آل عمران: الآية: ٧] وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه"(١)

وجعل الرازي القول بنفي الجهة المتسلزمة للعلو والفوقية أمرا بدهيا اتفق عليه العقلاء سوى من شذ عنهم، ولم يشذ عن جميع العقلاء إلا فريقان وهم الحنابلة والكرامية.

قال الرازي-رحمه الله-(ت: ٦٠٦ هـ): "إن العلوم البديهية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها للجميع العظيم، فلو كان وقوع هذه المقدمة بديهيا لامتنع إطباق الجمع العظيم على إنكاره، ونرى جمهور الأذكيا من العقلاء متفقين على بطلان هذه المقدمة؛ فإن إثبات الجهة لله تعالى لم يقل به إلا الحنبلية والكرامية، وأما كل من سواهم فهم متفقون على أن ذاته-عز وجل-منزه عن الاختصاص بالحيز والجهة، فظهر أن هذه المقدمة ليس بديهية"(٢)

وقد أخطأ الرازي في ذلك القول خطأ عظيما، وجهل ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات الرؤية في الآخرة إثباتا حقيقيا بالأبصار عيانا، وقد بين ابن تيمية خطأ الرازي في ذلك

---

(١) انظر: تفسير الرازي (١٤/ ٢٦٩).

(٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/ ١٥٢).

وانحرافه عن منهج الأنبياء والمرسلين، وتحريفه لكلام رب العالمين.

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "بل خصومه في هذا الباب جميع الأنبياء والمرسلين وجميع الصحابة والتابعين، وجميع أئمة الدين من الأولين والآخرين، وجميع المؤمنين الباقين على الفطرة الصحيحة -دع ما قد تنازع فيه من ذلك- فإنهم لا يطلقون على الله هذا الإطلاق الذي ذكره، وإن كان فيهم وفي سائر الطوائف من نص بالصفات التي يطلق عليها هو وأمثاله أنها أجزاء وأبعاض، لكنهم لا يطلقون الألفاظ الموهمة المجملة إلا إذا نص الشرع، فأما ما لم يرد به الشرع فلا يطلقونه إلا إذا تبين معناه الصحيح الموافق للشرع، ونفي المعنى الباطل وفي لفظ الأجزاء، والأبعاض إجمال وإيهام كما سنذكره إن شاء الله، وما علمت أحدا من الحنابلة من يطلقه من غير بيان، بل كتبهم مصرحة بنفي ذلك المعنى الباطل، ومنهم من لا يتكلم في ذلك بنفي ولا إثبات.

فلا ريب أن الكتب الموجودة بأيدي الناس، تشهد بأن جميع السلف من القرون الثلاثة كانوا على خلاف ما ذكره، وأن الأئمة المتبوعين عند الناس والمشايخ المقتدى بهم، كانوا على خلاف ما ذكره، وهذه أئمة المالكية، والشافعية، والحنفية، وأهل الحديث، والصوفية على ذلك، بل أئمة الصفاتية من الكلابية والكرامية والأشعرية على خلاف ما قاله، فهذه كتب ابن كلاب (كان باقيا قبل الأربعين ومائتين) إمام طائفته، ثم الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) ونحوه، ثم أبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، وأئمة أصحابه مثل أبي عبد الله بن مجاهد (ت: ٣٧٠ هـ)، وأبي الحسن الطبري (ت: ٣٦٠ هـ)، وأبي العباس القلانسي (ت: ٣٢٨ هـ)، وغيره -كما سيأتي إن شاء الله حكاية قوله وقول غيره- والقاضي أبي بكر بن الباقلاني (ت: ٣٣٨ هـ)، وأبي علي بن شاذان (٢٤٦ هـ)، وغيرهم، كلهم يقولون: بإثبات العلو لله على العرش واستوائه عليه دون ما سواه، ويضللون من يفسر ذلك بالاستيلاء والقهر ونحوه - كما قد حكينا بعض أقوالهم في جواب الاستفتاء، وفي جواب هذه المسائل الموردة عليه وذكرنا أن أبا الحسن الأشعري ذكر أن هذا قول جميع أهل السنة والحديث، وبه يقول الرازي وهو قد حكي أيضا في كتبه ذلك عن بعض أئمة أصحابه، وذكر للأشعري نفسه قولين

-وقد تكلمنا على ذلك- فكيف يزعم أن خصومه إنما هم الكرامية والحنابلة! بل لم يوافقه إلا فريق قليل من أهل القبلة"(١)

قال ابن تيمية-رحمه الله-(ت: ٧٢٨ هـ): "أكثر طوائف العقلاء يقولون بالعلو، وبامتناع وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأما كلام من نقل مذهب السلف والأئمة فأكثر من أن يمكن سطره. . . **وعن جرير بن عبد الحميد الرازي-رحمه الله-(ت: ١٨٧ هـ)** أنه قال: "كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله".

وجميع الطوائف تنكر هذا، إلا من تلقى ذلك عن الجهمية، كالمعتزلة ونحوهم من الفلاسفة، فأما العامة من جميع الأمم فلا يستريب اثنان في أن فطرهم مقرة بأن الله فوق العالم، وأنهم إذا قيل لهم: "لا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا يصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب إليه شيء، ولا يقرب هو من شيء، ولا يحجب العباد عنه شيء، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا تتوجه القلوب إليه طالبة له في العلو" فإن فطرهم تنكر ذلك، وإذا أنكروا هذا في هذه القضية المعينة التي هي المطلوب، فإنكارهم لذلك في القضايا المطلقة العامة التي تتناول هذا وغيره أبلغ وأبلغ، وأما خواص الأمم فمن المعلوم أن قول النفاة لم ينقل عن نبي من الأنبياء، بل جميع المنقول عن الأنبياء موافق لقول أهل الإثبات، وكذلك خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم ينقل عنهم إلا ما يوافق قول أهل الإثبات، وأول من ظهر عنه قول النفاة هو الجعد بن درهم (ت: ١٢٤ هـ)، والجهم بن صفوان (ت: ١٢٨ هـ)، وكانا في أوائل المائة الثانية فقتلهما المسلمون، وأما سائر أئمة المسلمين، مثل: مالك-رحمه الله-(ت: ١٧٩ هـ)، والثوري-رحمه الله-(ت: ١٦١ هـ)، والأوزاعي-رحمه الله-(ت: ١٥٧ هـ)، وأبي حنيفة-رحمه الله-(ت: ١٥٠ هـ)، والشافعي-رحمه الله-(ت: ٢٠٤ هـ)، وأحمد بن حنبل-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، وغيرهم، فالكتب مملوءة بالنقل عنهم لما يوافق قول أهل الإثبات، وكذلك شيوخ أهل الدين، مثل: الفضيل بن عياض-رحمه الله-(ت: ١٨٧ هـ)، وبشر الحافي (ت: ٢٢٧

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٢٣١ - ٢٣٥).

هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت: ٢٣٠ هـ)، وسهل بن عبد الله التستري (ت: ٢٨٣ هـ)، وعمرو بن عثمان المكي (ت: ٢٩٧ هـ)، والحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ)، ومحمد بن خفيف الشيرازي (ت: ٣٧١ هـ)، وغير هؤلاء.

وكتب أهل الآثار مملوءة بالنقل عن السلف والأئمة لما يوافق قول أهل الإثبات، ولم ينقل عن أحد منهم حرف واحد صحيح يوافق قول النفاة، فإذا كان سلف الأئمة وأئمتها وأفضل قرونها متفقين على قول أهل الإثبات، فكيف يقال: "ليس هذا إلا قول الكرامية والحنبلية"؟، ومن المعلوم أن ظهور قول أهل الإثبات قبل زمن أحمد بن حنبل كان أعظم من ظهوره في هذا الزمان، فكيف يضاف ذلك إلى أتباعه؟

وأيضا فعبد الله بن سعيد بن كلاب-رحمه الله-(ت: ٢٤١ هـ)، والحارث المحاسبي-رحمه الله-(ت: ٢٤٣ هـ)، وأبو العباس القلانسي-رحمه الله-(ت: في العشر الثاني من القرن الرابع هـ)، وأبو الحسن بن مهدي الطبري-رحمه الله-(ت: نحو ٣٨٠ هـ)، وعامة قدماء الأشعرية يقولون: إن الله بذاته فوق العرش، ويردون على النفاة غاية الرد، وكلامهم في ذلك كثير مذكور في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا التنبيه على بطلان ما يعارض به النفاة من الحجج العقلية، وأما النفي فلم يكن يعرف إلا عن الجهمية كالمعتزلة ونحوهم، ومن وافقهم من الفلاسفة، وإلا فالمنقول عن أكثر الفلاسفة هو قول أهل الإثبات، كما نقله ابن رشد الحفيد عنهم، وهو من أعظم الناس انتصارا لهم، وسلوكا لطريقتهم، لا سيما لأرسطو وأتباعه، كما أنه يميل إلى القول بقدم العالم أيضا.

الثاني: من أجوبة قوله: "لو كان بديهيا لامتنع اتفاق الجمع العظيم على إنكاره، وهم ما سوى الحنابلة والكرامية".

هو أن يقال: لم يطبق على ذلك إلا من أخذه بعضهم عن بعض، كما اخذ النصارى دينهم بعضهم عن بعض، وكذلك اليهود والرافضة وغيرهم.

فأما أهل الفطر التي لم تغير فلا ينكرون هذا العلم، وإذا كان كذلك فأهل المذاهب الموروثة

لا يمتنع إطباقهم على جحد العلوم البديهية، فإنه ما من طائفة من طوائف الضلال –وإن كثرت– إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية.

الثالث: أن يقال: ما من طائفة من طوائف الكلام والفلسفة إلا وجمهور الناس يقولون: "إنهم جحدوا العلوم الضرورية"فالقائلون بأن الممكن قد يترجح أحد طرفيه بلا مرجح من القادر أو غيره، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأجسام لا تبقى والأعراض لا تبقى، يقول جمهور الناس: إنهم جحدوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الأصوات المتعاقبة تكون قديمة أزلية الأعيان باقية، وأن الأصوات المسموعة من الآدميين هي قديمة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن الكلام هو معنى واحد: هو الأمر بكل ما أمر به، والخبر عن كل ما أخبر به، وأنه وإن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن، وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة، يقول جمهور العقلاء: إنهم جحدوا العلم الضروري.

والقائلون بأن العالم هو العلم والمعلوم، والعاقل هو العقل والمعقول، والعاشق هو العشق والمعشوق، واللذة هي الملتذ، والعلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن الوجود الواجب وجود مطلق بشرط الإطلاق أو لا بشرط، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلوم الضرورية.

والقائلون بأن النفس لا تدرك إلا الكليات دون الجزئيات، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأن كل موجود يجوز أن تتعلق به الإدراكات الخمسة، وأن الصوت يرى، والطعم يسمع، واللون يشم، يقول جمهور العقلاء: إنهم خالفوا العلم الضروري.

والقائلون بأنه يحدث إرادة لا في محل، أو يحدث فناء لا في محل، يقول جمهور العقلاء: أن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن الإرادة تحدث في الإنسان من غير سبب يوجب حدوثها، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأنه حي عليم قدير، من غير حياة ولا علم ولا قدرة، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساد قولهم معلوم بالضرورة.

والقائلون بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-نص على علي بالخلافة نصا جليا أشاعه بين المسلمين، فكتموه ولم يظهروه، يقول جمهور العقلاء: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

والقائلون بأن للأمة إماما معصوما عمره سنتان -أو ثلاث أو أربع- دخل السرداب من أكثر من أربعمائة سنة، أو أن عليا لم يمت، وأمثال ذلك، يقول جمهور الناس: إن قولهم معلوم الفساد بالضرورة.

وكذلك قول القائلين بأن الأعراض لا تبقي زمانين، مما يقول جمهور العقلاء: إن فساده معلوم بالضرورة.

وكذلك من يقول: إن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان يسمي المنافقين مؤمنين، ويجعل إيمانهم كإيمان المؤمنين غير المنافقين، وهم مع ذلك مخلدون في النار، مما يعلم جمهور العقلاء المسلمين فساده بالاضطرار من دين الإسلام.

وكذلك القائلون بأن القرآن العزيز زيد فيه زيادات، ونقص منه أشياء، مما يعلم بالضرورة امتناعه في العادة.

وقول النصارى: إن الكلمة اتحدت بالمسيح، وإنها ليس هي الآب الجامع للأقانيم، وهي مع ذلك الرب الذي يخلق ويرزق، وهي جوهر، والجوهر عندهم واحد ليس إلا الآب، مما يقول الناس: إنه معلوم الفساد بالضرورة. ومثل هذا إذا تتبعناه كثير.

فوجود الأقوال التي يقول جمهور الناس: إنها معلومة الفساد بالضرورة في قول طوائف كثيرة من الناس أكثر من أن تستوعب، فكيف يقال: "لا يجوز إطباق الجمع الكثير على إنكار ما علم بالبديهة"؟

الوجه الرابع: أن يقال: هذا معارض بما هو أبلغ منه، فإن الجموع الكثيرة يقولون: إنهم

يجدون في أنفسهم عند الضرورة معنى يطلب العلو في توجه قلوبهم إلى الله ودعائه، وأنه يمتنع في عقولهم وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وأن هذا معلوم لهم بالضرورة، فإن امتنع اتفاق الجمع العظيم على مخالفة البديهة، فتجب الحجة المثبتة، فيبطل نقيضها، وإن لم تمتنع بطلت حجة النفاة، فيثبت بطلانها على التقديرين"(١)

٤ - أن الذي ورد عن سلف الأمة وأئمتها هو إثبات الجهة، وهي جهة العلو والفوقية لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهو عكس ما ادعوه من نفي الجهة، وعكس ما زعموه من النهي عن إطلاقها أو القول بها.

قال أبو عبد الله القرطبي-رحمه الله-(ت: ٦٧١ هـ): "كان السـلف الأول-رضـي الله عنهم-لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك-رحمه الله-: الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة-رضي الله عنها-. وهذا القدر كاف، ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه في موضعه من كتب العلماء"(٢)

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٦/ ٢٥٠ و٢٦٥-٢٧٢) باختصار وتصرف.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٢١٩-٢٢٠) باختصار.

[الإيمان بالأنبياء والرسل]

وفيه مسائلتان:

المسألة الأولى: حكم الإيمان بالأنبياء.

المسألة الثانية: تعريف الإيمان بالنبي ﷺ

[١٦]-قال المصنف-رحمه الله-: "وما أتت بِهِ الأنبياءُ والرُّسلُ عليهم الصَّلاة والسَّلام نؤمِنُ به، ولا تُضربُ لها الأمثال".

الشرح

فالإيمان بالأنبياء والرسل والملائكة أصل من أصول الدين، وأصل من أصول الإيمان، والإيمان، فلا يصح الإيمان إلا به، فمن آمن بالأنبياء والرسل وأنكر الملائكة أو أنكر واحداً من الملائكة كفر، ومن آمن بالأنبياء كلهم وأنكر واحدًا منهم فقط كفر وكذلك الأمر في الرسل.

- قال الله تعالى في آية البر: ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة:١٧٧]، هذه خمسة أصول، والأصل السادس جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩].
- وفي حديث جبرائيل المشهور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ»[١].

وفي هذا النص مسائل:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٩)

حكم الإيمان بالأنبياء.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى: في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى: أرسل رسلاً سواهم وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص.

- وقد قال تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء:١٦٤] .

- وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) [غافر:٧٨] .

وعلينا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

- قال تعالى: (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) [النحل:٣٥] .
- قال تعالى: (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) [النحل:٨٢]
- قال تعالى: (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) [النور:٥٤] .
- قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) [التغابن:١٢] .

وأما أولو العزم من الرسل. فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم: "نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ [الأحزاب:٧] .

وفي قوله تعالى: شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ

[الشورى:١٣]"[١]

(١) انظر: تفسير البغوي: ٧/ ٢٧٢

تعريف الإيمان بالنبي-صلى الله عليه وسلم-.

"الإيمان بالرسول: هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته"[(١)].

وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن بيان هذه الأمور مطلوبة عند الإيمان به بالنبي صلى الله عليه وسلم.

قال العلماء:

أ-أما تصديقه صلى الله عليه وسلم فيتعلق به أمران عظيمان:

أحدهما: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله، وهذا مختص به صلى الله عليه وسلم[(٢)].

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

١-الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.

٢-الإيمان بكونه خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.

٣-الإيمان بكون رسالته ناسخة لما قبلها من الشرائع.

٤-الإيمان بأنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأكملها وأدى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.

٥-الإيمان بعصمته صلى الله عليه وسلم.

٦-الإيمان بماله من حقوق خلاف ما تقدم ذكره كمحبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم.[(٣)]

الثاني: "تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه. وهذا يجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى كل أحد"[(٤)].

فيجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما أخبر به عن الله عز وجل، من أنباء ما

---

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص ٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٩١).

(٣) لمعرفة تفاصيل هذه الحقوق انظر كتاب: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٩١).

قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرّم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم ٣-٤].

قال شـــارح العقيدة الطحاوية: "يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرســـول إيمانا عامًا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسـول صـلى الله عليه وسـلم على التفصـيل فرض على الكفاية"(١).

ب-طاعته واتباع شريعته:

إن الإيمان بالرسـول صـلى الله عليه وسـلم كما يتضـمن تصـديقه فيما جاء به فهو يتضـمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به صـــلى الله عليه وسلم.

وهي تعني: الانقياد له صــلى الله عليه وســلم وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثـالا لقولـه تعـالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُـــولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشـر:٧]. فيجب على الخلق اتباع شريعته والالتزام بسنته مع الرضا بما قضاه والتسليم له، والاعتقاد الجازم أن طاعته هي طاعة لله وأن معصــيته معصــية لله لأنه هو الواســطة بين الله وبين الثقلين في التبليغ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " يجب على الخلق الإقرار(٢) بما جاء به النبي صلى الله عليه وسـلم فما جاء به القرآن العزيز أو السـنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصـيلا عند العلم بالتفصـيل، فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صـلى الله عليه وسـلم وهو تحقيق شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن شـهد أنه رسول الله شـهد أنه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٦).

(٢) يقول ابن تيمية في بيان معنى الإقرار: "إن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصــديق، والإقرار ضــمن قول القلب الذي هو التصــديق وعمل القلب الذي هو الانقياد"مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨، ٦٣٩).

صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة"[١].

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٤).

[من صفات أهل السنة والجماعة]

وفيه مسائلتان:

المسألة الأولى: الأخذ بالكتاب وأحاديث النبي ﷺ.

المسألة الثانية: ترك القياس والرأي.

[١٧] - قال المصنف-رحمه الله-: "وأنَّ صفةَ أهل السُّنَّةِ: الأخذُ بكتاب الله-عز وجل-، وأحاديثِ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-،وأحاديث الصَّحابة-رضي الله عنهم-أجمعين، وترك الرَّأي والقياس. فهذا الذي أدركت عليه علماءنا القدماء، فرزقنا الله وإيَّاكم الاستقامة واللحوق بالصَّالحين".

الشرح

المسألة الأولى: الأخذ بكتاب الله عزوجل وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

بعث الله تبارك وتعالى رسوله-صلى الله عليه وسلم-بالرسالة الجامعة الخاتمة ألا وهي رسالة الإسلام التي ارتضاها-عز وجل-لتكون دينًا ومنهاجًا، يسير عليه الجن والإنس في حياتهم الدنيا حتى يتم لهم صلاح معاشهم الذي هم فيه، ومعادهم الذي سيصيرون إليه.

ولقد شاء تبارك وتعالى أن يجعل لهذه الرسالة مصدرين للتلقي هما:

١- القرآن الكريم، ٢- السنة النبوية.

فالقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام وهو كلام الله المنزل على رسوله-صلى الله عليه وسلم-بواسطة جبريل-عليه السلام-.

والسنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لعمومه ومقيدة لإطلاقه وشارحة لأحكامه وأهدافه.

قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: الآية: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [النحل: الآية: ٦٤].

فالرسول-صلى الله عليه وسلم-كما خص بالوحي المتلو وهو القرآن الكريم كذلك خص بالوحي غير المتلو وهو السنة التي لا مندوحة عن اتباعها.

قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: الآيتان: ٣-٤]، وقال-صلى الله عليه وسلم-: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه). [(١)] وبناء على ذلك فإن القرآن والسنة هما الأصلان العظيمان اللذان تستقي منهما الأمة المسلمة عقيدتها وشريعتها وكل ما فيه صلاح شؤونها في دنياها وآخرتها وهما المنهاج والنبراس الذي سار عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، في طاعتهم واتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، وذلك

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة: باب في لزوم السنة (٥/ ١٠) ح: (٤٦٠٤)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٣).

لاعتقادهم أن النبي–صلى الله عليه وسلم–قد جاء بهذين الأصلين وحيا من عند الله عز وجل، كما أنه أمر باتباعهما والأخذ بما فيهما اعتقادا وقولا وعملا. قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: الآية: ٧]، فهم من هذا المنطلق التزموا وتمسكوا بالقرآن والسنة وتلقوهما بالقبول والتسليم والإيمان والتعظيم فأحلوا حلالهما وحرموا حرامهما واتخذوا منهما منهجا لجميع شؤونهم وأحوالهم يرجعون إليه امتثالا لنداء الله حيث قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: الآية: ٥٩].

قال ابن القيم: "إن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول–صلى الله عليه وسلم–هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته"(١)

ومن هذين الأصلين – الكتاب والسنة – استقى السلف المسلك القويم والمنهج السليم الذي ساروا عليه في طاعتهم واتباعهم لرسولهم ونبيهم محمد–صلى الله عليه وسلم–وهذا المنهج يمكن تلخيصه في النقاط الرئيسية التالية:

أولًا: اتباع القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد–صلى الله عليه وسلم–وحيا بواسطة جبريل عليه السلام، والذي تولى الله–سبحانه وتعالى–حفظه بقوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: الآية: ٩].

كما جعله نظاما ومنهجا يهتدي به عباده المؤمنون كما قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: الآية: ٢].

ولقد اعتنى السلف بكتاب الله عز وجل فحفظوه في صدورهم ومصاحفهم وصاروا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وينفذون أحكامه وشرائعه جيلا بعد جيل في جميع جوانب حياتهم

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٩، ٥٥).

الفردية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها من الأمور الدنيوية والأخروية.

كما تفرغ عبر القرون ثلة من خيارهم لدراسته وتفسيره واستنباط أحكامه ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، والاعتبار بدعوته وقصصه، ووعظه وإرشاداته وأمثاله.

وهذا الموقف من السلف الصالح يمثل مظهرا من مظاهر التأسي والاقتداء بما كان عليه النبي–صلى الله عليه وسلم–، كما يعد تطبيقا عمليا لما أوصى به عليه الصلاة والسلام أمته حيث قال: (إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا ، كتابَ اللهِ ، و سُنَّةَ نبيِّه).. (١)

ثانيا: اتباع سنته–صلى الله عليه وسلم–والعمل بها:

فلقد أوجب الله على العباد طاعة رسوله–صلى الله عليه وسلم–واتباعه وقد تقدم إيراد الأدلة على ذلك. (٢)

ولقد عمل السلف بما أوجبه الله تعالى فأخذوا بسنة نبيهم–صلى الله عليه وسلم–وعملوا بها أمرًا ونهيًا وخبرًا، فكانت أقواله وأفعاله وتقريراته هي المصدر الثاني بعد كتاب الله عز وجل الذي تستقي منه الأمة أحكامها وتشريعاتها في شتى شؤون حياتها. قال الإمام الثوري: "إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل"(٣)

قال ابن تيمية: "فعلى العاقل أن يجتهد في اتباع السنة في كل شيء من ذلك، ويعتاض عن كل ما يظن من البدع أنه خير بنوعه من السنن، فإنه من يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ، ومن يتوقَّ الشرَّ يُوقَهُ."(٤)

ويعتقد السلف أن للسنة استقلاليتها في تشريع الأحكام وهي كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، فالأحكام التي سكت القرآن عن بيان حكمها وورد في السنة بيانها، فإن السلف

(١) أخرجه الحاكم (٣١٨)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ٢٢٨) واللفظ لهما، والخطيب في (المتفق والمفترق) (٨٠٨) بنحوه مطولًا.
(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٧، ٣٠٨).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي، (١/ ١٤٢) ، وذم الكلام وأهله، (١/ ١٨١)..
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٠).

يعملون بهذه الأحكام ويأخذون بها، ولا يرون أن هناك تعارضا البتة بين الأصلين.

كما يعتقد السلف أن علاقة السنة بالمصدر الأول الذي هو القرآن تسير وفق الأوجه الثلاثة التالية:

١- أن تكون السنة موافقة للقرآن من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم من غير تعرض لشرائطها وأركانها.

٢- أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيرا له، وذلك مثل الأحاديث التي فصلت أحكام وهيئات الصلاة والصيام والحج والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة وأكثرها ورودا.

٣- أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن على إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وأحكام الشفعة وغير ذلك.

المسألة الثانية: ترك الرأي والقياس.

قال تعالى: ﴿**ومن أضـــل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله**﴾؛ فغاية الضـــلال أن يكون الإنسان متبعًا لهواه، فهذا الاتباع للهوى سيضله وسيبعده عن طريق الهدى؛ قال تعالى: ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس**﴾؛ فالظن هنا إشـــارة إلى القياس الفاســـد، ﴿**وما تهوى الأنفس**﴾: إشارة إلى اتباع الهوى؛ فالعبد أمامه عدوان: ظن وقياس فاسد، وهوى متبع، فإذا سَلَّمه الله من هذين، وجعل قياسه مبنيًا على كلام الله وكلام رسوله ﷺ-فقد نجا، وإذا كان هواه وأمره تابعًا لأوامر الله عز وجل فقد نجا.

أما إذا ترك شرع الله عز وجل، ثم سار وَفْق هوى نفسه؛ فليعلم أنه على مهلكة، وكذلك إذا كان على غير علم بكلام الله وكلام رسوله ﷺ؛ فسيستبدل هذا بظنٍّ فاسد، وإذا لم يكن على معرفة بالحق سيستبدل الحق بالباطل.

فحذرنا الله من هذه الحال؛ فلا يُظن أن هذا فقط حكاية وخبر عن الأوائل، وإنما هي أسباب الهلاك في كل زمان.

قال ابن القيم: "فَسَادَ الدِّينِ إِمَّا أَنْ يَقَعَ:

بِالِاعْتِقَادِ الْبَاطِلِ وَالتَّكَلُّمِ بِهِ وَهُوَ الْخَوْضُ.

أَوْ يَقَعُ فِي الْعَمَلِ بِخِلَافِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَهُوَ الِاسْتِمْتَاعُ بِالْخَلَاقِ.

فَالْأَوَّلُ الْبِدَعُ.

وَالثَّانِي اتِّبَاعُ الْهَوَى"[(١)].

فلا نجاة إلا باتباع الهدى؛ فمن لم يكن متبعًا للهدى علمًا وعملًا؛ فإنه يكون مائلًا إلى طريق الباطل، وأهل الباطل من أوصافهم: اتباع الظن وهوى الأنفس.

فالقياس الفاســد هو أصــل الضــلال، فأصــل ضــلال مَن ضَــلَّ إنما هو بقياســه الفاســد؛ فإبليس أَوَّلُ مَن ضَلَّ، وكان ضلاله من جهة قياسه الفاسد؛ إذ ظنَّ نفسَه خيرًا من آدم عليه

(١) إعلام الموقعين ١/ ٥٩-٦٠

السلام؛ لأنه خُلِق من نار، وآدم خُلق من طين؛ فظنَّ أنَّ النار أفضل من الطين، ولذلك أبى الاستجابة لأمر الله بالسجود لآدم، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١- ٧٦]؛ فعندما قاس مثل هذا القياس الفاسد ضَلَّ عن اتِّباع أمر الله عز وجل؛ فكان هذا هو أصلُ الضلال.

وإذا تتبعنا أهلَ الباطل-قديمًا وحديثًا-وجدنا أنَّ أصلَ ضلالهم هو بتقديمهم للقياس الفاسد على النصوص الشرعية المنزلة.

والقياس منه ما يكون صحيحًا، وهو أحد الأدلة المعتبرة في الاستدلال عند أهل العلم، ومن القياس كذلك ما يكون فاسدًا، وهو أصلٌ من أصول الضلال؛ فيَضل الإنسان من جهة قياسه، فمثلًا هنا أهل التصوف ظَنُّوا أنَّ وَجْدَهم وذَوْقَهم يُوازي ما يجده أهل الإيمان مِن ذَوْقٍ، (وهو ذوق وحلاوة الإيمان)؛ فظنوا أنهم إذا وصلوا إلى أي حلاوة بطريق آخر؛ فإن هذا يُغنيهم عن حلاوة الإيمان الحقّ؛ فكان في هذا ضلالهم.

وكذلك اتِّبَاعُ الهوى وتقديمُه على اتِّبَاع أَمر الله- أصلٌ من أصول الضَّلال، وهذا حاصلٌ عند سائر أهل الضلال، ولذلك حَذَّر الله عز وجل في كثير من آيات القرآن من اتباع الهوى، وذم الذين اتَّبعوا أهواءهم؛ فبالتالي ضلوا وأضلوا؛ لأنَّهم سلكوا طريق الهوى؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، وقوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن

الله لا ينزع العلم بعد إذ أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون"(١)، والمقصود به هو الرأي الباطل الذي ليس من الدين، لأن الرأي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١-رأي باطل بلا ريب.

٢-رأي صحيح.

٣-رأي هو موضع الاشتباه.

والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به، وسوغوا القول به.

وذموا الباطل ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله.

والقسم الثالث: سوغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه حيث لا يوجد منه بد، ولم يلزموا أحدا العمل به، ولم يحرموا مخالفته ولا جعلوا مخالفته مخالفا للدين، بل غايته أنهم خيروا بين قبوله ورده، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه(٢).

والحديث ههنا يتناول الرأي الباطل فقط وهو على أنواع:

النوع الأول: الرأي المخالف للنص، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام فساده وبطلانه، ولا تحل الفتيا به ولا القضاء، وإن وقع فيه من وقع بنوع تأويل وتقليد.

النوع الثاني: هو الكلام في الدين بالخرص والظن، مع التفريط والتقصير في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها، فإن من جهلها وقاس برأيه فيما سئل عنه بغير علم، بل لمجرد قدر جامع بين الشيئين ألحق أحدهما بالآخر أو لمجرد قدر فارق يراه بينهما يفرق بينهما في الحكم، من غير نظر إلى النصوص والآثار، فقد وقع في الرأي المذموم الباطل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام: باب ما يذكر من ذم الرأي. فتح الباري (١٣/ ٢٨٢) ح ٧٣٠٧.

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٦٧). وقد تناول ابن القيم في هذا الكتاب القول بالتفصيل عن أنواع الرأي فمن أراد التوسع والاستفادة فليرجع إليه.

النوع الثالث: الرأي المتضـــمن تعطيل أسماء الرب وصـــفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضـعها أهل البدع والضـلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية[(١)] ومن ضـاهاهم، حيث استعمل أهله قياســاتهم الفاســدة وآراءهم الباطلة وشــبههم الداحضــة في رد النصــوص الصــحيحة الصــريحة، فردوا لأجلها ألفاظ النصــوص التي وجدوا الســبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم، ومعاني النصــوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها ســبيلا، فقابلوا النوع الأول بالتكذيب، والنوع الثـاني بالتحريف والتـأويـل، فـأنكروا لـذلـك رؤيـة المؤمنين لربهم في الآخرة، وأنكروا كلامـه وتكليمه لعباده، وأنكروا مباينته للعالم، واســتواءه على عرشــه وعلوه على المخلوقات، وعموم قدرته على كل شــيء، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن والإنس عن تعلق قدرته ومشـيئته وتكوينه لها، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسـه وأخبر به رسـوله من صـفات كماله ونعوت جلاله، وحرفوا لأجلها النصـوص عن مواضـعها وأخرجوها عن معانيها وحقـائقهـا بالرأي المجرد الـذي حقيقتـه أنـه زبالـة الأذهـان ونخالـة الأفكـار وعفـارة[(٢)] الآراء ووساوس الصدور فملؤوا به الأوراق سوادا والقلوب شكوكا، والعالم فسادا.

وكل من له مســكة من عقل يعلم أن فســاد العالم وخرابه إنما نشــأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما اسـتحكم هذان الأصـلان الفاسـدان في قلب إلا اسـتحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسـد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى وأحيي بها من ضـــلالة؟ وكم هدم بها من معقل للإيمان، وعمر بها من دين الشــيطان؟ وأكثر أصــحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل بل هم شــر من الحمر، وهم الذين يقولون يوم القيامة ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْـــمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[(٣)].

---

(١) سموا بذلك لقولهم في القدر، وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعله اســتقلالا، فأثبتوا خالقا مع الله. الملل والنحل (١/ ٥٤)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٢٥٦)

(٢) العفارة: الخبث والشيطنة. النهاية (٣/ ٢٦٢).

(٣) الآية (١٠) من سورة الملك.

النوع الرابع: الرأي الذي أحدثت به البدع، وغيرت به الســـنن وعم به البلاء، وتولى عليه الصغير وهرم فيه الكبير.

فهذه الأنواع الأربعة من الرأي الذي اتفق ســـــلف الأمة وأئمتها على ذمه لإخراجه من الدين[١].

ومما ورد عن السلف في ذم الرأي الذي من هذا القبيل ما يلي:

عن أبي بكر الصـــديق رضـــي الله عنه أنه قال: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم"[٢].

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "اتقوا الرأي في دينكم"[٣].

وروي عنه كذلك قوله: "أصـــحاب الرأي أعداء الســـنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها، واســـتحيوا حين سُـئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضـــوا الســـنن برأيهم، فإياكم وإياهم"[٤].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: "لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه"[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال بعد ذلك برأيه فلا أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته"[٦].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لا يأتي عليكم عام إلا هو شر من الذي

(١) إعلام الموقعين (١/ ٦٧-٦٩).
(٢) المصدر السابق (١/ ٥٤).
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٥٥).
(٤) المصدر السابق (١/ ٥٥).
(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب كيف المسح (١/ ١١٤، ١١٥) ح ١٦٢ وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٥٨).
(٦) إعلام الموقعين (١/ ٥٨، ٥٩).

قبله، أما إني لا أقول أمير خير من أمير، ولا عام أخصب من عام، ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفا، ويجيء قوم يقيسون الأمور برأيهم"[(١)].

ومما ورد كذلك من الآثار عن التابعين ما يلي:

قول الشعبي: "ما جاءكم به هؤلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذوه، وما كان رأيهم فاطرحوه في الحش"[(٢)].

وعن ابن شهاب الزهري قال: "دعوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي"[(٣)].

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس: "أنه لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[(٤)].

فهذه الأقوال عن أولئك الأئمة من الصحابة والتابعين أجمعت على إخراج الرأي عن العلم وذمه والتحذير منه والنهي عن الفتيا به، فرضي الله عن أئمة الإسلام وجزاهم عن نصيحتهم خيرا، ولقد سلك سبيلهم أهل العلم والدين من أتباعهم.

(١) أخرجه الدارمي في السنن، المقدمة، باب تغير الزمان وما يحدث فيه (١/ ٦٥). وأورده ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٥٧).
(٢) إعلام الموقعين (١/ ٧٣).
(٣) المصدر السابق (١/ ٧٤).
(٤) المصدر السابق (١/ ٧٤).



الفهرس